تحديات القرن الحادى والعشرين

« تواصل المعارف العلمية »

ادجار موران

ترجمة وتعليق

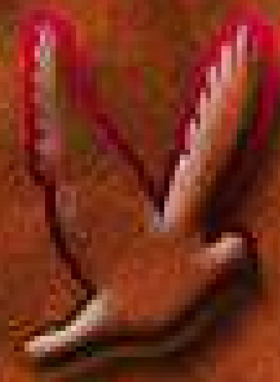
سفير د. حسين شريف

الجزء الثانى











MOHAMED KHATAB



مكتبة سور الأزبكية

تحديات القرن الحادى والعشرين

ادجار موران

تواصل المعارف العلمية

ترجمة وتعليق

سفير د. حسين شريف

الجزء الثانى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠١

تصـمـيـم الغـلاف

صبـرى عبـد الـواحد

الإخراج الفنى

مـادلين أيـوب فـرج

اليومية السابعة

الثقافات المراهقه

ثقافة الشارع المراهق فى التجمعات الكبيرة والضواحى

بقلم / دافيد لوبوتر

تصرفات مدمنة (متعودة) وأوهام مراهقة

بقلم/سيمون دانييل كيمبمان

ثقافة إعلامية أخلاقية

بقلم/فيليب كوو

تلقين طلبه الثانويه « القانوني »

بقلم/نوربرت رولاند

مدخل

بقلم: ادجار موران

أصدقائى الأعزاء...

سوف نبدأ اليوم فى الدخول إلى أبحاث اليوم قبل الأخير من رحلتنا هذه. وقلت رحلتنا ذلك لأننا بدأناها بملحمة كونيّة عن تاريخ الدنيا وتبعناها بأخرى عن كوكبنا منذ بداية انبثاقه ثم تكونه التلقائى ومنْه تولدت أو نبتت المجالات الحياتيه التى لا تنفصل عن التكوين الفيزيائى «الطبيعى». وهنا قدمنا عدة أبحاث أخرى منها ملحمة نشوء الإنسان البشرى على مسار امتد عبر عدة ملايين من السنين وعبر فترات زمنيه وعصور مختلفة نشأ فيها أى الإنسان العاقل. ورأينا وقائع هذه الملحمة والتى أحياناً كانت كوارث ونكبات حلت بالكوكب. وأن تاريخ الحياة مثله مثل تاريخ الأجناس الحية صاحبته أو لازمته أحداث تدمير شامل فى نهاية الدهور الأولى وتلتها أحداث تدمير أخرى فى نهاية العصور الثابتة اتسمت بانقراض الديناصورات. ومن بين تلك الأحداث والاضطرابات بزغت الثدييات ثم تلتها الاجناس البشرية (الإنسان) ثم رأينا كذلك أن الأبحاث العلمية عن:

الدنيا وعن الأرض وعن الحياة وعن البشريه كانت كلها بمثابة إطارات طبيعية للفكر أى محطات كانت متواجدة داخل النفس البشرية وفى فكر الإنسان قبل ان تصبح منهجاً علمياً. وهذه المخططات كان لابد وأن تترابط فيما بينها، والمشاكل الفيزيائية (الطبيعية) تأخذ معناها اعتباراً فى تلك اللحظة التى نجد فيها أن التاريخ الكونىّ بدأت تتشكل فيه الجزئيات أى الذرّات ثم تكونت المجرّات والكواكب، ثم بدأنا نتعرف على المبادئ الأصلية لتكوين الكهرومغناطيسى والتفاعلات الجاذبيّه ، وأمكننا تحديد موقع كل مبادئ ومعطيات الفيزياء والكمياء ثم بعد ذلك البيولوچيا. وكان ذلك فى سرد بحثى شيّق أشبه بتسلل قصة رائعة. ومن الطبيعى أننا نستطيع الآن الرد على ما يثير أىَّ نوع من الفضول والتساؤل يطرأ على أذهان أولادنا الصغار وأولادنا المراهقين، وبصورة عامة كل البشر الذين تراودهم التساؤلات امثال من هم؟ ما هم؟واين موقعهم؟ وذلك لان الخيط الكاشف الذى أردت تحديده وتلخيصه هو أن النتائج والمعطيات الموضوعية التى توفرت أمامنا وكما سمعناها ليست معطيات خارجية بعيدة عن نطاق الإنسانية، بل هى معارف تتيح لنا تحديد مكانة أو موقع الإنسان وكيانه البشرى، حتى يتمكن المراهقُ من تحمل أعباءِ كيانه. ومن ذات نفس هذا الكيان النابع مباشرة من هذه الثقافة العلمية يمكن التواصل مع الثقافات البشرية جمعاء، فلدينا الوسيلة لربط الثقافات العلمية وزرع أو تربية ثقافة وآداب الانسانيات البشرية، من ثم لابد ان أكرر أن نيّتنا وهدفنا هنا ليس تفضيل الثقافة «العلمية» على حساب العلوم وإنما هدفنا أن نعطى وزناً لكل منهما... إذاً فلماذا؟ لماذا ثقافة الأجناس البشريه؟.. ذلك لأن الادب والشعر

ليسا أموراً جمالية لرفاهية النفس البشرية بل هما «مدارس حياة» من خلالها نتعرف على كيفية استكشاف أنفسنا والتعرف على كياننا ثم يمكن التطرق لمعرفة دنيا أو عالم الانفعالات والاهواء والمشاعر ثم الانغماس والأندماج فى المجتمع... وكل ذلك بالطريقة الذاتية والوسيلة الشخصية، ثم وأخيراً أليس أبطال القصص والروايات هم رعايا وموضوعات..؟ وكلمه الشاعر أليست كلمة موضوعية؟ وهكذا يمكننا مواجهة ما أسميه بـ «الإنسانيات الجديدة»

واليوم نحن نعرض هنا مبحث «ثقافات المراهقين» أو «الثقافات المراهقة»، وخلال يومية هذه الأبحاث سنتعرف على ملامح من هذه الثقافات بمعنى أن تكون ملامح عرقيه من تلك التى تبحث فى خصائص الإنسان والشعوب فتتكون فى نفس وذهن الانسان المراهق فكرة واضحة المعالم قريبة للفهم الإدراكى... ولابد أن نشير إلى ان كلاً من الطلبة المراهقين ومدرسيهم هما حقيقتان متداخلتان ومتراكبتان... إلا أن الواقع يثبت أن أحدهما لا يعرف الآخر بشكل حقيقى... ومن هنا تبدو الحاجة إلى ضرورة وجود الثقافة لنلقى نظرة على ثقافة «الشوارع» حيث نجد فيها التجمعات الكبرى الجماهيريه.. ثم نلقى نظرة أخرى على الملامح المختلفة لسلوكيات الثقافات لدى المراهقين!!

ثقافات الشارع المراهقة في التجمعات الكبرى والضواحي

بقلم: دافيد لوبروتر

منذ عقدين من السنوات: أصبحت ضواحي المدُن مرتعاً يأوى تجمعاتٍ سكانية شعبية وصارت أخبارها وما يحدث فيها تنشر فوق صفحات الجرائد بمانشتيات عريضة، وتنامت أعداد الريبررتاجات المصورة لسرد قصص ما يقع فيها وساهمت شاشات التليفزيون في نقل أحداثها، هذا بالإضافة إلى أن كل ذلك أمسى الموضوع الرئيسيّ في كافة الخطب السياسيه ومحورها المتكرر فيما يصرح به زعماء الأحزاب وفيما يتناقشون فيه او يتجادلون حوله، منذ أزمة السبعينيات. ففي هذه الضواحي والحواري التي يقال عنها «مناطق صعبة» و«حساسة»، فإننا نجد فيها أساساً تجمعات شبابيّة تتعرض للصعوبات إذ هي جموع من الشباب الفقير الذي لا عمل له والذي هو فريسه للفشل المدرسي والبطالة التي تثير الأحقاد العنيفة إزاء المجتمع القريب منهم «المستريح»... وهذه الظروف كثيرا ما تدفع الشباب للجنوح نحو تعاطي المخدرات بل وإلى الإجرام نتيجة لما تعيش فيه من عوامل الضياع.

وغالبا ما تكون سلوكيّاتُهم منحرفة لا تتطابق مع التكامل الاجتماعى اذ هم فقدوا كل شيء وكل ما يوفر للمجتمعات السكانيه ما تحتاج لممارسة العيش في هدوء... وطمأنينة. وهذه الرؤية ليست مبنية على اوهام وإنما على وقائع من الفقر المادى الذى يدفع للجنوح إلى الإجرام. ولا يمكن إنصافاً أن نعتبر هذه النوعيه من الشباب، من الوجهة الاجتماعية، منحرفة فى الأصل وإنما هى ثمرة نظرة خارجية بعيدة عن الاثنوجرافيا التى تحدد خصائص الشعوب وتحاول الغوص فى اعماق البحث عن الظروف والملابسات التى تحيط بهذه المجتمعات لدراسة واستخراج المعالجات التى تصلح من أحوالها وتعالج أوجاعها وتعيز اكتشاف كنه التصرفات الغريبه لدى المراهقين على المستوى الفردى أو الجماعى. كما يجب كذلك ادراك ان جموع الشباب هذه تخلق من داخلها معايير تنشئ لنفسها مكانه وهوية محددة، تلك الهوية التى هى اليوم علاقة بارزة توصف بها جموع سكان ضواحى المدن وحواريها، وهذه الهوية أفردت توعية خاصة من الثقافة تتلاءم مع التحليل الأتنولوجى (السلالات البشرية). وواحدة من نواحى هذه الثقافة نابع ومترتبط بالضرورة من أصول عرقيه وانتماءات لمجتمعات حوض البحر الابيض المتوسط وعقليات هذه المجتمعات التى تنتشر كل يوم.

ثم أبدأ أولى الملاحظات ذات المغزى التى تمارسها هذه الجموع الشبابية من «المراهقين» الذين يقيمون فى ضواحى وحوارى المدن... وأغلبها ممارسات «لغوية» ينطقونها فى أحاديثهم وتوقعنا فى حيرة تامة، كما تثير دهشة واستغراب المعلمين والمدرسين فى المدارس المقامة فى هذه المواقع.

وهى لغه نابعة من العامية الفرنسية القديمة والتى تختلف عن تلك الوسيلة العجيبة فى قلب الألفاظ وحروفها وعكس موقعها من الكلمة مثل كلمه رابيد معناها سريع) نسمعها باريد (سريع) وهكذا وأصبح هذا النوع من الألفاظ المشوّهة يختلف جذرياً عن اللغه السليمه التى لم نعد نعثر عليها إلا فى المعاجم والقواميس. كما أصبحت هذه النوعية اللغوية الجديدة مجالاً للتخاطب فيما بين أفراد هذه الجموع من المراهقين الذين يزورون لغتنا والمثير للضحك أنهم يصفونها على أنها مجرد «طق كلام».

ولقد صارت للغة الحوارى روافد لإطلاق السباب وبالذات ألفاظ الغمز واللمز والتى تتخذ أهدافاً لتطلقها حتى على الاهل وليس على الأقران والأصدقاء فحسب. ومن بين نماذج هذه الأقوال، على سبيل المثال: ... أمك... لياعج لبان ممضوغ (سبق مضغة!!... أمك لها أسنان نحاس!!! أمك... أمك... حتى أصبحت هذه المبادلات اللفظيه الكلامية عبارة عن معارك كلام فيها كثير من البذاءات... ويشترك المتنافسون فيها وكذا المشاهدون ومنهم من يتخذ «موقعا» للحكم عمن يفوز وتتفوق وينتصر على غيره. وليس المهم من يكسب ومن يخسر، فكلها تشمل جموع الشباب من سن الثانية عشره إلى السادسة عشر وهى مجالات لفظية فاحشة تثير فزع وصدمة الذين يسمعونها والذين يندهشون من هذه النوعية من البلاغة اللفظية والمقدرة الكلاميه الممجوجة والتى يتبارون فيها فى إطار تنافس شاذ وغريب وما بين هجوم ودفاع.

والعنف هو السمة التى تتميز بها ممارسات جموع الشباب المراهقين والتى يمكن وصفها بالانحطاط والذم بل والعار، وذلك لأنها تصدر بأحط

الصراعات اللفظية للتعبير عن أكثر أشكال المعارك الكلامية دناءهً والتى تريد قطع كل صلة بلغة الحوار السليم... الحوار الكلاسيكى (التقليدىّ).

كما يجب أن نلاحظ أن وصف واقع بالعنف ليس من الضرورى تعميمه على الجميع حتى برغم أنه يسرى بين الأغلبية. وعموماً نحن نقر أنه ليس هناك مجتمع يخلو من مظاهر العنف سواء أكان مجتمعاً تقليدياً أو رمزياً... بل وحتى المادى كذلك... حتى ليبدو العنف كانتهاك تحاورى لنظام اجتماعى أخلاقى. وبهذا المفهوم يمكننا إدراك أسباب أو دوافع تصرفات المراهقين العنيفة. ونحن لسنا بصدد البحث عن البواعث وإنما عن المعانى التى يصفون بها تصرفاتهم وممارساتهم اللغوية، ومن خلال التحليل نجدها ثمرة جهود ومبادرات يشترك فيها الجميع وليست «فردية» وتخلق أو تنشئ قيماً تفرض نفسها على الأولاد فى نطاق هذا الصراع والشجار اللغوى والذى يبدو فى عين الكثيرين نوعاً من المبارزات الثأريه، بينما نجد فى المجتمعات العصرية أن كل أشكال الثأر والانتقام محظورة ويعاقب عليها القانون مثلما يدين محاولات الإضرار بالآخرين، أما بالنسبة لثقافة المراهقين فهى على عكس ذلك إذ هى بشكل وبقوة «هوية جماعية» لتجمعات متلاحمة ومتراصّة للدفاع عن نفسها بشكل تضامنّى مثير. ومن هنا ندرك بسهولة تلك الصعوبات التى تواجه مؤسساتنا الاجتماعية وبالذات المدرسة فى ترسيخ معايير سلوكيات هادفة وتصرفات هادئه وسليمه لتسود بين المراهقين وانتشالهم من براثن هذه النوازع السنية والمسيئه فى ذات الوقت فى معاداة المجتمعات.

وبإيجاز يمكن أن نجد بين المراهقين سمات الثقافة الرئيسيه والتى يمكن التعرف عليها بسهولة فى أوساط المجتمعات الشريفة ... أى عبر دروب طقوس مؤسسة على حتمية إدانة وعقاب الثأر، وهذا الاتجاه يفسر موقف المجتمع الفرنسى فى القرن السابع عشر، قرأنا عنه عندما قرأنا رد فعل البطل المسرحى سيرانو دى بيرجراك فى الرواية المسرحية الساخرة التى ألفها ادموند روستاند ، وجاء على لسان البطل: سواء اكان نعم أو لا (يقصد ايجاب او نفى) فان التصارع، التطاحن عندى هو نظم بيت من الشعر!!

وفى مفهوم شباب الضواحى فإن الشرف يبدو نسيجاً جوهرياً للتصرفات دفاعاً عن السمعه وهو نابع من أعماق صيغة ذكوريّة بحته تتعلق بالحركة والمظهر وطرق الحديث والشجار. أما بالنسبة للفتيات فالشرف يتوافق مع أيديولوچيا مجتمعات البحر الأبيض المتوسط عن الشرف والنقاء الجنسى. فمن جهة يمكن اعتبار المشاجرات وحلقات الثأر على أنها نوازع رئيسيّة تثار كنوع من التحدى أو مقابلة التحدى وهى تمثل ركنّا أساسياً فى ثقافات الشوارع لا تحتسب فيها فحسب القنوات الخطابية وإنما أيضاً إبداعات الموسيقى المعاصرة الصاخبة. موسيقى الراب ورقصات الـ Breakdanse (موسيقى حوارى أمريكا التى تتسم بالحركات البهلوانية) والراقصات المكسيكية التى تسمى Muralisme . وكلها تمثل مجالات أقرب إلى التنافس الرمزى المتصل بالشرف سواء مع الخصوم أو بين المشاهدين، الفائزين منهم والخاسرين.

وأخيراً فإننا نجد أن ما سردناه هنا إنما يشكل نظاماً ثقافياً متماسكاً ومنظّماً وثقافات الشوارع هذه هى ثقافات مجموعات من المجتمع الشبابى

تتقاسم فيما بينها عالماً ودنيا خاصة بها يعيشون فيه ويتمسكن بمفاهيم تتلاءم مع أعمارهم فقط وذلك لأنها لا تتناسب مع عقليات غيرهم. كما لا يجب اعتبارها ثقافة منغلقة على نفسها وذلك لأن جموع هذا الشباب المراهق على اتصال مستمر ومتعدد الجوانب مع أفراد المجتمع، ولاشك أن ديناميكية الثقافة هى التى تثير اهتماماتنا لأنها توضح بدون مواربة ان ثقافة الشوارع يتنامى وجودها وتنتشر فى المجتمع الفرنسى، وذلك بفضل الصحافة والإعلام والنشر والإذاعة، وفى ذات الوقت فهى تمثل تحدياً أمام المؤسسات التى تودُّ إضفاء النزعة الاجتماعية على المجتمعات مثل المدارس التى تواجه اليوم كماً هائلاً من المشاكل والقضايا مع شباب هذه الضواحي والحوارى.

التصرفات المتكررة وخداعات المراهقة

بقلم : سيمون دانييل كيبمان

لاشك فى أهميـة مـشكلة المخـدرات لدى الشبـاب المراهق، إلا أننا لو وضعنا أنفسنا من وجهة نظر اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافيه أو حتى وطنية فـاننا لا نستطيع أن نتجاهل أن هذه المشكلة المتناميه فى تزايد مستمـر وتمثل إحدى حلقات شبكة تصرفات المراهقين وهى أحياناً تكون مقبوله بقدر ما يمكن احتمالها . وبعد توضيح موجز فإننى اسرر بعض المؤثرات حول الطريقة التى نتصرف بها لمواجهة هذه الظاهرة بالغة الحساسية وفى هذا المجال كما فى غيره فإننا فى حاجة لنقل أو نشر مانعرفهُ وتحويله إلى عقول شبابنا المراهق، وهذا أمـر حيوى وضرورى ذلك لأنه يمثل الورقة الرابحـة فى سبيل الوقاية وحماية الشباب المراهق الذى صار فريسة سهله ومرعى خصباً يرتع فيه ما نطلق عليه سوق تصريف بضاعة وتجارة الموت ... المخدرات.

فبالنسبة للمخدرات فنحن نعرف أكثر فأكثر آثارها الضارة وآليات تفاعلها كما نعرف صعوباتها وطول المدة التى تواجهها محاولات العلاج

ومدى مخاطر انهيار كل السبل والطرق العلاجية المقترحه. وليس هناك ما هو أكثر خطورة من محاولة إظهارنا للشباب أن مخرراً ما هو أقل خطورة من مخدر آخر فى سمومه... اذ كلها خطيرة على الصحة وعلى عقول البشر، كما لابد وأن نوضح ونبين مخاطر التعاطى المتكرر الذى يؤدى للإدمان بشره ونهم للبحث عن المخدرات وتعاطيها فيصل بالإنسان إلى ما يمكن أن نسميه بـ «التسمم المدمن».

والمضار الناشبة عن دخول هذه المخدرات معدة الإنسان لا حصر لها. وهناك تعارض مؤلم وقاسٍ ما بين التصرف الإدمانى المتكرر وصحة الشباب المراهق إذ أنَّ سنَّ المراهقة يمثل الفترة الزمنية الممتدة، وخلالها رغبة الشاب فى استكشاف كل جديد وشاذ. إلا أن مخاطر الإدمان لها قوة محركة لا يمكن السيطرة عليها والتحكم فيها. ثم إن جهل شبابنا بعواقبها الضارة هو عامل حاسم فى تفاقمها وانتشارها. وجزء من المسئولية يقع على أهل المراهق الذى يجد نفسه محصوراً بين فكين مفترسين هما/ الرغبة فى التعاطى ومخاطر العواقب، وذلك بآثار كل هذه المخدرات سواء كانت مواد مخدرة أو سجائر محشوة أو تبغ مخدر أو كحوليات فكلّها تجعل من الشباب زبونا سهلاً للمناظر المؤذيه السيئة والأفلام السينمائية الرديئة والروايات وأفلام المغامرات المثيرة والماجنة ونضيف إليها هذه الظاهرة المتنافيه فى استهلاك العقاقير التى تؤثر على الحالة النفسية للإنسان.

كما أن هناك بونا شاسعاً بين سلوك المراهق والطريقة التى يسمع بها لكثير من التحذيرات والنصائح التى تعرض أمامه أخطار ومساوئ المخدرات وأغلبها طرق غير مفهومه فهماً جيداً لديه، وتمثل سلسلة من

اخطاء اجتماعية ومساوئ فسل تربوى بل وأيضا وفى أحيان كثيرة تمثل علاجاً سقيماً ومن هنا تتضح ضرورة العناية بصحة مراهقينا

المراهقون يتعاطون المخدرات :

فإذا ما أنفتح المراهق انفتاحاً هادفاً على عالمه الذى يعيش فيه ذووه والمحيطون به والذين يلازمونه من باقى المجتمعات... فإن ذلك سيكون بمثابة عامل وقاية وخط دفاع فى مواجهة أخطار المخدرات وهى أخطار جسيمة.

ويمكننا عرضُ أمثلة عديدة توضح لنا ما يعترى المراهقين فيجعلهم أشبه بالمصابين بالعمى وبالذات مخاطر المخدرات وآثار نزعة العنف فالمراهقون يتعاطون المخدرات أى يحاولون التعرف «سرا» على هذه الأشياء «الجديدة» والمحرمة مثل ألعاب الـ Touche-Pipi أو التجوال الليلى أو تدخين سيجارة فى الخفاء، لأن ذلك يهيئ للمراهق نوعاً من اللّذة الحسيّة. وهنا نحن لسنا ندافع وإنما نوضّح النوازع لكى تتضح أمامنا ضرورة أن يكون هناك نوع من الشفافية والأمانه فى معالجة المشكلة بل المشاكل الملحة التى تحيطُ بنا كما لا ننسى أن إهمال الأبويْن للمراهق يدفعه للبحث عن «انتمائية» تشبع رغباته بين أقرانه (أقران مثله) فى البداية يدخنون، هذا إذا لم يكونوا قد بدأو يتعاطون المخدرات، وذلك أحيانا يكون تشبهاً بمدرس أو معلم او والد أو قريب وغيرهم.

فالوهم الخادع الذى يعيش فيه المراهق يدفعه للتقليد.

العنف وفق أحدث طراز

يتزايدُ هذا النوع من أعمال العنف ويتخذ وسائل عديدة للتعبير عن نفسه والإعلان عنها ثم تأتى مرحلة الإجرام التى تتبدَّل دونما دراية فى جانبنا سواء أكان ذلك عدم قدرة على الصَّبر او عدم شعور بمدى المسئولية، وأيضاً عجز رجال الشرطة او بسبب الفقر المتفشى بين طبقات اجتماعية من الناس. كما أن لهذه الموجة من العنف عدة مصادر ينبع منها: أحدها مرتبط بالانفجار الجسدى لدى المراهق الذى يمر بفتره نمو لا يستطيع أثناءها التحكم فى قواه وغرائزه أو فى غضبه. وهناك مصدر آخر مرتبط بتأثير الجماعه فكلٌ المجتمعات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنوعية من العنف... عنف أصم ضد النظام... وعنف ثائر يتجه عادة للتمرد على السلطة.

والعنف فى كل مكان هو مظهر خالد ودائم. ومع ذلك نجد أنواعاً منه تكون أحياناً مقبولة ويمكن تحمُّلها أمثال التنافس وأفلام الغرب «الوسترن»... وربما نجد أنفسنا تتساءل عما إذا كانت مظاهر العنف لدى المراهقين مقبولة أم لا من جانب مجتمعات الكبار الذين يحسُّون أنهم هدف لهذه الظاهرة. ومن الواقع فإن الكبار لا يحتلون المكانة التى يودونها فى أذهان المراهقين الذين عادة ما يتأثرون بانطباعات وعادات الحوارى.

وهذا الحديث يمكن أن يثير اهتمامات المدرسين ويؤثر على ضرورة تعديل المناهج التعليمية والاتجاهات التربوية بل وأيضاً على محتويات هذه المناهج والاتجاهات.

فإذا ما أراد «الكبار» الحفاظ على وضعهم كآباء ومسؤولين عن «عائلات» فإنهم غالبا ما يفشلون في مسعاهم، ذلك لأن نزعة عنف المراهقين تنبثق من تناقض مجتمع خارجي مهذب بقدر ما، وبين مجتمع داخل الحوارى له مفاهيمه الخاصة. وهناك خطورة أن يستمر الشباب يسمح النقد والانتقاد كل وقت من جانب ذويهم، ويحدث ذلك علانية وأحياناً قليلة في الخفاء.. ونحن نقف بجانب الاتجاه العقلانى لمحاولات الآباء والأمهات لأخذ مكانتهم لدى أبنائهم لكسب ودهم كأصدقاء، حتى لا يصبحوا موضع انتقاد أولادهم المراهقين، إلا أن ذلك أحياناً كثيرة ما يكون غير كافٍ، ويتأرجح بين نزعة اتجاهٍ أبوى وآخر أخوىّ فلا يبقى أمام المدرس التربوى إلا تلك المكانة التى يجب أن يتمتع بها من يقوم بها وهى مميزات محددة منها أنه «يعرف» ويستطيع جذب انتباه وفضول المراهقين وإثارة اهتماماتهم. ولابد من الاعتراف بأن المراهق لديه - وهذا طبيعى حب استطلاع ورغبة فى الاطلاع على كل شيء حتى برغم تحفظه وكتمانه وأحياناً تخوفه من ذلك «المجهول» الذى يثير فيه عوامل القلق والحيرة.

وأحيانا أخرى لابد لنا من السباحة ما بين «المعرفه و الخوف» من احتمال خيبة الأمل، ولذا من الضرورى ألانقع فى فخ الرغبة فى تعليم من يريد المعرفة ومَنْ يرغب فى أن يكتشف وأن نتفهم رغبة مَنْ يريد مجرد كشف استارالمجهول، وأن نشبع رغبات من يريد ان يُفاجأ...

ولتفادى هذه النزعات المضللة والتى كثيراً ما تكون ظواهرها خادعة والتى يطلقها المراهقون لا إرادياً، فإن الأسس والقواعد التربوية ليس لها من

سند سوى الارتكاز على هذا دور الغير بالنسبة لإشباع رغبات المراهقين ومـايولعـون به ومـا تعـودوا عليـه وإنما فى إطار منهـجى... حـذر... وتدريجى....

الثقافة العالية (عبر الأقمار) والمعارف الأخلاقية وخداعة المراهقة

بقلم: سيمون دانييل كيبمان

ما هى الثقافة؟.. إنّها ما يهيئ لكل شخص أسباباً لأن يعيش وأن يأمل، إنها ما يوفر سُبل العمل على توسيع دائرة جمال وحكمة الدنيا، أما ثقافة انجاز فنى مغلقه فستكون اتجاهاً خاطئاً عكسياً، ذلك لأن الثقافة أشبه بالطبيعة، فهى تحيا بالتدفق والإخصاب والتهجين، ولذلك نجد أن الثقافه الحيّه اليوم تشمل أحداث الساعة كما أنّ العولمه تظل أساساً اتجاهاً اقتصادياً وتكنولوچياً فى وقتنا الراهن، أما العولمة السياسيه والثقافية والاجتماعية والتى يمكن أن نطلق عليها عولمة النفوس والعقول فإنها تتنامى وتتقدم بأبطأ من تقدم عولمه الأسواق عولمة شبكات الاتصالات وفى التاريخ البشرى كانت النفس أو «الروح» دائما متأخرة عن «المادة» وعن الحدث مثلما قال جاك ماريتان يوم ٦ نوفمبر ١٩٤٨ أثناء انعقاد الدورة الثانية لمؤتمر اليونسكو فقد قال حينئذ: لم يحدث من قبل أن كانت النفس البشرية هكذا متأخرة بأكثر مما هى عليه اليوم.

والعولمة الاقتصادية والماليه وعولمة التكنولوچيا وشمولية المشاكل البيئية في كل اتجاه كونّي من الضروري أن يصاحبها ضمير أخلاقي وسياسي يرتفع إلى مستوى التحديات، ذلك لأن الإنسانية بحاجة إلى مثل هذه الأخلاقيات لمواجهه ما يعترى طريقها من صدامات واتجاهات التحضر العصرية والتى تواجهها كل بلاد الدنيا في كوكبنا سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة على ذلك فإنه في اللحظة التى تحتاج فيها إلى كادرات فلسفية واخلاقية قادرة على معاونتنا للتفكير في العولمة، فإننا نشهد إخفاق الإيديولوچيات أو (المذاهب) كما نعاصر تدخل انفصاليه الدول فيما يتعلق بالشئون متعددة الجوانب كما يوضحه انخفاض المعونات الدولية للتنمية.

ونحن في حاجة إلى فكر ثقافي قادر على مساعدتنا على التفكير بعقلية جماعية، وبنفس مقدار تفكيرنا في مشاكلنا المحلية... أى بمعنى آخر نحن في حاجة إلى ثقافة عليا عالمية رفيعة منها الانترنت الذى يشبه التجسيد المشبق للثقافة العولميه التى تمتلك نماذج عقليه وآليات قادرة على مساعدتنا في فهم الأشكال المتداخلة من الأمور والقضايا وهكذا نجد ان التصور العددى أو الكمي والحقيقة التقديريه قادرة على ظهور تجارب فكرية جديدة تعاون في تصور عوالم تجريدية واستخلاص قدرات حسابية ليست بالضرورة لحل المشاكل وإنما على الأقل لفهم طبيعة وحدود مفاهيمنا الثقافية. وعلى أى حال فإن الثقافة العولمية تستند في جزءٍ كبير منها على هذا الشعور بالانتماء لمجتمع عالمي عبر أجهزة الإنترنيت.

ولفظ Cyber هو بادئه ترمز اليوم إلى ثورة تكنولوچيات الاتصالات والمعلومات كما أن لفظ عولمة الثقافة لا يعنى فقط الغوص في المصادر اللامتناهية في مجالات المعلومات وإنما أيضا في مجالات الكون الفسيح.

ونحن نعرف أن ثقافات وحضارات أخرى كانت لها دورات عالمية وكونية اندثرت إلا أن ما هو جديد هو أن الثقافة العالمية تستخدم وسائل من عصرنا لغوص تفاعلاتها على قضايانا ومشاكلنا المعاصرة. وفى كلمة موجزة فإن التحدى الحقيق هو كيفية توصُّلنا إلى التمييز بين العولمة والارتقاء بها وهو ما يتطلب أن ننشئ اليوم يوتوبيات الغد (اى المدن الفاضلة) كما تخيلها توماس مور عام ١٥١٦، أى تلك التى تحكمها حكومة مثالية وفيها يعيش شعب سعيد.

وتطور تقنيات المعلومات والاتصالات كان يمضى بسرعة وبعمق شديدين حتى كادت مسيرتها أن تلحق الضرر بمجتمعاتنا وذلك على المستوى العالمى، وتمثل هذا فى نموذج المجتمع الصناعى الذى بدأ يطرح اوضاعه للمناقشة وبالذات أوضاعه الحالية خلال فترة الانتقال والتنمية التى يمر بها وقد أثارت نظم وتقنيات المعلومات والاتصالات تطورات هامه وثورة اجتماعيه وثقافية واقتصادية وسياسية... أى ثورة رباعية الاضلاع.

تطور تكنولوچيات المعلومات والاتصالات

(أ) ثورة ثقافية

التطور الحالى ليس ثورة تقنية وإنما شيء اعمق من ذلك بكثير يشبه ما أحدثه ظهور الحروف الأبجدية، كما يمكن تشبيهه بما حدث على اثر اختراع آلات الطباعة فالانترنيت يوازى نوعية عصريه من الطباعة وإنما على الصعيد العالمى والفردى وتوحد فى كل مكان وبصورة فورية...

رخيصة وزهيدة. وهذه الثورة الثقافية تمتد تداعياتها لدرجة أننا يمكننا التنبؤ بظهور «وسيلة بقاءٍ أو وجودٍ» جديدة فمجرد الظهور على الانترنيت انما بشكل وجودنا وضميرنا كما يقال، ويتبع ذلك أن تتغير نظرتنا للدنيا تغيراً جذرياً. كما نلاحظ تصاعداً فى تجرد الفكر وتنامياً فى استخدام الآليات الحسابية فى فهم قضايا مجتمعاتنا التى يتزايد تشابكها مثل الآلات الحاسبه واجهزة الاتصالات واجهزة المعلومات التى تعتبر اليوم عنوانًا على التقدم الانسانى، أو كما يقول ليروا جورهان Leroi Gourhan الذى أكد ان المراحل التى مرت بها الحضارة الإنسانية اتسمت كلها بنوع من التجريديه الجذرية Obstractuons Radiceler... فالصياح الصوتى صار الكلمة واليد أصبحت الآلة واللفظ الشفهى اصبح شكلاً جديداً من الكتابة التحريرية، والافتراضيه أصبحت شكلا متجدداً من التجريدية، «فالواقعى ينقلب إلى «تجريد»، ويمكن ان نتوقع الكثير من التداعيات أو النتائج التى لا يمكن التنبؤ بها فبعد العصر الحجرى ظهر العصر البرونزى ثم جاء عصر الحديد ثم العصر التقديرى والافتراضى.

وواحد من الأمور الهامة والتى تثيرها أمامنا ثورة المعلومات هو «الذكاء الجماعى المشترك L'intelligence Collectine الذى يُتيح لكل مجموعة من الناس أن تتواصل بواسطة الانترنيت، فهم يستطيعون التعاون فى سبيل مهمة تضامنية مشتركة، فذكاء الفرد أصبح فى خدمة المجموع.

كما توجد مشكله أخرى ألا وهي اختلاف وتنوعات الثقافة وما يثيره هذا التنوع فى قضايا، فالعولمة لابد وأن تقضى على تنوع الثقافات، وهناك

توازن من العسير تحققه بين عدد من الشعوب المختلفة الأصول والجذور والعرفيات والعبقريات. ويجب أن لا ننسى أن «المعلومة» ليست بالضرورة ان تكون «المعرفة» والعكس كذلك. كما ان التحدى الذى نواجهه يتمثل فى تولد ثقافة حقيقية هى اليوم أشبه بدوّامة تكنولوچيه معلوماتيّة.. والثقافة الرفيعة (اى تلك التى تنتشر عبر الاقمار الفضائية) لن تكون مقبولة ما لم تعرف كيف تجسد آمال وطموحات المواطنين الذين يضمهم اليوم كوكب واحد.

(ب) ثورة اجتماعيه واقتصادية

نشاهد اليوم حركة عميقة لتحويل المادة الاقتصادية إلى طاقة بين أيدى خبراء التلاعب بالرموز والمتخصصين فى اقتصاديات الطاقه المصاحب لعولمة ونشر المؤسسات والمنشآت وكل مواقع السلطة.

فمن الجانب الواقعى نرى الاعتماد على التكتلات المالية الضخمة (عدة مليارات من الدولارات يومياً) ومن الجانب الآخر نرى الطابور الطويل لهجرة الناس الذين لا يجدون الخبز ولكنهم يفتقدون التأشيرات اللازمة للاقتراب من جنّة الوفورات الاقتصادية والمعيشية والسلام، ذلك أن «جنّات» اليوم ذات طابع ضرائبى (مالي... أميرى)، والتملص أو التهرب من الضريبه محجوز بروس الأموال، أما البشر فيظلون مرتبطين بالارض، والمشاكل تتفاقم وتكثر حولهم. ونتساءل ألم تساعد ديناميكية المعلومات ذاتها على خلق مواقع «الجيتو» Ghettos ومواقع العزل الجذرى بين الفئة المتميزة بالمعلومة والأخرى المبعدة عنها فنحن نجد أن كل مدن كوكب الأرض تخترقها مناطق تعيش فيها الأمية وينتشر فيها الجهل بشكل واضح

جليّ، ونجد أن عصر المعلومات يسمح بالتواطؤات الثقافية وخلق تعاونيّات جديدة يخطئ بها قلة البشر ويحرم منها من هم في أمس الحاجة لها، وربما يدفعهم هذا الحرمان للتخلي عن مسئولياتهم تجاه الكوكب الأرضي الذي نعيش كلنا فوقه!! ثم نجد أنّ وفرة إنتاجيّة الآلات زادت من حجم البطالة كما أن استخدام الانسان الآلي في الصناعات أثبت إمكانية التخلص من الأيدي والقوى العاملة من بين العمال، والدور قادم على المصارف وشركات التأمين والتوزيع وغيرها وما يتهددها من بطالة من جراء التقدم التقني الآلي، وذلك هو ما يهدد بلا تمييز وتفرقة دولاً متقدمة أو متخلفة وأصبح «دور» الإنسان في مهب الريح... بسبب الآلات التي اخترعها بنفسه فأصبح عليه أن يجد لنفسه دوراً آخر... جديداً يكون في الأساس دوراً انسانياً يتوافق مع إنسانيته وهو ما يمثل تحدياً مخيفاً... تحديا هو في حقيقته تحدٍّ ثقافي.

وللمرة الأولى منذ نشأة الإنسان يواجه المشكلة الحقيقية وهي كيفية استخدام حريته التي انتزعتها منه ثقافة أخرى هي ثقافة العمل وضغوطه بعد ان كانت الانسانيه قد تحررت من «رق وعبوديّة العمل بفضل وفورات انتاج الآلات.. فأصبح الإنسان يواجه تحديات أخرى.. تحديات ان «يكون»... «تحدي الوجود» الذي يخلف تحدي الملكية.

(ج) ثورة سياسية

نلاحظ على المستوى العالمي منذ سقوط حائط برلين تنامي الفكر التحرري (الفكر الحر) وانخفاض دور السياسة، وأفضل مثال على ذلك

التراجع هو أن الرئيس كلينتون اقترح إنشاء منطقة تجارة حرة «دولية» تتخلص من كل ضريبة لتكون نظاماً عالمياً جديداً تفقد فيه الدول هويتها وعملتها وتحكمها وتسيدها على ضرائبها وجماركها إلا أن تهديدات من نوع جديد بدأت تظهر تتعلق بالممارسة المواطنية Exereice de la Citorenneté ... «الديمقراطية فى الطابور أو «La Democratie» ... فهل هذه تُعد ديمقراطية حقيقية؟ وهل نتوقع مثلاً ظهور مجتمعاً لا تتوسطه السياسية، يتعامل بصورة فجائية دون رؤية مستقبلية ذات بعد ومدى طويل واهتمامات رئيسيّه تتعلق بحماية الحياة الخصوصيه... منطق السوق الذى يفرض رقابة ضمنية قد توحى بطمأنة المبادلات التجارية والتدفقات السلعية عبر الحدود والتى بالضرورة لا تقر ولا توفر ضمانات الاستقلال الفردى لهذه المعطيات وحماية وتأمين الحياة الخاصة... إنه باكثر صيغة عمومية يمثل مسألة العلاقة بين الدولة والسوق... بين الصالح العام والصالح الخاص... وكلها تمثل ما يطرح أمامنا من قضايا ومشاكل... إنه مجرد نموذج حضارى ينهار والعلاقات تتلاشى حتماً.

وفى عام ١٩٢٩ كان فرويد يعلن عن أزمة الروح الغربية فى كتابه «هموم الحضارة» كما سبق وتنبأ كارل ماركس بذبول الدوله (أو Dépérissement de L'état. كما تكلم عن ذلك أيضاً كل من چان جاك روسو فى كتابه «العقد الاجتماعى» الذى يبدو أن خبراء السوق لم يعودوا ينظرون اليه، فهناك أياد خفية تنسج مصالح خاصة لا حصر لها تنبثق من خلالها بالضرورة المصلحة أو الصالح العام كلافته!! وباختصار فقد أصبح «السوق» هو البوتقة الحقيقية التى تنبثق منها السياسة، ذلك أن السوق فى

حاجة إلى سلام وهدود وشفافية واستقرار لكى يعمل،.. وكلها عناصر ضرورية للسوق ولا يوجد سلامٍ اجتماعى بدون عدل، ولابد لشفافية السوق من ضمان توفره الدولة فى مواجهة تقلبات السوق لكى يزدهر.. كما يحتاج السوق أيضا إلى توفر الظروف الملائمة التى لا يمكن تحقيقها إلا فى مناخ اجتماعى وخلفية سياسية هادئة بما فيه الكفايه، وعلى ذلك نجد أن هذه الظروف الملائمة أصبحت مهددة أكثر فاكثر بسبب تصاعد وتنامى التناقضات الكبرى القوية .

(د) حزمه من التناقضات

التناقض بين المحلى والعولمى (العالمى)

نحن من جهه لدنيا الأراضى والبلاد والحدود المستقرة فى أعماق التاريخ وأغوار الجغرافيا ومن جهة أخرى نجد الأراضى المجهولة الصاحب أى بلا سيادة وبلا شرعية او مسئولية، فالفضاء الفسيح مثلاً هو بطبيعته متعدد الجنسيات وعابر لها ومتخط للقوميات، وكلما تنافست المجتمعات التقديرية فى الكون الفسيح، تنافست كذلك وتقوت المواقع المنعزلة «الجينو»، ذلك أن دورة رؤوس اموال المؤسسات والمنشآت هى كذلك نوعٌ من الإغّراق الاجتماعى، إذ أن قانون «الأكثر مهارة» هو الأكثر قدرة على جنى المنفعة، فنحن نجد أن منافع مشتركه مثل الفضاء الكونى ومثل المحيطات تستغلها مصالح فئوية دون مراعاة للصالح العام الإنسانى. وحسن دوران السوق يمكن بسهولة من تخطى مصالح بلاد كثيره بل قارات بأكملها اعتبرت بلا فائدة ترجى منها لأنها لاتدر مردوداً ولا تغل

ثمرة. والسوق يستطيع وبلا مقابل أو مسئولية أن يكون الطريق المسدود أمام مليارات من الناس والبشر.

التناقضات بين مختلف الحقوق الوطنية

ويمكن للقوانين الوطنية أن تتناقض مع بعضها البعض... هذا بينما هى تتقاسم نفس المجال الحيوى للمارسة التطبيقية... وهكذا نجد الفلسفات القانونية الخاصة بالقانون العام (العرف الـ Common Law).

والحق المدنى فى تناقض مع الملكية الثقافية، وحقّ النشر والتأليف يميل إلى إفادة السوق بينما الحق المعنوى يهدف لحماية المؤلف، كما ان هناك تناقضاً بين محاولات التلطيف فى القواعد التى تحكم النظم الاقتصادية والصناعية التى تمتدح بحزم والرغبة فى إعادة ضبط تلك النظم. ويوجد تناقض آخر بين أول تعديل للدستور الأمريكى الذى يضمن الحرية التامة والكاملة للتعبير ونصّ قانون جيى سوت Gayssot الذى يدين فى فرنسا التعبير عن الأفكار التى تستهدف التعديل الدستورى أو حتى إعادة النظر وهناك تناقض آخر بين حق المنتجين الذين يهبون احتجاجاً على القرصنة على المؤلفات وبين حق المستخدمين لنصوص هذه المؤلفات والذى يضمن حق الاستخدام الأمين للمؤلفات. وتناقض ثالث بين حق الملكية وحق المعلومات فى سبيل تحقيق اغراض ثقافية وبحثية.

التناقضات بين الصالح العام والمصالح الخاصة

ما جدوى القانون؟ الرد هو كما على أسئلة أخرى مثل: هل هو للصالح العام أو لمصالح فئوية؟ هل يكون فى خدمة السوق أم فى خدمة المجتمع؟

وما هو دور الاقتصاد؟ هل يكون لصالح الإنسان أم لاستبعاده؟ ومثلاً ما هى الغايه النهائية لمفهوم الملكية الفكرية؟ هل هى للارتقاء بالعلوم والفنون؟ والسعى للصالح الأعلى للإنسانية؟ أو ببساطة تأكيد ثواب وتعريض الملكية الفكرية لبعض من لهم الحق؟... كل هذه الأمور هى أبعد من أن تكون نظرية. وفى عام ١٩٩٨ كانت محلٌ نقاش وجدل حول الصالح العام والمصالح الفئوية.

ومعروف أن إحدى ركائز الفلسفة التى توجه حق الملكيه الفكرية هى أن الأفكار ليست قابلة للحماية مثلها مثل الأحداث الخام (الطارئة) او المعطيات والنتائج الأولية.

والفكر الأوروبى خلق مفهوماً جديداً للحق، فى نوع خاص يقال عنه Sui gerezis يعترف بحق الملكية الفكرية على أسس من المعطيات التى يمكن أن تكون معطيات تعتبر عند الاقتضاء معطيات عامة. وهنا تكمن خطورة أن نرى ميراثاً لمعلومات مثل الإنجازات العلميه أو الاقتصادية تصبح فجأة منجزات «خاصة» بواسطة أشخاص لا يضيفون إليها أى قيمة خلاقة مما يثير «شهية السوق» للملكية العامة.

الملكيه العامة والأخلاقيات العامه الكونية

لدى القدامى، كانت مواجهة الملكيه العامة والملكية الخاصة تتم بوضع إحداهما فى مواجهة الاخرى وكانوا يطلقون عليهما: Res Publica-Res Puivata-Res Peivata.

فبالنسبة للفيلسوف أرسطو، كانت الملكية العامة هى موقع الكلمه وموقع الفعل... أى الموقع الذى يستطيع فيه الإنسان أن يضع نفسه فى حضور أو فى (مواجهة) الآخرين... أى أن يتعرض أو (يعرض نفسه) أمام نظرتهم وحكمهم... إنه الموقع الذى يستطيع فيه الكشف عن «قيمته فى عيون الآخرين» ، والذى يمكنه فيه البحث عن الكمال... فالملكيه العامة هى المجال الذى فيه تمتد النوازع الإنسانيه مثل الكرامة وعزة النفس... والمجال الخاص هو مجال الإنتاج والحياة المادية والميول الفردية (الشهوات)... فماذا اصبح الوضع اليوم؟.. كيف صار مجال الملكية العامة؟ وهناك سؤال إضافى هل تستطيع الثقافة الكونية المساهمة فى المجال العام؟... فى عصر العولمة نحن فى حاجة إلى مجال عام متفتح على المشاركه والجدل والحوار!... وعلى تنسيق آراء المواطنين ليس فحسب لكونهم أو لصفتهم من المواطنين فى بلادهم بل لكونهم من رعايا ومواطنى الدنيا وحرية التعبير تتلازم مع عصر المعلومات التى صارت حقاً أساسيا من حقوق الإنسان وهى بالضرورة تتلازم مع حرية التوصل إلى مجال المعلومات والديمقراطية تتوقف على «نوعية» مجالات الملكية العامة التى تسمح بتغذية/ أو بإثراء الحوار والجدل العام وإحياء ساحه للنقاش كما كان يحدث فى أثينا القديمه ويطلق عليها Agora أجورا. وانتشار المعلومات صار اليوم يمثل العدل الاجتماعى وقاعدة لتكوين «الهوية الجماعية» والتماسك العام. والوصول إلى مجال المعلومات يساعدنا فى تقوية دعائم التنوعية الثقافية Diversité Culturelle. وعلى ذلك نلاحظ اليوم ميلاً لخصخصة الملكية العامة وهى ظاهرة لا تعود للأمس حتى ولو

أخذنا فى اعتبارنا العقود الأخيرة القريبة والتى انطبعت كما نعرف «بالفكر الحر» كما كتب هنا أرندت Hannah Arendt يقول: الجمهور اصبح «كهكة» عملاً للخاص والخاص صار الشغل الشاغل الوحيد للمجال العام، فلم يعد للناس مايتشاركون فيه سوى مصالحهم الخاصة، ولم يعودوا يتجاوزن أو يتعدون ما أطلق عليه اليونانيون القدماء Arreté (أى قرار رسمى) واطلق عليه الرومان Virtus وهو يؤدى نفس المعنى. ومجال الملكية العامة الرفيعة... أى مجال التعبير عن الفضيلة يقتصر تحت ضغط التبادلات/ التجارية إلى نقطه الانعكاس ما بين الملكية العامة والملكية الخاصة. والبحث عن الفضيلة صار موضوعاً خاصاً أى شخصياً، كما أن البحث عن المصلحة الخاصة صار الحديث المسيطر، ونجد أن الشئون الاقتصادية والإجتماعية تحل محل الشئون أو الأمور السياسية، وكذا إستطلاعات الرأى والإحصائيات أصبحت الأدوات السياسية المنفصلة لدى الحكومة. ومما يضاعف من خطورة الأزمة الحاليه وصعوبة التغلب عليها أن الناس لم يعد إمامهم ما يتشاركون فيه سوى حبهم لذواتهم أى أنانيتهم، فقد افتقدوا الفضيلة الوحيدة التى كان من الممكن ان توحزهم وتدفعهم إلى الترابط فيما بينهم ونقصد بها فضيلة الأمر العام Res Publica والتى كان من الممكن أن يتقاسمها الكل فيما بينهم.

ونحن فى حاجة لمعنى مشترك/ جماعى والمعنى له علاقة عريضة بالعولمى/ العالمى Universel ويجب أو يتحتم علينا أن نعيد قلب العلاقات بين الخاص والعام... هذا إذا ما أردنا الوصول إلى قواعد أخلاقيات عالمية حقيقية. وهذه الأخلاقيات لا يمكن نماؤها إلا إذا نجح كل واحد منا فى أن

يتحول ـ كما طالب بذلك الفيلسوف كانت Kant .. إلى مشرع Ceniversel Légésloteur أى إلى شخص قادر على التفكير «المشترك».

الثقافة الكونية والمعلومات الأخلاقية .

بداية نجد أن الثقافة الكونية Cyber، العولمية السمة ليست بالتأكيد أقل الثقافات سيطرة وأيضا وببساطة ليست ثقافة عالمية عددية Numerisée، ويجب ألا نخلط بين ثقافة عالمية وثقافة للعالمية أى بين عولمة الثقافة وثقافة العولمة، فالثقافة العالمية لن تكون ثقافة نمطية لا تحقق تقدماً ولا تثرى أمور الحياة وتتنقل مثيرة للنفور Aliénante، أما الأخرى والتى تهدف إلى تثقيف العالمى فهى على العكس تعتبر ثقافة تبحث عن العولمى وعن الثقافة الرفيعة وهى اليوم تبحث عن العولمه كنوع من الفكر والعمل ولها طابع أخلاقى... عالمى Éthique universel.

والثقافة الرفيعة هى اليوم المجال الذى تتكون فيه السلوكيات الفكرية والثقافية القادرة على تجسيد فكرة العولمة بشكل عملى وواقعية ملموسة، وتساعدنا على مواجهة تحديات العصر، وذلك بفضل آلياتها مثل الإنترنيت والأجهزة الكومبيوترية والحاسبة والمعلومات ويجب أن تصبح المجال الذى منه تنبثق الأخلاقيات التى تتطابق مع ضرورات ومستلزمات المجتمع العالمى الجديد... مجتمع المعلومات والذى يرتكز على دعائم قيم أساسية أمثال: المساواة والعدالة والكرامة الإنسانية.. وليس هذا فحسب بل وتكون وأيضا قادرة على وضع هذه المبادئ موضع التطبيق فى إطار المفهوم الحالى للمجتمع الجديد.. مجتمع المعلومات والاتصالات.

الثقافة الرفيعة العولمية والمساواة

ويصبح التعرف على المعلومة عنصراً جوهرياً فى الصراع ضد الفقر والجهل والإهمال الاجتماعى، ولذا لا يمكننا ان نترك لآليات السوق وحدها لتوصلنا إلى دروب المعلومات، لان محتويات هذه الدروب المعلوماتية ستصبح المحتوى الرئيسى والأساسى لمواجهة تحديات العصر والسبيل الوحيد لتنمية أو لنماء الإنسانية فى إطار مجتمع المعلومات الذى يهيئ للجميع الحصول على المعلومات والتوصل للمعارف اللازمة للتعليم والتنمية اللتين منهما يستفيد كلُّ البشر. والمساواة يجب أن تكون مساواة فى التوصل إلى المعلومات والمعارف مثلما أشار لذلك جول فيرى Jules Ferry فى نهاية القرن التاسع عشر، فى وقت كان المجتمع فيه يتحول من مجتمع ريفى إلى مجتمع يخطو خطواته الأولى نحو التصنيع.

والتوصل لمعرفة المعلومة هو أولاً قضية ذات بعد سياسى عميق وأيضا ذات بعد اقتصادى، كما أن «ثمن» التوصل يجب أن يكون موضوعاً يثير اهتمامات الشرعيين والمنظمين، وبعناية تامة بحيث يكون «الثمن» ميسوراً للجميع بلا مغالاة، وفى إطار ديمقراطى والشغل الشاغل للكافة: الدولة والمؤسسات الحكوميه والعامة والمنظمات والروابط والجمعيات والتجمعات التى لا تستهدف تحقيق ارباح وتمتلك مصادر للمعلومات الغزيرة ووثائق وسجلات وإحصائيات قيمة لا تستغلها. وصارت محتويات هذه المصادر اليوم متاحة بأقل تكليف بفضل الإنترنيت، على الرغم من بقاء صعوبة رئيسية تفوضها عادة «مجموعات» من المسئولين ترفض الإفصاح عن هذه المعلومات وتحيطها بسياج من السرية غير الموضوعية. واللحظة

الحاسمة سوف تأتى عندما تدرك هذه المجموعات الجماعات الأنانيه ان المعلومات التى تحت ايديها هى معلومات وبيانات ذات سمة استراتيجيه ضرورية للجميع، فهى مصدر ثمين وفوائدها ستكون فوائد عامة وتعم نتائجها على الجميع. وبفضل ما تحتوى عليه هذه المصادر من السجلات والوثائق الموجودة فى حيازة الدولة وإتاحتها للمواطنين الذين أصبحوا اليوم مواطنين «عالميين» يعيشون فى كوكب واحد... وكون واحد... فإن هذا سيؤدى حتماً إلى تقدم البشرية. ودور اليونيسكو سيكون التنسيق وحفز الهمم لانشاء مكتبة معلومات عامه على مستوى عالمى. وليس الأمر تحديا تقنياً أو سياسياً بقدر ما هو تحقيق لصالح البشرية كلها، لأن إنشاء مثل هذه المكتبه على المستوى الدولى يجعل محتوياتها متاحة للجميع بعد أن كانت قابعة فى جوف وقباء المخازن وهى كثيرة جدا فى مخازن المكتبات العامة والخاصة والمتاحف وكلها تفيض وتطفح بالمعلومات والبيانات والإحصائيات والنصوص ذات النفع العام، إلا أن بعض النفوس لم تقدر بعد مدى التحديات الاجتماعية والثقافيه والتعليمية التى تواجه المجتمع الدولى العولمى حالياً. ونمو ونماء وتقدم وازدهار هذا المجتمع رهن بقدرة كل دولة على استثمار ما تملكه من معلومات وبيانات لصالح البشرية جمعاء، ويمكن أن يتم ذلك فى إطار تنسيقى مع الدول الأعضاء فى منظمة اليونيسكو. ولهذه الخطوة سابقة حدثت فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث أن التوصل إلى الاطلاع على المعلومات تحكمه تشريعات فيديرالية ذات صيغ ثلاث رئيسية هى: النص الأول المتعلق بتعديل الدستور الذى يربط حرية التعبير بحرية الوصول للمعلومة.

والذى يجبر الحكومة الفيديرالية على ضمان حق المواطنين فى اقتناء وفحص أى مستند رسمى مع ابتعاد تصوير المستند الحكومى البحت (قانون ١٩٧٦ و١٩٦٦

وهناك دول أخرى مثل تركيا وسنغافورة وكوريا الجنوبية وهولندا وكندا.. إلخ هى كذلك سنت التشريعات التى تعترف بمدى وأهمية مواجهة التحدى الحقيقى وذلك بإتاحة الوصول والاطلاع على المعلومات المفيدة للصالح العام مجاناً ودون مقابل.. ومع ذلك يظل التحدى الحقيقى كامناً فى إدراك الثراء الجماعى المشترك على الصعيد الدولى إذا أتيح للكل وبلا مقابل التوصل إلى مصادر المعلومات.

الثقافة العولمية والعدالة

مشكلة التوازن بين حق المبدع الخلاق فى الحصول على عائد لإبداعه أو ابتكاره، وحق المستهلك فى التوصل للميراث الثقافى والعلمى والإنسانى، هذه المشكلة أمكن حلها بقدر الإمكان ومع ذلك لاتزال هناك ترسانة من التشريعات والقوانين تحمى حقّ الملكية الفكرية وتم سن هذه التشريعات والقوانين فى السنوات الأخيرة وبعضها على مرّ السنين ولايزال التوازن المعقول بين مبدع أو خالق المعلومة ومستخدمها موضع جدل ونقاش بفضل التقدم التقنى والتكنولوچى والانفتاح الديمقراطى فى المجتمع، وكلها يجب أن تكون «موضع بحث» دقيق للتوفيق بين حقّ الإبداع وحقّ استخدام نتائج هذا الإبداع والتنسيق الطلوب على المستوى الدولى مهم جداً فى هذا الخصوص فى إطار المشاركة فى المعارف والمعلومات... ولذا

فضلت كلُّ الدول أن تتجه إلى التنسيق ما بين تشريعاتها الخاصة بالحماية الفكرية ونقل النتائج تحويلها فى إطار سريتها وأمنها... إلخ.

وفى هذا المفهوم فمن المفيد ملاحظة ظهور التطبيقات الجديدة فى مجالات الملكية الفكرية، وبخلاف ذلك تظهر مفاهيم جديدة مثل Copyleft التى تطبق على المؤلفات الفكرية والثقافية التى تصدر عنها مقالات أو أبحاث علمية بقلم أو بأقلام مؤلفيها وباحثيها وهم لا يجرون سعياً وراء تحقيق مكاسب مادية بل على العكس نجدهم يتقبلون حرية نشر أفكارهم مجاناً إذا ما تحقق لهم «ضمان» «الملكية المعنوية» Propriété Morale.

ومن الممكن استخدام الطلبة لهذه الأبحاث بهدف تنميتها أو استكمالها، وهى فى غالبيتها معلومات وأبحاث تظهر على الإنترنيت (بروتوكول أ١. والعدالة فى هذا المضمار تتضمن إشباع المجال العام بدون حرمان المبدعين/ المؤلفين من ثمرة مجهوداتهم وفى ذات الوقت عدم التغاضى عن مصلحة الإنسانية العليا التى هى على الأقل تتمثل فى القدرة على الاطلاع بحرية ومجاناً على ما يكون له صفة الميراث الأدبى أو العلمى أو الوثائقى ويقع فى مجال الملكية العامةوأحياناً كثيرة يكون قد تم بتمويل عام.

ثقافة العولمة والكرامة الإنسانية

فى الآونة الأخيرة، شغلت الأذهان مشاكل حرية التعبير ومع ذلك فهى قضايا قديمة، إذ نجد الشاعر ڤولتير في القرن الثامن عشر يؤكد أنه على استعداد ان يهب حياته ثمناً لحرية التعبير حتى بالنسبة لأعدائه كذلك. كما

نجد الدستور الأمريكي يضمن حرية التعبير بطريقة أساسيه حتى أصبحت علامة على الضمير الأمريكي وروحه وأدت إلى تناقضات مع مفاهيم ورؤى أخرى سائدة في كل من أوروبا وآسيا، كما ارتبطت شرعية المعلومات ونزاهتها وتأمينها بهذا السؤال: من الذى يستطيع الحفاظ على «نزاهه» المعلومات إذا ما كانت الحرية «كاملة»؟ هذا بالإضافة إلى أن حريه التعبير يجب أن تتوقف عند بداية حرية الآخرين وبالعكس أيضا. وهناك ضرورة لاعتبار وحق الانسان البشرى... حقه فى الكرامة... وحقه فى احترام حياته الخاصة وحقه فى احترام أسراره، وهى أمور ذات طبيعة جادة إلى أقصى مدى. والاتجاه السائد حالياً نحو عولمة التبادل التجارى والتبادل النقدى يستدعى يقظة تامة وبالأخص فى استخدام المعلومات. وفى الحقيقة لابد من تحديد حقوق الإنسان فى عصرنا هذا الذى نعيش علي الشبكات العالمية.. والمخاطر لا حصر لها حيث لم تتم بعد السيطرة على مثل هذه الظواهر على الصعيد العالمى، ذلك لأن أى ضغطة أو لمسة زر تنشر وتسجل وتنقل كل معلومة ترغب فيها أو حتى لا ترغب، وأصبحت المخاطر تحيط بالأفراد وبل بالمجتمعات التى كلها مرقمة اجتماعيا واقتصاديا ومالياً بل وحتى سياسياً، فوق بطاقات... انها اليوم صورة المجتمع فى عصر المعلومات ومايعتريه من تحديات!! وهى ليست تحديات تكنولوجية وإنما هى تمثل تحديا كاملاً للمجتمع وبالتالى فلابد من نشر الوعى المستوى الوطنى وأيضا على المستوى العالمى للإيمان بمزايا العلوم وبهذه المواجهة فإذا كان تدفق المعلومات محصوراً فى قارة أوروبا فإن هذه المعلومات بالنسبة لدوله كالولايات المتحدة تمثل قلب «صناعة المعلومات وموقع ازدهارها.

كما أن نشر هذا الوعى يستدعى جهداً كبيراً لتكوين شكل ضرورى من أشكال الثقافة لإعداد الجمهور لاستخدام المعلومات والحصول على المعارف الضرورية للعيش فى عصر المعلومات والاتصالات، وإلا فسوف تظهر عوامل الجهل التى لا تقدر على استخدام الأجهزة الحديثة للاستفادة منها، إلا أن التشكيل التقنى ليس كافياً ولابد كذلك من تشكيل جديد لمسئوليات المواطن التى تفرضها وتحتمها التقنيات والإمكانيات المعاصرة.

خـاتمــة

إنَّ الثقافة العولمية وهى فى طريقها للانبثاق تصاحب مراحل التنمية فى مجالات استخدامات الإنترنيت على الصعيد العالمى، وكذلك المخترعات العصرية فى ميادين التصوير والنقل والبث التليفزيونى وغيرها وكلها ترتبط أساساً بالعولمة السارية وبالتطورات الثقافية والاجتماعية والسياسية الناجمة عنها، وترتكز على المخططات الفكرية لوسائل وطرق التخصص الاجتماعى للمارسات والتطبيقات الفنية المختلفة لما نعرفه حتى الآن، أما التجوال فى ميادين المعلومات والاتصالات الجديدة ونشأة أشكال التداخلات الممكنة بين ثقافات العولمة ودنياها المنظورة فهى إنما تخلق سلوكيات مجددة لم تقع بعد ولم تقم بعد ولم تدرس بالتالى اسقاطاتها أو نتائجها الاجتماعية والثقافية.

ولكن مما لاشك فيه فإن أهم شيء هو أن هذه الثقافات تثير فينا وتحثنا على أن نطرح على أنفسنا مرة أخرى أسئلة قديمة وجديدة فى ذات الوقت: ما نوع الحضارة التى تُريدها وتصبوا لتحقيقها للقرن الواحد والعشرين وللبشرية؟ وأىُّ تماسك وأى ترابط نحن فى حاجة إليه؟ فى عالم أصبح

اليوم عالما متشابكاً؟ وأين موقع الإنسان البشرى فى عالم تسيطر فيه إن لم يكن تتحكم فيه الآلات والآليات المنطقية المجردة؟ وفى خضم هذه النوعيات من الثقافات العولمية الرفيعه الـ Cyber تتعقد وتترابط أواصر تحديات أخلاقية عميقة فى مجال تنظيم التجارة الإليكترونية. ونحن بالتالى فى أمس الحاجة لجول وحوار ديمقراطى حول مستقبل المجتمع الدولى وضرورة اشتراك ومشاركة مجموع مواطنى هذا الكون أى ٦ مليار نسمة يسكنون فيه.

والعالم يحتاج إلى رؤية وإلى مشروع أو مخطط يأخذ فى اعتباره كل أمر من الأمور وكل مشكلة من المشاكل، وبالذات مشاكل أقل الفئات قدرة وأفقرها وأكثرها حرماناً وهم فى حقيقة الأمر الذين يمتلكون مفتاح المستقبل.

فإذا لم نستطع أن نضع فى حسابنا ضرورة اعتبار مصالحهم ومعالجتها فإننا بذلك سنجد أنفسنا نحو الخراب والدمار والفشل، وكلها سوف تعمنا كلنا معهم... هم ونحن معهم. وإذا لم نوفر لهم مكانهم الحقيقى واللائق كبشر فنحن الذين فضّلنا أن نكون أكثر ثراء على أنقاضهم... هم الذين سيخلقون الظروف المهيئه للسلام الدائم وهم الذين سيكشفون أمامنا مالا نستطيع رؤيته وما لم نستطع الاعتراف به فى الماضى عندما كنا أسرى أنانيتنا وقصر نظرنا منحصرين فى الحدود الضيقة التى حبسنا أنفسنا فيها، تماماً كما كتب ريكاردو بتريللا Ricardo Petrella يقول: «إن الصالح العام المشترك يجسده أمامنا وجود الآخرين...» ومن هم أكثر حرماناً هم هؤلاء

الآخـرون... المشار إليـهم... وهذا مـا يجب بالتـالى أن تتكاتف جـهـودنا لتحقيقه وتتوجه ثقافتنا ومفاهيمنا لترتبط به وتحققه... ألا وهو... ببساطة تقبل «وجود» «الآخرين».

ولقد سبق وقلنا: إن ثقافة العولمه الرفيعة الـ Cybrculture هى بمثابة دفة لسفينة الحكم... لتبحـر بنفسها وبشكل تلقائى لتمخر عباب بحر متلاطم الأنواء للتوصل إلى مرفأ آمن... إلى حكومة جماعية مشتركة... مكونة من أفراد أحرار يتجمعون ويتشاركون تضمهم أجوراً حقيقية Agora للدنيا بأسرها (أجورا تعنى ساحة الجدل والحوار فى أثينا القديمة... وهذه الثقافة العولمية السمة هى التى ستهيئ لنا دفة السفينة التى نبحر فوقها وعلينا أن نبحث لها ولنا عن مرفأ أمين... إنهم .... الآخرون) .

التكريس القانونى لطلبة الثانوية

بقلم: نوربير رولان

أود التركيز على نقطتين: التأثير والإحساس بالحق ثم الشعور بالانتماء البشرى.

الإحساس بالحق

لابد وأن التدريس وتكريس الطلبة لحقهم الشرعى القانونى مهمة من أكثر المهام صعوبة على المدرسين لأنهم أى المدرسين إنما يقابلون طلبة مراهقين ويشعر المنوط بهم العمليه التعليمية أنهم مقيدون بنظم مفروضة عليهم من خارج نطاق حياتهم... نظم يفرضها المجتمع. وبداية نطرح مشكلة أو قضيه الحرية La Librté، إذ أن الحق فى مجتمعاتنا الديمقراطية إنما يرتكز على مفهوم الحقوق الفردية لاسيما الحريات المختلفة فكل واحد له حق التمسك بالقيم التى يريدها ولوسائل المعيشة التى يختارها بشرط أن يسمح لجيرانه بها... فالحق هنا لتسهيل إقامة التفاهم اللازم للحياة الاجتماعية.

وثانيا التضامن La Solidarité، فبخلاف الفروق الناجمة عن الاختبارات الفرديه لابد من أن نوضح أن ما يواجه الظلم يكمن فى التمسك أو التضامن الذى هو أحد اهداف الحق. فحق الزواج ليس اتفاقاً اجتماعياً بل هو اتفاق يسعى ليحاول تنظيم «معيشى» لافراذ متصلين بعضهم ببعض، وحماية للأكثر ضعفاً والأولاد فى حالة الانفصال. وحق العمل الذى ينشأ من الحركة الجماعية Travailleurs المتعاونه للشغالين العمال حقق لهم عدداً معيناً من الضمانات تجاه أصحاب العمل الذين يستخدمونهم. ثم ثالثا: يأتى الظلم، فالحق يمكن أن يكون ظلماً: وهذا ما نعتقد أن لا مجال لإنكاره ومفروض الاعتراف به فى أحيان كثيرة وبالذات فى نظم الحكم الشمولى مثل أوضاع اليهود فى ألمانيا النازيه وفى فرنسا على عهد حكومة ڤيشى Vichy. وذلك يمكن أيضاً حدوثه فى المجتمعات الديمقراطية فنجد بعض التشريعات والقوانين الخاصة بالمهاجرين مرفوضه تماماً، كما نجد أنه ليس هناك ما يحمى المجتمعات من البطالة، ورجال الشرطة لم يعد لهم من حقوق سوى «فرض» النظام الواجب... إلخ ومن الممكن معارضة كل ذلك بشرط ألا نمسَّ حرية الآخرين... أى بالمناقشة وبالحوار وبالتحاور لكى نجعل «الحق» أكثر «عدلا».

وباختصار ففى مجال التدريس على المعلم أن يوضح للطلبة أن «القمع» ليس إلا مظهراً من مظاهر «الحق» بين عديد من حقوق أخرى، وعليه واجبٌ مراعاة أن حساسية الفتيات تختلف عن حساسية الأولاد وقد أثبتت التجارب أن الأولاد أكثر حساسية تجاه «المظهر القمعى» للحق أما الفتيات فيرون فيه قواعد تهدف لتنظيم المجتمع بصورة أكثر تقبلاً للعيش والحياة،

ولتفادى النزاعات بدلاً من تركها تحدث فنضطر إلى حلها. والتشريعات لابد وأن تكون فى اطار أحكام الدستور خصوصاً فيما يتعلق بحق «التعبير»، وتفادى القواعد القانونية التى تظهر رجال السياسه فى عيون الشباب كأنهم أشخاص لا تطبق عليهم القوانين كما أن هناك أيضا ضرورة الحفاظ على حقوق القضاة Les Juges وحماية حقوق المواطنين Citoyens وحقوق العائلات Familles وفحص أو دراسه حق الطلاق وحق الإجهاض. وكذلك حمايه حقوق وسائل الإعلام والصحافة. وفوق كل هذه النوعيات الجديدة من الحقوق كحق التزاوج Homosexuels بين الذكور وحق الإنجاب بالوسائل العصرية... لابد وأن يحيطها سياج من حق «النقد» كما ولابد أن ندرك ان كل فرد يفضل أن يحتفظ لنفسه بحق «إبداء رأيه».

وواجب المدرس هو تفسير ما يوجد من ثغرات فى القواعد القانونية والتشريعات التى عادة لا تعبر عن كائن فرد وإنما عن «حق وجود» ومن هنا وجب أن يكون النقاش والجدال متاحاً للجميع، كما لابد من إضافة «حقوق الانسان» إذ فى الواقع نلاحظ مدى ما تتمتع به حقوق الإنسان اليوم من قيم وقيمة بين الشباب فهى تمثل إحدى مدارس ومفاهيم الحرية. وبعض الحريات المعينه لا تعانى حدوداً مثل حق الحياة وحق عدم الوقوع تحت وطأة التعذيب والرق... إلخ، وأغلب هذه الحقوق لها حدود فى التعبير حتى فى البلاد الديمقراطية ومثلا فى فرنسا، نجد أن التشريعات تدين الاتجاهات العنصرية. والحرية لا يمكن أن تكون مطلقة، إذ لابد من أن نضع فى اعتبارنا وحسابنا الآخرين L'autre. وعليه يمكن تفسير أن السمة القهرية للحق ليست سوى التعبير السلبى لمسيرة إيجابية أى حماية

الآخرين. وحقوق الإنسان تعنى نوعاً من التساهل والتسامح. ونتساءل لماذا لا تحترم فى كل أنحاء الدنيا؟ والرد بكل تأكيد لأن نظم الحكم الشمولية تجد فيها نوعاً من التهديد لها ولبقائها وأيضا لأن كلّ المجتمعات ليست لها نفس التاريخ ولا نفس التقاليد ولا نفس وسائل التفكير. وهناك قيم تبدو أمامنا «طبيعية» مثل الفرد L'individu والمساواة أمام القانون والحريه الدينية (ومن ضمن هذه الحرية الأخيرة من اللا إيمان Celle dene pas Croire. وكل هذا التباين من الممكن تجاوزه ويبقى فقط الحوار الذى يقتضى معرفة الآخر. وإحدى فضائل الإنترويولوچيا (علم الإنسان) هى السماح بتفاوت Decalace وتغير قيمنا وقيم الآخرين.

الإنثروبولوچيا... إحدى التقاربات من التعددية الثقافية

ليست الإنثرولوچيا إحدى العلوم البعيدة القديمة كما يدل اسمها عليها إذ هى علم يسعى لادراك معرفتنا بالإنسان البشر ويقال لها علم الأناسة (الإنسان) فى مجمله وعموميته. وحتى ولو كان هذا العلم بعيداً ولازال عن استكمال مسيرته الكبرى الزاخرة فهو يبدو، فى نطاق العلوم الإنسانية وبينها واحداً من النظم الأكثر قدره على أن توفر أو تهيئ للشاب المراهق سبل الاهتداء Points de Repére لنفسه (التعرف عليها). فأولاً فى مجال التدفقات الثقافية المعاصرة كالعولمة فى إطار المعلومات والاتصالات فهى إنما توسع من دائرة شبكات المعارف والمعلومات ولايمكننا رفضها ولا تقبلها دون فحص وتمحيص لمعرفة ما هى عليه... ما مرادها؟ وذلك يتأتى بالتحاور سواء أكانت معارف أو معلومات آنية إلينا من مصادرها

الأساسية ونشرتها بلاد أخرى موجهة لنا أو لغيرنا ونحن نستقبلها. ومثلا الوحدة الأوروبية لا يمكن انرتكون فقط وحدة نقد واقتصاديات فلابد كذلك من «توحيد» وليس «تشابه» او تنميط الثقافات التى تخضع لها قارة (أوروبا) يقصد لها تقاليد موروثة وتاريخية متنوعة ومختلفة. ويمكن لنا أن نتخوف من أن تؤدى مسيرة الإنثروبولوچيا إلى عكس ما كنّا نؤّده منها، فتؤدى بنا إلى نوع من العلية أى النسبية كما أوردها آينشتين، التى هى عنصر فاعل فى تذويب وتفسخ التماسك والرباط الاجتماعى.

وليس ذلك رأينا فأولاً على المستوى النظرى فإن الإنثروبولوچيا تبدأ من منطلق التنوعيه إلا أنها لا تستمر، ذلك لأن هدفها هو صياغة قوانين وقواعد عامة. ومن الجدير بالتنويه اردنا ذلك أم لم نرد أن عالم اليوم حيث يعيش شبابنا... هو عالم ودنيا أكثر تنوعاً من عالم أهلهم وذويهم وأجدادهم. والمهم ليس إنكار هذه التنوعيه وإنما تعليم شبابنا كيفية السيطرة عليها وهذا يستدعى الإلمام بكيفية التحاور بشأنها، وذلك لأن التنوعية تخلق فوراً الثراء المتبادل، وبداية فإنها وفى أحيان كثيرة تبث نوعاً من عدم الإدراك والفهم والانطوائيه بل والعدوانية.

وفقط التعليم الإرشادىّ يمكن تحويل هذه التنوعيه إلى مواقف وسلوكيات متلائمة، ومقبولة اجتماعياً.

وعلى ذلك نجد أن الإنثروبولوچيا تمثل اهتماماً رئيسياً بالنسبة للشباب المراهق... أى لتكوين «هوية» انتمائية وذلك لا يتأتى إلا بمواجهة الخارج وما يقع فيه.. فالأمر ليس منحة يهبها التاريخ لنا.

ولكى تثمر هذه الجهود بأقل قدر من العوامل الخادعه فمن الأفضل إتاحة الوسائل الكفيلة بمساعدتها على تحقيق مراميها وأهدافها وغاياتها.

وبطبيعة الحال وكما فى «الحق» ليس أمامنا سوى التوصية بضرورة تكريس شبابنا المراهق لإدراك وفهم العناصر التى تتكون منها الإنثروبولوچيا (علم الإنسان)، وهو العلم الذى يفتح أمامهم مجالات متنوعة من التباينات والاختلافات بين الأجناس البشرية. وفى مفهومنا لابد من ضرورة التصميم على شرح وتفسير النماذج المختلفة للنظم العائلية وطرق ووسائل فض وتسوية المنازعات ونظم الحكم السياسية.. ذلك لأن هذه الموضوعات وهذه الأمور يمكن وبسهولة أن تنسحب تداعياتها على موضوعات وقضايا أكثر حساسية تمر بحياة الشباب اليومية!!!

تعليقات أبحاث
اليوم السابع

وتضم: ١ ـ الشارع المصرى ومجتمع المدينة بين التأثير والتأثر.

٢ ـ حرية الإعلام.. بين النظرية والتطبيق.

٣ ـ أخلاقيات الإعلام.

٤ ـ أخلاقيات الصحافة فى مصر.

فى هذا الإطار، أعدت «شعبة الفنون» بالمجالس القومية المتخصصة دراسة قيمة بعنوان: «الشارع المصرى ومجتمع المدينة بين التأثير والتأثر» جاء فيها:

للشارع فى المدينة وظائفه وخصائصه المعروفة، ينشؤه المخططون نيابة عن المجتمع ليكون فاصلاً بين استخدامات الأراضى، ومحدداً للعناصر والمكونات التخطيطية للمدينة، وفاصلاً بين الملكيات العامة والخاصة، وشرياناً لحركة النقل والمواصلات والاتصالات آلية أو إنسانية، ومساراً لشبكات المرافق والخدمات الحيوية للمدينة.

والشارع بحكم القوانين التى تنظمه، والاعتبارات الهندسية التى تحدد أنماطه وتفرض تصميمه، يؤثر فى كثافة المدينة البنائية والسكانية، ويضع أسس تشكيلها العمرانى، ومن ثم يتكامل كيانها ويتحدد وضعها فى مراتب التحضر أو التخلف معمارياً وعمرانياً.

ومن جهة أخرى فالشارع فى حياتنا له مؤثرات أخرى معنوية واجتماعية؛ لاتقل خطورة عن هذه العناصر الهندسية الوظيفية. فالشارع كإفراز للمجتمع تتبلور فيه شخصية المدينة ويصبح المسرح الذى تدور عليه فصول حياتها اليومية والمرآة التى تعكس روحها وطابعها وثقافتها، والواجهة التى تطل منها على الزائر الغريب.

والشارع والمجتمع، فى تشبيه آخر، كالقوقعة والحيوان الرخو، بداخلها يفرز الحيوان المأوى الكلسي ذا الشكل القوقعي المعروف، وفى نفس الوقت يتكيف به ويصبح جزءاً لايتجزأ منه.

ولذلك ستعالج هذه الدراسة موضوع الشارع المصرى من زاويتين؛ الأولى: تتعرض فى إيجاز للنواحى التخطيطية العمرانية والمعمارية الجمالية، وما يتعلق بذلك من شئون اللوائح والهندسة والإدارة والإشراف. والثانية: تتناول الشارع من حيث كونه وعاءً يحتضن أسلوب حياة، وبيئة تشكل طابعاً ثقافياً ومزاجاً سلوكياً خاصاً بالمجتمع المصرى فى الشارع المصرى.

الشارع المصرى ومشكلة الطابع العمرانى:

طابع الشارع: إن الطابع العام لأى شارع يحدده التشكيل المعمارى على جانبيه، وهذا بدوره يخضع للتشريعات واللوائح والقرارت التى تنظم أعمال البناء والهدم. ولكن الشارع المصرى ينفرد بالخضوع لوفرة من التشريعات، وثراء فى التوجيهات والتوجهات تتغير وتتبدل طبقاً لفكر صاحب القرار، ولمدة بقائه فى تسيير الأمور.

وتدور الاهتمامات دائما حول تحديد ارتفاعات المبانى بالنسبة لعروض الشوارع، والتحكم فى الكثافة البنائية، وكذلك المناور الداخلية والبروزات الخارجية. أما مايخص التصميم المعمارى من ناحية الطراز أو الطابع العام للشارع، أو مراعاة القيم الجمالية ومدى المؤائمة والانسجام بين المبانى المتجاورة، والتأثير البصرى العام للشارع، وشخصية المنطقة أو الحى، فهذه أمور لاتحظى بالاهتمام ولاتؤخذ فى الحسبان.

تناقض القوانين وتضارب القرارات: ليس مستغربا أن يرسم خط السماء (Sky -- Line) المحدد لارتفاعات المبانى على جانبى الشارع المصرى صورة لهذا النشاز، وكأنما هو رسم بيانى لتناقض القوانين والقرارات التى تحكم تراخيص البناء.

أما عن الهدم، فهناك الكثير مما يقال عن توالى التغييرات والاجتهادات فى هذا المجال الخطير الذى يمس عمران المدينة وثروتها العقارية.

ففى الثمانينيات طرح مشروع قانون يسمح للملاك بهدم العقارات المبنية بعد مرور مئة عام على إنشائها، وإن لم تكن آيلة للسقوط، وقد عم الذعر كافة المهتمين بقضايا العمران والتراث المعمارى حينئذ، لأن إطلاق هذه الإباحة، بلا ضوابط أو معايير، يمكن أن يقوض معالم قاهرة عصر إسماعيل، ومعظم مبانيها تراث جميل لم يشمله التسجيل.

وبالرغم من عدم صدور هذا القانون؛ فقد تم هدم العديد من شواهد ثروتنا العقارية من قصور وفيلات رائعة، من تراث منتصف القرن العشرين، فى منطقة وسط البلد، وأحياء جاردن سيتى والزمالك، ومصر الجديدة والجيزة وغيرها.

وهدم قصر هدى شعراوى، بما يحمله من ذكريات وطنية وطراز إسلامى رائع، وفيلا أم كلثوم بمالها من ذكريات تاريخية وعاطفية على المستوى القومى والعربى - يعطى بعض الأمثلة الصارخة لإزاحة شواهد تراثنا، وإهدار بيئتنا العمرانية الأصيلة.

وهناك صورة أخرى لتناقض بعض القرارات فى هذا الشأن؛ تتضح بجلاء فى تبادل نقيضين - قرار بإباحة الهدم وآخر بإباحة التعليات. وهكذا تتابع المتناقضات بدون ضوابط أو معايير. فقد سبق مشروع قرارالهدم نقيض له فى السبعينيات أباح تعلية المبانى القديمة - وبدون اعتبار لعمرها الافتراضى - بطوابق إضافية بقدر ماتتحمله أساساتها، بشرط إثبات ذلك هندسياً بشهادة مهندس مختص.

وانطلقت التعليات متتابعة فوق الرؤوس، فشوهت الطرز المعمارية لواجهات المبانى الأصيلة، وقضى على جمال العديد من العمارات كلاسيكية الطراز؛ من تراث النصف الأول من القرن العشرين.

وهكذا يضيع طابع الشارع المصرى فيما بين التشريعات وتخبط آلياتها بين الإسهال والتسهيل، وإيقاف التنفيذ والتصالح فى المخالفات.

الشارع المصرى وصور من المتناقضات:

شارع الزمن الجميل: إن صور الشارع المصرى فى الزمن الجميل؛ تنقلها لنا الأفلام السينمائية والمطبوعات المصورة؛ خلال العقود الخمسة الأولى من القرن العشرين. وهى تعكس نظافة المظهر والجمال والانسجام والانضباط والتحضر، مما يتناقض تماماً مع ما آل إليه حاله من فجاجة

وازدحام، واغتيال للجمال، وخنق للهواء، ونشر للتلوث والسوقية في سلوك عابريه.

ويشترك القاهريون بمختلف أنصبتهم من الثقافة والتحضر في تلك الممارسات، ويرسخها مجتمع المدينة بوعى أو بلاوعى، لدرجة أصبحت معها أسلوب حياة.

لقد كان الشارع فى الزمن الجميل بمختلف أنماطه مرآة للصور الأصيلة لسلوكيات الناس، وإيقاعاً لحياة متزنة سوية.

وإذا تقاطع الشارع مع شوارع أخرى؛ صار ميداناً أو مسرحاً تظهر عليه ردود أفعال المدينة تجاه مايمر بها من مباهج واحتفالات، أو مايصيبها من أحداث ونكسات، أو ما يشتعل بها من انتفاضات جماهيرية أو ثورات قومية تركت بصماتها على صفحات التاريخ.

وإذا انكمش الشارع المصرى فصار حارة أو عطفة، فإنه لايفقد نظافته ولاتتضاءل رسالته، بل يصبح حيزاً مقفلاً حميماً يقوم بوظائف يحتضنها التعاطف، وتلفها الألفة والخصوصية، فهو الملتقى اليومى للجيران، وقاعة المناسبات للأفراح والأتراح، والمسرح الحى لأولاد الحى، والسوق المرحبة للباعة الجائلين، تعمل فيه المقاهى «كمصاطب» لنشر الأقوال والشائعات، حيث تتصنت الآذان، وتتناقل الألسن مايذيعه الراوى من «حكاوى القهاوى».

لقد كان الشارع فى الزمن الجميل ملكاً للناس لا للسيارات، ولهم فيه الأولوية، وكان الإنسان فى شوارع المشاة المقياس الحقيقى للأشياء، وكان

للإيقاع الهادئ لحركة الناس والحياة فى ذلك الوقت أثره فى تهذيب السلوك، والتعاطف الإنسانى، والانتماء الاجتماعى، والتواصل الثقافى.

وتنقل لنا ذكريات كبار الأدباء والكتاب صوراً رائعة عن مقاهى وسط المدينة التى كانت منتديات للفكر والفن، وكان ينافسها فى هذا التألق والإشعاع مقاهى قاهرة المعز، حيث كان يطلق على حى الأزهر والحسين وخان الخليلى ومتفرعاته اسم «الحى اللاتيني»، تشبهاً بمركز الإشعاع الفنى والثقافي بباريس، (Le Quartier - Latin).

وهكذا كان الشارع المصرى فى الزمن الجميل مصدر إلهام للإبداع بكافة صوره التعبيرية والتشكيلية، حيث كان التجوال بخطى وئيدة مطمئنة، أو الجلوس باسترخاء وتأمل فى صور الحياة وأنماط البشر، يتيح للأدباء إبداع القصة والرواية والشعر، ولفنانى التشكيل والتعبير إبداع الرسم والتمثال أو الموسيقى واللحن والموال.

ولم تغب العامة عن ساحات الإبداع هذه، فاقتربوا منها بفنونهم التقليدية والشعبية وإبداعاتهم التعبيرية التلقائية، فانطلقت الأهازيج والملاحم والمسرحيات المرتجلة فى ساحات الموالد على نمط الـ (Comedi dell arti)، وانتشرت ثقافة الترفيه لدى بسطاء الناس ـ أولاد البلد ـ وعكست صدق وسذاجة تذوقهم وحبهم للفن والحياة.

انتكاس الصورة: ومضت الأيام، وتعرضت صورة الشارع المصرى لتغيرات جذرية خلال العقود الأربعة الأخيرة من القرن المنصرم، وطغى الانفجار السكانى وتسارعت الهجرة من الريف إلى الحضر، فاهتز كيان الشارع وفقد اتزانه، واضطربت معالمه وبهت طابعه.

فمن ناحية المنشآت المعمارية على جانبيه، وما كانت تعكسه من جماليات الطابع والتوافق والانسجام ـ فقد معظمها رونقه وبريقه، وخاصة فى وسط المدينة، بسبب إهمال الصيانة وسوء الاستعمال، وتتابع قوانين البناء والهدم على معمار الشارع المصرى، بكل ماتحمله من توجهات وتناقضات، أو قصور وثغرات، فأوصلته إلى صورة منفرة، مكللة بغلالة من الأتربة والعوالق وعوادم السيارات.

مشكلة النظافة: ويفتقر الشارع دائما إلى النظافة، وخاصة فى الأحياء البعيدة عن أعين الرقباء ومسار أصحاب القرار. ولاشك أن غياب النظافة عن البيئة العمرانية للمدينة، فى بلد تحض عقائده على أن «النظافة من الإيمان»، هو إهانة لأهله وطعن فى سلوكياتهم، وإعلان عن التخلف.

مشكلة الضوضاء والتلوث الصوتى: ويحمل ازدحام البشر فى المدينة التى تضاعف سكانها سبع مرات خلال أربعة عقود ـ إيقاعاً متسارعاً مسعوراً للحياة والناس، يغذيه سباق السيارات وهديرها، ويكتنفه ضجيج «الإذاعة المتنقلة» فى وسائل المواصلات العامة والخاصة، أو المنبعثة من السرادقات والمحلات التجارية، ويلاحقه نعيق آلات التنبيه، الأمر الذى أوصل معدل الضوضاء والتلوث الصوتى فى ميادين القاهرة إلى أعلى مستوى فى العالم.

وأخذ الشارع المصرى ـ بفضل ذوى التفكير المتسرع ـ من التطور الحديث أدنى صوره وأكثرها ضآلة من ناحية القيم الحضارية، ولكنها أكبرها إغراء وأشدها بريقاً وأكثرها ربحاً، ومن ثم جذباً وإلحاحاً.

مشكلة التلوث البصرى: فقد دخل عنصر الإعلان بكافة وسائله، وبتركيز مفاجئ، إلى الشارع فى وسط المدينة، فاحتلت ملصقاته ولوحاته الأرصفة، واغتصبت مواقع فى نهر الطريق، وارتسمت على الجدران وتسلقت الواجهات، وتربعت على أسطح العمارات، واعتلت هامات الصوارى العالية لجذب الأبصار، واستغلت عنصر الإبهار الضوئى ليلاً على حساب الشوارع نفسها، التى تفتقر إلى الإنارة الكافية لتأمين حياة الناس وسلامة حركة المواصلات.

ويجرى كل ذلك بدون ضوابط لتقييم جماليات تصميم الإعلانات، أو شروط لاختيار مواقعها أو مراعاة للذوق العام وتجنب التلوث البصرى. فهذه أمور غير واردة فى الحسبان طالما تم تسديد الرسوم.

ولقد شاع تفسير لانتشار الإعلانات فوق أسطح العمارات بهذه السرعة والاتساع، بإقبال اتحادات ملاك العمارات على هذا النوع من الاستثمار. فقد وجدوا أن تأجير أسطح منازلهم لوكالات الإعلانات الكبرى، نظير مبالغ مجزية، يكفيهم كمورد للصرف على أعمال الصيانة التى يحتاجونها، والتى كثيراً مايتقاعس ملاك وسكان الوحدات السكنية عن الإسهام فيها.

وهكذا تختلط الأمور وتضطرب القيم، فمن جهه تستباح سماء المدينة بغزو الإعلانات ويحصل الملاك على مايعينهم على أعباء الصيانة، وفى نفس الوقت يسود جو المدينة مهرجان من الفجاجة والتنافر، ويعيش الناس فى ضجيج الأصوات نهاراً، وفى نشاز الألوان والأضواء ليلا.

وقد سبق أن أوضحنا أن تشكيل الشارع عمرانيا لايتم إلا بالمبانى التى تقام على جانبيه، ولذلك فإن واجهات هذه المبانى، بأنماطها واستعمالاتها وتعدد حجومها وألوانها وتنوع طرزها بل ودقيق تفاصيلها. هى المكونات الأساسية التى تضفى على الشارع طابعه، وتكسبه شخصيته وجاذبيته.

ومن هذا الموضع الهام يصبح العبث والتشويه، بل مجرد المساس بواجهات المبانى، أكبر عامل فى إشاعة التلوث البصرى فى الشارع، حيث أصبح ساحة مفتوحة بدون أى ضوابط قانونية أو أخلاقية.

وتتكرر أمامنا يوميا ممارسات متخلفة وتعاملات عشوائية مع واجهات المبانى، كقيام سكان بعض الوحدات السكنية (الشقق) بطلائها بألوان مخالفة عن الألوان السائدة فى العمارة فتظهر الواجهات مشوهة بهذه البقع.

ويتفنن آخرون بإضافة بروزات، أو تقفيل البلكونات، أو ترصيع الواجهات بأجهزة تكييف الهواء مختلفة الطرز والحجوم والألوان، أو بترك مداخن التهوية تتسلق الواجهات لتصل إلى أعلى سطح فيها.

ولايتحرج سكان آخرون من استعمال البلكونات كأمكنة لتخزين المخلفات أو المواد الغذائية، وفى أحسن حالات نشر أنواع الغسيل والمفروشات لتصبح قذى فى عيون الناظرين.

ولم يتخلف المهنيون عن هذه المباراة، فتسابقوا فى تعليق اللافتات بأسمائهم وتخصصاتهم، بمختلف الحجوم والألوان، على واجهات عمارات وسط البلد، والتى كانت تتميز ولاتزال بأصالتها المعمارية، وقيمتها الفنية التى تمثل تراثا من ثروتنا المعمارية الباقية منذ مطلع القرن الماضى.

وفى النهاية فإنه يبدو أن اصطلاح التلوث البصرى هو اصطلاح لغوى حديث، ولكل حديث جاذبية، وإن كان فى واقع حياتنا ليس له أى معنى أو مدلول حقيقى بالنسبة لأحاسيسنا. فقد أصبحنا من طول معايشتنا وألفتنا لهذه الصور المشوهة لواجهة الشارع المصرى، وكأنها جزء من نسيج حياتنا، وهذا أمر خطير مؤسف، إن دل على شىء فإنما يدل على انحسار فى الذوق العام، وقناعة بمستوى متواضع من بهجة الحياة.

معارك المرور والعبور: ويعرض الشارع المصرى، فى حركته اليومية، صور معارك المرور والعبور المحتدمة بين السيارات والمشاة، والتى تعكس مضاعفات التكدس والزحام فى المدينة.

وكثيراً ماتختفى معالم الشارع أمام جحافل السيارات والحافلات المتحركة ببطء شديد، أو المتروكة فى المواقف على الجانبين، الأمر الذى يوحى بعدم كفاءة المعالجات التى تتخذ لمجابهة مشكلات الشارع من ناحية سيولة الحركة، أو تمكين العبور الآمن للمشاة الذين يضطرون، أمام طمس ممراتهم، إلى الانطلاق العشوائى بين جحافل السيارات، لبلوغ الجانب الآخر من الطريق. وهكذا يكاد يصبح الشارع بوسط المدينة الكبيرة خندقاً للضوضاء، وعوادم السيارات والأتربة والعوالق، ويصبح الميدان ساحة العبور والمرور، وبؤرة للتلوث الصوتى وصمم الآذان.

الرصيف وسوء التوظيف: لاتقوم قطاعات الشارع المصرى، وفى مقدمتها الرصيف، بالوظائف المخصصة لها، بسبب الخلط الغريب فى الاستخدامات، بالإضافة إلى سوء الصيانة إن لم نقل غيابها.

فالأرصفة فى أغلب أنحاء المدينة أصبحت لاتصلح للمشاة، حيث احتلتها امتدادات دكاكين بائعى الفاكهة والسلع الغذائية والمقاهى، بالإضافة إلى الباعة الجائلين، وفى بعض الأحياء المكتظة بالحرفيين تحولت إلى ورش، كما استقطع منها منحدرات للجراجات أو مواقف للسيارات.

وقد ظهرت أخيراً محاولات (لتجميل) الأرصفة بمبادرات أصحاب المحلات التجارية ولكنها، للأسف الشديد، اتخذت صوراً من التشويه والفوضى وغياب الذوق، حيث شرع كل من أخذه الحماس من أصحاب المحلات ـ فى كسوة رقعة الرصيف أمامه بالبلاط الذى يعجبه، وبالشكل الذى يختاره ـ فانقلبت عملية التجميل إلى نقيضها من فجاجة وقبح ونشاز.

وأمام ظاهرة اعتلاء السيارات للانتظار على الأرصفة، معتدية بذلك على حق المشاة فى السير الآمن، تم رفع الأرصفة عن المعدل المناسب فأصبحت عقبة أمام الأطفال وكبار السن، وبهذا الخلط الغريب ومداواة الخطأ بخطأ أفدح منه، ضاعت الفائدة من وجود الأرصفة فى الشارع، وتضاءل دورها من الناحية الوظيفية والجمالية.

الشارع المصرى وسلوكيات المجتمع:

الأمية السلوكية: كان يحكم حركة الناس فى شارع الزمن الجميل «آداب الطريق»، ورغم غلبة الأمية المعرفية على عابرى السبيل فى ذلك الزمن، إلا أنهم لم يكونوا ضحايا الأمية السلوكية التى هى الصفة المسيطرة على السواد الأعظم من رواد الشارع الآن.

ولاشك أن هناك افتقادا للأسس المرجعية التى تقيم على أساسها الأفعال والتصرفات العامة، ويطغى على الغالبية هواية التقليد للآخرين لا العقل الرزين، وعلى الذكاء المسطح (الفهلوة) لا الفكر الراسخ. وللسلوكيات المتناقضة لرجل الشارع مظاهر صارخة تحتاج إلى دراسة متعمقة من متخصصين فى علم النفس الاجتماعى، كاللامبالاة وضعف الانتماء والسلوك الخشن، وعدم الإحساس بالملكية العامة، والفردية المتضخمة، وفى نفس الوقت عدم الاستقلالية فى التصرف وسهولة الانخراط فى الجموع وسرعة الاستجابة لسلوكيات غير مرغوبة.

هبوط الذوق العام: وهناك أيضاً افتقاد للذوق العام: وذلك يعنى أن الجهات المعنية لا تعطى الاهتمام الكافى لتثقيف الحواس لدى عامة الناس، وإعدادهم لتلقى وتذوق الفنون بكافة صورها، وخاصة التشكيلية، وتنمية مداركهم بضرورة وجودها فى سياق حياتهم. ويتساءل المرء فى دهشة عن كيفية غياب وعينا العام بالفنون فى بيئة عريقة زاخرة بأجمل ماقدمته وخلدته العبقرية المصرية، من فنون التشكيل: عمارةً ونحتاً وتصويراً وزخرفة، وغيرها من فنون التعبير فى عصور حضاراتها المتتابعة. ويستولى الانزعاج من استمرار تهميش دور الفنان التشكيلى فى مجتمع الشارع المصرى المعاصر.

كرنفال الأزياء: ينفرد الشارع المصرى بالعرض الدائم لكافة أنواع الملابس والأردية، تاريخية ومعاصرة، والأزياء من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، تحملها الاجتماع يجدون علاقة بين هذا التنافر فى

الأزياء وتفكك الرؤى والآراء بين أفراد المجتمع، ولنا أن نتساءل عن تأثير هذا الجو من التقوقع والانكماش على تفسخ الرأى العام، أو على الأقل عدم بلورة أى توجهات إيجابية له.

شارع وسط المدينة والهامشيون والمهمشون:

أنماط وفصائل: ولكى تكتمل صورة الشارع المصرى، بحكم وجوده العضوى فى النسيج العمرانى للمدينة، يلزم عرض جوانب من المجتمع قد تبدو أحياناً متناقضة أشد التناقض ومختلفة أشد الاختلاف، بقدر تباين طبقاته وطوائفه وتفاوت سلوكهم ومسالكهم فى دروب الحياة، وعلاقتهم سلباً أو إيجاباً بمجتمع المدينة.

ومن بين الذين يملأون فراغ الشارع، ليل نهار، أنماط وفصائل متعددة من الهامشين والمهمشين، وهم يشكلون زحاماً وضغطاً مستمراً على المناطق الحيوية بالمدينة، ويتساءل الإنسان عن عمل هؤلاء ودورهم فى المجتمع وماذا ينتجون وبأى الموارد يعيشون.

ولكن ببعض الملاحظة والتدقيق يمكن فرز أنماط الهامشيين وتصنيفهم فى فصائل، وطبقاً لعلاقاتهم وعطائهم للمجتمع.

الهامشيون: إن ممارسى الأعمال الهامشية ـ ومن بينهم صغار العاملين بوحدات الحكومة والقطاع العام ـ رموز البطالة المقنعة والذين تم اختلاق وظائف لهم، أو تم وضعهم فى وظائف غير مؤهلين لها أو مدربين عليها، ومعظم هؤلاء يتسربون من مكاتبهم إلى عرض الشارع يذرعونه جيئة وذهاباً لقتل الوقت، ويشارك هؤلاء فصيل آخر من العاطلين بالوراثة أو

أصحاب الأعمال المشبوهة، وهؤلاء يزحمون الشارع بسياراتهم، ويثقلون كاهل المجتمع بممارستهم السلبية.

ويشارك هذين الفصيلين فى صفة الهامشية كل من يمارس عملاً لاقيمة له فى المجتمع، مثل صغار الباعة الجائلين، وجيوش العمالة غير المدربة (عمال التراحيل) والمنادين بمواقف السيارات، وماسحى الأحذية... وتقوم العشوائيات المبعثرة حول المدينة بضخ هؤلاء فى الشارع المصرى كل صباح، كما تضخ السوائل فى الأنابيب المستطرقة. ومعظم الممارسين لأعمال هامشية من النازحين إلى المدينة مرتبطين بالأعراف والعادات والتقاليد الريفية، وقد غامروا بهجرة الريف إلى الحضر لتحقيق طموحات لم تتحقق لأغلبهم، فاستقروا فى عشوائيات على هوامش المدينة نزلاء على من سبقوهم من الطيور المهاجرة، وهم تحت ضغط أوضاعهم الهامشية فى مجتمع المدينة وارتباطهم بجذورهم الريفية، ينحسرون فى مجتمعهم وينكمشون فى ثقافتهم، ويتقوقعون فى تقاليدهم، ويعملون على ترييف مااستقطعوه من أرض الحضر.

المهمشون: أما المهمشون فهم نوع آخر لايمارس عملاً ولا يحفل بشيء، وقد همشهم المجتمع فانفصلوا عنه وهمشوه، وكونوا عالمهم الخاص بهم، وتبنوا ثقافة الفقر وثقافة الصمت التى تعنى السلبية السلوكية والتكيف مع اليأس والإحباط، الأمر الذى يساعدهم على التعايش فى سياق استبعادهم من مجتمع المدينة، والقناعة بما يلقيه لهم من فتات موائدها.

وهؤلاء أخلاط من فصائل المتسولين والمشردين فى الأرض، يتخذون من قارعة الطريق مجالاً مفتوحاً لنشاطهم، ومن الأرصفة والأماكن المهجورة سكناً لهم.

وهم يمثلون العناصر السلبية الخامدة التى لاانتماء لها، ولكنها على استعداد وتحفز دائم وانتهازية نشطة فاعلة فى التخريب والسلب والنهب عند بوادر أى اضطراب، أو انتفاضة يختلط فيها الحابل بالنابل، ويباح فيها من المجتمع مالايستباح.

ويندس بين هؤلاء المنحرفين ومعتادى الإجرام للاختفاء عن أعين الرقباء، أو الهروب من قبضة العدالة، والذين تدفعهم غرائز العدوان والانتقام من المجتمع، لاستباحة حقوق الآخرين بل وحياتهم.

الشارع المصرى فى العشوائيات:

قد يكون من القصور أو التقصير ألا نلقى نظرة، ولو عاجلة، على صورة الشارع عندما يترك وسط المدينة ليغامر بشق مسار له فى نسيج العشوائيات المظلم الكثيف، وهنا يتضاءل الشارع ويعتوره المرض والهزال، وتصبح تسميته بالشارع تجاوزاً كبيراً، فهو لايعدو أن يكون حارة أو عطفة أو زقاقاً أو دربا أو مجرد خيط واهٍ فى نسيج العنكبوت.

والعشوائيات، أو مناطق الإسكان الرث، تهبط فى بعض الأحيان إلى درجة من التدنى يصعب تصور وجودها فى نطاق مدينة كبرى، ولذلك فقد اشتهرت باسم قاع المدينة، وإن كانت لاتتوسطها كما قد يتبادر للذهن، ولكنها بالعكس نبتت عشوائياً على هوامشها الخارجية كالطفح على جلد المريض.

وقد عالجت شعبة الإسكان والمرافق وشعبة العلوم الإنسانية بالمجالس القومية ـ موضوع العشوائيات ومشكلات الإسكان العشوائى والهامشى

وسكنى المقابر، بالكثير من الدقة والاستفاضة، وقدمت العديد من التوصيات مما لايتطلب منا المزيد.

ولكن مايهمنا في العرض الذى نحن بصدده؛ أن هذه المضايق والدروب قد أصبحت حضانة للانحراف والجريمة، وملتقى لتشرزم طبقة المهمشين فى المجتمع الذى رفضها فرفضته، وكونت لنفسها عالماً آخر من التمرد ووجوداً مستقلاً عن المجتمع.

ولكى يتضح جانب من ملامح هذه الصورة المختزلة؛ نترك الشارع المصرى خلفنا لنضرب فى أحد المسالك الترابية فى إحدى العشوائيات القريبة من مطار إمبابة، والتى وصلنا إليها من الشارع الرئيسى كأننا هبطنا إلى عالم آخر.

وتتفرع أمام الداخل شبكات من الدروب الترابية لاتعرف بدايتها من نهايتها، حيث تضيع معالم معظمها فى أكوام القمامة التى يتصاعد منها الروائح والغبار، فتختفى فى غلالته كل الجهود التى تبذل للتطور والنهوض بالبيئة.

وعندما تهدأ ثائرة التراب والدخان والعوالق تظهر صور درامية مثيرة للأحاسيس والمشاعر المتناقضة... اشمئزاز وهلع ممزوج بخجل وإحساس بالذنب يفضى إلى أسى وتعاطف.

وهذه الدروب على ضيقها تعج بالازدحام والحركة، ويشترك فيها الأطفال والحيوانات الضالة والدواب والدواجن، والباعة الجائلون الذين يتبارون فى رفع عقائرهم بالنداء على السلع، وترتج جنبات الدروب المتداعية بأصوات النساء عبر النوافذ.

وفجأة ولأتفه الأسباب تثور المشاجرات بين المتسكعين من ذوى الميول العدوانية، تستعمل فيها كافة الأسلحة وأخفها الألفاظ النابية. ولايسلم المغامرون من الغرباء عن المنطقة من سطوة (البلطجية) الذين يختلقون الأسباب للتحرش بهم وتجريدهم مما خف حمله وغلا ثمنه.

ويعلن الشارع المصرى تبرؤه الكامل من الانتماء لهذه السلالة غير الشرعية من المسالك والدروب، ويعلى صوته مع المواطنين مطالبا بمديد الإصلاح إلى هذه البقع المهمشة من المدينة، والتى لاتؤخذ فى الحسبان أو تزار إلا لماما.

ولقد حان الوقت لمضاعفة الجهود التى بدأت لإعادة التوازن بين هذه المناطق المهمشة وباقى قطاعات المدينة، لكى يتابع الشارع المصرى مسيرته بنفس الشعور بالكرامة والكبرياء.

شارع وسط المدينة وثقافة الاستهلاك:

عودة إلى النقيض: ونعود مرة أخرى من العشوائيات إلى شارع وسط المدينة، لنستجلى جانباً من الصورة على قدر كبير من التناقض، فقد عالجنا فى الفقرات السابقة ظاهرة الإعلانات التى انتشرت فى سماء المدينة وماسببه سباقها المحموم لاستجلاب المستهلكين، من تلوث بصرى وهبوط بالذوق العام، ونبحث الآن أهداف وآثار هذه الأداة فى نشر ثقافة الاستهلاك، فى مواكبة لعولمة الثقافة الاستهلاكية وحضارة السوق فى القرية الكونية.

ولاشك أن الشارع المصرى يتعرض الآن لطوفان من المغريات الاستهلاكية من المستوردات الأجنبية، أو مقلداتها المحلية من مأكولات ومشروبات وملبوسات تتصدرها الوجبات السريعة، أجنبية المصدر والذوق، والتى انتشرت فى المدينة بسرعة الوباء، وأصبحت أسماؤها وعلاماتها التجارية جزءاً من مفردات لغتنا الدارجة بل ومن ممارستنا اليومية.

وأصبحت منتجات الشركات عابرة القارات المتعددة الجنسيات ـ من عالم ماك وشركاه ـ تطاردنا بإلحاح، وبكافة وسائل الإغراء، وقد انتشرت منافذ توزيعها على خريطة المدينة، وعلى أرصفة الشوارع، وعلى الدراجات الآلية التى تحملها إلينا فى عقر الدار بنظام (Take - Away, Home Delivery) ولا يقل عن ذلك تأثيراً ـ ولكن فى مجال إفساد الذوق العام وضياع الشخصية ـ الملبوسات من سراويل زرقاء Blue - Jens وصديريات T. Shirts مزركشه بدعايات تجارية وشعارات فجة بلغات أجنبية، مع رسوم مثيرة للعنف وللغرائز، تتخذ من صدور وظهور شبابنا من الجنسين لوحات دعاية متحركة، فى الشارع المصرى، لنشر ثقافات أجنبية ضحلة تمحو الشخصية المصرية وتفسد الذوق العام.

وإلى جانب هذه الممارسات وانسياقاً فى نفس التيار، احتلت واجهات المحلات التجارية الأسماء والشعارات الأجنبية بحروف عربية، وانطلق الخيال المريض للبعض منا فابتكر أسماءً خليطا من عدة لغات.

بل وانحدر الخيال إلى الحضيض حينما اعتلت أسماء بلغة هابطة واجهات محلات تجارية فى شوارع أحياء كانت تعتبر من أرقى أحياء

القاهرة . لقد بلغ الإسفاف مداه، وأصبح تداول لغة «الأنجلر فرانكو آراب) يوازيها انتشار لغة دارجة شوهاء، وكان هذه الممارسات السوقية دليل على التميز ومواكبة عصر العولمة ، وكأننا نسير معصوبى العيون فى طريق مرسوم يخدعنا بادعاءات الرقى والمعاصرة من الناحية المظهرية، ويربطنا بقيود تبعدنا عن التقدم الحقيقى، حتى نستمر فى المستوى الذى نبقى فيه سوقاً مفتوحة لتجارة السلع الاستهلاكية اليورو أمريكية، وتحت شعار تحرير التجارة العالمية.

ويجب ألا يغيب عن الأذهان بوادر صدام المصالح بين الدول الصناعية الكبرى التى تحتكر الإنتاج والتصدير، والدول النامية التى هى مغناطيس الاستيراد وهدف الاستهلاك فى مطلع القرن الحادى والعشرين. وتتنوع صور هذا الصراع وأسلحته وجبهاته فى كل مدن العالم، ويبرز الشارع فى مدن العالم الثالث بصفة خاصة؛ كأحد الساحات المفتوحة المستباحة لنشر ثقافة الاستهلاك وحضارة السوق.

وتلعب عناصر الإبهار، التى تنشرها وسائل الإعلام الغربية بأحدث التقنيات، دوراً فعالاً فى نفى الثقافات القومية فى مدن العالم الثالث، لتفرض بديلاً عنها ثقافات للدولة المسيطرة هذا بالرغم من الجهود التى تبذلها منظمات دولية أُخرى ـ كاليونسكو مثلاً ـ من محاولات لنشر وترسيخ دور التنوع البشرى الخلاَّق، ومفهوم تعايش الثقافات وتفاعلها وتطورها، وتأكيد دورها فى خدمة الإنسانية جمعاء.

ولكن تنتهى دائما الغلبة والسيطرة للقطب الأوحد اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، تحت شعار تحرير التجارة، وصب ثقافات القرية الكونية فى قالب العولمة.

وهكذا تتضح لنا أبعاد الدور الذى قدر للشارع المصرى أن يؤديه كساحة مفتوحة للدعاية لثقافة الاستهلاك، أو كما نعتها بعض المفكرين بثقافة الـ Take - Away، وما يتبع ذلك من تغيير فى نمط سلوك المجتمع، وربما تقاليده وأخلاقه، مما يسمى مقوماته الذاتية من عادات ولغة قومية، فضلاً عن إساءة توجيه اقتصادية وحصرها فى الاستيراد والاستهلاك والإهلاك، وهذا ترف لانملك مقوماته ولانقوى عليه.

جهود للإصلاح والتجميل:

ومع كل هذا العبء الثقيل من السلبيات والتراكمات؛ فإنه لايفوتنا أن ننوه بالإجراءت الإيجابية التى بدأت تأخذ طريقها إلى الشارع المصرى. فقد شهدت المدن الكبرى فى مصر، فى الآونة الأخيرة، جهودا مكثفة للإصلاح والتجميل، تركزت فى القاهرة والإسكندرية، ولكنها ليست بالقدر الذى نطمح إليه، ولا على مقياس ما أصابها من إهمال وتخلف،رغم توافر الخبرات والإمكانات البشرية فى كافة المجالات التى يحتاجها عمران المدينة، ونعرض فيما يلى لمحة عن هذه الجهود.

التصدى لمشكلات المرور: لقد بلغت معاناة الشارع المصرى، وخاصة بوسط المدينة، درجة خطيرة ممثلة فى التكدس والزحام بصفة أساسية، الأمر الذى أصاب الشارع ـ كما يصاب البشر ـ بضغط الدم وتصلب الشرايين، وكان لزاماً أن تتحرك الجهات المعنية لتنفيذ مشروعات عاجلة سبق دراستها بمعرفة الأجهزة المختصة. وهذه المشروعات تهدف إلى التخفيف من ضغط المرور فى وسط المدينة، ونقل المرور العابر السريع

إلى شوارع علوية؛ تنطلق محاورها في الاتجاهات المناسبة نحو الطريق الدائرى الذى يطوق المدينة. وبذلك يتم امتصاص الحركة الوافدة من الأقاليم ونقلها إلى المحاور العابرة للكتلة السكنية، وبالعكس إتاحة الخروج من المدينة إلى الطرق الإقليمية بسهولة.

وقد قامت الحكومة أخيراً بتنفيذ مترو الأنفاق، والذى كان قد تمت دراسته منذ الستينيات فانطلقت قطاراته على خطين: الأول: من حلوان إلى المرج، والثانى: من شبرا الخيمة إلى الجيزة، كما أن الخط الثالث، من مطار القاهرة إلى امبابه، سيشرع فيه قريبا. وهذه الشبكة الهامة من النقل في الأنفاق ستخفف من الضغط على المواصلات السطحية.

معالجة أمراض الضغط: اتخذت الحكومة إجراء غير تقليدى لتخفيف وطأة الضغط على الشارع المصرى، والاقتصاد فى استهلاك وسائل النقل العام والخاص، وذلك بقصر أيام العمل فى المصالح الحكومية والقطاع العام على خمسة أيام فى الأسبوع، مع إطالة فترة العمل اليومية بما يعوض ساعات اليوم المستقطع. وقد لوحظ مردود هذه التجربة إيجابيا على حركة الشارع ونبض المدينة فى نهاية الأسبوع، مما يستوجب ترسيخها وتعميمها على كافة الجهات والهيئات العاملة، بعد تقييم نتائجها من النواحى الاقتصادية والإدارية والصحية والمعنوية، وخاصة بالنسبة لصغار العاملين الذين يذوقون عذابات النقل والمواصلات طيلة الأسبوع.

كذلك تدرس التبادليات المطروحة بالنسبة لأيام العطلة الأسبوعية، وهل تكون الخميس والجمعة أو الجمعة والسبت أو السبت والأحد، كما تدرس أيضا

مشكلة توزيع سير سيارات وآليات النقل والمواصلات على أيام الأسبوع، فردية أو زوجية، طبقا لأرقامها، بهدف خفض كثافة المرور إلى النصف، وهو ماتخذته كثير من الدول كإجراء لتخفيف الضغط على شرايين المدن المزدحمة.

ومهما يكن من أمر؛ فقد غدا الشارع المصرى فى أمس الحاجة لمثل هذه الإجراءات غير التقليدية، ليبرأ من أمراض الضغط وتصلب الشرايين.

إعادة الانضباط وتصحيح الاستخدامات: تبذل الدولة جهوداً مضنية لإعادة الانضباط وحسن توظيف الشارع، وخاصة فى الأحياء التجارية المزدحمة، لما خصص له من استخدامات.

وقد آن الأوان لرفع المعاناة عن المشاة بتحرير الأرصفة من إشغالات الباعة الجائلين، ومن امتدادات دكاكين باعة الخضر والفاكهة والمقاهى وورش الحرفيين، والذين كانوا يستغلون الأرصفة لحسابهم الخاص، مما يجبر المشاة على مخالفة آداب المرور وقواعده بالنزول إلى نهر الشارع، فيبطئون مسار السيارات ويعرضون أنفسهم للمخاطر، ويلزم هنا بذل مزيد من العناية بالأرصفة وجعلها فى صورة سليمة وآمنة، تيسر حركة المشاة وتسهم فى تجميل الشارع المصرى، وتتكامل مع عناصر البيئة العمرانية المشيدة فى منظومة حضارية تليق بالمدينة المصرية.

تعديل فى اشتراطات البناء: تم أخيراً تعديل بعض مواد اللائحة التنفيذية لقانون التخطيط العمرانى، فيما يختص «باشتراطات المناطق، وهى تشمل الاشتراطات التى تحدد الكثافات السكانية، وبالتالى تعداد السكان،

واستعمالات الأراضى، وإشغالات المبانى وارتفاعاتهاوكثافتها البنائية، والحد الأدنى لمساحات قطع الأراضى وأبعادها، والحد الأقصى للمساحة المشغولة بالبناء، بما يكفل السماح بدخول أشعة الشمس إلى الوحدات السكنية شتاء كلما أمكن ذلك، والحفاظ على النواحى الجمالية بالمنطقة، بما فى ذلك ألوان الواجهات للمبانى وموادها وطابعها المعمارى، وأماكن انتظار السيارات، وأماكن التحميل والتفريغ خارج حدود الشارع (داخل الملكيات الخاصة) وغيرها».

ولاشك أن إدخال الفقرات الخاصة ببعض النواحى المعمارية والجمالية فى مواد اللائحة التنفيذية لقانون التخطيط العمرانى، وإن كانت محدودة، يعتبر خطوة هامة نحو إعادة أسس وقيم الجمال المعمارى للشارع المصرى، وبالتالى رفع المستوى الحضارى للبيئة العمرانية ككل، مما سيكون له أثر إيجابى فى سلوكيات المجتمع وتثقيف حواسه، وخاصة إذا طبقت اللوائح التى تجدد طابع المناطق والانسجام المعمارى بين مبانيها.

ولاشك أن تفعيل مثل هذه القوانين على أرض الواقع؛ يتطلب من السلطات المسئولة الجدية الصارمة والمتابعة الدؤوبة لأجهزة التنفيذ فى المحليات، وسيمضى بعض الوقت حتى تظهر آثار تطبيق هذا القانون، مما يتطلب من أفراد المجتمع التعاون والوعى والإحساس بالانتماء وبالمسئولية الجماعية.

محاولات النظافة والتجميل: إن نظافة البيئة العمرانية من شوارع ومنشآت مبنية، لاتصل إلى الحد الأدنى المقبول، وخاصة فى المدن

الكبرى كالقاهرة، رغم قيام الأجهزة المعنية بمجهودات كبيرة في إطار مايخصص لها من إمكانات (عمالة ومعدات واعتمادات)، وهذه غالباً مايظهر أثرها رغم ضآلتها، في الأحياء المحظوظة، وتبقى الأحياء الفقيرة والعشوائية خارج دائرة الاهتمام.

ومن الواضح أن مشكلة التعامل مع المخلفات اليومية، لما يقرب من خمسة عشر مليوناً من السكان في القاهرة، ليست من الأمور الهينة التي تنفرد بها هيئة حكومية تخطيطاً وإشرافاً وتنفيذاً.

ولقد عُهد في السنوات الأخيرة لبعض الشركات بأعمال النظافة في بعض أحياء القاهرة، ونرجوا أن تعمم التجربة فتشمل المدينة كلها، في إطار خطة علمية لجمع ونقل وفرز المخلفات، ومعالجتها بأساليب التكنولوجيا المعاصرة، بدفن ما يجب دفنه وحرق مايلزم حرقه وتدوير ما يصلح تدويره، كما تفعل الدول المتقدمة.

أما بخصوص أعمال التجميل؛ فلا يبدو أن لهذه الأعمال خطة واضحة المعالم تشمل مناطق المدينة المختلفة، كما لاتتضح عناصر هذا التجميل وأدواته، ولا كيفية إسهام المواطنين فيه سواء على مستوى الهيئات أو الشركات أو الأفراد (رجال الأعمال مثلا) من ناحية التمويل أو كليات الفنون الجميلة والتطبيقية ونقابات الفنانين التشكيليين والزراعيين من ناحية الأفكار الإبداعية والتنفيذ.

ولقد ظهرت محاولات متفرقة، هنا وهناك، بإنشاء مجموعة من الحدائق الصغيرة موزعة على رقعة المدينة، كما وضعت أوان ضخمة

مكسوة بالموزاييك فى بعض الحدائق التى تتوسط بعض الميادين أو الطرق، وهذه الأعمال لاترقى للمستوى الذى يمكن اعتباره تجميلاً حقيقياً مدروساً للمواقع التى وضعت فيها.

إن أعمال تنسيق المواقع لتجميل المدينة تخصص تقوم به منظومة متكاملة من: معمارى فنان، وفنان تشكيلى، ومصمم لتنسيق الحدائق، وزراعى متخصص فى البستنة، ولاتترك للأذواق والاجتهادات الفردية، كما لاتترك أيضا للمتبرعين من أصحاب الشركات والمصانع، يملأون الساحات والطرق بأعمال ساذجة من النافورات والمجسمات التى لاترقى إلى مستوى الفنون التشكيلية الرفيعة - والتى يكون الدافع للتبرع بها الدعاية التجارية الموجهة للمارة فى الشارع المصرى بأرخص التكاليف. هذا ولايزال الميدان والساحة والحديقة والشارع تفتقر جميعها لعناصر الفن والجمال، التى يجب أن تأخذ مكانها على جدران المبانى العامة أو بمداخلها، فى نحت بارز أو تماثيل لشخصيات وطنية، أو تكوينات نحتية مجسمة، تتكامل مع نافورات للمياه فى تناغم إبداعى يشع فى الميدان أو المكان الحيوية والبهجة والجمال.

التشجير والنخيل وتحرير شواطىء النيل: شهدت بعض شوارع القاهرة اهتماما ملحوظا بتشجير الأرصفة وبغرس صفوف النخيل فى بعضها، مما أضفى إيقاعا بصريا جميلاً على بعض الطرق الرئيسية فى قليل من الأحياء المنتقاة.

كذلك أحس كثير من المواطنين المحرومين من المتنزهات والهواء النقى بسعادة كبرى حين شعروا ببدء الاهتمام بتحرير شواطئ النيل من المنشآت

والاستحكامات التى أقامتها بعض الأندية والهيئات، والتى استقطعت مواقع على النيل لحسابها، متذرعة بحصولها على عقود انتفاع بهذه المواقع. إن هذه التجاوزات التى وقعت فى غيبة من الوعى بحق رجل الشارع المصرى بالاستمتاع بالنيل، كان لابد أن تزال أو توقف على الأقل، وخاصة بعد أن وضعتها الصحافة فى دائرة الضوء.

خاتمة: إن مشكلات تعامل المجتمع مع الشارع المصرى معقدة ومتشعبة، وقد أثقلتها تراكمات السنين فأصبحت مجالات التأثير والتأثر بين المجتمع والشارع لاتنتج إلا مضاعفات سلبية، كما أن الحوار الطبيعى المعقود بينهما؛ لايمكن اعتباره حواراً نشطا إيجابيا، يدفع الأطراف المعنية من الشركاء والفرقاء فى اتجاهات خلاقة تبنى ولاتبدد، تصون التراث والطابع، وتحافظ على صحة البيئة العمرانية للمدينة، تقيها من الإهدار والدمار.

ولذلك فقد أصبح الأمر يستوجب مراجعة شاملة لعلاقتنا بالشارع المصرى، باعتباره نبض المدينة، بل التمثيل الواقعى لحياة المجتمع، إذ لايمكن أن يستمر الحال على ماهو عليه، وتبقى الصورة التى تمثلنا لاترضينا كدولة لها مكانها ومكانتها الطليعية فى العالم العربى، بل وفى الشرق الأوسط.

ولأهمية هذه القضية وضرورة التصدى لمعالجة مشكلاتها؛ يجب أن توضع فى إطارها الحقيقى كمشروع قومى، تحدد أهدافه وتدرس خطته وتعبأ له كافة الإمكانات فى الوزارات المعنية، ويأخذ ترتيبه المناسب فى سياق أولويات الدولة.

التوصيات

وعلى ضوء ماسبق يوصى بما يأتى:

أولاً: فى إطار المشروع القومى لإعادة الاعتبار للشارع المصرى، يجب أن تناط إدارة عمران المدن الكبرى إلى جهاز متخصص متكامل، تحشد له الكفاءات الهندسية والفنية والإدارية، فى كافة مجالات التخطيط والتنمية الحضرية والارتقاء بالبيئة العمرانية، بما تضمه من نواة تاريخية أو مناطق تراثية أو امتدادات عمرانية جديدة. وهذا الكيان هو «البلدية» التى تعمل أجهزتها فى إطار المحافظة المسئولة عن إدارة المدينة ككل. وقد كانت بلدية الإسكندرية وبلدية القاهرة التى لم يستمر عملهما إلا لفترة محدودة ـ مثلين ناجحين فى إدارة العمران والتنمية الحضرية. وتقتضى دقة التطبيق إجراء دراسة جدية، مع الاستفادة من نظم إدارة عمران بعض عواصم العالم الكبرى كباريس ولندن، والتى يختص فيها كل من عمدة باريس (Le Maire) وعمدة لندن (The Lord Mayor) بشئون عمران هاتين المدينتين.

ثانياً: وفى نطاق مسئوليات البلدية ـ المقترح إرجاعها ـ يجب معالجة القصور فى القوانين واللوائح والقرارات المنظمة للتخطيط والتنمية الحضرية، وبصفة خاصة تلك المتعلقة «باشتراطات البناء والهدم»، بحيث تشمل كل العناصر التى تؤثر على القيم الجمالية فى الشارع المصرى، ومن ذلك مايلى، على سبيل المثال:

(أ) تحقيق التوافق والانسجام بين المباني المتجاورة من ناحية التصميم المعماري، للحفاظ على الطابع العام للشارع، وتأكيد شخصية المنطقة أو الحي.

(ب) الالتزام بتشطيب أو إتمام واجهات المباني بالمستوى الجمالي اللائق، وطبقا للمواصفات التي اعتمدت في الترخيص بالبناء.

(جـ) إلزام الملاك وشاغلي العقارات بالعناية والصيانة الدورية، وخاصة الواجهات على الشارع، وقيام السلطات الإدارية بتنفيذ هذه الأعمال على حساب هؤلاء في حالة تقاعسهم عن القيام بها.

(د) منع العبث بواجهات المباني، مثل طلاء الوحدات السكنية (الشقق) بألوان مخالفة للون العمارة، أو إضافة عناصر بارزة، أو تقفيل البلكونات، أو وضع أجهزة تكييف الهواء بأسلوب عشوائي، وغيرها من الممارسات التي تشوه طابع العمارة، وتشيع التلوث البصري في الشارع المصري.

(هـ) إلزام الملاك بإكمال تنفيذ المبنى وإتمام واجهاته بكامل الطوابق التي صدر بها ترخيص البناء، وقيام السلطات الإدارية بتنفيذ ماتبقى من أعمال على حساب الملاك في حالة تقاعسهم.

(و) ضبط أسلوب تعلية الطوابق التي يصرح بإضافتها على المباني القائمة، بحيث تكون الإضافة والأصل وحدة متكاملة في المظهر المعماري. وهذا الأمر يستلزم من السلطة القائمة على إصدار التراخيص ـ الفحص الدقيق للطرز المعمارية للمباني المطلوب تعليتها.

(ز) إعداد تخطيط تفصيلى شامل لعواصم المحافظات والمدن الكبرى، على أساس تحديد المناطق المتجانسة من ناحية الأنشطة والكثافات السكانية والبنائية والطابع العمرانى، لمنع تداخل واختلاط الأنشطة المتنافرة، أو تغيير استخدامات الأراضى والمبانى، وذلك للحفاظ على توازن البيئة الحضرية للمدينة، وتوازن هيكل الاستثمار والاقتصاد العقارى، سواء لأعمال التعمير والبناء أو أسعار الأراضى.

(حـ) الاهتمام بتعميم شوارع المشاة فى منطقة وسط المدينة، وبصفة خاصة النواة التاريخية لها، وذلك فى إطار التخطيط الشامل لحركة المرور، للحد من أضرار تلوث الهواء والضوضاء، والحفاظ على طابع هذه المناطق التى تضم الثروة العقارية الممثلة فى المبانى التراثية والأثرية تنفيذ هذه المهام على عاتق الإدارة المحلية.

(ط) الاهتمام بالشوارع والساحات والميادين ذات المكان والمكانة الخاصة فى المدينة، وذلك بإخضاعها لنظم خاصة للإشراف والتعامل، بوصفها محميات تراثية تحتضن حقباً تاريخية مهمة من تاريخ مصر، وعلى سبيل المثال فى القاهرة: شارع المعز لدين الله الفاطمى، وميدان الأزهر والحسين، وميدان الرماية، وميدان القلعة وغيرها.

(ى) وضع حد للسلوكيات غير المرغوبة والممارسات غير المتحضرة من الذين يملؤون جو الشارع والميادين بالجلبة والضوضاء، وإعادة الانضباط بتطبيق العقوبات الرادعة على المستهترين والعدوانيين الذين يتعرضون للمارة بالمشاكسات والإيماءات الجارحة والألفاظ النابية،

والتصرفات غير المسئولة التى تصل إلى تفجير المفرقعات على سبيل اللهو الصبيانى.

(ك) وضع سياسة ثابتة لتنظيم عمليات الإعلان التجارى الضخمة الحجم والواسعة الانتشار، فى شوارع المدينة وميادينها، ومراعاة التحكم فى أماكنها ومساحاتها وتصميماتها ومادتها الإعلانية والإعلامية، حتى لاتصبح المدينة ساحة مفتوحة لثقافة الاستهلاك بلا ضوابط، والتى تستثير الغرائز والتطلعات إلى مستوى من الرفاهية المادية لايلائمنا.

(ل) وضع سياسة ثابتة لاحتواء وتنظيم الأسواق المؤقته للباعة المتنقلين والجائلين، وذلك بتخصيص ساحات مفتوحة بالأحياء المختلفة للمدينة وبالقدر الكافى؛ لإقامة أسواق مؤقتة فى أيام وساعات محددة خلال الأسبوع. ويتم ذلك بإقامة هياكل مظللة تحمى المتعاملين فى هذه الأسواق بمعرفة الإدارة المحلية، وتزال المظلات وتنظف الساحات فور انتهاء التعامل وقبل انقضاء النهار. وهذا يحمى الشارع من مشكلات الباعة الجائلين، ويتيح لهم فرص الكسب الشريف، مع تقديم المتطلبات للمستهلكين بأحسن الأسعار.

ثالثاً: إنشاء كيان مركزى (هيئة عامة) تتبع وزارة البيئة، وتختص بتخطيط وتصميم وإقامة وإدارة المسطحات الخضراء بكافة أنواعها ووظائفها المختلفة، بما فى ذلك مناطق الغابات والأحزمة الخضراء حول نطاق المدن، طبقا للأصول العلمية، والعمل على زيادة نصيب المواطن من الرقعة الخضراء فى المدن وكافة مستويات المجتمعات العمرانية، وإن

اقتضى الأمر تغيير استخدامات أراض مملوكة للدولة وتشغلها أنشطة حكومية يمكن نقلها خارج زمام الكتلة السكنية.

رابعًا : إشراف وزارة البيئة على شئون النظافة العامة ومعالجة النفايات فى المدن والتجمعات العمرانية بكافة مستوياتها، طبقا لخطة استراتيجية شاملة تستند على أسس علمية وإلى تجارب البلاد المماثلة، وتقوم بتنفيذ هذه الخطط شركات متخصصة.

خامساً: معالجة مشكلات المرور المتفاقمة فى المدن الكبرى، وذلك بتقسيم المشكلة إلى عنصريها وهما: الأول تخطيط حركة المرور بإعداد Traffic Master Plan، وهو تخصص هندسى إحصائى يوجب التبعية لأحد مؤسسات الدولة التخطيطية الهندسية. والثانى إدارة حركة المرور والإشراف عليها فى المواقع، وهو تخصص انضباطى أمنى يوجب التبعية لأحد مؤسسات الدولة الأمنية، كما هو الواقع حاليا.

سادساً : إعادة الانضباط للشارع المصرى، وتنقيته من الهامشيين والمهمشين، فى إطار مشروعات رعاية الدولة والمجتمع لهذه الفئات المحرومة، وبذل الجهود لتصحيح أوضاعها واحتوائها فى أحضان المواطنة الشريفة المنتجة. ويجب أن توضع هذه القضية فى مقدمة أولويات وزاتى الشئون الاجتماعية والداخلية.

سابعًا: إعداد دراسة شاملة، يقوم بها علماء الاجتماع والأطباء والمهندسون وعلماء البيئة، لمظاهر الخلل فى البيئة العمرانية فى المدينة، وإبراز أثر هذا الخلل فى السلوك العام والصحة النفسية والبدنية للمواطن فى

الشارع المصرى. ويكون ذلك تحت رعاية مشتركة من وزارات الإسكان والمرافق والصحة والسكان وشئون البيئة والمحليات.

ثامناً: نشر الوعى بشئون البيئة العمرانية والمعمارية التى تنعكس صورها على الشارع المصرى بين تلاميذ مراحل التعليم العام، حتى يترسخ فى نفوسهم الإحساس بالانتماء والملكية العامة. وفى وجدانهم قيم الجمال والتحضر. وتلك أساسيات الحياة الكريمة المستنيرة فى مجتمع سليم متوازن.

تاسعاً: قيم أجهزة الإعلام، وفى مقدمتها قنوات التليفزيون، بتنفيذ خطة تثقيفية فى مجال «السلوكيات العامة» للمجتمع، ولتلقى الضوء بصفة خاصة على التوعية بعمران المدينة، سواء المناطق الأثرية منها، أو مايقام من مشروعات للنظافة والتجميل التى تهدف إلى رفع مستوى المعيشة، وترسيخ السلوكيات السوية فى الشارع بوصفه التمثيل الحى للمجتمع.

عاشراً: فتح المجال وإزالة العقبات البيروقراطية أمام الجمعيات الأهلية المهتمة بشئون البيئة والتنمية الحضرية، حتى تقوم برسالتها فى مساندة ومساعدة الدولة فى تنفيذ مشروعاتها الرامية إلى تحسين البيئة ورفع مستوى الحياة للمواطن المصرى، وذلك من خلال وسائلها وإمكاناتها المتحررة، وقربها من الناس، ومعايشتها لواقع الحياة ومشاكلها. وبذلك تضمن الدولة المساندة من أداة فعالة تؤدى عملها التطوعى لأجل الله والوطن.

إن مفهوم حرية الإعلام يتضمن عناصر متداخلة تتكامل وتؤثر فيما بينها وحرية التعبير دائماً ماتلتقى مع التداول الحر للمعرفة والأفكار، والتطور الهائل لوسائل الإعلام قد أضفى أهمية بالغة لمفهوم حرية الإعلام، ومن الأهمية الاشارة لدراسة قيمة أعدها «شوقى الكيالى» قدمت إلى شعبة الإعلام بالمجالس القومية المتخصصة، تحت عنوان: «حرية الإعلام.. بين النظرية والتطبيق» جاء فيها:

تعتبر نظرية السلطة من أقدم نظريات الإعلام، حيث الحقيقة ليست حصيلة اتفاق الجماهير بل يحددها عدد قليل من الحكام، وأن الإنسان مخلوق تابع ولكن يصل إلى أعلى المراتب بتوجيه وعناية الدولة، لذلك فالدولة أو السلطة هى التى تمنح امتيازات الصحف التى يمتلكها الأفراد مع وضعها تحت رقابة مباشرة شديدة، وهى صحافة تخدم بالدرجة الأولى مصالح السلطة..

ثم مع ظهور النظم الرأسمالية والاقتصاد الحر، ومبدأ أن الإنسان ليس مخلوقاً تابعا وإنما له كيان مستقل وقدرة على التمييز ومعرفة الصواب

والخطأ وبالتالى لابد من إتاحة الفرصة للأفراد للاختيار الحر والبحث عن الحقيقة، وبالتالى يكون من حقهم مراقبة الحكومة ونقدها.

ومع استمرار التطور تبلورت نظرية المسئولية الاجتماعية وأن الحرية ليست لذاتها بل هى مسئولية اجتماعية ترتكز على مبادئ المسئولية والتوازن فى الحقوق والواجبات. فالحرية تتكون من ثلاثة عناصر أساسية، واحدة يضعها المجتمع من خلال القرار أى التشريع، والثانية من خلال توفير الحرية الاجتماعية، والثالثة يضعها الفرد نفسه من خلال قدرته على الأداء والوصول إلى مستوى أفضل.

وفى الوقت نفسه هناك النظم الشمولية التى ترتكز على ملكية الدولة وليس هناك أفراد أو هيئات تمتلك صحف، وأن الجماهير ينبغى أن تزود بالأنباء والموضوعات التى يرى المسئولون فى الحزب الحاكم أنها تهم المصلحة العامة!!

وهكذا تباينت النظم فيما يتعلق بوسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة وتنظيم ملكيتها وإصدارها ونشاطها، ما بين قوانين خاصة بتنظيم الصحافة أو إنشاء مجلس أعلى للصحافة وإطلاق صفة «السلطة الرابعة» على الصحافة، كما تعددت الإطارات التى تعمل داخلها أو فى حدودها، وإن كان الاتجاه الأغلب فى دول العالم هو تحرير وسائل الإعلام من كل قيد بإعتبارها مرآة للرأى العام ومنابر للتعبير الحر عن المواقف والاراء ولا يحكمها سوى مواثيق شرف الممارسة المهنية وما تتضمنه بنود الدساتير الديمقراطية التى تنظم حقوق وواجبات الأفراد وإعتبارات أمن واستقرار المجتمع.. وأن يكون الفيصل فى هذا الشأن هو القانون العام.

والواقع أن عدداً كبيراً من البلدان اعتمد قواعد أو مواثيق لآداب المهنة تركز عامة على مفاهيم أساسية كالحيدة والموضوعية والصدق واحترام الحياة الخاصة، كما ترتبط هذه المعايير أيضا بحقوق معينة كالوصول إلى مصادر المعلومات أو بالتزامات معينة كضرورة التدريب المهني، وإن كان البعض يرى أن هذه المبادئ والمواثيق لا تنظم غالبا واجبات الإعلام الوطني تجاه المجتمع الدولي أو تجاه البلاد الأجنبية، وأن الأمر يحتاج إلى تضافر الجهود لتعميم هذه المواثيق على النطاقين الإقليمي والدولي! أما بالنسبة لمجالس الصحافة أو مجالس الإعلام، التي تعتبر جزءاً من عملية دمج الإعلام والاتصال في المجتمع وتنظيمها مهنيا، والتي يعتبر مجلس الصحافة البريطاني نموذجا لها حيث ظهر مع بداية الستينيات، ثم تتابع إنشاؤها في المجتمعات الديمقراطية وإن اختلف تشكيلها ونطاق تشكيلها وصلاحيتها بالنسبة لوسائل الإعلام من بلد لآخر، وإن التقت في المفهوم العام وهو جعل الإعلام أكثر حرية وأكثر مسئولية. باعتبار أن حرية الإعلام جزء رئيسي من بناء متكامل للحريات العامة والخاصة والذي يوصف عادة بالممارسة الديمقراطية.

وإذا كان العديد من بلدان العالم الثالث قد عاني ألواناً من القهر والإحتلال الاستعماري بصوره المختلفة فإنه رغم محاولة البعض بعد التحرير والاستقلال، وتطبيق نماذج من الديمقراطيات، كانت ولا تزال محرومة من الحد الأدنى من الاستقرار والسلام الاجتماعي، وبالتالي من أحد مقومات حقوق الإنسان وهو حرية التعبير وإبداء الرأي والتبادل الحر للمعلومات، حيث تكون وسائل الإعلام تحت سيطرة سلطة الحكومة أو

الحزب الحاكم، والتى تفرض غالبا عقبات وعراقيل سياسية واقتصادية ومهنية وادارية لعل أبسطها التحكم فى استيراد المواد والمعدات الخاصة بصناعة الإعلام أو نشر الاعلانات مما يعوق تطورها والارتقاء بها وملاحقة الثورة التكنولوچية فى وسائل الاتصال، على الرغم من أن بعض هذه الأنظمة بل ومعظمها قد وقعت على الميثاق الدولى لحقوق الإنسان وأبرزها حق التعبير... إلخ.

بل إن بعض الدساتير تنص صراحة على حرية التعبير ولكن الممارسات الحكومية ضد هذه الحرية تمثل قمة التناقض والسخرية فى نفس الوقت!! حيث أنه مع وجود واجهة براقة من الديمقراطية فإن تلك الحكومات تمارس رقابة مباشرة أو ذاتية كما تفرض قيوداً على ترخيص إصدار الصحف ومزاولة المهنة أو التحكم فى مصادر المعلومات أو حجبها بل يصدر الأمر أحيانا إلى مصادرة الصحف واعتقال الصحفيين، وغير ذلك من الممارسات التى تتعارض كلية مع المفهوم الحقيقى لحرية الإعلام..

وكم من صحيفة ومجلة ذات شهرة عالمية تتجاوز حدود بلدها، وكم من وكالة أنباء تتناقل أنباءها كل وسائل الإعلام فى جميع بلدان العالم، وكم إذاعة وكم قناة تلفيزيونية اكتسبت الشهرة والصفة العالمية، حتى كاد بعضها يحتكر بث ونشر الأخبار والأحداث ويحرز قصب السبق دائما بفضل إمكاناته الهائلة، ثم تسخر كل هذه الوسائل قوتها وإمكاناتها فى تبنى حملات تخدم سياسة معينة أو تستهدف أغراضا أو مصلحة خاصة بأصحاب هذه الوسائل أو الدول التى تصدر فيها أو التى تلتقى مع مصالحها السياسية أو الاقتصادية..!!

والشواهد كثيرة ولا نقول التجارب مريرة.. تؤكد ذلك يوما بعد يوم وتتبدى فى نتائجها المؤسفة لصالح الدول الكبرى والمهيمنة على تقنيات وسائل الاعلام واستخداماتها وأدواتها.

وفى غير صالح الدول الصغرى أو النامية التى لم تتهيأ لها أسباب الاعتماد على الذات فى هذا المجال، لعوامل كثيرة تناولتها المؤتمرات والاجتماعات على جميع المستويات المحلية والإقليمية.

والتى تجتمع وتتحاور ثم تعلن عادة عن نوايا وآمال لا تأخذ طريقها إلى واقع التطبيق..

وعلى الرغم من أن المواثيق والتشريعات الخاصة بتنظيم ممارسة وسائل الإعلام كأحد الحقوق الأساسية للإنسان.إلا أن تباين النظم السياسية فى عالم اليوم التى تتروح بين نظم تخضع لحكم فرد أو حزب واحد، أو تتخفى خلف غلالة رقيقة من شعارات الديمقراطية، وبين نظم ترفع راية الديمقراطية والليبرالية، وتتشدق صباحاً ومساء بمناصرة ورفع لوائها حتى فى خارج حدودها،بينما تتبع أقسى صنوف التفرقة والتعصب حتى بين مواطنيها!!

الأمر الذى يجعل تناول قضية حرية الإعلام يكتنفه كثير من المحاذير، كما سبقت الإشارة .باعتبار ان حرية الاعلام هى جزء من إطار أوسع هو: الحرية السياسية فى ظل نظام ديمقراطى.

ففى الوقت الذى تمارس بعض الحكومات ضغوطا مباشره أو غير مباشرة على حرية الإعلام من خلال التحكم فى مصادر التمويل

والإعلانات والتوزيع واستيراد المواد الخام اللازمةلصناعة وسائل وأجهزة الإعلام، مما يعوق قدرة الإعلام على الإسهام الفعال فى دعم استقلال الارادة والقرار الوطنى والحفاظ على الشخصية الذاتية والهوية الثقافية لشعوبها، نجد أيضا أن اعتماد أجهزة الإعلام فى الدول النامية بدرجة كبيرة على مصادر المعلومات والمواد التحريرية للدول الكبرى فى أوربا وأمريكا والتى تكون متأثرة غالبا بوجهات نظر خاصة فى القضايا الدولية الكبرى والفجوة الكبيرة بين بلدان العالم المتقدم والنامى فى المعدات والأساليب التكنولوچية التى تستخدمها أجهزة الإعلام وتنعكس بالتالى على مستوى الأداء كما وكيفاً..

وإذا انتقلنا إلى الوضع فى مصر:

فمن المعروف أن مصر تعتبر أقدم دولة فى القارة الإفريقية بل وفى منطقة الشرق الأوسط، التى عرفت التطور الديمقراطى ـ على النموذج الليبرالى الغربى ـ والتى عرفت الصحافة سواء الحكومية أو المستقلة أو الحزبية، ومنذ أن دخلت المطبعة إلى مصر مع الحملة الفرنسية، ثم صدور صحيفة الوقائع المصرية كأول صحيفة مصرية عام ١٨٢٨ فى عهد محمد على.

وقد تطورت أوضاع وسائل الإعلام وفى مقدمتها الصحافة، مع مراحل التطور السياسى والاجتماعى، والتى تضم حاليا الصحافة القومية والحزبية والمستقلة، وتتمتع بحرية كاملة يساندها تنظيم نقابى قوى هو نقابة الصحفيين التى خاضت ولاتزال نضالا طويلا دفاعا عن استقلالية

الصحف وحرية الرأى والتعبير، والأمل فى تتويج هذه الجهود باستكمال الحقوق الخاصة بإصدار الصحف ودعم الحقوق القانونية للصحفيين.

والذى لاشك فيه أن التطور الديمقراطى فى مصر يسير قدماً نحو البناء الديمقراطى المتكامل فى ظل مناخ يعترف بحقوق الإنسان كاملة ويمارس التعددية السياسية ويطلق حرية اشتراك المواطن والقوى السياسية والاجتماعية فى صناعة القرار، ويكفل حرية الرأى والتعبير من خلال مختلف وسائل الإعلام. ولكن لابد من الاعتراف أنه لاتزال هناك عقبات وتحديات أمام وسائل الإعلام الوطنية مع بداية الألفية الثالثة.

القانون الدولى وحرية الإعلام:

مع تطور المجتمعات انتقلت رسالة الإعلام من مرحلة التبليغ من شخص إلى شخص، إلى مرحلة التبليغ المتبادل بين جماعات منظمة ثم لمرحلة التبليغ الجماعى طريق وسائل الاتصال الجماهيرى أى الصحافة والمطبوعات والإذاعة والتليفزيون... إلخ ومثلما استخدم الإعلام لتحقيق اغراض وأهداف نبيله أى نقل وتبادل المعلومات والمعارف، فقد استخدم أيضا لأهداف وأغراض غير شريفة أو تتنافى من الأخلاق والقيم الإنسانية، فإن كانت وسائل الإعلام قادرة على نشر وتوصيل المعرفة وتزويد الناس بالمعلومات والحقائق، فإنها تستطيع أيضا أن تزيف الحقائق وتضلل الناس حين تعتمد أساسا على الكذب والخداع ومن ثم تفرض عليهم مفاهيم وآراء بعيده عن الواقع والحقيقة، خاصة إذا كانت وسائل الإعلام تملك قوة التأثير والهيمنه والجمهور المستهدف أضعف أو أقل قدرة على مواجهتها أو النجاة من آثارها..

وهنا كما يعرف الخبراء والمتخصصون فى دراسات الإعلام، يتحول الأمر من المبادئ الأساسية والمفهوم الحقيقى للإعلام إلى أسلوب الدعاية سواء مباشرة أو غير مباشرة والذى استخدمته النظم الاستبدادية كالشيوعية والنازية والفاشية أو أصحاب النظريات العنصرية كالصهيونية وغيرها، والتى اصطنعت لنفسها معايير وأساليب لتحقيق أهدافها وأغراضها وتحريك وتوجيه الرأى العام الداخلى والخارجى على النحو الذى يخدم خططها المعلنة وغير المعلنه سواء فى أوقات السلم أوالحرب..

ولم يقتصر الأمر على الدعاية السياسية وإنما انتقل إلى الدعاية التجارية والتى أصبحت تمثل الواجهة لخطط السيطرة الاقتصادية بعد أن توارت مرحلة السيطرة الاستعمارية بأدواتها التقليدية، وأصبحت السيطرة الاقتصادية من خلال غزو الأسواق بالمنتجات والسلع والتحكم فى استغلال المواد الخام وتصنيعها والحاصلات والمواد الأولية خاصة الزراعية هى سمة العصر الحديث والذى تربعت على عرشه الولايات المتحدة الأمريكية وحذت حذوها باقى الدول المتقدمة فى أوربا وشرق آسيا، حيث سعت الدول الصناعية الكبرى بكل الوسائل للترويج لصناعاتها المختلفة والمتنوعة واستخدام كافة الأساليب والفنون الدعائية فى منافسة الآخرين على احتكار الأسواق واجتذاب المستهلكين بشتى الطرق، بل وعقد اتفاقات دولية تنظم الصادرات والواردات والتبادل التجارى وبما يتيح استمرار الدول الصناعية المتقدمة فى التحكم والسيطرة على مقدرات الدول النامية، ومن خلال سياسات تتراوح بين الإغراق حظر الاستيراد والتحكم فى أسعار العملات النقدية وإضعاف قيمة العملات الوطنية.

فما هو موقف القانون الدولى حيال ذلك أى العمل عكس وضد المفاهيم والمبادئ الأساسية الحرية ومن بينها حرية الإعلام؟

لقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٧ قرارا تضمن الإشارة إلى مانص عليه ميثاق الأمم المتحدة من تعهد الأعضاء باتخاذ إجراءات مشتركة أو مستقلة لمراعاة الحريات الأساسية التى تضمن حرية التعبير.. وأن الجمعية العامة تدين كل صور الدعاية فى أى دولة كانت مما يقصد بها أو يحتمل أن تثير أو تشجع أى تهديد للسلام أو القيام بعدوان، وتطلب من حكومة كل عضو أن تنشر بكل وسائل الإعلام التى فى متناولها علاقات الصداقة بين الأمم المبنية على أهداف ومبادئ الميثاق.

كما تطلب الجمعية العامة أن ينقل هذا القرار إلى المؤتمر القادم الخاص بحرية الإعلام.. وأعتقد أن هذه كانت أول إشارة على المستوى الدولى لحرية الإعلام.

وفى نوفمبر ١٩٥٠ أعادت الجمعية العامة للأمم المتحدة تأكيدها للقرارات التى تدين الدعاية ضد السلام ونشر المعلومات الكاذبة التى يحتمل أن تعرض السلام العالمى للخطر..

ويجدر الإشارة مجدداً إلى المادة ١٩ من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذى أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ بشأن الحق فى حرية الرأى والتعبير، لا يعتبر أكثر من مجرد توصية.

كما أن منظمة اليونسكو تابعت مساعيها فى إيجاد تفاهم دولى انطلاقا من نصوص دستورها «بأن هدف المنظمة هو المساهمة فى السلام والأمن

بنشر التعاون بين الأمم عن طريق كل وسيلة من وسائل الاتصال الجماعى التربية والعلوم والثقافة».

ويمكن القول بصفة عامة بأنه لاتوجد معاهدات أو اتفاقيات تنظم «الدعاية» الدولية كما لم تعرض قضية بشأنها أمام محكمة دولية وذلك ربما يرجع لصعوبة تحديدها وتعريفها والاختلاف الواسع بين الدول فى تفسير ماهو مقبول وماهو غير مقبول، كما أن الدول بصفة عامة تفضل أن تكون حرة فى القيام بنشاطها الدعائى..!!

وعلى طريق توفير ضمانات حرية الإعلام عقدت مؤتمرات ووقعت افتاقات على شتى المستويات الإقليمية والدولية نذكر منها على سبيل المثال:

- المؤتمر الدولى للصحفيين الذى انعقد فى كوبنهاجن عام ١٩٤٦ ونطرق إلى حرية الصحافة بالقول: «إن حرية الصحافة هى مبدأ أساسى للديمقراطية».

- مؤتمر چنيف الذى عقدته الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ واعتبرت فيه «حرية الصحافة حقا من حقوق الإنسان».

- العهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الذى اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٦٦ والذى ينص بصورة خاصة على أن «الحق فى حرية التعبير يتضمن الحرية فى البحث عن المعلومات والأفكار من كل نوع والحصول عليها ونشرها بدون اعتبار لأية حدود سياسية وبالشكل الذى يختاره الفرد... إلخ»

ـ مؤتمر اليونسكو العام فى ١٩٧٦ بشأن الدعوة لنظام إعلامى عالمى جديد يحقق حرية تدفق وتوازن الإعلام.

ـ الإعلان العالمى لمبادئ وسائل الإعلام الصادر عن المؤتمر العشرين لليونسكو الذى نص فى مادته الثانية على «اعتبار ممارسة حرية الرأى والتعبير والإعلام كجزء لايتجزأ من حقوق الإنسان.. وإمكانية وصول عموم الناس إلى الإعلام..» وتصحيح عدم التوازن فى مجال انتقال الإعلام الصادر من الدول النامية والوارد إليها، وإقامة قواعد مهنية تحتوى المبادئ المنصوص عليها فى الإعلان، وتشجيع التنقل الحر والانتشار الأوسع نطاقا والأكثر اتزانا للإعلام من خلال تطورات وسائل الإعلام.

ولقد أدى ازدياد وانتشار الصحف والمجلات، واتساع آفاق البث الاذاعى والتليفزيونى، عن طريق الربط الأرضى والأقمار الصناعية، واختراع الكمبيوتر والفيديو والتلكس والتطوير المستمر فى تقنيات الطبع والنسخ والتصوير والتوزيع وتخزين المعلومات واسترجاعها، إلى إحداث انقلاب جذرى إذا جاز التعبير فى حياة البشر وعلاقة الشعوب بعضها ببعض، نتيجة الاحتكاك اليومى المباشر بالثقافات المختلفة وبما يجرى فى العالم من أحداث وتغيرات..

هذه الثورة الاتصالية، والتى هى بطبيعة ديناميكايتها الخاصة لايمكن وقفها أو السيطرة عليها. أعطت البشرية بالتأكيد الكثير من المنافع وآفرزت أيضا بعض المساوئ، ولكن فى كل الأحوال أبرزت للوجود عالما جديداً مختلفا له ملامح مميزه كما طرحت علينا وعلى غيرنا خاصة بلدان العالم

الثالث مجموعة من التحديات تستلزم مواجهتها، ويمكن تلخيص أبرزها في:

١ ـ نتيجة تداعي الأسوار العازلة بين الأمم والثقافات، سقطت تماما امكانات إخفاء الحقائق عن الناس لزمن طويل وبالتالي لم يعد بوسع أى دولة أن تقيم حول نفسها قلاعا تحميها من رياح التغيير زو تصمها من الأضواء الكاشفة لوسائل الإعلام الدولية (انهيار الستار الحديدى مع تفكك الاتحاد السوفيتي وسقوط سور برلين ـ مجرد نموذج).. ونتيجة لتداعى الحواجز أيضا فتحت الأبواب على مصراعيها لما يسمى التهديد أو الغزو الثقافى وما نجم عنه من آثار وتأثيرات خاصة بالنسبة للمجتمعات التقليدية فى العالم الثالث، وهو الأمر الذى يفرض على أجهزة الإعلام الوطنية وضع السياسات المناسبة للمواجهة..

٢ ـ أن سقوط الحواجز الذى نجم عن ثورة الاتصال أفرز تيارات عالمية تدعو لتحرير الإرادة الإنسانية وزيادة مساحة حرية الفرد وهى التى تبلورت فى العديد من حركات التحرير المشتعلة فى بعض مناطق العالم وحركات الحقوق المدنية فى العديد من دول المشرق والمغرب على حد سواء، والتى تفاوتت فى بعض مظاهرها وصورها المختلفة بين التبشير فى الغرب بقرب موعد القيامة وبين الدعاوى السلفية فى بعض الأقطار الإسلامية إلى قيام الدولة التى تحكم بشريعة الإسلام!!.

ويمكن القول أن النظريات المتعلقة بالحرية والمسئولية وحق المواطن فى الاتصال والمشاركة فى وسائل الإعلام وحقه فى معرفة الحقائق، تشكل فى

مجموعها جوهر الاتجاهات الحديثة فى سياسات الإعلام والاتصال وتمثل حاضر المجتمعات البشرية ومامرت به من تغيرات وتحولات نتيجة التطور المستمر فى تقنيات الاتصالات وانعكاساتها على المجتمعات.

وعلى صعيد آخر وعلى مستوى الوطن العربى عامة ومصر خاصة فإن مجال التعبير بالكلمة الحرة مازال يعانى من ضغوط بعضها معلن بمقتضى قوانين وبعضها غير معلن بمقتضى تقاليد وممارسات!!.

ومهما كانت المبررات التى تدور من حول القيود على حرية الإعلام فإنها لاتساوى الكثير أمام النتائج المترتبة على هذه القيود..!! لقد حقق الإعلاميون العرب فى مواقع مختلفة بعض ضمانات حرية الكلمة من خلال النشاط العام لاتحاداتهم ونقاباتهم الوطنية ولكن لابد من استمرار ومواصلة هذا التقدم خاصة مع تزايد منجزات ثورة الاتصالات والمعلومات بأدواتها وتقنياتها والتى لم تعد يمكن معها لمالك أيا كان فرداً أو جماعة أو سطلة أن يحتكر المعلومات أو يحجبها، وبعد أن تأكد حق كل مواطن فى الوصول إلى المعلومات وبعد انتشار شبكات الانترنت وامتداد ساعات البث والارسال عبر الأقمار الصناعية فى عالم الفضاء.

إن معظم دول العالم الثالث ـ ونحن من بينها ـ تركز جهدها الإعلامى على التنمية البشرية والاقتصادية وتعزيز الثقافة الوطنية وبناء المجتمعات الحديثة للحاق بالعصر، ومن هنا تتفق الآراء على ضرورة الحوار الواسع والمشاركة الجماهيرية على اختلاف المستويات حول سياسات التنمية، باعتبار الإنسان هو وسيلة التنمية وهدفها وبما يحقق نجاح وتحقيق أهدافها، وتؤدى وسائل الإعلام بالتالى رسالتها فى هذا الإطار.

ومن هنا تتضح مدى الحاجه إلى إعلام ينقل الصورة الحقيقية للواقع القائم بكل دقائقها وبما تحتويه من جوانب إيجابية نسعى إلى ابرازها وتعميقها فى وجدان المواطن، وجوانب سلبية نسعى إلى التعرف على أسبابها وكيفية علاجها وتحويلها إلى عنصر إيجابى.

والمعالجة الإعلامية المطلوبه فى هذا الصدد تحتاج إلى الرسالة الإعلامية المناسبة والهادئة والتى تخاطب العقل أولا تحرك الوجدان بعد ذلك وأن تقوم على بحث المشكلة فى الواقع وتقديم الحلول الملائمة لها، وفى هذا لاتجدى الشعارات أو الخطاب الإعلامى الذى يأتى من طرف واحد ولكن الأسلوب الأمثل هو أسلوب الحوار والنقاش أى الأسلوب الذى يقوم على أساس تبادل الرسائل الاتصالية بين أطراف المشكلة لتوضيح كافة وجهات النظر حولها من أجل التوصل إلى حلول عملية تستهدف الصالح العام.

الإعلان وحرية الإعلام

تعتمد الصحافة فى تمويلها على التوزيع والإعلان، ومعروف أن التوزيع يعتمد على مدى جماهيرية الصحيفة وارتباطها بقضايا تجذب شرائح واهتمامات مختلفة، كما أن الكتاب وأصحاب الأقلام أيضا من عوامل اجتذاب القراء لصحيفة دون أخرى.

والإعلان أيضا يخضع لاعتبارات أهمها مدى انتشار وحجم توزيع الصحيفة داخليا وخارجيا ومدى قبول التوجهات التى تتبعها الصحيفة إذا كانت تعبر عن حزب سياسى مثلا أو مستقله.. إلخ أو مجله متخصصة

علمـيـة أو ثقـافـيـة أو خـاصـة بـالمرأة.. إلخ، ونوع السلعـة التى تسـعـى إلى الترويج لهـا.. والسؤال المثار دائماً فى الماضى والحاضر والذى سيظل قائماً بالضرورة فى المستقبل هو هل الإعلان كعنصر حاكم فى تمويل الصحـيفة وبالتالى استمرارها أو توقفها، يمكن أن يكون وسيلة للضغط على سياستها أو توجهاتها أو تناولها للقضايا العامة أو الخاصة؟! وبالتالى هل يشكل الإعلان قيدا على حرية الإعلام متمثلا فى الصحيفة أو الإذاعة أو التليفزيون؟!.

قضية تتعدد فيها الآراء ووجهات النظر..

فبالإضافة إلى مايسهم به الإعلان فى تنشيط السوق التجارية من خلال ترويج السلـع والمنتجات وتعريـف المستهلكين بأنواعـها ومزاياها وبـالتالى إقبالهم عليها بما يساعد فى الوقت نفسه على دفع عجلة الاقتصاد الوطنى، فإن هناك جانبا آخر هو مايثار من أن الإعلان يؤدى من ناحية أخرى إلى سيطرة المعلن أو صاحب الإعلان أو تأثيره على صناعة القرار.. سواء كان يتصل بسياسة اقتصادية داخلية أو تشجيع علاقة اقتصادية خارجية، وبالتالى يصبح الإعلان أحياناً فى خدمة مصالح شخصية أو خاصة وليس مصالح عامه.

والمعـروف أن بيع الوقت فى الإذاعـة المسـمـوعـة أو المرئيـة يشبـه بيع المساحة فى الصحف والمجلات والمطبوعات، فهدف الاذاعى أو الناشر هو الحصول على عائد مالى يمثل مورداً للدخل أما هدف المعلن فهو أن يكون لمنتجـاته نصيب من السوق وزيادة هذا النصيب كلما أمكن ومن هنا فإن اختيار الوقت والمكان المناسب يلعب دوراً أساسيا فى نجاح الإعلان وتحقيق هدفه. ومن المعترف به أيضا أن التليفزيون كوسيلة اتصال جماهيرية ـ

أصبح يتصور ويتفوق على أى إذاعة أو صحيفة أو أى وسيلة أخرى للإعلان.

وكذلك تلجأ المؤسسات الحكومية وغير الحكومية أو الخاصة إلى وضع معايير أو ضوابط للحيلولة دون سيطرة الاستثمارات التجارية على الوسيلة نفسها وأيضا بما لايتنافى مع القيم والتقاليد السائدة فى المجتمع أو يؤثر سلباً على العلاقات مع الأخرى ويضر بالمصالح العليا للوطن. وينظم القانون فى معظم الدول مضمون الإعلان وشكل تقديمه وتدرج التشريعات فى هذا المجال خاصة مايتصل بتأثير الإعلانات على الاطفال أو الصحة العامه أو المعتقدات والأخلاقيات.. إلخ.

نظم المعلومات وحرية الإعلام

من بين معوقات حرية الإعلام، التفاوت في الانتفاع بمصادر المعلومات خاصة العلمية والتقنيةوالبيانات المفيدة التى تحتاجها خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى البلدان النامية، وأيضا التكنولوچيا الحديثة الضرورية لمعالجة تلك المعلومات لتعظيم الاستفادة منها، الأمر الذى يرجع إلى اعتبارات اقتصادية وسياسية تتمثل فى قيود تفرضها الدول الصناعية والمتقدمة، بالإضافة إلى التكاليف الباهظة لتلك التكنولوچيات والتى تتجاوز احيانا قدره ابلدان النامية التى تفتقر إلى البنية الأساسية لنظم وشبكات المعلومات مما يضطرها للجوء إلى طلب المعونة الخارجية.

فضلاً عن أن تلك البلدان الصناعية تحتفظ لنفسها بنوع من الاحتكار فى مجال المعلوماتوالمعارف مما يعطل ويعوق حرية نقل ونشر المعلومات من

نايحة ويضع البلدان النامية فى موقف التبعية للبلدان المتقدمة من جهة أخرى.

الأمر الذى يستلزم اتخاذ تدابير وإجراءات أكثر تحرراً وأكثر اتفاقا مع مصلحة الجميع فى سبيل التوسع إلى أقصى حد ممكن فى الانتفاع بكل مصادر المعلومات، ومن خلال شبكة عالمية متطورة تحت مظلة هيئة دولية مثل اليونسكو وبما يتيح لكل أعضائها الاستفادة منها.

ولاشك أن ذلك يستدعى مساهمة كل الدول والهيئات المختصة فى الأمم المتحدة وأيضا المنظمات غير الحكومية، وبما يتوافق مع الزيادةالمتعاظمة فى حجم المعلومات المنتجة فى العالم وتزايد الأنشطة التى تتصل بتخصصات متعددة تلبى تنوع حاجات المنتفعين بها على كل المستويات الوطنية والدولية.

كما تستدعى الاتفاق على معايير وقاعد ومبادئ وتكنولوچيات لمعالجة المعلومات والاتصالات بكافة مراحلها منذ إنتاجها حتى استخدامها.

ومن المهم للبلدان النامية ـ وبينها مصر ـ تعزيز شبكات المعلومات والوطنية والتعاون مع المنظمات الدولية ذات الاختصاص فى تنظيم برامج تدريبيه لرفع مهارات وقدرات العاملين واكتساب الخبرات فى النظم الحديثة لمعالجة المعلومات وبما يتكامل مع تحقيق هدف حرية تبادل وتداول المعلومات، وعلى الوجه الذى يفيد ويتسق مع مشروعات وخطط التنمية فى البلدان النامية.

ويمثل «الإنترنت» جانباً آخر وأكثر أهمية من الصورة. فبالإضافة إلى ماتتيحه شبكات الانترنت العالمية من معلومات تفصيلية عن كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والتعليمية.. إلخ واستخداماتها المتاحة على كافة المستويات والتى تتيح كمً هائلاً من المعلومات والبيانات التى تخدم كافة القطاعات. وبعد أن قطعت مصر مرحلة كبيرة فى هذا المجال. فإن الأمر يتطلب ضمانات أو إطارات قانونية على المستوى الدولى لتفادى استغلال الانترنت فى نشر وترويج معاومات وبيانات كاذبة أو مضللة أو غير أخلاقية تحت ستار حرية تدفق الإعلام.

نموذج الإعلام الدولى وسيطرة الاحتكارات على وسائل الإعلام:

لعل حالة إمبراطورية روبرت ميردوك الاتصالية الدولية تبرز وتوضح طبيعة ملكية الشركات متعددة الجنسيات لوسائل الإعلام وأهدافها من وراء هذه الملكية.

فكلما تذكر المصادر الإعلامية أن بداية ميردوك كانت فى استراليا فى مجال الصحافة ثم فى التليفزيون بالإضافة إلى نشاط فى مجال النشر وامتلاك مصالحوعة فى الخطوط الجوية والتعدين.. إلخ ثم اتجه إلى سوق الصحافة فى بريطانيا فى السبعينيات حيث بدأ شراء الصحف واحدة بعد أخرى.. التى لم تقتصر على الصحف الكبرى بل امتدت إلى الصحف الاقليمية.. ثم بدأ مع السبعينات فى غزو سوق الصحافة فى أمريكا.. استهلها بشراء عدد من الصحف اليومية والأسبوعية ثم أمتلاك محطات تليفزيونية وشركات لنشر الكتب والتسجيلات الصوتية بالإضافة إلى فنادق ومحلات تجارية.. إلخ.

وبرغم تشكيل لجنة للاحتكارات تنفيذاً لقانون خاص بالاحتكار صدر فى بريطانيا عام ١٩٦٥ ووضع القواعد التى تراعى احترام الاستقلال التحريرى للصحف بعيداً عن الملكية فإن الواقع الذى يعلمه الجميع هو أن ميردوك يستخدم الصحف فى كل أنحاء العالم لتدعيم سياسة حكومة ضد أخرى والتدخل فيشئون تحريرها لتحقيق مصالحه الشخصية إلى حد أنه تردد فى بعض الأوقات أن ميردوك أصبح يسيطر على وسائل الإعلام فى بريطانيا!!

وهذا يدل على أن سعى الاحتكارات لامتلاك وسائل الإعلام لايستهدف مجرد تحقيق الربح بل إنهم يهدفون من وراء زيادة التوزيع إلى زيادة التأثير على الرأى العام. وتجعلهم أقدر على التأثير أيضا على القرار السياسى للحكومات خاصة أنهم يعملون فيبيئات يمكن أن تؤثر فيها قرارات الحكومات على أنشطتهم الصناعية والتجارية الرأسمالية خاصة أن هذه الاحتكارات والانشطة تشمل فى الوقت نفسه شركات للنشر وأخرى متخصصة فى إنتاج المواد الإعلامية ومواد الطباعة وأجهزة كمبيوتر وغيرها وتمتد شبكاتها وفروعها فى جميع أنحاء العالم ومن خلالها يظهر مدى قوة وإمكانية سيطرتها وتأثيرها على طموحات الشعوب الأخرى للحريات الحقيقية وفى مقدمتها حرية الإعلام؟!

نموذج للهيمنة الرعلامية فى مواجهة حرية الإعلام:

يتفق الجميع على أن الإعلام الأمريكى ووسائل الإعلام الامريكية تمتلك وتمارس أقوى الآلات والادوات والتكنولوچيا التى توفرها وسائل الاتصال.

وقد تجلى ذلك بصورة واضحة أثناء أزمة الخليج أو حرب الخليج التى أطلق عليها البعض حرب الإعلامية أو الحرب التليفزيونية، حيث كانت شبكات التليفزيون الأمريكية هى الأكثر سيطرة على الرأى العام المتابع لتلك الحرب وكانت الأسرع والأكثر تأثيرا وبالتالى تشكيل الرأى العام وتوجيهه بل وخداعه أيضا، ليس فقط داخل أمريكا بل وخارجها، وذلك بما لديها من قدرة على النفاذ لمصادر المعلومات خاصة تلك التى يراد تسريبها ونشرها وبما لديها من قدرات تكنولوچية فى كل مجالات الاتصال..

فقد هدفت الإدارة الإعلامية للأزمة أولا إلى إقناع المواطن الأمريكى بأن هذه الحرب عادلة وشريفة!! وأنها ليست فقط دفاعا عن المصالح الحيوية الأمريكية، وإنما للدفاع عن مبادئ الحرية والنظام العالمى..

وقد اكتشف الأمريكيون أنفسهم عمق التضليل والخداع الذى صاحب هذه الحملة الإعلامية حول أسباب ودوافع الأزمة، وأنه كانت هناك قيود وتوجيهات عسكرية وسياسية وإدارية.. فقد فرضت الرقابة العسكرية على تحرك المراسلين والصحفيين فى مسرح العمليات مما قيد حرية التغطية الإعلامية وبالتالى التدفق الحر للمعلومات بالنسبة للقارئ أو المشاهد وأكد ذلك الاتحاد الدولى للصحفيين فى لندن حينما أعلن أن نظام التقارير الصحفية والمؤتمرات المشتركة الذى تتبعه قوات التحالف يعوق تدفق المعلومات!!

ومن ناحية أخرى كان المواطن المصرى يتابع الرسالة الإعلامية التى تبثها محطة سى إن إن الأمريكية على مدار الساعة، والتى صوبت كل

ارسالها على المنطقة العربية طوال احتدام الأزمة لتحفر فى ذهن المواطن العربى الصورة التى تريدها الإدارة الإعلامية الامريكية ومن خلفها الإدارة السياسية الأمريكية!!.

ومن هنا تثور التساؤلات عن حقيقة مفاهيم مصداقية أجهزة الإعلام والحق فى الوصول إلى مصادر المعلومات والحق فى الاتصال وغيرها مما يدور فى اطار حرية الإعلام.. لأن الأمر كما يعلم الجميع يرتبط بممارسات وأوضاع القوة والنفوذ في المجتمع والإيدولوچية المسيطرة بصرف النظر عن أية جوانب أخلاقية أو مهنية أو قانونية.

فهناك مضامين وبرامج وموضوعات شتى سياسية واقتصادية واجتماعية وتعليمية بل وترفيهية!! وبعضها قد يتعرض لتوجيه أكثر صرامة من الموضوعات العسكرية أو التى تتصل بالأمن القومى!!

ومن هنا تأتى قوة تأثير وسائل الإعلام، ليس فقط على تزويد الأفراد بالمعارف والمعلومات بل يمتد ليشمل تشكيل الآراء والاتجاهات وتغيير أنماط السلوك فى الجماعات والنظم والمجتمع ككل.

والتأثير لايعنى بالطبع مدى توافر المصداقية ولكن هو اضطرار الفرد إلى التعامل مع مصادر إعلام خارجية والاضطرار للتعرض لما تقدمه أو تبثه تلك المصادر من معلومات وزخبار بغض النظر عن مصداقيتها أو الاهداف التى تتخفى وراءها..

ذلك أنه فى ظل المناخ المعاصر للهيمنة الكونية أصبح الدفاع عن مبدأ أو شعار التدفق الحر للمعلومات موازيا لمبدأ وشعار التدفق الحر لرؤوس

الاموال الذى يمثل الوجه الآخر للهيمنة الاقتصادية، ويصبح بالتالى مبدأ حرية وسائل الإعلام وحرية انتقال رؤس الأموال، يعنى سيطرة واحتكار الدول الأقوى والأغنى على الدول الأضعف والاكثر فقراً.. فالبلدان التى لم تحقق مستوى كاف من التطور فى مجال التكنولوجيا والاتصال تصبح معرضة لعملية غزو اعلامى وفكرى اذا التزمت طواعية أو ارغمت على الالتزام بمبدأ التدفق الحر للمعلومات، وهو مايظهر بجلاء فى ماتدعيه امريكا بأن أفكارها هى التى تمثل الحضارة العالمية المعاصر وأن على باقى الدول السير على نهجها!!..

ويمكن القول، بلا مبالغة، أن مراكز الإعلام الأمريكية والغربية المسماه بالعالمية هى التى تهيمن على حركة الانباء فى العالم وتسيطر على مصادر وتغطيات وتحليلات الأحداث، وبالتالى أصبح هناك مايمكن وصفه بالتبعية الإعلامية، على غرار التبعية السياسية والاقتصادية، للإعلام الغربى وبما يكشف مدى زيف شعار التدفق الحر للأنباء والمعلومات على أرض الواقع.

ويضاف إلى ذلك بطبيعة الحال أن النمط السائد فى ملكية وسائل الإعلام المقروءة والمسوعة والمرئية فى العالم العربى هو النمط الحكومى باستثناءات قليلة تتمثل فى بعض صحف حزبيه أو مستقله كما هو الحال فى مصر، أو محطة تليفزيونية خاصة مثل لبنان، بل أن وكالات الانباء العربية التى أنشئت أصلا لمواجهة تحيز واحتكار وكالات الأنباء الغربية، أصبحت يسيطر عليها الروح القطرية وأصبحت تستخدم كأداة فى تغذية الخلاف بين البلدان العربية بل وإشاعة الفرقة والتباعد بينها!!

وإلى جانب ذلك، كما سبقت الإشارة، هناك التبعية التكنولوچية التى تتسم بها وسائل الإعلام العربية تجاه المؤسسات الغربية التى تحتكر أدوات الاتصال مثل بنوك المعلومات والمصادر الالكترونية المتعلقة بالنشاط المصرفى وحركة العمل فى البورصات المالية، والنشاط الصناعى والمعلومات الخاصة بالثروات الطبيعية والأحوال المناخية وغيرها مما ينعكس ويؤثر بصورة مباشرة وخطيرة على خطط التنمية التى تضعها الدول العربية وبينها مصر، بطبيعة الحال - فى مختلف المجالات، والتى تضطر فيها للتعامل مع الحكومات الغربية أو الشركات المتعددة الجنسية أو المستثمرين فى المشروعات المختلفة، والتى تكون الأولوية بالضرورة لمصالحها الخاصة على حساب مصالح الشعوب العربية.

وفى ضوء ذلك لابد من الاعتراف بأن العالم العربى كبقية بلدان العالم الثالث يغرق فى طوفان المواد الإعلامية المتدفقة من الخارج سواء عبر وكالات الأنباء والبث الاذاعى والتليفزيونى عبر الفضاء. وبالنظر إلى تعدد المصادر الأجنبية فإن المواطن العربى يتعرض لتدفق إعلامى وثقافى ينافى فى مضمونه وتوقيته وطريقة تقديمه وكذا مصداقيته ماتقدمه المنابر الإعلامية المحلية.

والجدير بالذكر أن ميثاق جامعة الدول العربية جاء خاليا من أى إشارة للعمل الإعلامى إذ أغفلت المادة الثانية من الميثاق التعرض إلى هذا الموضوع بجانب الشئون الثقافية أو المواصلات!! حتى أنشئت إدارة الإعلام والنشر ثم اللجنة الدائمة للإعلام العربى فى الخمسينيات ثم انعقد

أول مـؤتمر لوزراء الإعـلام فى عـام ١٩٦٤ الذى زوصى بإنشـاء مكاتب إعلام خارجية تابعة للجامعة فى بعض العواصم، ولكن كما يعلم الجميع أنه لم تحقق النجاح والفعالية فى أداء الرسالة التى تحقق المصالح المشتركة على الوجه المنشود.

الذاتية الثقافية وحرية الإعلام

رغم التوجهات المعاصرة نحو العالمية والعولمة الا أن الذاتية الثقافية تظل تعبيراً عن تنوع الأساليب التى يمارس بها الإنسان إنسانيته، فالتنوع أمر لاغنى عنه للتقدم بل ولبقاء النوع البشرى، كما لايمكن تصور الذاتية الثقافية باعتبارها من عوامل التنوع على الصعيد العلمى بمعزل عن الانفتاح على الثقافات الأخرى وهو مايعبر عنه البعض بالحوار بين الثقافات أو الحضارات، وبالرغم من أن اللغة تعد الوسيلة الرئيسية للتعبير الثقافى فإنها تعتبر أيضا دعامة أساسية لأى نوع من الاتصال.. ومن هنا أصبحت وسائل الإعلام المكتوبه والمسموعة والمرئية هى ركيزة لتعزيز الذاتية الثقافية من ناحية وتنشيط التبادل الثقافى من ناحية أخرى.

فأحد مهام الإعلام تيسير الوعى بالذاتية الثقافية باعتبارها وعاء المشاعر القومية وتحقيق الذات، كما يقدم الآليات التى تحكم التفاعل بين الثقافات.

ولكن لابد بأن نعترف أن كلا الأمرين يواجه قيودا ومشكلات تعوق الحفاظ على الذاتية الثقافية وأيضا قيام حوار حقيقى وبناء بين الثقافات.

ففى عالم يعيش مرحلة إزالة الحواجز وتتضاعف فيه الاتصالات بين

مختلف الثقافات وتتضح معالم أطلس جديد للعلاقات بين الدول والشعوب، تفرض وسائل الإعلام بأساليبها وتقنياتها تأثيراتها الواسعة الانتشار حيث تنتقل وتترجم أنماط حياة المجتمعات وأساليب معيشتها وسولوكيات وقيمها. مما يدفع الآخرين إلى التقليد والمحاكاة الذى يؤدى فى كثير من الأحيان إلىالغربية والاغتراب وأحيانا إلى اقتلاع الجذور!! ويتمثل ذلك عند بعض البلدان فى عدم احترام التراث الحضارى واللهث وراء أشكال من الفنون والمستحدثات وتجاهل القيم الثقافية السائدة فى المجتمع، ونقل نظم تعليم أو أساليب تربوية مستوحاة من الخارج.. تؤدى إلى فجوة خطيرة خاصة إذا صاحبها نقل تكنولوجيا تتجاوز مراحل التطور التى يعيشها المجتمع أو نقل أفكار سلفية وعقائدية لاتساير مراحل تطور المجتمع المعاصر.

ومن هنا يكون الإعلام مساندا للثقافة فى تأكيد الهوية الذاتية والمشاركة الايجابية فى إقامة ديمقراطية ثقافية حقيقية تستخدم بحرية كل وسائل التعبير والاتصال والإبداع فى تحقيق الذات وأيضا فى اثراء التبادل الثقافى.

حقيقة أن مصر مثلها مثل بلدان العالم تتعرض لغزو دائم وشامل أن جاز القول من «ثقافة إلكترونية» آتية من فضاء لاحدود له ولكن لاشك أن مواجهة ذلك، ليس الحد من تأثير الانتاج الأجنبى بقدر مايكون فى إقامة صناعات ثقافية وطنية تستوحى فى إنتاجها القيم الثقافية والحضارية للمجتمع وتفجير ينابيع الإبداع بين الفنانين والمفكرين الوطنيين لكى يسهموا بأعمالهم فى الحفاظ على خصوصية الأمة باعتبارهم حراس «الذاتية الثقافية فالتكنولوچيات الإلكترونية الحديثة تؤدى دوراً فعالاً فى تجديد طرق الإبداع وأساليبه، ووسائل الاتصال تتيح قنوات عديدة

للمبدعين على امتداد الساحة العالمية فضلا عن الساحة المحلية حيث تسهم في تشجيع الإبداع الفني بجميع أشكاله وتوسيع جمهور المهتمين به بما يحقق مشاركة أكبر في الحياة الفنية والفكرية.

ولابد من التنوية هنا بما تضمنته اتفاقية المنظمة العالمية للملكية الفكرية، والتي تمخضت عن اتفاقيات جولة أورجواي عام ١٩٩٤ والتي وقعت عليها معظم دول العالم وتتيح آفاقاً واسعة للتعاون الثقافي على أساس احترام الذاتية الثقافية لجميع الشعوب، كما تؤكد أيضا العلاقة العضوية بينها وبين وسائل الاتصال وإرساء أسس جديدة للعلاقات الثقافية تستبدل بعلاقات التبعية والسيطرة روح الحوار واحترام الغير وقيم الحرية والكرامة!!

الخلاصة والتوصيات

تتأثر حياة الأفراد والمجتمعات بصورة متزايدة بما تنشره وتبثه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ومب ا تطرحه من معلومات وأفكار تنعكس بالضرورة على تشكيل الرأى العام وعلى علاقات الحكومات والمحكومين من ناحية وعلى العلاقات فيما بين الحكومات من ناحية أخرى.. فالتأثير الذى يمارسه الإعلام على مختلف المجتمعات وعلى العلاقات الدولية أصبح من الخطورة والقوة مايجعله يتفوق على أى سلاح عرفته البشرية على امتداد تاريخها، كما أن التطور المتسارع في تقنيات صناعة الإعلام مثلما يمكن أن يساهم في زيادة التقارب والتفاهم بين الشعوب فإنه يمكن ايضا أن يؤدى إلى نشوء وتفاقم ظاهرة اغتراب ثقافي وتفاوت فيما يتصل باحترام مبادئ العدالة والمساواه وحقوق الإنسان.. فقد تزايد الترابط بين الإعلام والثقافة في العصر الحديث حتى أصبحت وسائل

الإعلام والاتصال تشكل أدوات رئيسية لنشر الثقافة على أوسع نطاق ولكنها ومن خلال ذلك أيضا تشكل تهديداً خطيراً للذاتية الثقافية لشعوب كثيرة، وهو ما اقرت به المنظمات الدولية وفى مقدمتها اليونسكو فى تقاريرها المتتابعة.

إن أصل كلمة ميديا Media أو وسائل الإعلام أنها أدوات للربط تستهدف تحقيق التقارب بين الشعوب.. ولكنها فى الوقت نفسه. كما نعلم جميعا ـ حرمت الافراد من بعض امكانيات الاتصال فيما بينهم وزخلت بتوازن الحوار داخل المجتمعات حيث خلقت عدم تكافؤ بين الذين يتولون الارسال والاغلبية التى تقوم بالاستقبال.. حيث يصبح القراء والمستمعون والمشاهدون مجرد مستقبلين.. وهكذا أصبح الإعلام قوة شديدة الاثر والتأثر على الصعيدين الوطنى والدولى..

وزاد التقدم العلمى والتقنى من أوجه الاحتلال الخطيرة بين الأمم خاصة بين المتقدمه والنامية.. الأمر الذى دعا العديد من المنظمات والهيئات الدولية إلى تبنى الدعوة إلى نظام عالمى جديد للإعلام والاتصال يستلهم المبادئ التى وردت فى الميثاق العالمى لحقوق الإنسان والميثاق التأسيسى لليونسكو.. والتى ترتكز أساسا على أن لكل شخص الحق فى حرية الرأى والتعبير، والعمل من أجل تعزيز التعاون والتفاهم بين الأمم من خلال حرية تداول ونشر المعلومات والمعارف عن طريق الكلمة والصورة.

وتزداد أهمية ووضوح هذه الحقيقة فى عصر أصبح فيه الإعلام يمثل محوراً رئيسياً فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الأمر الذى يقتضى صياغة سياسات إعلامية تندرج فى خطط التنمية الوطنية وتتدفق مع الذاتية .الثقافية وتتوافق مع احتياجات كل شهب وبما يحقق مشاركة

نشطة من الأفراد والجماعات لوضع هذه القوة أى الإعلام. فى خدمة الإنسان وفى خدمة كل البشر، وعلى أساس تجنب عمليات التشوية أوالتحيز التى تسء إلى كرامة الإنسان والشعوب، وبحيث يستند النظام العالمى الجديد للإعلام، على المبادئ الإساسية للقانون الدولى كما وردت فى ميثاق الأمم المتحدة، وصولاً إلى القضاء على اختلال التوازن وأوجه التعاون التى يتسم بها الوضع الراهن وتقليل الهوة القائمة فى مجال الإعلام بين البلدان المتقدمة والنامية، وازالة الآثار السلبية لبعض الاحتكارات العامة والخاصة، واحترام الذاتية الثقافية لكل أمة وحقها فى إعلام الرأى العام العالمى بمصالحها وأمانيها وقيمها الاجتماعية والثقافية، فى اطار احترام حق جميع الشعوب فى التبادل الدولى للمعلومات على أساس المساواة والعدالة والمصلحة المتبادلة، وبما يتيح إعلاماً حراً أكثر توازناً، يجمع بين حرية تنظيم جمع وتداول ونشر الانباء والافكار والبرامج من شتى المصادر، وبين مسئولية القائمين على وسائل الإعلام من حيث التحلى بالنزاهة والحيدة والضمير والاخلاقيات المهنية.. الأمر الذى يقتضى جهداً أكبر فى تطوير وتعميق التعاون الدولى على الصعيدين الإقليمى والعالمى، ودعم آلياته والمشاركة الفعالة فى معالجة المشكلات التى تواجه النظام الإعلامى العالمى المنشود، وعقد الاتفاقات الدولية التى تحقق هذه الغاية.

وفيما يلى بعض المقترحات والتوصيات:

ـ الحفاظ على استقلال الإرادة الوطنية والذاتية الثقافية فى مواجهة تفوق الدول الكبرى والمتقدمة اعلاميا وثقافيا من خلال بناء قدرات ذاتية

فى صناعة الإعلام وبما يحقق تقليل الاعتماد على مصادر المعلومات والمواد التحريرية الخارجية، وكذا الحد من الاعتماد على استيراد معظم المواد الخام والمعدات والاجهزة اللازمة لصناعة الإعلام من تلك الدول.

ـ مساندة الجهود الوطنية فى القضاء على الأمية الأبجدية والثقافية التى يرتبط انتشارها وآثارها بالادراك والوعى العام بحقوق الإنسان وحرياته والتى تشمل حرية الإعلام.

ـ زيادة العناية بتأهيل العاملين فى حقل الإعلام بما يدعم قدراتهم على التعامل مع منجزات علوم وتكنولوچيا الاتصال من خلال التطوير الشامل لمناهج كليات الإعلام والتدريب المستمر للكوادر الإعلامية.

ـ أن تراعى وسائل الإعلام تقديم الحقائق كاملة والمعالجة لموضوعية للمسائل التى تشغل اهتمام الرأى العام وعرض كافة الأفكار المتعلقة بها بحيدة تامة والسعى إلى خلق القنوات التى تربط المتلقين ووسائل الإعلام باستخدام كافة التقنيات المتاحة.

ـ تكثيف الاهتمام بانتاج البرامج الخاصة بالأطفال التى تدعم الشخصية القومية فى مواجهة البرامج والإنتاج المستورد من الشركات العالمية الذى لايعبر عن البيئة الوطنية أو القيم العربية، وبما يدعم الهوية والذاتية الثقافية للمواطن منذ مراحل التنشئة المبكرة، ويحد من الآثار السلبية للمنتجات الإعلامية الأجنبية.

ـ صياغة تنظيم لاستخدام الاعلان فى وسائل الإعلام بما يحقق التوازن بين كون الاعلان مصدرا هاما للدخل بالنسبة للمؤسسات والأجهزة

الإعلامية وبين مضامين هذا الإعلان بحيث تتحاشى بث القيم التى تتعارض مع القيم والتقاليد السائدة فى المجتمع أو تشجيع سلوكيات وإنماط تتنافى مع الاتجاهات السوية.

ـ إنشاء شركات عربية مشتركة لمستلزمات الإنتاج فى المجال الإعلامى كشركة لإنتاج الشرائط بأنواعها المختلفة وشركة لإنتاج ورق الصحف وغير ذلك مع دراسات جدوى اقتصادية تشمل التمويل والتسويق وبما يحقق ترشيد استيراد مستلزمات الإنتاج الإعلامى وإتاحة الفرصة لقيام صناعة قومية فى مختلف مجالات الإنتاج الإعلامى المقروء والمسموع والمرئى.

ـ استخدام الأساليب غير المباشرة فى الرسالة الإعلامية كالمسلسلات والقصص فى الأعمال الدرامية وتوظيف التراث فى خدمة الأهداف الاجتماعية المعاصرة وفى مقدمتها الاتجاهات البناءة وتعميق جذور الانتماء تجاه قضايا تنمية المجتمع..

ـ زيادة مساحة البرامج التى تسهم فى زيادة مجالات المعرفة ويحقق التوزان المعرفى بين الأقطار العربية بالإضافة إلى تيسير نقل وعرض وتبادل كافة المنتجات الإعلامية والثقافية.

اكتوبر ١٩٩٩ **اعداد: شوقى الكيال**

وفى ظل متغيرات نظام الإعلام الدولى، والعلاقة الوثيقة التى تربط وسائل الإعلام بالمجتمع، والأخلاقيات ومواثيق الشرف التى تحكم السياسة الإعلامية ودورها.. قدمت شعبة الإعلام بالمجالس القومية المتخصصة دراسة قيمة بعنوان «أخلاقيات الإعلام» جاء فيها:

فى ظل التطور الكبير المتلاحق للإعلام المحلى والعالمى فى السنوات الأخيرة: تعاظمت المسئوليات الملقاة على عاتق وسائل الإعلام المصرية؛ فى سعيها للحفاظ على قيم الشعب المصرى ومبادئه، حماية للأجيال الناشئة مما قد تتعرض له من أخطار تهدد أخلاقياتها ومثلها العليا.

ومن المهم التأكيد على أن قضية أخلاقيات الإعلام ليست قضية مصرية أو عربية، لكنها قضية عالمية تثير الآن اهتمام وقلق الكثير من دول العالم، نتيجة لتوسع وسائل الإعلام الحديثة فى نشر وإذاعة وبث مساحات متزايدة من الموضوعات التى تتعلق بالعنف والجريمة، والجنس والإثارة، وأساليب الابتزاز واختراق خصوصيات الأفراد، وألوان الترفيه والتسلية الهابطة، والخلط بين الإعلام والإعلان، بما يؤدى إلى تكوين رأى عام مشوه؛ من السهل أن ينقاد أو يوجه فى غياب الحقائق والموضوعية.

وفى الوقت نفسه تتناقص نسبةماينشر ويذاع ويبث من الموضوعات الجادة التى تتعلق بالعلم والثقافة والفن، وألوان الترفيه الجادة.

وقد تضافرت عدة متغيرات محلية ودولية تجعل من قضية أخلاقيات الإعلام واحدة من أهم القضايا التى تحتل موقعا متقدما فى أولويات الأهمية لدى غالبية شعوب العالم، وأهم هذه المتغيرات:

١ ـ تغيير النظام الإعلامى الدولى من الطابع الثنائى الذى يقوم على سيطرة النظامين الإعلاميين: الغربى الليبرالى، والشرقى الاشتراكى، إلى طابع النظام الإعلامى الدولى الواحد الذى يقوم على سيطرة النظام الإعلامى الغربى، وهيمنة قطب واحد على هذا النظام، هو الولايات المتحدة الأمريكية.

إن المحتوى الإعلامى لهذا النظام الدولى الجديد تتحكم فيه الاعتبارات التجارية التى تقوم على عنصر الربح، إنه إعلام السوق، وهو إعلام استهلاكى، يسعى لأن يقدم للمشترين السلعة التى يرغبون فيها، بصرف النظر عن قيمتها الثقافية أو التزامها الأخلاقى.

٢ ـ أدى الاندماج بين ثورتى المعلومات والاتصال، الذى تمثل فى التزاوج بين تكنولوچيا الحاسب الآلى وتكنولوچيا أقمار الاتصال الصناعية، إلى تدفق الملايين من الأنباء والمعلومات والصور والأفكار والآراء عبر الدول والقارات والمحيطات، بطريقة فورية، مكتوبة ومسموعة ومرئية، وأصبح الراديو الفضائى والقنوات التليفزيونية الفضائية حقيقة واقعة.

ورغم ماصاحب هذا التطور فى تكنولوچيا الإعلام الفضائى من فوائد،

إلا أنه حمل شرورا لا حد لها، فالقنوات الفضائية الجنسية المفتوحة والمشفرة تقتحم اليوم حرمة البيوت، ولاتحترم قيمة ولاترعى تقليدا، ولاتفرق بين طفل وكهل، وبين فتاة وامرأة، وبين شاب وعجوز، فهى تدمر فى طريقها كافة القيم والأعراف والتقاليد، وبخاصة فى منطقة محافظة كمنطقتنا العربية، التى مايزال فيها للقيم حرمة وللأخلاق احترام.

وهناك بعض الفضائيات العربية التى لايقل خطرها عن ذلك، رغم أنها تتحدث فى أمور الدين والسياسة والاقتصاد والحرب، حيث تتبنى أسلوب الإثارة الذى يقوم على تبادل الاتهامات، وقلب الحقائق، وتزييف التاريخ، وإثارة النعرات الطائفية، وتحويل انتصارات الأمة إلى هزائم. وقد تطورت ممارسات بعض هذه الفضائيات إلى التنافس والصراع، ليس من أجل تقديم الأجود والأرقى، وإنما فى مخاطبة غرائز المشاهدين ودغدغة عواطفهم فى غياب كامل لأخلاقيات الإعلام.

وقد انبعثت عن ثورتى الاتصال والمعلومات وسيلة إعلام جديدة، هى الإنترنت، التى تحقق بفضلها لأول مرة فى تاريخ الإعلام الجماهيرى؛ مانسميه بالإعلام التفاعلى، الذى كان قاصرا على الإعلام المباشربنمطيه الشخصى والجمعى، ولكنه امتد عبر الإنترنت ليشمل وسائل الإعلام الجماهيرى، وصار التفاعل المتبادل والفورى بين المرسل والمستقبل فى وسائل الإعلام الجماهيرى ممكنا، وأصبح فى مقدور المتلقى أن يبعث بالرسائل الإعلامية، فهو مستقبل ومرسل فى آن واحد، وهو جمهور وقائم بالاتصال فى ذات الوقت.

وفى الوقت الذى يتدعم فيه وجود الإنترنت كوسيلة اتصال نافذة، ويزداد جمهورها والمتعاملون معها يوما بعد يوم، فإن مايتكشف عنها من أخطار يزداد بالقدر نفسه، حيث اختلطت الرسائل الإعلامية الجادة بالرسائل الإعلامية الهابطة، وأصبح من الصعب التعرف على ماتبثه الإنترنت من حقائق وسط زحام الادعاءات والأكاذيب.

٣ ـ لقد أدى تغير النظام الإعلامى الدولى إلى إعطاء قدر متزايد من الحريات لوسائل الإعلام فى دول العالم الثانى والثالث، وذلك حتى توائم أوضاعها الإعلامية مع طبيعة النظام الرعلامى الدولى الجديد، وهو نظام يقوم على الفكرة الليبرالية بما تمثله من إيمان بحرية وتعددية وسائل الإعلام.

وبصرف النظر عن مدى مصداقية مايبديه هذا النظام الجديد من دفاع عن حرية الإعلام وتعدديته، فإن الواقع يؤكد ازدياد مساحة الحرية الإعلامية فى العديد من دول العالم، وبصفة خاصة فى مصر وبعض البلدان العربية.

والمعروف أنه كلما زادت مساحة الحرية فى مجتمع ما؛ ظهرت الحاجة إلى موازنة هذه الحرية بفكرة المسئولية، وذلك لمواجهة الآثار الجانبية السلبية لتزايد الحرية الإعلامية، ومن أبرزها فى مجال الصحافة مثلا: ظهور مايسمى بالصحافة الصفراء أو صحافة الإثارة أو صحافة دفتر الشيكات، وهى تلك الصحافة التى تقوم على التوسع فى أخبار العنف والجريمة وأخبار الجنس والفضائح، والتى تلجأ إلى اقتحام حرمة الحياة

الخاصة للمواطنين وتطعن فى الأعراض وتخوض فى سمعة الأفراد بدون دليل أو وازع من القيم أو الأخلاق.

وهذه الظواهر السلبية يمكن أن نجدها أيضا فى بعض المحطات الإذاعية والقنوات التليفزيونية والفضائيات الخاصة، وفى كثير من المواقع بالإنترنت.

١ ـ خلفية تاريخية:

بدأت منذ العشرينيات من القرن العشرين مراجعات نقدية لأوضاع الصحافة وحريتها، فى إطار المتغيرات التى أثارت قضية مسئولية الصحافة الأخلاقية، وبلغت هذه المراجعات ذروتها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، عندما تشكلت لجنة لحرية الصحافة فى الولايات المتحدة مكونة من اثنى عشر استاذا أكاديميا، وأجرت دراستها على الصحافة الأمريكية، وقدمت تقريرها فى كتاب كامل عام ١٩٤٧ بعنوان (صحافة حرة مسئولة)، ووافق الممارسون على أن الحرية لابد أن ترتبط بالمسئولية.

ولقيت هذه الدعوة صدى إيجابياً داخل الولايات المتحدة وخارجها من بلدان أوروبا، وفى مقدمتها المملكة المتحدة، فتشكلت اللجنة الملكية الأولى للصحافة عام ١٩٤٩، ودعت إلى ضرورة إحساس العاملين فى الصحافة بمسئولياتهم الاجتماعية، حيث تقوم الفكرة المحورية لذلك على التنظيم الذاتى الاختيارى لمهنة الصحافة، وتشكيل مجلس للصحافة.

ودارت الأفكار فى هذا المجال على أن وسائل الإعلام يجب أن تقبل وتنفذ التزامات معينة تجاه المجتمع، من خلال معايير أخلاقية للمهنة، مثل

الدقة والموضوعية والتوازن، وأن تنظم هذه الوسائل نفسها بشكل ذاتى، وأن تتجنب نشر مايمكن أن يؤدى إلى الجريمة والعنف والفوضى الاجتماعية، وأن تعكس وسائل الإعلام تنوع الآراء، وتلتزم بحق الرد.

وطرحت بعض الحلول التى تتمثل فى التنظيم الذاتى من خلال مواثيق الشرف المهنية، ولكن هذه الأفكار لم تتح لها فرصة التنفيذ بشكل كامل، إذ رأى فيها البعض خطراً على حرية الصحافة، وإن كانت قد حققت بعض النتائج الإيجابية فى بعض دول أوربا؛ كالسويد التى أنشأت منذ عام ١٩١٦ محكمة شرف للصحافة لبحث الشكاوى الموجهة ضدها، فى إطار مجموعة من المعايير الأخلاقية، مثل فصل الوقائع عن الآراء وتجنب الوصف التفصيلى للجريمة، وعدم نشر أسماء المشتبه فيهم أو الكشف عن شخصيتهم، لتأثير ذلك ليس على الشخص وحده بل وعلى أسرته أيضا.

وقد بدأ تدوين قواعد للسلوك المهنى فى شكل مواثيق للأخلاقيات منذ العشرينات، وإن كان أغلب المبادئ التى تتضمنها هذه المواثيق يصاغ فى عبارات أو مبهمة، وبالذات مبادئ الموضوعية والحيدة والصدق، ورغم ذلك فأهمية هذه المواثيق ترجع لكونها تعد بمثابة توجيهات داخلية لقرارات الإعلامى فى مختلف المواقف والموضوعات التى يواجهها أثناء عمله.

وتسعى مواثيق الشرف الإعلامية إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١ ـ حماية الجمهور من أى استخدام غير مسئول للإعلام، أو استخدامه للدعاية أو لتحريف الوقائع أو الوصف المشوه للحقائق، أو عدم الإنصاف أو

التشهير والقذف والاتهام بالباطل، أو انتهاك الحياة الخاصة.

٢ ـ حماية الإعلاميين من أن يتحولوا بأى شكل من الأشكال ـ لقوة لاتقدر مسئولياتها، أو يتعرضوا لأى ضغط ليقولوا أو يفعلوا مايتعارض مع ضمائرهم.

٣ ـ ضمان حق الرد والتصحيح.

وقد عرفت مصر مواثيق الشرف منذ الأربعينيات، وبعد إنشاء نقابة الصحفيين في مصر عام ١٩٤١، صدرت لائحة لآداب مهنة الصحافة فى سبتمبر ١٩٦٤، وافقت عليها الجمعية العمومية غير العادية لنقابة الصحفيين، وتضمنت ٢٣ قاعدة من بينها: احترام حقوق الزمالة فى أسرة الصحافة، وصيانة أسرار المهنة والدفاع عن شرفها، والبعد عن كل مامن شأنه استغلال أو إكراه الصحفى، وضرورة الالتزام بالآداب العامة.

وصدر فى عام ١٩٧٢ ميثاق آخر لشرف العمل الصحفى عن الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين، وميثاق شرف للإذاعيين عام ١٩٧٩، إلا أن هذين الميثاقين ظلا مجرد حبر على ورق، ولم يكن هناك أى شكل من أشكال المتابعة لتطبيقهما ومحاسبة الذين ينتهكونهما.

ثم صدر ميثاق للشرف الصحفى عن المجلس الأعلى للصحافة ـ فى مارس ١٩٨٣، وأعطى قانون سلطة الصحافة، رقم ١٤٨ لسنة ١٩٨٠، للمجلس سلطة وضع القواعد الكفيلة بضمان احترام هذا الميثاق وتنفيذه، وجعل المجلس هذه المهمة من مهام لجنة القيم ـ إحدى اللجان الفرعية ـ وبدأ المجلس فى إصدار تقارير دورية للممارسة الصحفية للصحافة المصرية

منذ عام ١٩٨٦، وتتم مناقشة هذه التقارير فى جلسات المجلس كله، وإن كان تأثير هذه التقارير غير ملموس، لعدم نشر نتائجها على الرأى العام، لتحقيق الهدف الحقيقى من هذه التقارير.

وجاء القانون الحالى لتنظيم الصحافة، رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٦، فأعطى نقابة الصحفيين حق صياغة ميثاق الشرف الصحفى، على أن يصدر عن المجلس الأعلى للصحافة، وبالفعل صدر هذا الميثاق عام ١٩٨٨، كما جاء هذا القانون ملزما الصحف بنشر التقارير الدورية التى يعدها المجلس لمتابعةوتقييم ما تنشره الصحف، ومدى التزامها بآداب المهنة وميثاق الشرف الصحفى، وإن كانت الممارسة الفعلية قد كشفت أن هذا الالتزام قد جاء من بعض الصحف دون غيرها.

٢ ـ المبادئ الأخلاقية للإعلام:

تدور المبادئ الأخلاقية الخاصة بالإعلام حول المحاور التالية:

أولا: الأخلاقيات المتصلة بتعامل الإعلامى مع مصادره:

من أهم المبادئ الأخلاقية فى هذا المجال: مبدأ الحفاظ على سرية المصادر، أو مايسمى بسر المهنة، وهو ضمانة أساسية لممارسة العمل الصحفى والإعلامى، يساعد الإعلامى فى الكشف عن الفساد والانحرافات فى المجتمع، حيث قد يحصل على بعض المعلومات المهمة من بعض مصادره الذين قد يطلبون عدم الكشف عن هويتهم، وأن يتعهد الإعلامى الالتزام بذلك، إذ قد تخشى هذه المصادر أن يتسبب نشر أو إذاعة هذه المعلومات على لسانها فى الإضرار بها، كأن تفقد وظيفتها أو تتعرض لأى شكل من أشكال الإيذاء.

وقد أقر قانون سلطة الصحافة فى مصر، رقم ١٤٨ لسنة ١٩٨٠، هذا المبدأ، وكذلك القانون الحالى، رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٦، إذ نص فى مادته الثامنة على ضمان حق الصحفى فى الاحتفاظ بسر المهنة، وعدم جواز إجباره على إفشاء مصادر معلوماته، وورد هذا النص أيضا فى ميثاق الشرف الصحفى الذى صدر سنة ١٩٩٨، وفى ميثاق شرف الإذاعيين الصادر عام ١٩٧٩. ومن الملاحظ قلة ضغط رؤساء التحرير على محرريهم لإجبارهم على إفشاء أسرار مصادرهم، وأن هناك حرصاً على احترام هذا المبدأ من جانب الطرفين: الصحفيين والقيادات الإعلامية.

ومن المهم الحذر من التوسع فى نشر المواد الصحفية المجهولة المصدر، تجنباً لنشر قصص صحفية مختلفة، كما أن المعلومات التى تم الحصول عليها من مصادر سرية يجب أن تعامل بعناية، ويفضل عدم استخدامها إلا بعد بذل كل الجهد الممكن لتدعيمها من مصادر علنية تؤكدها.

ثانياً: مواثيق الشرف الإعلامى:

ومن المبادئ الأخلاقية التى قد تتضمنها مواثيق الشرف الإعلامى أيضا - وإن كانت مسألة خلافية رفض مبدأ الاعتماد على وسائل غير مشروعة فى الحصول على الأخبار والمعلومات والصور، ومن ذلك سرقة الوثائق والمستندات، أو تنكر الصحفى أو الإعلامى فى شخصية أخرى غير شخصيته الحقيقية، لخداع الناس والحصول منهم على هذه المعلومات.

ويبرر الإعلاميون، الذين يتبعون مثل هذه الوسائل، ذلك بأن غايتهم شريفة ونبيلة، وهى الكشف عن الحقائق وفضح الفساد، إلا أن بعض الإعلاميين المثاليين يرون أنه لابد أن تكون وسائلنا مثل أهدافنا تماما.

ثالثا: الأخلاقيات الخاصة بتعامل الإعلامى مع جمهور وسائل الإعلام:

ويأتى فى مقدمة هذه المبادئ الأخلاقية عدم اختراق الخصوصية، حيث إن لكل منا حياته الخاصة التى يحرص على أن تظل بعيدة عن العلانية والتشهير، فالنشر عن الحياة الخاصة لايفيد الصالح العام، بل إن الخوض فيها يمس حقا من حقوق الإنسان، وهو حريته الشخصية فى التصرف، والعمل بدون أى رقيب سوى ضميره، ويترتب على مخالفة هذا المبدأ أحيانا ـ الوقوع تحت طائلة القانون، ولكن تظل المشكلة دائما إلى أى حد يمكن أن تبحث وسائل الإعلام عن المعلومات دون أن يشكل ذلك اعتداءً على حقوق الآخرين، وحق الفرد فى الحفاظ على أسرار حياته الخاصة؟

وهناك عناصر عدة تشكل اقتحاما للخصوصية منها:

(أ) التطفل على الشئون الخاصة للآخرين، وقد يستخدم الصحفيون أو الإعلاميون لتحقيق ذلك أساليب ملتوية مثل كاميرات أو ميكروفونات خفية.

(ب) الكشف عن الأسرار الخاصة ونشرها أو عرضها بشكل علنى.

(جـ) تسليط أضواء زائفة على شخصيات عادية، مما قد يسبب لهم متاعب أو مشاكل، أو سمعتهم إلى سمعتهم ويضر بعائلاتهم.

د) استغلال اسم شخص أو صورته في تحقيق مزايا معينة لشخص آخر بدون تصريح منه بذلك، كأن يستغل اسم شخص وصورته فى الترويج لسلعة أو خدمة معينة.

ويتمتع الشخص العام، أو من يتولى وظيفة عامة ومن فى حكمها، بحقه فى الخصوصية، على أن هذا الحق يتوقف إذا ماأثرت الحياة الخاصة لهذه الشخصيات بشكل مباشرعلى واجبات وظيفتهم العامة، حيث يمكن لوسائل الإعلام هنا أن تتعرض للحياة الخاصة لهذه الشخصيات، دون أن يعد ذلك اعتداءً على الخصوصية.

ورغم أن قوانين الصحافة فى مصر، وقانونها الحالى رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٦ ـ تؤكد على مبدأ حماية الحق فى الخصوصية، وكذلك عدم انتهاك حق من حقوق المواطنين أو المساس بإحد يحرياتهم، أو التشهيرالمتعمد بهم وتشويه سمعتهم والإفتراء عليهم، غير أن الواقع العملى يكشف أن بعض الصحف كثيرا ما تخترق الحق فى الخصوصية، وتنتهك حق المواطنين فى أن تظل حياتهم الخاصة بعيدا عن العلانية، وذلك سعيا وراء الإثارة واستغلال فضول القراء واجتذابهم.

وفى الوقت نفسه ظهرت بعض المحطات التليفزيونية والقنوات الفضائية العربية التى سارت فى الاتجاه نفسه.

رابعاً: المقابل الموضوعى لحرية وسائل الإعلام:

ومن المبادئ المهمة أيضاً: قيام الإعلاميين ووسائل الإعلام بتصحيح ما قد يقعون فيه من أخطاء غير متعمدة فى حق الأفراد والهيئات وغير ذلك، وتصويبها فى إطار الالتزام بحق التصحيح والرد، كمقابل موضوعى لحرية وسائل الإعلام فى النشر والإذاعة.

وقد نظم قانون الصحافة فى مصر، رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٦، وذلك فى المواد من ٢٤ إلى ٢٩، ورن كان هذا الحق غير مقر حتى الآن فى وسائل الإعلام الإلكترونى، رغم صدور قرار من وزير الإعلام ينظم حق التصحيح والرد فى الإذاعة والتليفزيون.

وتوضح الممارسة العملية أن هناك مشاكل فى تطبيق حق التصحيح والرد فى الصحف المصرية، فبعض الصحف لاتلتزم بنشر تصحيح ماسبق أن نشرته، ويفتقر كليا أو جزئيا للدقة أو الصحة، أو يحتاج إلى تعقيب من ذوى الشأن، وذلك رغم كل الضمانات التى وضعها قانون الصحافة فى هذا الشأن.

وبعض الصحف التى تنشر مايرد إليها من تصحيح ورد؛ لاتلتزم بالشروط التى حددها القانون لنشر التصحيح، مثل النشر فى نفس المكان الذى نشرت به المادة التى استوجبت التصحيح أو الرد، إذ أنه غالبا ماتنشر هذه التصحيحات فى باب بريد القراء، رغم أن ماسبق نشره، واستوجب الرد، جاء بالصفحة الأولى من الصحيفة، كما أن بعض الصحف لاتلتزم بإعطاء صاحب التصحيح ضعف المساحة التى نشرت بها المادة التى تطلبت هذه التصحيح، ولا تلتزم أيضا بالموعد المحدد لنشر التصحيح (خلال ثلاثة أيام من وصول التصحيح للصحيفة اليومية وأول عدد من الصحف غير اليومية).

إضافة إلى كل ماسبق؛ فإن هناك مشكلة عامة بالنسبة لمن نشر عنهم مادة صحفية تفتقر إلى الصحة أو الدقة أو تتضمن اتهامات أو تشهيراً أو

اقتراءات تضر سمعتهم، حيث لايوجد مايضمن أن من قرأ المادة التى تضمنت الأكاذيب أو التشهير سيقرأ التصحيح والرد.

٣ ـ أخلاقيات الإعلان:

هناك مجموعة من المبادئ الأخلاقية فى مجال الإعلان أهمها:

١ ـ ضرورة تمييز المادة الإعلانية عن المادة التحريرية بعلامة واضحة، وخاصة بالنسبة للإعلانات التحريرية (فى شكل تقرير إخبارى أو مقال أو حديث صحفى أو تحقيق)، والتى قد يؤدى نشرها بغير إشارة إلى طبيعتها كإعلان؛ إلى اعتقاد القراء بأنها تعبر عن رأى الصحيفة أو وسيلة الإعلام. وتزداد خطورة هذه المسألة فى حالة الإعلنات السياسية عن بعض الدول الأجنبية، التى تنشر عادة فى شكل مقال أو حديث أو تحقيق، أو فى شكل ملحق خاص يسجل إنجازات هذه الدولة الأجنبية وسياساتها.

ويلاحظ أن هذا النوع من المادة الإعلانية المستترة خلف الأشكال التحريرية قد بدأ ينتشر فى بعض صحفنا، ومما قد يزيد الأمور تعقيدا أن هذا قد يتم أحياناً بدون علم إدارة الصحيفة، أو المسئولين عن الإذاعات أو قنوات التليفزيون، وإن كان اكتشاف مثل هذه الحالات يواجه من جانب القيادات الصحفية والإعلامية بإجراءات قانونية وإدارية مشددة.

٢ ـ تقييد نشر الإعلانات الخاصة بالطب والمنتجات الصيدلية، والإجهاض والخمور والمخدرات والسجائر والمراهنات والمقامرة.

وتكشف التجربة العملية فى مصر أن وسائل الإعلام تلتزم بمبدأ عدم نشر الإعلانات الخاصة بالطب والمنتجات الصيدلية وكذلك بعض المواد الغذائية الخاصة بالريجيم وغير ذلك؛ إلا بتصريح من وزارة الصحة.

وإذا كانت الإذاعة والتليفزيون فى مصر ملتزمة بعدم نشر الإعلانات الخاصة بالسجائر، إلا أن هذا مسموح به فى الصحف، وإن التزمت بنشر التحذير من التدخين.

وقد أثار قيام إحدى الصحف الكبرى أخيرا بنشر إعلان عن الخمور رد فعل عنيف ليس من جانب الرأى العام وحده، وإنما بين العاملين فى هذه الصحيفة نفسها، مما أدى إلى عدم تكرار نشر مثل هذا الإعلان.

٣ ـ تقييد نشر الإعلانات التى قد تنطوى على قذف أو سب أو انتهاك للآداب، أو تحريض على ارتكاب جريمة، أو اعتداء على حقوق الغير.

وهناك التزام ـ بشكل عام ـ بهذا المبدأ الأخلاقى، وإن كان هذا لايمنع من تسرب بعض الإعلانات المضللة، وخاصة فى الأجزاء الخاصة بالإعلانات المبوبة.

٤ ـ تحديد نسبة المادة الإعلانية، بحيث لاتزيد عن نسبة معينة، اتفق دوليا على ألا تزيد عن ٤٠ ٪ من المساحة الكلية، حتى لاتطغى المادة الإعلانية على المساحة المخصصة للمادة التحريرية.

٥ ـ وضع خطوط توجيهية خاصة بمضمون الإعلانات، وما قد تشجعه من قيم وسلوكيات قد لاتتفق مع المعايير والممارسات القومية، أو تتعارض مع سياسات التنمية الوطنية والجهود الساعية لحماية الهوية الثقافية، أو قد تؤثر بشكل سيء على الأطفال والمراهقين، خاصة مع تأثيرات العولمة والإعلانات الخاصة بالشركات متعددة الجنسيات، التى تبث إعلاناتها عبر وسائل الإعلام فى كثير من الدول.

٦ ـ عدم استغلال المرأة والطفل فى الإعلانات كأداة ترويجية، وخاصة فى التليفزيون، ومن الملاحظ أن هذا الاتجاه قد أخذ فى التراجع، إلا أننا مازلنا نشاهد عشرات الإعلانات التى مازالت تنهج هذا الأسلوب، من أجل جذب المشاهدين وترويج بعض السلع.

٧ ـ محاولة المراجعة والتثبت من سلامة مايتضمنه الإعلان من مزايا للسلعة المعلن عنها، فى بعض الحالات التى يمكن فيها القيام بذلك، وذلك لضمان ألا يضلل الإعلان الجمهور.

وقد تلجأ بعض وسائل الإعلام، بدافع من إحساسها بالمسئولية، إلى تجنب نشر أو بث بعض الإعلانات حول سلع أو خدمات تختلف حولها الآراء، أو تحوم حولها الشبهات، أو تفيد الدلائل أنها قد تنطوى على تحايل أو تضليل، فالجمهور يصدق الإعلان لأنه يصدق الصحيفة أو الوسيلة الإعلامية التى تنشره.

ورغم عدم وجود ميثاق خاص لأخلاقيات الإعلان فى مصر حتى الآن، وإن كانت هناك بعض الاجتهادات من جانب الجمعية المصرية للإعلان ـ إلا أن قانون الصحافة الحالى، وكذلك قانون اتحاد الإذاعة والتليفزيون، رقم ١٣ لسنة ١٩٧٩، وكل من ميثاق الشرف الصحفى وميثاق شرف الإذاعة والتليفزيون ـ قد تضمنت عدداً من المواد والنصوص والمبادئ الخاصة بأخلاقيات الإعلان، وإن كان المحك الحقيقى لذلك هو: مدى الالتزام بتطبيق هذه المبادئ الأخلاقية على ماينشر أو يذاع من إعلانات.

٤ ـ أخلاقيات السياسات التحريرية:

هناك عدد من المبادئ الأخلاقية التى تتعلق بالسياسات التحريرية لوسائل الإعلام، ومن هذه المبادئ.

١ ـ الصدق والدقة فيما يقدم من مواد وتقارير إعلامية.

٢ ـ الإنصاف والتوازن وتجنب التحريف أو التشوية، أو ذكر أنصاف الحقائق.

٣ ـ التمييز بوضوح بين ماهو خبر أو وقائع وبين ماهو رأى أو استنتاجات، ونشير هنا إلى أن هذا المبدأ من المبادئ المقدسة، ويتصل بعدم خلط الخبر بالرأى.

٤ ـ حق المواطن العادى فى المعرفة.

ورغم أن هذه المبادئ مقررة فى قانون الصحافة وقانون اتحاد الإذاعة والتليفزيون، وكذلك فى ميثاق الشرف الصحفى والإذاعى فى مصر، غير أنه من الأمور اللافتة النظر أن كثيراً من هذه المبادئ يتم انتهاكها بشكل واضح فى بعض الصحف، وخاصة بعد التنوع فى نوعياتها بين صحف قومية وحزبية وصحف مستقلة، إلى جانب انتشار الصحف المتخصصة فى الرياضةوالفن والحوادث.

٥ ـ حقوق الزمالة:

هناك أخلاقيات خاصة بحقوق الزمالة بين الإعلاميين من أهمها:

تأكيد الاحترام المتبادل بين الزملاء الإعلاميين، والامتناع عن القذف

أو السب فى حق زميل من زملاء المهنة أو معاملته معاملة غير لائقة، أو قبول القيام بعمله مقابل أجر أقل. ويدخل فى هذا أيضاً انتحال آراء الغير ونسبتها إلى نفسه، أو سرقة مادة إعلامية لزميل ونشرها وإذاعتها.

وتعود أهمية هذه المبادئ الأخلاقية إلى الحفاظ على المجتمع متماسكاً، متفرغاً لرسالته يليق أن يستغل الإعلاميون مايملكون من أدوات التأثير الإعلامى للدخول فى معارك جانبية وخلافات شخصية، أو أن يشغلوا القراء والمستعمين والمشاهدين بمثل هذه الأمور.

وتجدر الإشارة إلى ندرة مثل هذه الأمور فى وسائل الإعلام المصرية حالياً، وإن كان هذا لايمنع أن يشارك الإعلاميون فى معارك فكرية ومناقشات موضوعية قد يختلفون خلالها فى الرأى دون أن تصل إلى الابتذال أو انتهاك حقوق الزمالة.

ويتضمن كل من ميثاق الشرف الصحفى وميثاق شرف الإذاعيين نصوصاً تؤكد على هذا المبدأ.

٦ ـ الإعلام والمجتمع:

وقد استقرت الأخلاقيات الخاصة بعلاقة وسائل الإعلام بالمجتمع وقيمه وعاداته وتقاليده، ويدخل فى ذلك الأمور التالية:

أولاً: تجنب نشر أو إذاعة أية مواد إعلامية تدعو أو تشجع ،على ارتكاب الفحشاء أو إشاعة الانحلال والابتذال والخروج عن الآداب العامة والأخلاق العامة:

وتكمن المشكلة هنا فى تحديد ماهو لائق أو غير لائق، وقد اعتبرت إحدى المحاكم الإنجليزية أن العمل الأدبى يكون غير لائق إذا اشتمل أى جزء منه على إفساد الأخلاق وإثارة الشهوات، من خلال تصوير الممارسات الجنسية، وأن جميع المواد المثيرة للشهوة الجنسية من كتابات أو صور تعد مواد غير لائقة، ويشترط فى اعتبار مادة إعلامية غير لائقة مايلى:

- أن تكون فكرتها الأساسية مستميلة للغريزة الجنسية ومحرضة أو معتمدة عليها.

- أن يكون مانشر أو أذيع مستهجناً من جانب المجتمع ومعاييره.

- أن يكون العمل خالياً تماماً من أى قيمة اجتماعية أو علمية أو فنية.

وتزداد خطورة هذه المشكلة مع التطور الكبير فى تكنولوچيا الاتصال، وظهور وسائل إعلام جديدة يصعب التحكم فيها أو السيطرة عليها بأى شكل من أشكال الرقابة الخارجية، مثل الإنترنت، والقنوات الفضائية التى تبث مباشراً، إلى جانب ظهور نوعية من الصحف التى تعتمد على الإثارة الجنسية والعنف والجريمة، سعياً وراء المنافسة والربح.

ثانيا: عدم التأثير على العدالة، ضماناً لحسن سيرها، من خلال الالتزام بمجموعة من المبادئ الأخلاقية، ومنها:

١ - أن المتهم برىء حتى تثبت إدانته، فلا يصح إدانة أى مهتم على صفحات الصحف أو عبر القنوات والإذاعات قبل أن تتم محاكمته أمام قاضيه الطبيعى، ويصدر ضده حكم نهائى غير قابل للطعن أو الاستئناف.

٢ ـ رغم أن نشر وإذاعة أخبار الجرائم والتحقيقات والمحاكمات حق مشروع لوسائل الإعلام، حتى يطمئن المواطنون إلى حسن سير العدالة، ويعرفوا مايحدث من إعمال مخالفة للقانون لكي يتجنبوها، ولكي يعرفوا مايجري في المجامع ويطمئنوا إلى عدم إفلات الجناة، وعدم اتباع أساليب أو وسائل غير سليمة في التحقيق والاتهام. إلا أن مبالغة بعض رسائل الإعلام في ممارسة هذا الحق قد يؤدي إلى حرمان المتهم من محاكمة عادلة، أو قد ينطوي على إساءة للمتهم أو تعبئة الرأي العام، كجرائم الاغتصاب والقتل، واستيراد مواد غذائية فاسدة، والجرائم السياسية. وهناك حالات يكون من مصلحة المجتمع والعدالةوالمتاقضين عدم نشرها أو إذاعتها، ومنها:

(أ) نشر أخبار وإذاعة التحقيقات التي حظرت سلطة التحقيق إذاعة شئ عنها، مراعاة للنظام العام أو الآداب أو انتظارا لظهور الحقيقة.

(ب) نشر وإذاعة وقائع الجلسات السرية للمحاكم.

(ج) النشر المؤثر على سير المحكمة، من خلال التعليقات التي يمكن أن تؤثر في أحكام القضاة والموظفين المكلفين بتحقيق ما، أو على الشهود والرأي العام الذي يمكن أن يشكل ضغطاً معنوياً على القضاة وهم ينظرون بعض القضايا، خاصة القضايا السياسية.

(د) نشر وإذاعة الأخبارالمؤثرة في الادعاء العام والمحامين أو المحققين أو الشهود أو الرأي العام، القضايا المعروضة أمام القضاء.

(هـ) عدم نشر صور وأسماء الأحداث (أقل من ٢١ سنة) المتهمين فى قضايا معينة، مما قد يعوق عودتهم للسلوك القويم، ويسئ إلى عائلاتهم ويؤثر على مستقبلهم.

(و) عدم نشر أو إذاعة التفاصيل الخاصة ببعض القضايا الخاصة بالأحوال الشخصية، التى تتعلق بخصوصيات المواطنين وحياتهم، كالطلاق والزنا والنفقة وغير ذلك.

وهذه الأمور تجرمها القوانى فى مصر، سواء قانون الصحافة رقم ٩٦ لسنة ١٩٩٦ أو قانون العقوبات، كما وردت نصوص خاصة بذلك فى ميثاق الشرف الصحفى، وميثاق شرف الإذاعيين فى مصر.

ورغم كل هذا، فمعظم هذه المبادئ والمعايير قد يتم انتهاكها بشكل مستمر من خلال وسائل الإعلام، وخاصة الصحف، مما يحتم البحث عن إجراءات كفيلة تحد من هذه الممارسات السيئة، التى تحرم المواطن من أبسط حقوقه الخاصة بالمحاكمة العادلة، وعدم إدانته قبل أن يصدر ضده حكم نهائى، وكذلك تفعيل القانون فى مواجهة المخالفين، خاصة وأن المواطنين الذين يتعرضون لمثل هذه الأمور، غالباً مايكونون عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم.

٧ ـ أخلاقيات ومعايير المستوى المهنى للإعلاميين

ومن المبادئ الأخلاقية فى هذا المجال:

١ ـ تمتع الإعلامى بدرجة عالية من النزاهة، بحيث يكون دافعه فى عمله الصحفى أو الإعلامى الصالح العام ، وليس السعى وراء مصلحة شخصية مادية أو معنوية أو منفعة ذاتية.

٢ ـ عدم قبول الإعلامى لأية مكافآت أو هدايا أو مايمكن أن يوصف بأنه رشاوى مقنعة أو ظاهرة.

٣ ـ عدم ممارسة الإعلامى فى جلب الإعلانات إلى جانب عمله، وقد شددت قوانين الصحافة واتحاد الإذاعة والتليفزيون فى مصر على هذه المبادئ. كما وردت عدة نصوص خاصة بذلك فى ميثاق الشرف الصحفى والإذاعى فى مصر.

ورغم ذلك فهناك بعض المخالفات لهذه المبادئ الأخلاقية، فيما يتعلق بالجمع بين العمل فى التحرير والإعلانات، مما يتطلب التزام الإعلامى بذلك؛ وتشديد القيادات الإعلامية على العناصر المخالفة لهذا المبدأ المهم.

٨ ـ الالتزام بمواثيق الإعلام:

لجأت الدول المختلفة إلى البحث عن آليات عملية تسمح بمتابعة مدى التزام وسائل الإعلام والإعلاميين بمواثيق أخلاقيات المهنة، وكذلك تحديد المسئول عن محاسبة المخالفين، وقد اتجهت بعض هذه الدول إلى إنشاء بعض التنظيمات الذاتية التابعة لمهن الإعلام، مثل مجالس الصحافة أو الإعلام لمتابعة الالتزام بتطبيق هذه المواثيق وتلقى الشكاوى من المواطنين إزاء مايتعرضون له بسبب إساءة استخدام وسائل الإعلام لحق النشر أو الإذاعة.

وقد قامت فكرة إنشاء مجالس الصحافة فى العالم ـ أساساً ـ رغبة فى الحفاظ على الحرية الصحافة فى مواجهة التهديدات المباشرة وغير المباشرة، التى قد تتعرض لها هذه الوسيلة الإعلامية، ومواجهة المشكلات

التى قد تبرر السلطات التدخل للحد من هذه الحرية، وكان من بين أهدافها الرئيسية العمل كوسيط بين الصحافة والجمهور، وإرساء أخلاقيات الصحافة والالتزام بآداب المهنة، من خلال منظمات مستقلة - غالباً - عن الحكومات، لتحقيق فكرة التنظيم الذاتى.

وكان أول المجالس التى أنشئت فى العالم فى السويد سنة ١٩١٦، ولم يبدأ تعميم هذه المجالس إلا مع بداية الستينيات، وإن كانت بعض الدول قد فضلت أشكالاً أخرى من التنظيم الذاتي، مثل محاكم شرف الصحافة فى إيطاليا، التى بدأت عام ١٩٥٩، ومجلس للتأديب والتحكيم فى بلجيكا، ورابطة ناشرى ومحررى الصحف اليابانيين، التى تقوم بوظائف التنظيم الذاتى.

وقد أقيمت فى بعض الدول مجالس لبعض وسائل الإعلام الأخرى، مثل مجالس الشكاوى من الإذاعة والتليفزيون، للبث فى شكاوى الجمهور فيما يتعلق بتحريف الوقائع فى الإذاعة والتليفزيون، والعرض المشوه وعدم الإنصاف، وانتهاك الحياة الخاصة دون سند أو مبرر.

ففى السويد يوجد وسيط للإذاعة، كما كلف اللجنة الفيدرالية للاتصالات فى الولايات المتحدة بالنظر فى الشكاوى، بموجب مايسمى بمبدأ الإنصاف الذى يتطلب العرض المتوازن للقضايا العامة.

وأدخلت كندا نظام عقد جلسات الاستماع العامة قبل تجديد رخص الإذاعة والتليفزيون، لكى تباح للجمهور فرصة مناقشة ما إذا كانت محطة معينة تقدم له ماينبغى من خدمات أم لا.

وفى مصر تم تشكيل المجلس الأعلى للصحافة بالقرار الجمهورى الصادر فى ١٩٧٥/٣/١١، وهو ينتمي لنوعية مجالس الصحافة التى تضم فى تشكيلها الصحفيين وناشرى الصحف، إذا جاز اعتبار رؤساء مجالس إدارات المؤسسات الصحفية ناشرين لصحفهم - إلى جانب بعض الشخصيات العامة.

وهو يعمل على تحقيق حرية الصحافة واستقلالها، وبما يؤكد فاعليتها فى ضمان حق المواطنين فى الإعلام. ومن بين مهامه الرئيسية - والتى يشترك فيها مع معظم مجالس الصحافة فى العالم - ضمان احترام الصحافة لأخلاقيات المهنة وميثاق الشرف الصحفى، وبحث الشكاوى الماسة بحقوق الأفراد أو كرامتهم، واتخاذ القرار المناسب فى ذلك.

التوصيات

وعلى ضوء ماسبق يوصى بما يأتى:

١ - مراجعة ميثاق الشرف الصحفى الصادر عام ١٩٩٨، وميثاق شرف الإذاعيين، لإعادة صياغة المبادئ الأخلاقية الواردة بهما بشكل أكثر دقة وتحديداً.

٢ - تفعيل الالتزام بتطبيق مواثيق الشرف الصحفى والإذاعى، بتحديد آليات ملائمة لذلك، لاتهدد حرية الإعلام أو تؤثر على أداء الإعلامى لمهام عمله، ويقترح فى هذا الصدد:

- الاستمرار فى إعداد التقارير الدورية لمتابعة الممارسة الصحفية، وإدارة مناقشة حولها مع الإعلاميين من جانب، والرأى العام من جانب آخر، وحث الصحف على الالتزام بنشرها.

٣ ـ دعوة العاملين فى حقل الإعلام ـ فى الصحف والوكالات الإعلانية ووسائل الإعلام الإذاعى والتليفزيونى والمعلنين ـ لصياغة ميثاق للإعلان يلتزمون طواعية بتطبيقه.

٤ ـ تشجيع الاتجاه النامى لدى نقابة الصحفيين فى محاسبة الصحفيين الذين يخالفون أخلاقيات المهنة ومواثيق الشرف الصحفى باعتبارها تجمعاً مستقلاً واختياريا ومنتخباً للصحفيين.

٥ ـ تفعيل القانون فى مواجهة الصحف التى لاتلزم بنشر التصحيح والرد، وفقاً للشروط التى حددها القانون.

٦ ـ تنظيم دورات تدريبية وحلقات نقاشية ولقاءات مفتوحة مع الإعلاميين، لتعريفهم بأخلاقيات الإعلام وتكوين اتجاهات إيجابية لديهم للالتزام بهذه الأخلاقيات، وخاصة مايتعلق بحسن سير العدالة، باعتبارهم يعملون فى مهنة ذات رسالة اجتماعية، وأنهم يتعاملون مع مجتمع له قيمة وعاداته وتقاليده المقبولة من جموع أفراد المجتمع خلال مرحلة تاريخية معينة.

٧ ـ حث الصحف والشبكات الإذاعية والقنوات التليفزيونية على تعميم فكرة إنشاء قسم داخلى، أو اختيار بعض الإعلاميين المخضرمين من المشهود لهم بالنزاهة واحترام أخلاقيات المهنة طيلة فترة عملهم، ليكونوا بمثابة محكمين بشأن مدى التزام وسائل الإعلام ذاتياً بأخلاقيات الإعلام، وتصحيح ماقد يقع من سلبيات أو مخالفات لهذه المبادئ بشكل اختيارى.

الأخلاقيات هى مجموعة القيم التى يجب أن تسود سلوكيات البشر وعلاقاتهم، وحول أخلاقيات الإعلام، وبالتحديد: أخلاقيات الصحافة فى مصر... قدم الاستاذ «عبد الحميد حمروش» دراسته القيمة إلى شبعة الإعلام بالمجالس القومية المتخصصة، بدأها بالتساؤل التالى:

هل تتأثر قواعد السلوك والحكم على اخالقيات البشر بالظروف الاقتصادية أو السياسية والاجتماعية والإعلامية فى المجتمعات البشرية..؟

ألا نجد فى التقدم المذهل فى تكنولوجيا الاتصال سهولة ويسر فى سيطرة رسائل إعلامية قد يجافى بعضها عقائد البشر الدينية والتراث الأخلاقى لمجتمعات بعينها..

ولاأشك فى إنه لاحرية ولاتقدم ولاتطور ولا فن أن لم يستند كل ذلك إلى أساس إخلاقى..

ألا نتبين العولمة ـ وأهدافها وسياساتها ـ وليس هنا مجال تناول الجانب الاقتصادى لها بالرغم من تأثيره على حياتنا بشكل عام ـ ولكن مايجب أن يكون واضحاً هو التحديات الثقافية التى تواجه مجتمعاتنا والتى تضع

مؤسساتنا الثقافية والتعليمية والإعلامية بشكل أساسى فى مواجهة محاولة فرض ثقافة محددة على البشر جميعا...

... هذه الوريقة لاتستهدف باليقين تسجيل ومناقشة أخلاقيات الإعلام والأسس الأخلاقية وهى واضحة ومحددة فى عقول ويقين الجميع فى مجتمعنا... ولكنها محاولة لتبين مانحتاجه من تصحيح لآليات وسياسات عاجلة وطويلة لمواجهة مانتعرض له كمجتمع.. اقتصادنا وإنتاجنا وثقافتنا وتاريخنا وعقائدنا.. واخلاقنا...

وعلى أن تظل عقولنا متيقظة وواعية ومدركة لطبيعة وحجم المخاطر... وإرادتنا صلبة وقادرة على تحقيق مانستهدف وحماية مانملك من إمكانيات وقدرات... وهى فى النهاية قيمة يجب أن نقيمها حق قدرها..

ولن أخوض فى هذه الوريقة فى تحديد الأسس الأخلاقية للإعلام.. فنذكر حقوقاً أضحت ثابتة ــ حق البشر فى الإعلام... والحرية... والشرف.. والأمانة والصدق.. والمسئولية

ولكنى سأقصر حديثى هنا عن أخلاقيات الصحافة... فى مصر خاصة قد تصدت الشعبة بما تضم من علماء وخبرات بدراسة عدد من القضايا التي ترتبط باخلاقيات الصحافة من بين موضوعات اختلف الرأى حولها..

● الصحافة الصفراء وصحافة الجنس والإثارة وحقيقة المشكلة وتفاقم الظاهرة.

- حرية إصدار الصحف وتقييم لتجربة الصحافة الحزبية.
- حق الرد وضمان تطبيقه حماية لحق البشر عن العدوان عليه سباً وقذفاً واقتحام لحياتها الشخصية من جانب الصحف.
- محاولة تضليل القارئ بالخلط بين الإعلان والتحرير.
- العقوبات المقيدة للحرية والمطبقة على الصحفى عند مخالفته لنصوص القانون ومدى مواءمتها.

وارتباطها بحرية الصحفى وأمنه من جانب وحق المجتمع وضمان استقراره والدفاع عن حريات الآخرين..

*****

وعند دراسة أخلاقيات الصحافة فى مصر فإنها عبر تاريخها الطويل وبقواعد ارسالها بجلاء لعبت دوراً رئيسياً فى حياة شعبنا العظيم.. ونضاله وتقدمه... وهى صحافة وطنية تأخذ بكل أساليب التطور العلمى والتكنولوچى والفنى.. ولكن هذا لاينفى أن هناك سلبيات يجب أن تتضح بجلاء إمام اعيننا استهدافاً للوصول إلى صحافة قدوة مدركة لحجم المتغيرات من حولنا وفى مجتمعنا..

أما القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٦ بشأن تنظيم الصحافة المصرية فإن مواده تحدد بوضوح وجلاء بوضوح وجلاء ضمان التزامنا بالقواعد الأخلاقية والقانونية والتى تضمن حماية الصحفى وتطور الصحافة المصرية واستقلالها وحقوق المواطن المصرى فى مواجهة خروج الصحافة عن كل القواعد الأخلاقية...

ولنبدأ بصراحة قد تصدمنا ونحن نتناول... الصحفى والصحيفة... والقارئ...

الصحفى:

ونبدأ برحلة الدراسة العملية لإعداده لاداء رسالته فى كليات الإعلام فى مختلف الجامعات والكليات فى مصر... وهذا النوع من الدراسة يشترط التفوق إن لم تكن تشترط المجموع الأعلى فى شهادة الثانوية العامة.

ويتلقى الطالب فى دراسته الجامعية المناهج التى تحدد مسئوليته والجانب الأكاديمى للعمل الصحفى بل التدريب على الممارسة الصحفية طوال سنوات الدراسة فى معهده بإشراف أساتذة أكاديميين ليسوا فى الغالب بعيدين عن ممارسة العمل الصحفى عمليا وهم بذلك يجمعون بين الدراسة الأكاديمية والتطبيق العملى..

● وعند بداية حياته العملية فإنه قد يجد القيم الأخلاقية من تكافؤ الفرص ومعيار الجهد والإتقان فى تقييم العمل.. غير مطبق عملياً فى حالات كثيرة وأن فرصته فى العمل قد لاتستند فقط إلى هذه المعايير الأخلاقية... وهنا تبدأ القيم السلبية فى التسلل إلى فكره.. ويصطدم بقيم أخلاقية غير سليمة..

وعلنا نجد دراسة كاملة تعدها كليات الإعلام المختلفة لخريجها والأعمال التى توكل إليهم... ومدى تطابقها مع الدراسات التى درسوها فى الكلية...

وإذا مانجح فى الالتحاق بصحيفة للعمل بصورة مؤقتة فإنه يواجه وضعا فريداً... العمل فى الصحيفة بصفة أساسية يشترط عضوية النقابة..

وعضوية النقابة تحتاج إلى عقد مع صحيفة ما... فإذا أضفنا إلى ذلك وجود عدد من الصحفيين يعملون بنظام مايطلق عليه المكافأة أو التدريب لمدد تصل إلى ثمان سنوات أو أكثر.. وهم في حقيقة الأمر يشكلون قاعدة أساسية في كثير من الصحف... وهنا يبدأ الصحفي في مواجهة شعود بالإحباط ليس بسبب عدم وجود فرصة عمل له ولكن لقيامه بالعمل دون عقد ودون حماية... وهذا قد يكون من بين الاسباب التي أدت إلى ظهور النقابة الوهمية الموازية للنقابة الشرعية للصحفيين المصريين... والتي ظلت فترة تثير أسئلة كثيرة حول السلوك الأخلاقي والمهني لبعض العاملين في المهنة.

● ويبدأ الصحفي يكتشف أن قانون الصحافة وقانون النقابة لايطبق بالكامل... حيث يجد مخالفات من زملاء في المهنة والمفروض أنهم قدوة له يخافون القانون وميثاق الشرف الصحفي... ولايجد من يلتفت إلى هذه المخالفات والتي ينص عليها في المواد ٧٥ إلى ٨٨ من قانون النقابة.. وقد يجد الردود غير مقنعة أو شافية مثل أن ذلك يشترط وجود شكاوى للنقابة... وحين لاترد شكوى فما هو المطلوب من النقابة وكأن مجلس النقابة يحتاج لمن يشكو له حين يتحرك... أو كان مجلس النقابة لايريد أن يرى أو أن يسمع ولايحب أن يتكلم..

● ويجد الصحفي أن العمل في الإعلانات يحقق له مكاسب مادية ضخمة... ويضعه في الوقت نفسه في مكان التميز في رأى بعض قياداته... وقد يتيح له العمل إلى جانب عمله الصحفي لدى البعض كمستشار رعلامي خاصة أنه لاحساب ولا محاسبة عن هذا الخطأ..

ونسبة الزملاء الذين يقعون فى هذا الخطأ تتزايد... والمبرر قائم وهو ضرورة أن يكسب دخلا يكفيه!!

● وهذا ليس الخطأ الواضح الوحيد بل أن العمل فى أكثر من صحيفة بالداخل أو الخارج دون إعلان عن ذلك ناهيك عن الاشتراك فى دراسات قياس الرأى العام... دون النظر للقواعد الأخلاقية التى تحكم هذه الدراسات.

● والتدريب هو عنصر رئيسى فى الحياة العملية وفى التقدم والتميز فى أى مجال إلا أن جيل الأساتذة لم يعد للأسف يقدم خبراته والقدرة للصحفيين المبتدئين كما كان فى الماضى.

● إن ما قد يتعرض له بعض الصحفيين من تهديد أو عقوبات أو منع من النشر له أمثلة كثيرة وفى النهاية تجعل الصحفى ـ إذا كان ملتزما بالقيم الأخلاقية ـ كمن يقبض على الجمر بيديه.

أما عن الصحيفة التى يعمل بها فهى واحدة من الجهات التى تصدر صحفاً فى مصر وهى حصراً:

(أ) المؤسسات الصحفية القومية.

(ب) الصحف التى تصدرها الأحزاب المصرية.

(جـ) الصحف الصادرة عن شركات مساهمة أو تعاونيات.

(د) صحف تصدرها جهات حكومية أو مؤسسات الحكم المحلى وتلك التى تصدرها الجمعيات الأهلية والنقابات والنوادى والكليات الجامعية والروابط.

(هـ) الصحف المملوكة لأفراد عند صدور القانون ١٤٨ لسنة ٨٠ وظلت ملكيتها لأصحابها واستمر صدورها حتى الآن.

- بالنسبة للصحف التى تصدر عن المؤسسات الصحفية القومية وهى عشر مؤسسات فعدد كبير منها يعانى من خلل فى هياكله التمويلية وأسبابه كثيرة..

والوضع الغريب أن المؤسسات القومية لايطبق عليها القانون سواء القانون ١٤٨ لسنة ٨٠ أو القانون ٩٦ لسنة ٩٦ وطبقا للقانون الاخير فالمادة ٣٣ تنص على إلزام الصحف والمؤسسات الصحفية بنشر ميزانياتها.. وهذا لايتم بالاضافة إلى مواد أخرى خاصة بمدة عضوية مجلس الإدارة ومجالس التحرير ورئاسة مجلس الإدارة وعدم تنفيذ ذلك وتجاهله تماما بل عدم توحيد التجاوزات فى التطبيق.

بل من الأمثلة أن مؤسسة من المؤسسات القومية لم تعقد جمعيتها العمومية لإقرار الميزانية لمدة أكثر من عشر سنوات.. ولم يعترض الجهاز المركزى ولا المجلس الأعلى للصحافة. وعدم تنفيذ القانون وتطبيقه يجعل احترام العاملين فى الصحافة للقانون أمرا مشكوكا فيه والتفرقة فى المعاملة بين العاملين فى كل انشطة المؤسسة وسلطة المنح والمنع دون قيود ودون حساب أمر لابد من وضع ضوابط لها خاصة أن هناك من ينظر إلى رئيس مجلس الإدارة على أنه المالك الحقيقى للمؤسسة وأن المسئولين عنها غير متحملين للخسائر فالدولة تغطيها... ورؤساء مجالس الإدارة يحيلون المشاكل إلى التاريخ وإن الدولة لم تعطهم الفرصة لكى ينهضوا بها.

وتمويل انشطة بعض هذه المؤسسات يتم من البنوك بالسحب على المكشوف أو من اموال دافعى الضرائب ذلك أن جانبا من تمويل المشروعات فى هذه المؤسسات يتممن حصيلة رسوم التمغة على الإعلان ومن عدم سداد مستحقات هيئة التأمينات الاجتماعية فى أحيان كثيرة.

ولما كانت المؤسسات الصحفية القومية هى التى تتولى المهمة الرئيسية فى الإعلام الصحفى فى أمتنا العربى إلا أنه يجب علينا أن نواجه انخفاض التوزيع فى الأسواق العربية ذلك لأن الصحف المصرية ينظر إليها فى المنطقة العربية أنها مفرطة فى المحلية.

الاتجاه السائد برفع سعر بيع الصحف يؤثر على توزيعها والعبرة فى النهاية هى تحقيق رسالة الصحف بأقل تكلفة.

- الصحف الحزبية:

وقد رخص القانون ٩٦ للأحزاب اصدار الصحف التى يرغبون فى اصدارها.. وقد حصلت الأحزاب المصرية المختلفة على تراخيص عدة لصحف توقفت بعد صدورها بفترات قصيرة أو لم تصدر أساسا.

وفى الوقت ذاته منحت بعض الأحزاب حق إصدار هذه الصحف لعناصر لاتنتمى للحزب ولا لفكره وبرنامجه وسياسته بل قد تتعارض مع... وهذا بعيد بالقطع عن أخلاقيات الصحافة وفى الوقت ذاته فإن بعض هذه الصحف الحزبية لاتحترم العاملين بها من صحفيين.

- الصحف الصادرة عن شركات مساهمة وهى مازالت محدودة وإن كان الأمل فى تطورها مازال قائما بالرغم من أجل الكوادر التى تعمل بها هى من العاملين فى المؤسسات القومية.

ـ أما الصحف التى تصدرها جهات حكومية ومؤسسات الحكم المحلى وتلك التى تصدرها الجمعيات الأهلية والنقابات والنوادى والكليات الجامعية وهى تشكل العدد الأكبر من عدد الإصدارات الصحفية فى مصر.. ولكنها لاتؤثر تأثيرا قويا فى الرأى العام ولاتتيح مجالا واسعا للعمل بها.

ـ أما الصحيفة وممارستها لنشاطها والتزامها بالقواعد الأخلاقية

فإنى أود الإشارة إلى أن المجلس الأعلى للصحافة بدأ منذ سنوات فى إعداد تقارير عن الممارسة الصحفية وكان يشرف عليها أساتذة اكاديميون... وظلت هذه التقارير تناقش فى جلسات المجلس الأعلى للصحافة فقط دون أن يكون لها تأثير فى تطور الصحافة وتلافى عدد من السلبيات التى تقع فيها.

إلا أن القانون رقم ٩٦ لسنة ٩٦ فرض فى المادة ٧٠ التى تحدد اختصاصات المجلس فقره ١١ ونصها متابعة وتقييم ماتنشره الصحف وإصدار تقارير دورية عن مدى التزامها بآداب المهنة وميثاق الشرف **الصحفى وتلزم الصحف بنشر تلك التقارير.**

وفى اعتقادى أن إلزام الصحف بنشر تلك التقارير هو إدارة رئيسية فى تصحيح أخطاء قد تقع فيها صحافتنا وضمان التزامها بمعايير الأخلاق.

والتقرير بالضرورة يحتاج إعداده إلى تدقيق أكبر وجهد اعظم من القائمين عليه دون مجاملة، من اللجنة التى تشرف على إعداد هذا التقرير

والتي تضم أساتذة أكاديميين وممارسين على أعلى مستوى... دون مجاملة بصورة كاملة.

ولكن يثور هنا سؤال ماهى آلية إلزام الصحف بنشر هذا التقرير... ولم يتم حتى الآن نشر هذه التقارير... وقد يكون من المفيد توسيع لجان الدراسة والرصد والتقرير.

أما القضايا التى أشرت إليها فيما سبق... فيمكن تناول هذه النقاط باختصار شديد فى هذه النقاط:

قضية الصحافة الصفراء والجنس والإثارة وتفاقم المشكلة

وهل اكتفينا الرأى العام بإلقاء اللوم على الصحافة التى أطلق عليها الصحافة القبرصية وهى تلك التى تطبع فى الخارج أو فى المنطقة الحرة وهى بريئة تماما لسبب بسيط واضح وهى أنها تخضع لرقابة وزارة الإعلام المصرية قبل السماح لها بالتوزيع..

والظاهرة الخطيرة للغاية هى استمرار صحف بعينها فى استغلال الجنس والإثارة... بل امتداد ذلك إلى صحف أخرى والأمثلة على ذلك موجودة فى عديد من الصحف يصدر بعضها عن مؤسسات قومية.

حق الرد والتصحيح وضمان تطبيقه

وحق الرد حال تعرض صاحب الشأن لنشر وقائع غير صحيحة وحقه فى الرد تناوله قانون الصحافة ٩٦ لسنة ٩٦ فى المواد ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩ وفى اختصاصات المجلس المادة ٧٠ إلا أن الفقرة ١٢ من وجهة

نظرى غير محددة .. حيث تنص على ضمان احترام الصحف والصحفيين لحق الرد وحق التصحيح.. أما كيف فلا توجد آلية تضمن ذلك.. إلا باللجوء إلى القضاء الذى يعطى فى النهاية كل ذى حق حقه ويعاقب المخطئ وقد يحكم بالتعويض والنشر ولكن ذلك يكون بعد مضى مدة طويلة وقد يصبح الرد والتصحيح كأنما هو إعادة لآلام المتضرر من النشر..

ويمكن أن يطالب بتخصيص نيابات متخصصة ودوائر خاصة لهذا النوع من الدعاوى والشكاوى وهل يمكن أن يدرس خبراء القانون... رمكانية دخول المجلس الأعلى للصحافة طرفاً فى رفع مثل هذه الدعاوى...

تضليل القارئ بالخلط بين الإعلان والتحرير

مع سيطرة بعض أصحاب المصالح وتدخلهم بمحاولة الحذف أو الإضافة بالنسبة لأخبار أو موضوعات معينة بالإضافة إلى طلبهم إعلانات تنشر فى صورة تحريرية بحق هو تضليل للقارئ ومخالفة لكل القواعد الأخلاقية... والأمثلة واضحة ومتعددة يعرفها القارئ والمتابع وتكرارها سيؤثر تماما على مصداقية بعض الصحف التى تتمادى فى ذلك... وهى كارثة إذا كنا سنتقبل صامتين مقولة بعض المواطنين تعليقاً على مثل هذه الممارسات... بأنها كلام جرائد...

العقوبات المقيدة لحرية الصحفى:

وإن كان لى أن أبدى رأيى الشخصى فى العقوبات المقيدة لحرية الصحفى كعقوبة فى جرائم النشر هو قيد على حرية الصحفى وحرية

الصحافة خاصة إذا كانت براءته تفرض عليه إثبات ماقد يكون تناوله فى موضوعات ولكن الدفاع عن الصحفى لابد أن يعطى للمضار من النشر حقه السريع فى تطبيق العقوبة على المخطئ.. والتعويض.. والاكتفاء بالغرامة والتعويض افضل من الزج بالصحفى فى السجن.. مع قناعتى الكاملة أن قيد حرية الصحفى لايضيف إلى الصحفى مجداً ولا فخراً... أيا كان تصوره إلا إذا كان تقديرنا لبعض الصحفيين وصل أدنى درجاته.

الشفافية المالية :

إن حرية إصدار الصحف أصبح مطلبا ملحاً ولكن مع الإصرار على وضع الضوابط التى تبرز الشفافية فى أداء كل الصحف وموارد تمويلها أمر بات فى غاية الأهمية حاليا ومستقبلا.

أخلاقيات الإعلان :

وهنا تبرز مقولة تركز على أهمية الإعلان للصحافة... وتنسى هذه المقولة أن الصحيفة بقارئها المرتبط بها وتوعيته هى الوسيلة المهمة للمعلن... وتكلفة توصيل الرسالة للعميل المرتقب للمعلن تقاس بأرقام التوزيع ونوعية القارئ...

واحترام الصحيفة لنفسها ينمى احترام المعلن لها...

ومخالفة تحريم جلب الصحفى للإعلان والاستفادة بأى صورة من وراء ذلك.. يضع المعلن فى موضع المانح واليد العليا وفى ذلك سيطرة على الصحيفة...

والظاهرة تزداد ضراوة وشدة وعلينا أن نفكر فى وضع آليات لمنعها.

إن مضمون الإعلان أمر بالغ الأهمية... واستغلال المرأة والطفل فى الإعلان إنما يقم لجذب الانتباه وإثارة الاهتمام وهى عناصر رئيسية فى الإعلان ولكن هذا الاستغلال يؤثر تأثيرا مباشرا على جموع المتلقين للرسالة الإعلانية...

أما تحديد نسبة معينة للمساحات الإعلانية فى كل صحيفة حتى لايكون هناك سيطرة للإعلانات على الصحيفة أمر غير دقيق بالمرة... فليس هناك فى رأيى نسبة معينة للإعلانات يجب عدم تجاوزها.

إن حق القارئ فى المساحة التحريرية هو الأساس فى مقابل سعر شراء الجريدة.. وضمان الجريدة لهذه المساحة التحريرية أمر أساسى، أما زيادة الصفحات الإعلانية أو إجمالى المساحات المخصصة للإعلان مع زيادة إجمالى عدد الصفحات بالصحيفة فليس فى ذلك عدوان على القارئ ولا مساس بأخلاقيات الإعلان والصحافة...

والشفافية فى أسعار الإعلانات والالتزام بالأسعار المعلنة خاصة بالنسبة لمساحات تلك الإعلانات التحريرية وللمساحات المحجوزة لكل أنواع الدعاية..

هذه بعض النقاط التى تؤثر على أخلاقيات الإعلام بالنسبة للصحافة... أو تتناقض مع القيم الأخلاقية السليمة.

التوصيات

الصحافة المصرية ليست فى حاجة إلى قوانين جديدة ولكننا فى حاجة إلى التطبيق الكامل والجاد للقوانين المطبقة... وحتى لاتضطرب الممارسة

الصحفية وحتى لايستقر خطأ فى نفوس الجميع إمكانية مخالفة كافة القوانين بأنواعها.

ـ أخلاقيات الإعلام ترتبط فى النهاية بكل القيم الأخلاقية التى تسود فى المجتمع ككل.

ـ تعديل التشريع بالنسبة للعقوبات التى يخضع لها الصحفى عن جرائم النشر بحيثتقتصر على العقوبات والمواد أو التعويضات للأفراد المضارين.

ـ بحث اقتصاديات وميزانيات الصحف وضمان الشفافية فى إدارة الصحف كلها.

ـ إطلاق حرية اصدار الصحف خاصة إذا ماتبين لنا أن نسبة الصحف الموزعة لتعداد السكان تقل عما كانت عليه فى بداية الستينيات... والأسباب متعددة... وإن إجمالى توزيع الصحف المصرية أقل مما هو مأمول ومتوقع.

عبد الحميد حمروش

فهرس التعليقات

اليوم	الموضوع	رقم الصفحة
اليوم الخامس	ـ تطبيق تقنيات الهندسة الوراثية فى المشروعات الجديدة . ـ أصالة المسرح المصرى ودور الدولة . ـ الترجمة والتفاعل بين الثقافات: ـ العلاقة بين السينما والمتلقى . ـ صناعة السينما فى مصر ووسائل	
اليوم السادس	النهوض بها . ـ الثقافات الموسيقية فى مصر. ـ التاريخ بين مشكلات اليوم والغد...	
اليوم السابع	مستقبل التاريخ فى عالم التقنيات والعوم التجريبية . ـ الشارع المصرى ومجتمع المدينة بين التأثير والتأثر. ـ حرية الإعلام بين النظرية والتطبيق. ـ أخلاقيات الإعلام. ـ أخلاقيات الصحافة فى مصر.	

اليومية الثامنة

مقدمة

بقلم : ادجار موران

هانحن على أبواب اليومية الأخيرة . وإلى من يحضروا أذكرهم بأننا وأثناء اليوميات الأولى والتى كانت الأبحاث فيها تتعرض لأمور وقضايا الحياة والكون والأرض والإنسان أردنا أن نستعرض المشاكل والقضايا العلمية فى الإطار الفكرى الذى هو فى نفس الوقت نابع من ثقافتنا القديمة والأخرى المتشابكة .

وفيما يتعلق بالدنيا وكوكب الأرض توجد علوم «كونية» تستند إلى نظم كثيرة التنوع تحث على تدريسها . وفيما يتعلق بالإنسانية فى ذاتيتها، كان من المهم طرحها فى إطار أو سياق عدة ملايين من السنين، وكيف كان الإنسان وكيف توصل لأختراع الثقافة ولغة التخاطب وماالذى قادنا لنصبح ظاهرةً متشابكة فى هذا الكون الفسيح الذى نموج فى أركانه . وهكذا أمكن تأريخ كل شيء.. وكيف تطور الإنسان مع التاريخ بدءا من الانفجار الكونى الرهيب كما شرحه ميشيل كاسيه Michel Cassé : ملحمة تتحول

إلى ملحمه أخرى... الأرض والمجال الحيوى Biosphére لوجود الحياة والتطور وامتداد أو ظهور عديد من الأجناس البشرية ومنها الديناصورات ثم الثدييات والتى منها انبثق ظهورنا نحن أنفسنا وكذلك التاريخ البشرى وكيف اندثر بعضها اندثاراً تاماً مثلما اندثرت إمبراطوريات عاشت فى الأزمنه السحيقة مثل هنود أمريكا وحضارات أوروبا وآسيا،

وهكذا رأيناكم تساهم هذه الأبحاث فى فهمنا للثقافات الإنسانية وتطوراتها الرفيعة بقدر ما أصبحت «حقائق» من ضرورات الحياة الإنسانية.

وفى مجال تالٍ أوردنا الأهمية الأساسية للتاريخ الذى صار علماً متعدد الجوانب لأنه يغطى عديداً من السجلات ولأننى أذكر الكوارث ومنها كيف اندثرت المكسيك بعد الغزو الإسبانى لها، كما شرحنا (شرحه لنا سيرج جروزنسكى Gruzinski. ثم كيف شرحنا التاريخ الوطنى القومى (يقصد تاريخ فرنسا) وكيف اندمج فى تاريخ قارة أوروبا ثم فى تاريخ الكون. وفى الواقع فإن أوروبا هى التى أنشأت الكون.... واليوم هاهو الكون يتحرر من أوروبا ليتابع مسيرته الغامضة. وهانحن اليوم نصل إلى آخر يوم من أيام البحث وهو بحث أخير ذو أهمية قصوى فى رأيى وذلك لأنه اعتباراً من اللحظة التى نكرس فيها أنفسنا للإلمام بكافة المعارف والمعلومات التى نتلقاها من العالم الخارجى، فإن ذلك يعتبر بناءاً عقلياً ذا بعد Pers Pectives وابعاد منظوريه عبر الألفاظ والتعبيرات والأفكار والنظريات، كما أنه من المؤكد أننا اليوم فى حاجة ماسة إلى أن تكون كل المعارف حتى

ولو كانت علمية بحته فإن من المهم أيضا أن تكون انعكاساً صادقاً للواقع والحقيقة. ومن هنا تبرز ضرورة أن نتسلح بعقلانية منطقية وألا نسبح في بحر من الهذيان الذى يتعارض مع أبسط مبادئ المنطق.

وأبحاث هذهاليومية الأخيرة أبعد ماتكون عن البساطة، ذلك لأنها أعدت وتوضحت أبعادها بعديد من إشكال البحث النقدى فى مبادئ العلوم آخذة فى اعتبارها آراء الباحثين أمثال باستيلار Bachelard وبوبيـر Popper وچان لادربيرLadriere ودومينك لوكور Le Coarl الحاضرين هنا معنا والذين أبدوا وجهات نظرهم حولها.

كما أود أن أذكر أن يوميات البحث هذه ليست فى نهايتها إعداداً لبرامج وإنما تستهدف تحفيزاً على أعمال الفكر الذى ينقصنا بشدة لخلق نواة قادرة على إدراك المعرفة وتفادى هذا التشرذم وتجميع المعارف والمعلومات..

وإذا ما استعرضنا الألفاظ والمفردات اللغوية فسوف ينتابنا شعور بأننا أمام تعقيدات وألغاز وأحاج من الصعب ربط أجزائها لتبدو منها صورة واضحة ولكن وإعتباراً من اللحظة التى تتاح لنا فيها بعض الآليات والمفاهيم التى بها نستطيع إعادة تنظيم وتنسيق هذه المعارف وهذه المعلومات، عندئذ يمكننا البدء فى اكتشاف الوجه المتكامل لمعرفة عقلانية وإدراك منهجى.... إنه، وبحق يشبه العلاقة المكوكية المستمرة بين جزئيات المعارف والمعلومات حتى نتوصل إلى المرحلة التى وصفها قلم العالم الرياضى والفيزيائى والفيلسوف الفرنسى باسكال Pascal، فى جملة بليغة أحبها حباً شديداً لعمق ماتدل عليه عندما قال: «كل شتى ومعلول...

سبب وواسطة... ومتسبب ومسبب... وسيط وموسط... مباشر وغير مباشر.، وكل ذلك في ترابط طبيعى يقترب ويتباعد ويربط أبعد الأجزاء المتنافرة والمختلفة... وأعتقد أنه من المستحيل علينا إدراكُ وفهم الجزئيات دون إدراك ومعرفة الكل وكذا إدراكُ وفهم الكل دون فهم الأجزاء بصفة خاصة»...

وأخيراً وبشكل خاص فهذه اليومية البحثية الأخيرة تطرحُ المعارف الواجب علينا طرقها ودراستها سواء أكانت فى صورة علمية أو ثقافية أو تاريخية.

فإذا ماكنا نود اعداد إصلاح فلابد من أن يكون ذلك هدفنا فى الجامعات وزنا شخصياً لم أعد اعتقد أبداً أن مرحلة التعليم الثانوى مرحلة «عالم» Univers Clos لايستدعى سوى «عرض المعارف بشكل موجز» وإنما وكما شرحت ذلك فى مقالى الذى نشرته مجلة دنيا التعليم Monde de L'Education فى إحدى اعدادها وقلت فيه: أن جزءاً لا يقل بأى حال من الأحوال عن عُشر الدورات الدراسية لابد وأن يكرس لطرح وشرح هذه القضايا وهذه الأمور وهذه الأبحاث العلمية شرحاً وافياً تماماً، وأن علينا البدء بتلك المفاهيم والمعارف المتعارضة والمتشابكة Transversaux.

مفاهيم ورموز مستعرضة

بقلم : جويل دواروزيني

ماهى المعارف الواجب تدريسها في المدارس الثانوية ؟ وبالذات كيف نقيم الترابط بين المعارف المختلفة ؟ وسوف أحاول الرد على هذه التساؤلات وفى خيالى التلاميذ وأساتذتهم وبالذات وبنفس القدر هؤلاء المنوط بهم التعليمُ الثانوى. واهتمامى فى المقام الأول ينحصر فى العلاقة بين المسار التحليلى والمنهّجى للمعارف. وحسب الاتجاهات السائدة فإن الأبحاث المتبعة يقع اهتمامها على المسببات المبدئية الأولى واستخلاصها بالتحليل المنهجى التحليلى وأدواته الميكروسكوب والتليسكوب فهما يعتبران أدوات معاونة فى فك التشابك وإخضاع المعارف إلى أبسط عناصر هذا التشابك، إلا أننا نلاحظ خلال السنوات الأخيرة بعد أن تمكنا من تقييم أفضل للعلاقات بين المكتشفات العصرية، أن السبيل المنهجى يوفر لنا تنظيم المعارف والمعلومات بصورة مغايزه وأحسن مما كنا نعرفه ليس بالتحليل فحسب وإنما بالعرض الشامل لمجمل العناصر. وفى هذا الصدد يمكن

للكومبيوتر مساعدتنا فى هذا المجال إذ لم يعد الأمر مقصوراً على الميكروسكوب أو التليسكوب وإنما الماكروسكوب Macroscope (أى مايرى لعين المجردة والذى يوفر لنا رؤية ديناميكية، بالإضافة إلى تطورات عناصر المعرفة والمعلومات وإعادة بنائها بغية فهمها بشكل أفضل.

والنهج التحليلى والنهج المنهجى الشامل متكاملان فأحدهما يركز على العناصر بينما الآخر يهتم بشكل خاص بالتفاعلات التى تحدث بين تلك العناصر وأيضاً يأخذ فى حسابه النتائج والتداعيات الناجمة عن تفاعل هذه العناصر. وبدقة البيانات المستخرجه من الاتجاه التحليلى والإدراك الاجمالى للرؤية المنهجية يمكننا التوصل إلى افضل مستويات المعارف وفى النهج التحليلى فإن الوقائع إنما ترتكز على صحة التجارب فى اطار نظرى et analy tique، ولكن بالاسلوب المنهجى SystemeItique يمكن المقارنة approehe بين النموذج وبين الواقع، وهذا بدوره يؤدى بنا إلى حدث مبرمج فى الزمن بينما فى النهج الآخر فإن الحدث عادة يعد استهدافاً لتوفير اغراض محددة. والنهج التحليلى يحيل المعارف إلى عدد من النظم المتفرقة المعزوله احداها عن الأخرى والتى هى ذات طبيعة موسوعة شاملة (انسيكلوبودية)، هذا بينما المسيرة المنهجية تركز على التفاعلات المتداخلة بين الظواهر وعلى ديناميكية تطوراتها وعلاقاتها بالزمن، وعلى ذلك نجد أن هناك تكاملاً بين النهجين، فالمنهج التحليلى يعاون على استنباط وقائع الطبيعة، أما الاتجاه المنهجى فييسر حصرها فى إطار يتيح سهولة تطبيق العقل والمنطق.

وسوف أبدأ بسرد بعض هذه الصفات والخصائص. وأحيلكم في هذا الخصوص إلى كتبي: الماكروسكوب والإنسان الرمزي Symbiotique التكاملي L'homme المتكامل. كما أنه لربط هذه المعارف يجب أن تميل رؤانا على عدد من الصفات المشتركة في النظم المتشابكة وهي صفات مختلفة تتمايز إحداها عن الأخرى. كما أن هذه النظم المتشابكة مفتوحة على مايحيط بها يعبرها فيض من المعلومات والطاقات في تفاعل مع البيئة التي توجد فيها مثل الخليه الحية. والنقطة الثانية هي الطابع المتنوع لهذه العناصر والتي نجدها في تفاعل مستمر. وهذه العناصر يمكن أن تكون جزئيات Molécules أو ذرات من النمل أو الفراشات أو حتى من الافراد والنقطة الثالثة من الظاهرة هي المستويات المتدرجة للتشابك، أي ذلك الذي يتحدث ادجار موران كثيرا عنه. والنقطة الرابعة هي وجود شبكة اتصالات بين هذه العناصر وبعضها البعض لتبادل المعلومات أشبه بشبكة تليفونات للجهاز العصبي على مستوى الجزئيات أو الذرات يمكن أن يعني فوتونات Photons (أي جزيئيات من الطاقة الضوئية في نظرية الكمـــــات) أو الايونات Ions (وتعني مجموعة الذرات ذات الشحنة الكهربائية ... إلخ.

والنقطة الخامسة هي الارتباط المتداخل Interdépendance بين هذه العناصر، فالمنهج التحليلي والذي يفصل كل واحد من هذه العناصر إنما يتجاهل مايقال عند الخواص التي تنبثق من تفاعلاتها خلال المدة. والطابع السادس لهذه النظم المتشابكة معروف ونقصد به هذه الحلقات الضابطة Boucles Requlation التي تتيح إرجاء معلومة، إنها عبارة عن

ضفائر تنظيميه لها تأثير مثل كرة جليدية يتزايد محمها. وعلى سبيل المثال: الخلايا الورمية Tunorales أو الآثار التى تنعكس على السوق ويعاد استثمار أرباحها باستمرار فى عدة مؤسسات، وعندئذ تبرز القواعد النظامية السالبة مثل المحافظة على اتجاه محدد.

والنقطة السابعة: هى أن سلوكيات النظم المتشابكة فى الزمن ليست خطية Lineaires خطوطية ولا استقرائية Extrapolables، فأحيانا تمثل تسرعات عنيفة تعقبها فترات استقرار وأيضا فترات ركود فيها تلغى إحداهما الأخرى بدءاً من تشابكاتها وتبادل تفاعلاتها الداخلية Interactions. وحتى الآن تبقى الأحداث سببيه، وفى النظم الحديثة نجد أن الفعل تركيبى وتوافقى، إذ نبدأ فى العنصر وبعده ننتقل إلى العنصر ب ثم يجى الدور على العنصر ج و د. والنتائج تكون بلا مقياس مشترك مع النتائج التى نتوصل إليها من التطبيق المنهجى وأيضاً لعدة أفعال ومناهج التعليم عندنا عليها أن تهيئ الأسانيد التحليلية وأيضا توفر الانفتاح والانطلاق نحو علاقة الفعل الأساسى ثم الانتقال للفعل المنهجى.

وهاهى بعض الأمثلة للنظم المتشابكة Systenes Complexes التى يمكن للطلبة دراستها فى مجالات علوم البيولوچيا والاقتصاد أو مجالات البيئة Ecologie. والنظام البيئى يمثل العلاقة بين أربعة عناصر هى أساسية: الهواء والحياة والأرض والماء. فالحياة تحتاج للهواء وللماء وتغير التوجيه المدرسى إلى شرح أن عدداً معيناً من الأملاح المعدنية يتيح للمجال الحيوى أن يظهر على هيئة مضخة تمثل وظيفتين أساسيتين فمن

جـهـة تحـول ديوكـسـيـد الكربون المعـدنى إلى سكريات بواسطة الـتـخليق Photosynthése . ومن جـهـة أخـرى تحـويل الأزوت (النتـروجين) إلى ايونات أى (ذرات ذات شحنه كهربائية) أى أيونات أمونيوميه (نشادرية) بواسطة التثبيت والتركيز. وعندئذ يمكنها اختلاق أو صنع بروتينات. ومن الجـدير بالتنويه مـلاحظة أن كل هذه المجـالات فى ترابط مـتـداخل... تتداخل أبعادها الواحد فى الآخر ونجدها منتظمة فى الزمن احداها بالنسبة للأخرى.

ولنركـز لوهلة على الحـياة ونوجـه السؤال للتـلاميذ: لماذا نجـد لون الدم أحمر ولون أشجار الشجر خضراء! وهذه وسيلة خصبـة لربط المعارف. وفوراً سنجد التلاميذ يردون: الهيموجلوبين بالنسبة للدم والكلوروفيل بالنسبة للأوراق!... إلا أنهم لايعرفون عادة المادتين الموجودتين فى كل منهـما: اليورفيرين Porphyrines الذى يؤدى إلى اللون الأحمر أو الأخضر. وبذلك يمكننا التحاور حول الطريقة التى تتدفق بها الطاقة التى تستخدمها الكائنات الحية للانتقال من مكان إلى آخر والبحث عن الغذاء والتناسل. وهذا منهاج نادراً مـايدرس فى المدارس. والطاقـة الشـمـسـيـة تحت أشكال بروتـونات والأوراق فى النباتات الخضراء على سبيل المثال والتى وبدءاً من الفوتونات الشمـسية Photons Solaires تخلق نوعاً من الغاز الكربونى والسكريات، وفى نفس الوقت تتـخلى أو تتـخلص من الأكـسـجين. والسكرياتة يعـاد استـخدامها كمواد حـارقه (كربورية)، والأكسيجين كوقود بواسطة الاجناس الحية بفضل التنفس.

ثم تبعث أو ترسل الأجناس الحية إلى النباتات ديوكسيد الكربون والاملاح المعدنية وتعاود النباتات إنتاج المواد السكرية على هيئة مواد نشويه سيللوز Celluose ـ وهى المواد التى سنقوم نحن باستهلاكها ونحن نأكل البطاطس والمخبوزات Pates العجائن لتوليد الطاقة. وهذه النباتات المنتجة ، وهذه الكائنات الحية من البشر والحيوانات هى التى تستهلك هذه المواد. وهذا من أبسط أمثلة التكافل بين دنيا الحيوان ودنيا النبات، فاحداهما فى حاجة للأخرى. وبذلك يمكننا أن نقول إن البيئة هى اقتصاديات الطبيعة بينما الاقتصاد وسيصبح بيئة النظام الاجتماعى. وسنحاول النظر للاقتصاد من زاوية أخرى إذ يوجد منتجون ينتجون من الطاقة منتجات وخدمات يتم تبادلها فى السوق لدفع مسيرة طاقة العمل للدوران Circuler أى للتداول. وفى هذا المعنى العكسى يكمن عنصر النقود اذان المستهلكين يصرفون لشراء اللوازم واقتناء الخدمات من السوق وناتج البيع يمثل رقم المبيعات لدى المؤسسات لمواجهة المهايا والمرتبات التى يدفعونها. ومن المؤكد أنه إذا ما ماكان العرض أقل من الطلب يحدث ركود وينتج عنه نقص فى الأيدى العاملة ثم على العكس تحدث بطالة وتحدث ذات النتيجة إذا كان عرض السلع والخدمات أكثر أو أقل من الطلب فتحدث حالات، الركود الاقتصادى أو التضخم.

ويوجد أيضا شكلات من رأس المال وهما: المعرفة التى تتولد من الاختراعات والتى تنشر بواسطة التعليم والتربية وعبر البراءات ورأس المال المالى التمويلى الذى يوفر الإدارة الاقتصادية لرؤوس الاموال هذه فيحقق لها الموارد. وهذا النموذج مع بساطته إلا أنه نادراً مايذكر فى دراسات

الاقتصاد. فهو يوضح العلاقة بين المنتجين والمستهلكين وآليات الضبط والحلقات المفتوحة على البيئة وذلك لأنه حيث لايوجد Feed Back (مـــردود) Déchets نرى الفضلات تتراكم. وفى إطار مايمكن أن نطلق عليه بالتنمية المستديمة فإن الاستخدامات والاستهلاكات تؤدى إى الفضلات التى يعاد تدويرها Réeycler على هيئة موارد. ومنذ عدة سنوات نعرف أن إعادة الاستثمار فى هذه السلسلة، إنما هو لاستهلاك هذا الرأسمال Rppauvrir فإذا ما إضعفت هذه الموارد أو نقصت فإن الاقتصاد فى مجموعة من المحتمل الا يبلغ مستويات النمو والتنظيم اللازمنى لرفاهية البشر. ومفهوم استهلاك رأس مال الأرض هو مفهوم جديد إذ يوفر جزءاً من عائد النشاط لتجديد رأس المال فى أجل محدد.

والتنمية المستديمة وحدها هى التى تهيئ نمّوا منتظماً يستخدم الموارد الطبيعية، وكذلك تتواجد وسائل تدويرها للحفاظ على رأس المال هذا والذى هو ضرورى للتنمية للإنسان الحى (الكائن الحى).

وفى الختام أود التصميم على التكاملية Complementarité بـــين النهجين التحليلى والمنهجى إذ أن الأول يظل ضروريا لاستنباط واستخراج طبيعة العناصر والأحداث التى تساعد فى تأسيس النظريات والثانى يتيح التوصل إلى بلوغ رؤية متكاملة وأكثر شمولية للنظم، كما يهيئ لنا فعالية الحركيه. فالتعرف والعلم للفهم شئ، أما العلم والتعرف بغية التصرف فشىء آخر... وكذا فإن التعرف على إدراك وفهم النتائج وأهداف الحدث شىء آخر ثالث ... وبديلاً عن تراكم المعارف تراكماً مستمراً، فإن العلاقة

بين الاتجاه التحليلى والاتجاه المنهجي سوف يتيح أمامنا الربط بين المعارف وإعادة تنسيقها وتنظيمها بصورة مستديمة أحداها مع ووراء الأخرى.. وهذا التماذج المنسق للمعارف إنما يدعم ويقوى من شأنها دوماً وبلا انقطاع، كما أن فهم الـ Feed Back (رد الفعل الارتجاعى) أو ماسبق أن وضعناه «بالمردود». وفى علوم البيولوجيا فسوف يعاون على ضبط Boucles de Rétroactions حلقات ردود الأفعال الارتجاعية سواء أكانت سالبة أو موجبة.

وفى مجالات الاقتصاد وعلوم البيئة فإن هذا المسار يمكن إذا أن يكون نقطة صغيرة جداً، ولكنها يمكن أن تصبح مجالاً فسيحاً شاسعاً يحتوى على كل مجموع المعارف والمعلومات. وبين تلك النقطة الصغيرة واللانهائى يوجد تقارب ذاتى هو علاقة المعارف وعودة تمازجها فيما بينها، على عكس المسيرة الانسيكلوبيدية (الموسوعية) التى تعنى بـ «رص» و «تجميع» المعارف بدون علاقة بين إحداها والأخرى. ولايجب فقط أن نوفر إطاراً من المراجع أفسح وأشمل لحث الطلبة على التصرف بفعاليه أكبر، وربما وهذا هو المهم علينا معاونتهم للحصول على ثقافة متعمقة عن التشابك Complexité. وهذا هو مايمثل ثقافة الغد وذلك لأن الثقافة لم تعد معرفة كل شيء عن شيء قليل كما أنها ليست معرفة أشياء صغيرة عن قليل من كثير وهذا هو حال أو موقف كل من يطلق عليهم «المثقفون» Cultivés.. ذلك لأن الثقافة هى لبنة إسمنتية تتيح بناء أو تشييد معنى... وذلك بدمج Intégrer المعارف دمجاً متكاملاً... وتعليم الغد عليه إذاً أن يوفر للطلبة الشبان العثور على حرفة Métier... ولكن بالأخص عليه بإعطائهم معانى

احـتـرام الآخـرين Autrui ... احـترام الغـيـر... ثم الانفتاح على التسامح والتـسـاهل Tolérance، وذلك بدعوتهم للمشاركة التامة والمساهمة فى الأبحاث المثيرة التى تجرى وراء المعرفة Savoir!!!

العقلانى والمنطقى

چان لادريير

إن حركة النقد اللاحقة لفترة الحداثة تصدر حكمها الشامل المتحرر من أى وهم على مسار العقلانية. وذلك بتوضيح حدودها الجوهرية الأصلية وكذا ما اعتراها من فشل ثم طرح قيمتها ذاتها، وذلك لم يمنع من أن نجد أن نشاط وديناميكية الحداثة تباشر مسيرتها وأنها وبطريقة معينة، وبرغم المآسى التاريخية التى عرفناها وتلك التى لازلنا نتعرف عليها، فإن حركة العقلانية Rationalisation لاتزال فى مسيرتها، إلا أنها منذ الآن تتضاعف ببعد نقدى يأخذ فى اعتباره مأساوية التاريخ والشكوك حول الآثار ذات الأمد الطويل للامتداد المتوالى للكون، وللعالم التقنى وللتآكل المستمر للتقاليد الثقافية، وأخيراً الازدواجية الأصلية لما تشيده الحداثه. إذاً فإن النقد يفترض الفصل بين بعدين يتواجهان، كما يوجد تخارج مشترك لحركة العقلانية Exteriorilé Réaproque والمطلب الأخلاقى ومع أن، وحيث أن ذلك يصدر أو يتأتى عن التظاهر الذاتى (Automonstration?)

والمبرر ذاتياً والبعد الأخلاقى سواء بدا كسلاح عقلى، فيجب أن يكون هناك تجانس عميق بين الممارسة التطبيقية التى يعتقد التحليل أنه يلحقها بفكرة المنطق العقلانى والإلحاح الحاكم الذى يعتقد بقدرته وواجبه فى التعليق على صحة وشرعية تجاوزاتها. والموقف المعاصر من واقع الممارسات التطبيقية تجد فيه روح الحداثة أو نقدها الحالى المتلازم يستدعى إذاً التفكير فى ذات الوقت حول ما يفصل ويوجد هذين الشكلين من أشكال العقل اللذين من جهة ينتشران كقوة منشئة خلاقة تبنى عالماً فاعلاً حيث العقل يجد نفسه، ومن جهة أخرى كقوة نقدية، غريبة بشكل من الأشكال، عن هذا العالم ولكنها تترسخ كحاملة لمتطلب هو فى ذات الوقت حاكم وموحٍ. والمشكلة المحورية لنظرية العقل تشمل هذا النوع من الازدواجية التى يبدو أنها تسكُن فى العقل. ويقتضى الأمر محاولة فهم كيف تظهر نفس القدرة كقوة منظمة ومنشئةٍ لموضوعية غير منقوصة لتلك التى تبديها الطبيعة، ومن الجانب الآخر تبدو كقوة حاكمة ناقدة بذاتها وتدل على لخطة راديكالية (تطرفية) Radicalité تفتح بطريقة معينة إشارة نحوالأقصى Ultime. كما يقتضى ادراك كيفية أن هاتين القوتين، إذا ما كان لهما نفسُ الجذور وكانا نابعين من ذات الأصل، فكيف يقدران على الترابط واقعياً فى الفعل؟

إننا نجد الفيلسوف كانت يصف العقل بأنه مثل تلك القدرة الكامنة داخلنا التى تتيح لنا الذهاب إلى أبعد من حدود التجربة، ولكنه يميز بين الاستخدام النظرى والاستخدم العملى التطبيقى للعقل. واليوم نحن لم نعد

نستطيع أن نظل أسرى لتلك الثنائية المجردة بين العقلانية التجريدية النظرية والعقلانية العملية بمعانى ألفاظ Kant (فيلسوف المانى ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) «كانت» التى سطرها فى أبحاثه والتى تماثل الطابع العملى لمحتوى أخلاقى. ولدينا مواجهات لأشكال قوى فاعلة أى تطبيقات تتميز بغايات لانستطيع وصفها بغايات معنوية، حتى ولو قدر لها أن تعنى مفهوماً معنوياً.

وأشكال الفعل تنتظم وفقاً لوسائل تنادى بجلاء ووضوح على معارف من أنماط نماذج علمية أو على أقل تقدير تمثل تشابهات أو تماثلات مع المنهجية Methodologie العلمية وليست تلك الفلسفيات التى ذكرها كانت Kant، وهو يتحدث عن العلم. ولكنى على أى حال ومن واقع الوصف الذى أورده كانت من العقلانية المنطقية المحدودة والتى بها يمكن إرساء قواعد العلم. ويمكننا الاتفاق على تحديد لفظ «معقول» Raisonable هذا النموذج العقلانى Rationalité. وبالتلازم يمكننا الاتفاق على تحديد لفظ «معقول» وهو ما اسماه كانت العقل العملى Raison Pratique بما أن الذى يمنح الفعل توجهاته الشرعية، وبذلك يؤدى الفعل الذى يخترقه العقل. والقضية التى أثرناها هنا كقضية مركزية لنظرية العقل من الممكن إعادة تشكيلها كمشكلة قضية تتعلق بالصفات الخاصة بـ «العقلانى» والمنطقى والعقلى وبالذات لم وكيف يمكن تفصيلها وترابطها.

فكرة العقلانية.. ومعانيها الثلاثة

من المفيد لكي نحدد بدقة معالم وأبعاد هذه المشكلة البدء فى طرح الفكرة العامة للعقلانية والتى تعنى لفظاً يشتمل على عدة معانى لما نطلق عليه لفظ العقل وعلى ذلك يمكن أن نميز بين ثلاثة معانى فالعقلانية أولاً هى صفة ونمط معين من المسيرة التى تعمل تحت إشراف واهتمام نقدى وتقديرى، وتجددها مرتبط بشكل منهجى طبقاً لرؤية شاملة واضحة بما يكفى وقادرة على إثبات ملاءمتها لكافة الظروف والأوقات. ومسيرة من هذا النوع يمكن تفسيرها على أنها تؤدى إلى شرعية مفهوم مانطلق عليه لفظ «عقل» ويمثل قدرة محددة يمتلكها الإنسان البشرى تشبه نوعاً من الضوء الطبيعى الكاشف يتيح فهم ما يحدث فى مجال التجربة وتنظيم الفعل. وفى معنى ثانٍ نجد أن العقلانية هى خاصية ليست لموضوع تفكيرى أو حتى فاعل وإنما الحقيقة فى أقصى امتدادها والقدرة عى الفهم والتعرف بشكل منهجى وبفعالية على الأمور.. وهذه المعقولية التى توجد فى الرؤية أو فى المشروع الذى يتحقق هى فى الحقيقة تكمن فى الأمور والقضايا ذاتها والتى تعتبر أساس تكوينها. ونحن إذا تمكنا من التواجد

بأنفسنا وسط هذا العالم، فذلك راجع إلى وجود تطابق سالف ما بين قدرة تكمن فينا وفى تكوين الأشياء تجعل الضوء الطبيعى الذى اعتقدنا أننا اكتشفنا أنه قابع داخلنا هو فى حقيقة الأمر الوضوح ذاته الذى يجعل من الممكن ظهور الدنيا ووضوحها ويتلازم أو ويلازم مجيئها إلينا.

وفى معنى تألف نجد أن العقلانية هى مجال موضوعى يبدأ بالمبادرات الإنسانية أو بواسطتها، وهى بالتالى تختلف عن الحياة الذاتية والتى هى مصدرها الأصلى. وهذا المجال إنما هو مجال الأمور التقنية وأيضا القواعد النظرية والتى تنعزل ذاتيا عن أفعال الاختراع التى تولّدها فعل تلك النظم التى تشيد بها الشبكات المتداخلة وشبكات تلك المؤسسات. ومجمل هذه الموضوعات حقيقية كانت أو مثالية لديها نزعة تماسك ذاتى للتطور يخلق عالماً فذاً من نوع خاص Suis Generi أطلق عليه كارل بوبير Karl Popper «الدنيا الثالثة» troisieme Monde وهى تتبدل متجهة نحو الدنيا الأولى التى هى دنيا الطبيعة. وهذا المجال يمكن أن نسميه «المنطقى أو العقلانى» لتحديد تميزه واستقلالته. إنّه بشكل ما العقلانيه فى ذاتها فى محيط قادر على عرضها وإظهارها متحرراً من كل تجهيز موضوعى أو طبيعى من شأنه أن يحدّ من قدرتها على التطور الذاتى Automanifest Ation وهذه التسمية الثالثة لمعنى العقلانية تفرض وتستوجب أكثر التساؤلات حسماً إذ هى بدية تمثل مشكلة بالنسبة للثقافات والثقافة بشكل عام كما تمثل قضية تجاه توجهات المستقبل. أما المشكلة الكبرى الرئيسية والتى تثيرها العقلانية هى «التوجيهية» Directionalité. وتنامى العقلانية ومجالاتها إنما ينشئ تشابكات متصلة تتحرك تحركاً ذاتياً. وبديهى أن هنا الانسياق الكبير ناتج

عن عديد من القرارات الذى اتخذها بوعى أفراد ومجموعات منظمة إلا أن المحصلة الشاملة لهذه المحاولات والمبادرات الخاصة فتبدو كظاهرة تكونت ذاتياً وتخضع لنوع فى الحتمية الداخلية detérminisme interne ومحدودة جزئيا بتدخل عناصر فجائيه. ومنذ ذلك الوقت تبدو المشكلة وكأنما هى تواجه قدراً ناتجاً عن الفعل ولكنه صار تحت السيطرة إذا ماكان التطور العام للعقلانى يظل محتوماً لامفر منه أو إذا أمكن وفى ظروف معينة السيطرة على التداعيات الشاملة أو إذا كانت هناك رغبة محددة واعية ويقظة بالأهداف والمرامى التى تقترحها وتفرضها باختبارها وتكون قادرة على التوجه بقدر الامكان نمو ماتراه مناسباً.

والانعكاسات على هذه الأمور وبالذات الأخيرة منها تستوجب تنظيمها والتمييز بينها. فمن جهة فإن التوضيح الدقيق بقدر الإمكان بوجد قدرات ذات فعالية، ولذا فإن المعنى المنبثق يستمر فى التكوين كاتجاه عقلانى، ومن جهة أخرى وإذا ماكان ذلك ممكناً واعتباراً من أى منطلق يمكننا تفسير أو التساؤل حول مستقبل المنظور العقلانى إذا ماأصبح موضوعاً للنقد. ويجب ألا يفوتنا وجود قدرات ذات فعالية. وهذا المعنى المنبثق يظل فى التكوين أو التكون كاتجاه عقلانى كما يظل دافعاً لاتخاذ توجهات وإقامة معايير للاختيار... وفى النهاية يؤدى إلى اتخاذ إعطاء القرار كبادرة أولى تتجدد ذاتياً ولاتخضع لأى شكل فى أشكاله القدرية المصيرية Fatalité... وأولى هذه المهام تتصل بنوعية المعقولية والثانية وحسب الأصول اللفظية السابق الإشارة إليها والمقترحة.. Raiso Nable تتصل بالمعقول.

المنطقى والعقلانى

جان لادريير

إن حركة النقد اللاحقة لعصر الحداثة تسبغ حكماً واضحاً ومتحررا على مسار العقلانية المنطقية Rationalisation وذلك بتوضيح حدودها الجوهرية واخفاقاتها بل وطرح قيمتها ذاتها وهذا لايمنع من أن ديناميكية الحداثة نجدها بصورة أو بأخرى برغم المآسى التاريخية التى عرفناها ولازلنا نتعرف عليها، فإن مسيرة المنطق العقلانى تتابع مسيرتها، وإنما يُصاحبها من الآن فصاعداً بعد نقدى يأخذ فى اعتباره مآسى التاريخ والشكوك التى رانت حول الآثار طويلة المدى للامتداد المتوالى لدنيا التقنيات والتآكل المستمر للتقاليدالثقافية وأخيراً الازدواجية الأساسية لبناء الحداثة وعليه نجد أن النقد يفترض الفصل بين بعدين يواجه أحدهما الآخر كما أن هناك تخارجاً مشتركاً للحركة المنطقية والطلب الأخلاقى ومع ذلك وحيث أن هذا يصدر عن التبيان الذاتى Automonstration والذى يحمل فى طياته المبررات الذاتية Autojustifiante للبعد الأخلاقى، والذى

يتمثل كسلاح للعقل، فلابد وأن يكمن فيه تجانس عميق بين الممارسات التطبيقية التى يميل التحليل إلى إلصاقها بفكرة المنطق والقدرة بل وضرورة الإعلان عن صحة وشرعية المنطق وإفراطاته Excés والموقف المعاصر يتجسد أمامنا فى الممارسات والتطبيقات التى نعرفها فى روح الحداثة أو نقدها المتلازم، وبالتالى يستدعى انعكاساً فكرياً على ما يوجد وما يفصل هذين الشكلين من أشكال العقل، اللذين من جهة يبدوان كقوة ناشئة وخالقة لدنيا فاعلة، يتواجد فيها العقل ذاته من جهة ومن جهة أخرى يبدو كقدرة نقدية، غريبة، بشكل ما على تلك الدنيا، ومع ذلك يتأكد وجودها كحامل لمتطلبات هى فى نفس الوقت حاكمة وموحية Inspirante Tugeante.

والقضية الرئيسية لنظرية العقل تتعلق بتلك الازدواجية التى يبدو أنها تكمن فى العقلانى وعلينا محاولة الشروع فى فهم كيف تبدو نفس المقدرة من جهة كقوة منظمة ومنشئة لموضوعية أخرى غير منقوصة Non Reductible بالنسبة لطبيعة، ومن جهة أخرى كقوة حاكمة ناقدة فى حد ذاتها ودالة على لحظة تطرفية تفتح بشكل ما مرجعاً نهائياً كما يجب إدراك كيفيته أن يكون لهاتين القوتين جذور، مشتركة يمكن أن تترابط بصورة واقعية فى الفعل Action.

والفيلسوف كانت Kant يشبه العقلانى كقدرة كامنة داخلنا تتيح لنا أن نذهب إلى أبعد من حدود التجربة إلا أنه يميز بين الممارسة النظرية والتطبيق العملى للعقل واليوم نحن لانستطيع أن نظل بين تلك الثنائية

البسيطة بين العقل التجريدى النظرى والعقل التطبيقى العملى، وبالتوازى بين فائدة نظرية وأخرى تطبيقية للعقل، كما ذكر كانت Kant، وبألفاظه ذاتها التى يماثل بها بين الطابع العملى والطابع المعنوى ونجد أننا بازاء أنماط للفعل، أى إما تطبيقات تتميز بغايات وتستهدف مرامى لايمكننا وصفها بأنها مقاصد معنوية أخلاقية حتى ولو كانت تعينها بالفعل وأشكال الفعل هذه إنما تنتظم وفقاً لوسائل تنتمى بوضوح إلى معارف من نموذج علمى أو على الأقل تحمل فى طياتها مناهج علمية، وذلك يستدعى الامتداد على هذه الممارسات التطبيقية وبالذات على مختلف التكنولوجيات، وهى لاتطابق فلسفة كانت عن العلم وإنما من جانب التميز الذى أورده كانت وهو يتحدث عن قاعدة العقل المجرد، أى المنطق المحدود والذى ننشئ به العلم كما يمكننا الاتفاق على تحديد لفظ (منطقية) وبالتالى يمكن الاتفاق على لفظ Raisonable ما أسماه كانت «العقل التطبيقى Raison Pratique»، تلك التى تعطى للفعل توجيهاته المشروعة، وتجعله فعلاً يخترقه العقل والقضية التى أثرناها هنا على أنها مشكلة رئيسية لنظرية العقل يمكن إذاً إعادة تشكيلها كمشكلة تتعلق بالصفات الخاصة التى يشتمل عليها كل من المنطقى Rationnel والعقلانى Raisonnable وكيفية الفصل بينهما.

فكرة المنطق..
ومعانيه الثـلاثة

لكي نـحـدد بدقـة مـعـالم هذه المشكلة، فـلابد أن نبـدأ من الفكرة العـامـة للمنطق العقلاني والتي تعنى لفظاً يشمل عدة مـعاني لما نطلق عليه لفظ العـــقلي Raison وعلى هذا الأساس يمكن أن نميـز بين ثلاثة مـعـاني فالمنـطقيه أولاً هي نمط معـين من المسار الذي يعمل تحت إشراف اهتمام نقدي، ونجدها مرتبطة بشكل منهجي طبقاً لرؤية شاملة واضحـة بما يكفي وقادرة على إثبات تلاؤمـها مع كـافة الظروف ومسار من هذا النوع يمكن تفسيره على أنه يؤدي إلى مشروعية مفهوم نطلق عليه لفظ Raison أي عقل، ويمثل قدرة معينة للإنسان البشري تشبه نوعاً من الضوء الطبيعي يتـيح فـهم مـايقع في نطاق التـجـربة وتـنظيم الفـعل وبمعنى آخـر نجـد أن المنطق هو خـاصية ليست لموضوع تفكيري Pensant أو فاعلي وإنما يعبر عن الحـقـيقـة Réalité في أقصى امتدادها، والقدرة على الفهم والتعرف بشكل منـهجي فعال وهذه المعقولية التي توجد في الرؤية أو في المشروع

الذى يتحقق هى فى الحقيقة كامنة فى الأمور ذاتها والتى تتكون منها ونحن إذا ما تمكنا من التواجد بأنفسنا فى هذه الدنيا فذلك يرجع إلى وجود توافق وتطابق مسبق بين مقدرة كامنة فينا، وفى تكوين الأشياء بشكل يجعل الضوء الطبيعى Lumiere Naturelle الذى اعتقدنا أنه بداخلنا هو فى حقيقة الأمر الوضوح ذاته الذى يجعل ظهور الدنيا ووضوحها أمراً ممكناً.. ويلازم مجيئه إلينا.

وفى معنى ثالث فإن المنطق هو مجال موضوعى يبدأ بالمبادرات الإنسانية وبواسطتها وبالتالى هى تتميز عن الحياة الذاتيه التى هى منبعها الأصلى وهذا المجال إنما هو مجال الأمور التقنية وأيضاً القواعد النظرية والتى تنعزل بذاتها عن أفعال الاختراع Actes dínvention التى تولدها مثل تلك النظم التى بها تبنى الشبكات Réseaux المتداخلة وشبكات المؤسسات ومجمل هذه الموضوعات سواء أكانت حقيقه أو مثالية لديها تماسك ذاتى للتطور ينشئ عالماً فذاً من نوعية خاصة، أطلق كارل بوبير Karl Poper عليه لفظ Le Troisieme Monde (الدنيا الثالثة) وهى دنيا تتبدل متجهه إلى الدنيا الأولى التى هى دنيا «الطبيعة» وهذا المجال من الممكن استمراره أو امتداده كما يمكن تسميته بـ المجال العقلانى أو المنطقى العقلانى لتحديد تميزه واستقلاليته إنه يشكل ماهية العقلانية فى ذاتها وفى محيط قادر على عرضها وإظهارها متحررة من كل تجهيز موضوعى أو طبيعى يحد من قدرتها على الظهور الذاتى Automa .Nifestation

وهذه التسمية الثالثة لمعنى المنطقية تفرض بلاشك أكثر التساؤلات حسما إذ هى بداية تمثل مشكلة بالنسبة للثقافات، والثقافة بشكل عام كما تمثل قضية تجاه توجهات المستقبل أما المشكلة الأساسية التى يثيرها المنطق فهى Directionalité توجهاته... واتساع مجال المنطق وتنامى قدرته بشكل منتظم ذلك لأنها تمثل مساراً توجهياً متماسكاً أشبه بإنشاء شبكة تزداد كثافتها وتتحرك بذاتية. وبديهى فإن هذا الانسياق ناتج عن عديد من القرارات اتخذت بوعى من جانب أفراد أو مجموعات منظمة إلا أن المحصلة الشاملة لهذه المحاولات والمبادرات الخاصة تبدو كظاهرة ذاتية التكوين Autoconstitution، وتخضع لنوع من الحتمية الداخلية ومحدودة جزئياً بتدخل عناصر فجائية، ومنذ ذلك الوقت بدا وكأن المشكلة تواجه مصيراً قدرياً Fatalité ناشئاً عن الفعل ولكنه صار تحت السيطرة إذا ماكان التطور العام للمنطقى يظل حتمياً ولا مفر منه وفى ظروف معينة فإنه يمكن التحكم فى الآثار الشاملة، وخاصة إذا كانت هناك رغبة محددة واعية ويقظة للأهداف والمرامى التى تقترحها باختيارها، وتكون قادرة على التوجه إلى ماتراه مناسباً والانعكاسات على هذه الأمور بالذات الأخيرة منها لابد من تنظيمها فى تناسق فيما بينها، فمن جهة لابد أن يكون هناك توضيح دقيق وبقدر الإمكان لوجود قدرات ذات فاعلية، ولذا فإن المعنى ينبثق يظل مستمراً فى التكوين كاتجاه منطقى، ومن جهة أخرى يمكننا تفسير مستقبل المنطقى إذا ما أصبح معرضاً للنقد ودافعاً لاتخاذ توجهات وإقامة معايير اختيار Critéres de Choix وفى النهاية فإن اتخاذ القرار يبدو كمبادرة أولى تتحدد ذاتياً ولاتخضع لأى شكل من

أشكال القـدرية Fatalité وأولى هذه المهام متصلة بنوعية من المعقولية المنطقـيـة Rationnel والثانية وحسب الأصول اللفظية السابقـة تتصل بالمعقول .

المنطقى..

يبدو المنطقى فى أجلى أشكاله إذا ما أطلقنا عليه لفظ الـ Rationnel أى المنطق المعقول وما يثيره اللفظ إنما هو عالم، ذو مجال فسيح يختلف عن المجال الطبيعى الذى يتميز بوجود مسار تنظيمي ذاتى يتفاعل تحت ضغط تفاعلات حاسمة وتلقائية تنبسط وتمتد بدءاً من علامة تلتف حول نفسها وتقف على مبعدة من ذاتها بالنسبة للعالم الفريد من نوعه Sui Generis الذى يجب محاولة إدراكه.

والعالم الذى يتولد هو عالم، تام البناء، وهو بذلك يتميز بصورة جذرية عن دنيا الطبيعى الذى يتميز بوجود بمسار ذاتى التنظيم، يتفاعل بعفوية حاسمة ثم ينتشر بدءاً من انغلاقة داخلية فى التلازم البحت لظهور الدنيا الطبيعية، والتى تتباعد طبقاً لنوع من الانعكاسية Reflexinté والبناء المنطقى يقف موقف الموضوعية حسب مخطوط تكوينى لنشأته، وبهذا ومسبقاً نجده منفصلاً عن مبدئه بتلك المسافة التى تفصل موقع الفصل عما يفترض وقوعه وعما يثيره المعنى، ويحدث طبقاً لخطط متى ولو كانت

جزئية مستفيداً من المناهج التى يوحى بها إليه المنطق، ثم بعد ذلك يستمر فى مساره الذاتى بوسائله الخاصة بهدف دعم تنظيمه الداخلى بموضوعية تخلق قدرات جديدة وتضاعف من التداخلات والارتباطات بين الأجزاء والتى بعد أن تتزايد وتتعدد ترفع مستوى المنجزات وهنا نجد مساراً لا توجهه رؤية شاملة، واضحه وإنما يستغل الإمكانيات والقدرات التى تتلخص فى التفاعل بفضل تشابكٍ يتصاعد تدريجياً، وبدون أن يدرى يقوى درجة التكامل الاندماجى المتلازم Degré Olúntégration Corre Lativement بمقدرة الأسلوب نفسه. وهذه الصفقة البنائية تتشارك معها صفة الفعالية Effectivité ذلك أن العملية البنائية هى عملية تجميع أجزاء لتحقيق رؤية مسبقة نسبياً تخلق فكرة معينة ربما تكون مشوشة إلا أن البنائية لابد وأن تحقق أمراً محدداً قادراً على بعض العمليات اللازمة للإنجازات المتوقعة وهذه العمليات ذاتها يجب أن تؤدى إلى نتائج محددة. والآلة المعلوماتية Machine In Formatique توفر هنا أكثر النماذج وضوحاً للموضوع النهائى البنائي الذى تحققه تلك العمليات الفعاله وهذا المثل الذى أوردناه يظهر سمة أخرى أساسية من سمات المنطق وهى المجال الذى من خلاله تسرى الأمور بوسائلها الخاصة وتبعاً لـ «برامج مفروضة عليها Unparés» وتوضحها فكرة الإنتاج الآلى Autonation ويمكن على أى حال تعميمها مروراً بمجموع جزئياتها المتواجدة فى مجال المنطق العقلانى كاتجاه يرنو وبدقة ليصبح نظاماً آلياً Automate قادراً، ليس فحسب على تحقيق مهام محددة طبقاً لتعليمات معطاة وإنما آخذاً فى ه واعتباره التجربة ليستخرج منها المعرفة وأيضا نقد خطواته ذاتها

وإدراك أخطائه وبالتالي استكمال تعليماته العملية وزيادة فعاليتها والارتفاع بنوعية منجزاتها، وبإيجاز إعدادها حسب سلوكيات انعكاسية Reflexivité هي في المبدأ تقويه ذاتيه والمنطق يعطينا مساحات جديدة يمكننا استثمارها وإعطائها فعاليات متنامية حتى في الوقت الذي كانت تبدو فيه غير قادرة على الإنجاز ونظرية المنطق تؤدي إلى نمط سلوكي تجاه الأمور النظرية بل وحتى التقنية ويستدعي الأمر وجود نظرة موضوعية تجاه دنيا الفعل ومن يقدمون خلاله بالدور، وينتهي الأمر بتعبيرات، مقبولة وهذا الأثر الاستقرائي Induction الناتج عن المنطق يؤدي إلى تحول نمطي للمعاني، وبصراحة يمكن القول: إن المعنى هو علاقة تحيل لفظ فعل عن تعرف أو عن موقف إلى عناصر أخرى في مجال التجربة وبواسطتها تتقارب هذه العناصر إلى ما يشبه الأفق الذي يتحول كموقع لكل هذه الوساطات والتي بها نتوصل إلى المعنى الدال على التسجيل المدون الذي يتلقاه من المعنى فالفعل بطبيعته الذاتية هو مشاركة شبه دقيقة في معناها الكلي، وهذا المعنى يأتيها من علاقتها بتلك الحالة المعينة. وهي باستمرار سابقة لرغبة الفرد ووجوده وبالنسبة لهذا البعد الأفقي Tal Horizon، نجد الفعل ذاته يرتد Rabatue على مخطط العمليات، فيفقد شحنته Charge الوجـــودية Exiotentielle ويصبح ببساطة حلقة في سلسلة من تعاقب التحولات Sequences de Transformations كما أن علينا أن نتذكر أيضاً فكر باسكال Pascal المتعمق حيث يقول: «الآلة الحسابية» تولد آثاراً تقترب أكثر من الفكر، ولكنها لا تعمل شيئاً يثبت أن لديها إرادة مثل ما يحدث لدى الحيوانات.

والحياة نفسها، يثيرها ويبعث فيها بالحيوية والرغبة فيها تلك النزعة الإرادية الثابته والمستديمة داخل الفرد والتي يعبر عنها بشكل فريد اثباتا لوجوده وما لاحظه باسكال هو أننا لايمكن أن نقول إن آلة حتى ولو اعتبرت في دورانها ذاتية يمكنها أن تتحرك بإرادة، إذ هي بشكل ما لاتبالي بالفرد الطبيعي Etre Naturel، والأجزاء المكونة منها والطاقة التي تضمن دورانها لاينقصها شيء من كل هذا، وبالتالي يمكن القول بأن دوران هذه الآلة ليس له من معنى آخر سوى تنفيذ العمليات التي تؤديها، فإذا ما افتقدت هذه الآلة تلك الرغبة الإرادية والتي تحث وتشجع على الحياة، فبالأحرى تنقصها إرادة المفهوم الذي يثير الفكر والذي يستقرئ مصيرة الذاتي وهو الذي في ظلمة مسيرته يتحسس خلالها خطاه إلا أنه في طياته يحمل الحياة وفي نفس الوقت اليقين بأنها تتحمل مسئولية فاصلة تجاه نفسها يجب عليها أن تؤديها وفكرة الآلة الكلية الذاتية Totalemen Autonome ليست بداهة سوى فكرة ضمنية مقدراً لها توضيح سمة ماهو منطقي بصفته مجالاً بحتا للفعل!!

المعقول

واعتباراً من المنظور المنطقي العقلاني الذي شرحناه كعالم ذاتي Le Raisonnable نستطيع العودة للفكرة الأساسية لنظرية العقل بالشكل الآتي: فبالنسبة للكائن الآدمي الإنساني نجد أن معنى العقل المنطقي، أنه ذلك العقل الذي يتواجد فيه هذا الكائن كأنه إلحاح Instance ومعنى توافقي Mediatrice من الضروري شرح طبيعته بالنسبة لكونه إنسان وهذا

الاتجاه ليس نظرياً تماماً أى بمعنى أننا لايمكننا طرحه فقط على أساس جدل لا يؤدى إلا إلى ظهور أسباب موضوعية ؛ ذلك لأن العقل ذاته هو موضع الخلاف حيث أننا من جانب نعتبر أسبابا في موقع حيث نجد أن للعقل قدرة على التعليل العقلاني ، وعلى ذلك نجد في مثل هذا المسار جزءاً أساسياً هو عبارة عن رغبة للدعوة لاتخاذ قرار وفي معنى آخر نجد العقل في حد ذاته أحد المعطيات المسلم بها وبمعنى آخر فهو اتجاه خلاّق يتبع نداءه الداخلي ، فإذا ما تساءلنا عن ماذا يعنيه المنطقى Rationnel بالنسبة للإنسان ؟ فذلك سوف يقودنا للتساؤل والجدل حول طبيعة ماهو Raison (أى عقلى) وستجد ضرورة في الاستناد للمنطق وتداعياته لفهم المعقول كما ستجد أنهما يشتركان معاً في ماهو موضوعي والآلة La MachireNch إذا ما مثلناها Pardigme بالمنطقى ليست كذلك إلا ظاهرياً وكما رأينا فهي ليست سوى شيء يشبه الكائن الحي ، فإذا ما كانت لديه مصلحة ، فهو يود تحقيقها ونفس الأمر بالنسبه للآلة في أى مشروع ، ولكى موقعها فيه فلابد من تفسيرها والتعرف على دورها وكيفية احتمالها لهذا الدور ورصده وهنا يلعب التفسير دوراً أشبه بالدور الأساسى في وسيله فهمنا للواقع الحقيقى إلا أن تفسير طابع ودور آله صماء أمر صعب... وهنا نشير إلى حالة مثالية إلا وهي حل المعادلة الخوارزمية Algorithmique الحسابية وتطبيقاتها وكل المجالات التى نسميها بالعقلية الآلية Rationnalité Unitrunentale أو المنطقية الآلية تتضح في هذه الإمكانيات ، كما يمكن وبشكل عام اعتبار أن المجال المنطقى قادر بداية على تحقيق إنجازات والتفسير يعيدنا إلى حساب الفكرة Pensée وحساب

العــقل Action وهذه الحسابية المزدوجة Double Prapleimatique لايمكن تبريرها إلا بالنسبة لعلاقاتها بمشروعات سواء أكانت فردية أو جماعية وعلى ذلك فإن الوجود يعتبر مفهوماً فى حد ذاته على هيئة علاقة فورية ونجد Le Vécu الحى يصاحبه وضوحه الذاتى، وهذا الوضوح الطبيعى هو مايمكن أن نطلق عليه «مجال التجربة» أو آفاق المعانى وبالانضواء تحت ظل هذا الأفق يبلغ الوجود معناه، وكل دال على مغزى يجد مغزاه، ومعنى لفظ Terme هو ما يعاد إدراجه فى حركة التجربة العامة وبالتالى فى الأفق العام للمعنى Lhorizon Qéuéral du Sons.

الترابط بين المنطقى والعقلانى

إن مشكلة معنى المنطق بالنسبة لهذا اللفظ إنما تتمدد فى الشكل الآتى: كيف نعيد إدراج المنطقى بالنسبة لما يعنيه لنا، أى فى دنيا المدارك الحسية Lanie Du Sens وهنا نجد لحظتين يجب أخذهما فى الاعتبار، أول لحظة منهما هى إدراج المنطقى فى ديناميكية حركية للمعانى تعمل بصورة عفوية، وفى اللحظة الثانية فإن المهمة كان يجب أن تؤخذ من منظور مهمة بناء تجمع مابين إمكانيات المعانى وما تعنيه وبالنسبة للأولى نجد أن إدراج المنطقى فى الأشكال العفوية فى دنيا المعانى هو أمر ممكن طالما كان عودة للانضمام لعمليات الفعل... إذاً ماهو أصل المنطق؟... هو السمة الخلاقة الإبداعية التى تنشئ المستحدث والذى لم يكن متوقعاً حدوثه... ولكل هذه الأمور الرياضية والحسابية ودنيا التقنيات ونظم عالم الاقتصاديات... كل ذلك يمر عبر مرحلة تنطلق مابين الطبيعى والخلاق ولحظة الإبداعية الخلاقة تسبق مرحلة «غامضة Obscur» قبل انبثاق الاختراع الذى يحمل الضوء فى ذاتيته وعلاقته بمعنى المنطقى.

أما فيما يتعلق بالمرحلة الثانية فهي تعني محاولة تحديد مهمة أو غاية مرجوة تسبق الفعل الإيجابي وهي سابقة التوارد في الرغبة لتحقيقها . وفي مجال مفهوم المستقبل الذي يتفاعل في الحاضر، فهو ليس كخطة مطلوب تحقيقها أو كشكل واقعي محسوس لمشروع وإنما كمثال لإمكانية خطط ومشروعات ولا تتأتى هذه الإمكانية إلاعلى شكل آفاق تنتشر بالفعل وبدقة قبل الإنجاز... وهذا هو البعد الذي يحدد اتجاهاً يبدو أمامنا ممكنا وهنا يكمن المنطق وهو كمبدأ يبدو كمن يتفاوض أو يتشاور مع المعقول، واتجاهاته الديناميكية هي التي تحدد مقصده النهائي الذي يسعى إليه وهنا نجد أيضاً التفكير التأملي الذي تحدث عنه الفيلسوف كانت Kant ووصفه بـ «الحكم الحر Libre Arbitee «Corpus Mysticum في القواعد المعنوية والتي تكون في ذاتها وحدة منهجية شاملة لتبادل الحريات التي هي وحدها وليس غيرها ماتسمى العقلانية المحققة Raison Réalciée ولا تتواجد حقيقتها إلا في آفاق الفعل طبقاً لما يمليه الفعل وتمنحه كيانه الحقيقي واتجاهات معناه وبعد شرح هاتين اللحظتين يجب أن نتوصل وبدقة لمعرفة كيف يتحقق صعود المنطقي للمعقول الذي يظهر في المعنى المرجو من ال الأفعال والذي هو ذاته يتحرك كمؤشر دال على مهمة بذاتيه حاسمة ويمكن تسمية هذا التحرك حركة بسيطة من تحركات الحياة Simple Mouvement de La Sre لها حقيقتها كمبدأ ملهم وجاذب Inspirateur et Attracteue وبهذه الصفات فإن ميزته وفضله هو منح الحركة حقيقتها التي تسكن فيها، وفي ذات الوقت تفيض Excéile عنها إلا أن فعل المنطقي ليس هو تحقيق أو إنجاز خطة وإنما حث وتحريض

ماهو حالى Présent على أن يأتي فيما بعد ويجب أن نضيف أن التأملات ليست منغلقة أبداً في نطاق تعريفها، فهي تشترك بطريقة معينة من الزائد المفرط وبفضل الأفق الذى عادة ما يكون أبعد من مجرد التخمين والمقارنة اللتين تسبقانه وبكل دقة يمكن للتوسطية Médistion عن هذا الطريق أن تقوم بدورها كما يجب، أيضا أن تكون متجانسة لتتلاحم مع المعقول حتى يستطيع حقاً وفعلاً ربطه بواقعية الفعل Concrétudes du Actes والمجال الوسيطي هو مجال الأفعال سواء اعتبرت من وجهة نظر الإلهام الذى يأتى من الأصل، الذى هو مبدأ الإبداع الخلاق أو من وجهة نظر الإنجذاب الآتى من آفاق المعقول والذى هو مبدأ تكوين وإنشاء الثقافة والعلوم والسياسة والفكر العلمي ذاته وعلى ذلك فبهذه التطورات ينشأ عالم المنطق، والفعل المحرك للمنطق يتلقى منه التحديد والمعنى وهذا المفهوم هو مفهوم Mediation وسيطى بفضل المنطقى، والذى فى مجال موضوعيته يقترح عليه مبادرات ممكنة ويعطيه شكله المادى المحسوس والواقعى.

ولكن كيف نفهم تلك التوسطية من وجهة نظر المنطق وكيف تصبح ذات معنى بالنسبة لنا؟ أى كيف يمكن أن تنضوى فى المعقول؟... إذاً هو يمتلك فعلاً قدرة على أن يكون كاشفا Renélant بالنسبة للمطلوب من المعقول لسبب مزدوج فمن جهة نجد أن المعقول كمطلب ضرورى موجود فى المنطق ومن جهة أخرى بالنسبة لآفاق المعقول نجده يتجلى ويتكشف بتأثيراته فى فعاليات الموضوعية المنطقية. Obtectivités Rationnelles وما ترنو لتحقيقه عملية خاصة هو النشر والتعميم فى محيط المنطق كله وكوسيط لأفعال بحثاً عن المعقول ويجب محاولة تحديد

كيفية ماهية هذا التماثل Analogon Analogie بصفته نظاماً في مجال المنطقي يتحقق بفعاليته وتلاحمه وبقدراته الذاتية وكذا بفضل امتداده وانعكاسه على مسائل غير واضحة المعالم وعلى مجالات جديدة ذات طبيعة حقيقية أو مثالية ومن جانبه يميل الفعل للإعلان عن نفسه عبر الزمن الوقتي، كما أن تتابع أو توالي الأفعال وتلاحمها يكون بحثاً عن وجودها ذاته ومرتكزاً على مصادرها الخاصة مع هذا النوع من التحفظ إلا صلى حيث تأتيه الطاقة التي تدفعه دائماً إلى الأمام وهو يبدو بهذا كمن يحمل كيانه الذاتي Propre Genése الذي يكون دائماً في استمراريه Continueé يبدو المنطقي فيها مثل صورة فاعلة، وفي أثناء مجهود المبادرة يثبت وجوده وانضوائه تحت هذه الآفاق التي تجعل المبادرة ممكنة بالنسبة للآفاق.

والفعل أساساً انفتاح على ماهو آت إليه وإلى إمكانياته الذاتية إلا أن الفعل المنشئ للمنطقي مدعو لأخذ معناه الصحيح في تدخله أو في اندماجه في المعقول، والذي يعبر عن نفسه في حكم التقييم الذي يوازن بين مختلف عناصر الموقف تماماً مثل الموازنة بين فوائد ومضار قرار من القرارات، والإنحياز لجانب بالنسبة للغموض الذي يحمله هذا القرار، ومراعاة أين تكمن أخلاقيات الفعل بتقييم الموقف وموقعه من الآفاق، والانحياز لجانب الأخلاقيات.

وبذلك نجد أن المعقول ـ كما رأينا Horizonal متعدد الآفاق وإذا ما كان قصد أو غاية المعقول ذا طابع عملي، وإذا ما تمثل هذا القصد أو تلك الغايه

على هيئة فكرة من دنيا الأخلاق أو موقع لمرامى وأهداف، فذلك يعود إلى أن موقع المعقول هذا هو فى نفس الوقت الموقع الأخلاقى وأن آفاق الحكم المعقول هى تماماً وبدقة غاية Ethique وقصد الأخلاقى Finalité.

وعلى هذا الأساس؛ إن هذا الحكم لايتم بتطبيق مبدأ على موقف معين وإنما بنوع من القراءة لظروف الحالة ذاتها، وعلى ما يتضمنه الموقف لما يأتيه من الآفاق الأخلاقية للحالة ويوجد فى حكم التقييم نوع من الرؤية على نوعية الحالة الأخلاقية، وهذا ما يؤدى إلى إطلاق الفكر فى المعقول نفسه الذى نتعرض له على أنه قدرة للمعقول وأكثر من جهة إدراك مباشر لمعنى من جانب الحوار والاستدلال البرهانى وعلاقته بالآفاق التى هى موقع المعقول ويجب أن نفهم ذلك على أنه نوع من الرؤية ليس بالنسبة للواقع الحقيقى لهذه الآفاق وإنما لما يفرضه من ضرورة رؤية كل حالة بالوسيلة التى تدعو إثارتها المعقول ليحدد موقعه بنفسه.

وهذه الفرضية هى رؤية للحرية... ممكنة ... وهى مملكة للغايات والمقاصد والنوايا، وموقع الحرية التى تحققت أو بشكل آخر الإنجاز المتكامل لنداء النفس والمعقول هو مايطالب به هذا النداء ولكن الحريه إنما تتوطد أركانها ودعائمها بتماسك الإنسان البشرى فى الكون وبأن يكون تابعاً لقانون الكون، وأيضاً لما يخلقه لنفسه فى نواميس وقواعد سواء أرادها أم لم يرغب فيها ودون رغبه من جانبه وسواء أقامها بتصرفاته أو أقامتها مؤسساته وهو ما أطلق عليه الفيلسوف هيجل Hegel : «الفكر الموضوعى الذاتى Lésprit Objectif»، وهو ما يمثل تحدياً فعلياً فى هذا السياق فى

منجزات غاية من الغايات، أي ما يحققه الوجود ذاته باعتباره مهمة من المهام ليست للمشاهدة وإنما تمثل رجاءً ومطلعاً يراد تحقيقهما. وفي ذات الوقت الذى يبدو فيه أنهما قابلان للتأثر والتفاعل والإقرار والاعتراف بما يفرض عليهما، نجد أن الشعور هو المفتاح ذاته الذى به كذلك نجد الوقت مهيئاً لكل مبادئه ولكل إبداع ولكل اختراع للحرية.. والتعرف والتوقع والافتتاح ماهو إلا حشد وتجميع طاقات كامنة فى الذات، فالشعور والاحساس هما اللمسة الروحية التى تجعل من الكائن الحى قادراً على الاتيان بماهو منطقي وماهو عقلاني في خضم وتلاطم المواقف التى تواجهه والتى يقابلها بالإيعاز المتجدد والذى تتكسر عليه وتنعكس آفاق النداء الآتى من المقاصد والغايات والتماس المعقول.

ومن عقلانية العرض العلمى حيث الفعل التقنى Actrion Techsucienneنجد نماذج من المحاولة العقلانية فى هذا التوقيت المسبق والمتوقع لميدان الغايات والمقاصد، وحيث تقع مسئولية الفعل... والطريق يبدو طويلاً بوضوح.. ومع ذلك .. فبينن الغايات والمقاصد.. توجد استمرارية مؤكدة بفضل الاتجاه والنظره الحاضرة بكل جهد عقلانية ووحدوية العقل... وفى بنائية هذه الاستمراريه، والحق يقال توجد أولوية وأسبقية للبعد العقلي هذا... والذى فيه أصلاً يتعرض إنجازه لـ Telos (أى العقل التطبيقى) والذى بداخله يتم تفسيره، وفى إنجاز المقصود يتخذ العقل شكله المعقول Raisonnable ... وطبقا للنظرية التى تقول (إن كل شىء فى الطبيعة موجه لغاية معينة) كما وبنفس القدر تتأكد قدرة الإنسان على تبيان الإيجابى مابين المنطقى والمعقول، وبشكل محدد نجد أن هذا التوحد

ذاته هو التحدى الأساسى لكل هذه الخطوات والمساعى ... وهى ليست معطاه وإنما هى مهمة تبرز بنفسها... أى أن مجيئها مجئ ذاتى... وفى مسعاها الفاعل الحقيقى... فهى فى حد ذاتها أمل... الأمل ذاته!!!

المنهج العلمي La Scientificitě.

دومينيك لوكوور Dominique Le Court

لا يوجد شيء ما يتحقق من تلقاء نفسه في مجالات تدريس العلوم ولقد توصلنا إلى هذه النتيجة بفضل تجربتي كأستاذ للفلسفة عندما كنت أقوم بالتدريس في جامعة دنيس ديريرو بباريس وبالذات بين طلبة المناهج العلمية من فرنسيين وأجانب وما كانوا يرددونه من قلق وضيق لاينعكس على شكل أو نوعية مايتلقونه إنما على مضمون ما يبلغ لهم. وكانوا يقولون : هم يعلموننا كثيراً من المعادلات ويدفعون بنا لإجراء اختبارات لنكتسب تأهيلاً مؤكداً، إلا أننا مع ذلك لا نرى مداخل ومخارج ما يسمح لنا بمعرفته. فلنستعرض ما يشعرون به من نقص فيما يدرس لهم وسنجد أن ما ينقصهم هو «مدخل» يوصلهم إلى إعمال الفكر العلمي الذى كان ولايزال سائداً يدّعم النتائج التي كان عليهم التحكم فيها والسيطرة عليها وكانوا يرغبون في معرفة أي شيء لا يمثل معادلة:

ويبدو لي أن تلك الملاحظة يمكن أن تمتد إلى مجموع النظم العلمية، بل وكذلك تمكنها أن تشمل كل حلقات التدريس الثانوى والعالي الجامعي.

وحسبما أعرف لم تَخْتَفِ فى أىّ موقع تعليمى فى أنحاء القارة الأوروبية وكل هذا يدفع بنا إلى ضرورة التفكير فى المنهج العلمى. التعليمى الذى آن أوان الاعتراف بجذوره الفلسفية.. هذه الجذور نكتشفها دون عناء من الإدارك العملى للمعرفة المعروضه للبحث فى منعطف القرن الماضى فى ظروف خاصة وهى ظروفٌ تحولات ألحقت الضرر بتقدم المعارف الأساسية وطرحت للمناقشة العلم الذى كنا قد ورثناه منذ قرنين من الزمان ابتداءاً من أفكار نيوتن Newten وما تلاها من الثورات والتطورات الاقتصادية والاجتماعية التى ارتبطت بما سمى «الثورة الصناعية» التى غيرت من شكل النظام الاجتماعى سواء بالنسبة للعلم أو العلماء.

ومن ناحية الفيزياء فقد كانت تعتبر «ملكة العلوم» حتى ذلك الوقت واتُّخذت نموذجاً لكل العلوم الأخرى ولكل القواعد الآلية لكل الأبحاث والتى تكشفت منها بعض العيوب التى لم تكن متوقعة ومنها الديناميكا الحرارية، والتطورات التى لاتخضع للمعادلات الكلاسيكية، وأيضا المغناطيسية الكهربائية وقد زاد هذا من تفاقم الأمور وارتباكها وانقسامها وقد أحسن علماء الفيزياء وقتئذ أمثال هيلمهولز وهرتز Hertz وبولتزمان Boltzmann فى محاولة «إنقاذ» المنهاج بتلطيفه وكان من بين من يريدون «تعميق» وإعادة طرح المشاكل أرنست ماش.

وعلى الرغم من هذه الخلافات التى اشتدت أحياناً، ظهرت قاعدة فلسفية أسفرت عن موجة ماسمى بـ «أزمة الفيزياء المعاصرة».

ومن الأفضل أن نقول: إنّ تراجعاً قد حدث، حيث أعيد ترتيب الأوضاع، وهى أوضاع «الوضعية الكلاسيكية» التى اقتصرت على العناية

بالظواهر والوقائع «اليقينية» وأعلنوا أنه منذ ذلك الوقت فصاعداً فإن العلم ليس من غايته أن يطرح للمناقشة أسباب ودوافع الظواهر التى يتم تدريسها وإنّما فقط إقامة وإثبات القوانين التى تربط بين الوقائع التى أمكن ملاحظتها ورصدها بانتظام.

وهذه الفرضّية كانت قابلةً لتفسيرات عديدة من التجارب بدءاً من التفسيرات «الحسية Sensualisme» حتى التفسيرات التقليدّية أو البراجماتية الواقعية.

وربما بدا لنا أن هذا الاختلاف فيه ما يعين على أن نستخلص منه فائدة ما لم يكن من طبيعة الأشياء. ويمكن امتصاص «فرضية» الاتجاه لتقسيم علم الفيزياء إلى قطاعين تنتظمهما معادلات متنافرة!.. وتلك الفرضية يمكن وصفها بـ «الوضعية» التى أعلنت للمرة الأولى ووصفها أوجست كوفت Comte عام ١٨٣٠ وهو الذى أرسى لنفسه قواعد أساسية أشبه بحجر الزاوية لفلسفة قوية لتفسير التاريخ.

وقد فرضت الفكرةُ نفسها على المسار العلمىّ وتلخصت فى منهج يشمل ربط الملاحظات بحسابية متلائمة مع استخدام حسابات الاحتمالات وتوسيع ميدان التجارب حتى يتحقق حُلْمُ Réve الرياضيّات الحسابية الاجتماعية Mathematique Sociaue التى كان كوندورسيه Condorcet قد تنبأ بها. وفى عام ١٨٥٩ أحدث نشر كتاب «جذور الكائنات» ما يشبه الزلزال فى مجالات التاريخ الطبيعى، وكنا ولعدة قرون سابقة نكتفى بما توصل إليه «نيوتن Newton» (فيزيائى رياضيات ألمانى)

عن التكوين والأصل. وفي ذات الوقت أنشأ لنا كلود بيرنارد Bernard الفسيولوجيا التجريبية وشكّل أمامنا تصوّره لمفهوم الوسط البيتي Milieu Interieur الداخلي لكي يقدم السمة الخاصّة للإنسان الحي.

وقد عملت أطروحة الوضعية عمل السحر العجيب، إذ أتاحت تجديد وحدة علم الفيزياء وتاريخه في إطار من ضرورة التوافق بين التقدم العلمي ومحاولات رصد الظواهر، وحقائق الدين التي توضح أمامنا الرد على كلمة «لمـــاذا Le Pouaquoi». كما أضيفت إلى هذا التلاقي العلمي المحدد مجالات، أخرى أحدثتها الثورة الصناعية وثبوت قدرة النار الدافعه والتي أمكن استخدامها في المناجم ووسائل النقل والمواصلات بفضل الآلات، هذا بالإضافة إلى ماكانت تعيدنا به الكهرباء في تقدم مذهل من تنظيم للمصانع وصناعاتها وإنتاجها واستبدالها بالصناعات الكبرى كما أن شعلة عام ١٨٤٨ العلمية تركت آثارها على كل أنحاء أوروبا، وبدأت الأفكار تتجه لدراسة ما سوف تحدثه نظم الإنتاج الجديدة التي تؤدي إلى الاستقرار الاجتماعي، ثم بدأ العلم يتخذ مسارين واضحين، الأول: هو استكمال وتعميم العلم اعتباراً من مفهوم المجتمع لأحدث منجزات العلم وهو ما رمى إليه هربرت سبنسر Spencer الذي عوّل على الديناميكا الحرارية ومذهب النشوء والارتقاء ليثبت أن كل خلل هو خلل، جسيم سينتهي بأن يصبح أفضل تماسكاً والتحاماً، والثاني: هو إدماج العلوم في نظام الإنتاج وهذا بدوره هو ما فتح الباب أمام سان سيمون وأدجست كومت Auguste Comte والذي على هذا الأساس أراد التوفيق بين النظام والتقدم، وبين النسق والتقدم وأسس علم الاجتماع باعتباره علماً تقنياً بما أن علماءه كانوا في رأيه سوسيوقراطيين!.

فما الذى أراد كومت قوله... لقد أراد أن يقول إن كل الأعمال الإنسانية هى إما تأملية أو حركية. ففى حالة التأمل يكتشف قوانين الظواهر وبالتالى يتوصل لمعرفة كيفية التنبؤ بها أما فى الاتجاه العملى فإننا نكون فى حالة البحث عن منافع، وبين الاثنين يبدو أن كومت كان يحفر هوة تبعده عن هؤلاء الذين يرون فى العلوم فقط أساسا للفنون Arts .. أى بمعنى مناهج تقنية لما تقدمه من خدمات للصناعة ومن جهه أخرى فهو يؤكد مع ذلك أن الاتجاه الأول هو أساس الثانى وأن علينا أن ندرك أن العلم مهيأ لإعداد وإقامة الأساس الحقيقى لكل فعل يقدم عليه الإنسان على الطبيعة.. وهو مفهوم يتيح اتخاذ موقف مزدوج: أى «التطبيق» وهذا المفهوم لغرابته العميقة أتاح ظهور المناخ لتجنب وتلافى مشكلة أليمة حتى فى شكل صياغة هذه النظرية، ففى موسوعة اليمبير نجد التفسير الآتى: تطبيق علم على علم آخر يعنى استخدام مبادئ وحقائق، إحداهما لزيادة وتحسين الآخر... وكلمة تطبيق توحى أولاً بفكرة أن المنجزات التقنية تستمد قوانينها العلمية عن طريقٍ استناجىٍّ استنباطى.

إلا أنه فى عام ١٨٤٢ وفى أثناء شرح الميكانيكا الصناعية أوضح أن : هذه الميكانيكية العقلانيه ليست كما نعتقد وهو أنها غالباً اشتقاق من الآلية الميكانيكية العقلانية وإنما لا يعدو الأمر كونه علماً تطبيقياً وتنبأ كومت بالدور الحاسم الذى سيقوم به المهندسون فى المستقبل وأنهم سيصبحون علماء بحق وبكل ما تعنيه الكلمة، وأن على البوليتكنيين أى ذوى الفنون المتعددة تنظيم قواعد العلاقات والنظريات والتطبيق بمعنى إقامة علاقة ذات أبعاد ثلاثية هى : المستقبلية والمحاكاة والتبعية أى خضوع شىء

لشيء آخر. وكان كومت يتجه بكلامه هذا لأوروبا التى كان يود إنقاذها من الانتفاضات الثورية وتوحيدها حول نظرياته، وما وصف بأنه عقلانية آلية اعتبر توفيقاً بين الأساليب لتتطابق مع غايات يحددها الإنتاج والعلوم الأساسية. ونحن نرى ما الذى يعنيه القول بأن لا شيء يتحقق من تلقاء نفسه، إذ أن كل شيء يسير طبقاً لنهج من البدهيات التى برزت فى منتصف القرن التاسع عشر. فمن جانب كان تدريس العلم يتم على أساس أنه مجموعة من النتائج والأساليب الحسابية والملاحظات ومن جانب آخر كانت التكنولوچيا تدرس رسائل مشتقة من أكثر النظريات المغلفة بالغموض.

إلا أن علينا أيضاً أن نقول كيف قامت هذه المفاهيم بتسوية وتعديل إحداها للأخرى.

ومن جهة تكونت أطروحات فى العلوم فى مسار تحولات علم الفيزياء تمهيداً للأرض لانبثاق ظهور البيولوچيا، ومن جهة أخرى تكونت أطروحات تأخذ فى حسابها وفى اعتبارها التغيير الاجتماعى الذى ينسق مابين ظهور نظام إنتاج جديد لتوفير الماديات وظهور طبقات اجتماعية جديدة ومتطلبات نظام سياسى جديد. باختصار كان كل شيء يتماسك!! ألسنا اليوم نحاول التحقق من ذلك.. أليس هذا الـ «كل» والذى نصفه تقليديا بـ «الدنيا».. يتفكك أمام عيوننا.. ومنذ ذلك الوقت أليس علينا أن نستخلص الدروس لإعادة صياغة مناهجنا الدراسية والتعليمية .. ربما تستطيع أوروبا توحيد جهودها فى هذا السبيل وبالنسبة لى فإننى مقتنع بأنها سوف تجد فى تاريخها ما يحفزها على الأمل والتوجه لباقى بلاد الدنيا لأنها كثيراً ما سارت على منوالها.

أما إمبراطورية الوضعية التجريدية Lémpire Du Positivisme ولاشك أنها لم تتح لنا استخراج دروس عن كبريات التطورات التى ألحقت الضرر بالعلوم الفيزيائية خلال أوائل عقود هذا القرن.. هذا بينما نجد أن نظرية النسبية كآلية Mecanique Quantiaue كمات قد استخلصنا منها درساً أساسياً، فنحن نعرف أن الأفكار العلميــة الخصبــة لا تتأتى من الملاحظة البسيطة للوقائع وإنما من التأملات والرصد اللذين لايبتعدان عن مجرد الملاحظة وأن المفهوم لابد وأن يشمل التجارب التى تساعد على تحقيقه، ولقد علمنا كذلك أن نظرية من النظريات لاتستكمل من مجرد عملية حسابية بسيطه وإنما من جدل لا ينقطع حول الظواهر المحسوسة وعلى ذلك فإن الفكرة العلميه هى فكرة لاصقة وأيضاً تكون منشطرة أو فكرة لا تنفك عن نقد ذاتها بغْية التقدم والارتقاء بموجب تصويبات وتحسينات متتالية ولكن كيف تنتقد ذاتها فى هذه الأوقات الحاسمة التى توارثتها من الماضى حيث لم تكن وحدها بما أن نماذج أو أنماط التفكير الأخرى حول التصرفات الإنسانية تدور كلها فى الميدان أو الساحة.. ولنتذكر فحسب نظرية نيوتن عن المجال المطلق Espace Aboslue ومجموع المواقف والرؤى فى السيكولوجيا (علم النفس) وعلم الأخلاق Morme وفى السياسه بل وحتى فى العلوم اللاهوتية Theölogie أى علم الدين وهذا ما يوضح أمامنا كم كان نيوتن حكيما عندما توقعها مسبقاً.

وهذا هو ما بستوجب علينا إعادة تدوين مناهج التعليم والمبادرة بإعادة تدوين النضج Maturation Prtpssphique الفلسفى للمفاهيم العلمية فى البرامج التعليمية عندنا، إذ نحن بهذا نقدم علما متفتحا على ما يحيط به

من الخارج وبديلاً عن أن يكون مفروضاً كَشَكْلٍ من أشكال الاعتقاد اليقيني، وذلك هو ما يوفر للتلاميذ تجديد موقع نماذج وأنماط تفكيرهم ورسوها في المرفأ الصحيح!

وفي لغتنا الفرنسية لدينا تعبير جميل للإشارة إلى أن موقفاً تدريسياً معيناً يمكن أن يثير «استعداد» الفكر أي قابليته.

ومرة أخرى فإن «كل شيء يتماسك» ثم إن تدريس المناهج والنظم العلمية يمكن أيضاً وبنفس المنظور إعادة التفكير في موقعها الثقافي والاجتماعي،.. إذ لم يعد كافيا الاستكانة إلى هذا الغلاف اللفظي أي الذي يفصل بين الخالق والكون.. لم يعد ذلك كافياً أمام التقنيات التي صارت تكنولوجيات تجد نفسها تعترف بمكانتها والتعليم الفني في مجالات العلوم يتجه إلى مسار التفكير الحر ذي قيم ومفاهيم حديثة تحث على الاستخدام الأمثل وعلى الابتكار للانفتاح على التقنيات.

وهذا الأسلوب يساعدنا على الإبداع والخلق وإثبات أن حركية المعايير سوف تصبح دافعة للانفتاح على آفاق المستقبل ويمكنها أن تسبقه وذلك باستنباط واكتشاف نظم استخدام جديدة ومتجددة.

وباختصار فإن التفكير العلمي التقني يمكنه معاونتنا على إدراك قيمة الاستباق الحدسي وأن هذا يعني التأهب لاستقبال اللامتوقع والطارئ بديلاً عن استمرارنا في الاعتقاد بأن المستقبل لن يكون أبداً سوى امتداد للحاضر!!

تشعب النظم التعليمية

چورچ لوربير

إن المنظور الذى أريده هو الرد على ما شغل بال بعض أصدقائى من المعلمين الذين أبدوْا قلقهم من أنهم لم يعثروا فى أفكارنا على دليل يعاون على التطبيق ولهذا السبب، من بين أسباب أخرى فقد أعطيت لبحثى عنوانا لفظياً هو : Transpisciplinarité وبداية أود محاولة إعطاء بعض الإشارات لتحديد موقع Transdisciplinarité من مفهوم المبحث النقدى فى مبادئ العلوم وفى أصولها المنطقية وهى أربعة : المجال المادى الذى أصفُه بالمادى الواقعى ثم يأتى بعد ذلك مجال التصور المعنوى للاقتراب بداية من المفهوم التجريدى وبعد ذلك يأتى مستوى أكثر Méta متداخل أيضا فى النظم وهو يشمل النظريات التى تدخل فى معانى العلم وتغذيها بمفاهيم وأخيرا هناك مستوى آخر يسميه بياجيه Piaget «مجال البحث العلمى الخارجى» أى ذلك الذى ينفلت من مجال البحث العلمى ومن النتائج التى تمكن العلم من الحصول عليها ومقارنتها بالعلوم الأُخرى وهذا هو ما

يعطينا مؤشرات معينة لربط المعارف. ويمكن أيضاً إقامة علاقة بين هذه المعارف وذلك يتأتى بالاكتفاء بطرح نفس الموضوع من عدة وجهات نظر لكى يلمس التلميذ كم من النظرات يمكن أن تُلْقى على موضوع واحد وكذلك أيضاً يمكن طرح الموضوع بشكلٍ تجريدىٍ بحت، وذلك بالنظر إلى أكثر المستويات الخارجية والتى تربط كما تفصل بين مختلف العلوم وأريد كذلك العودة إلى آراء بياجيه Piaget فى موضوع التطور الإدراكى إذ أنّه كان يعنى التطور الإدراكىّ بمعناه المجرد، وعلى ذلك فإننى أعتقدُ أن كثيراً مما يقال ليس جاداً حول موضوع التجريد فهو من وجهة نظر بياجيه مفهوم، ديناميكى لأبعد مدى يقوم باستخدام مسارين من المسارات الإدراكية يتداخل فيما بينها بعملية استبطان داخلى Interiorisation وأستطيع القول بضرورتها لمسارٍ ثانٍ يهدف لإثراء المسيرة إثراءاً مستمراً وممتداً، إنه نوعٌ من العمل الذى يبعد العمل عن مركزه والاندماج فى ما حصلنا عليه فى إطار بصورة أشمل تؤدى بنا إلى نوعية من النسبية Relativistion.

والنقطة الثالثة التى أود التركيز عليها هى موقف العقل فى كل هذه الأمور والذى أصفه بالمنطقة العقلانية المفتوحة، فقد قال بياجيه رداً على سؤالٍ لوصف العقل: إنه بديهة الفكر والذكاء، ولكنى سوف أذكر كذلك ما أكّدهُ ادجار موران : بأن كل بديهية محورية مفتوحة، أى بمعنى آخر: إن وضع العقل على أية بديهية محورية للذكاء، فذلك يفترض أنها بديهية مفتوحة ومن العسير هنا الاكتفاء بوصف العقل بنوعٍ من أنماط المنطقية وعند التحدث عن المنطقية المفتوحة لابد من الإقرار بوجود تفاعل متبادل بين هذين الشكلين من أشكال المنطق وبين المعتاد .

وهذا كله مهم إذا ما أردنا أن ندرك ولو قليلاً كيف يتحرك المسار الإدراكى لدى التلميذ إذ أنه لايفكر بطريقة منطقية دقيقة لأنه يستخدم الشكل الثانى لعقله الذى ينفتح على ماهو خيالى دون أن يكون لهذا «منطقياً» والتلميذ عندما نسأله متابعة درس علمىّ فإنه عادة يوجه لنا سؤالا محرجاً إلا أنه برغم ذلك وثيق الصلة بالموضوع فنراه يتساءل : ماجدوى ما أقوم به؟ وكيف أستطيع «ربط» دراساتى عن الحياة التى أعيشها؛ وهنا أعتقد أنه يريد أن يتلاعب بـ «الخيالى»!

والمدرسة تميل إلى تناسى ماهى الناحية الشعرية فى العلم .. فهى تحتفظ بالموضوع لبلوغ تلك الناحية للأشخاص الذين سبق لهم أن درسوا كثيراً والذين يقدمون على توسيع مداركهم وبدءاً من هنا يقدمون على عمل نظامى متداخل هو حقيقة ما يثير الفضول.. فكم من المؤلفين من يهتم بهذا النظام المنهجى.. هم أشخاص لديهم تجربة شخصية قويه بينما الخيال لايزال خصباً عند المراهق، فإذا ماكنا نريد من التلميذ ألا ينغلق على نفسه وبالتالى يفشل فى مسيرته العلمية فلابد ولزاماً علينا مراعاة البعديْن الاثنيْن للمنطق لدى التلميذ ونحن إزاء مشكلة عريضة... متناقضة وليست سهلة المعالجة، فالزملاء المدرسون غالباً ما يكونون مجردين من معرفة الرد أثناء حلقات تدريس الفيزياء والكيمياء على تساؤلات بعض التلاميذ بينما الآخرون يكتفون بنظرات بلهاء... فنرى المدرس يحاول جاهداً ألا يُحْدِث ضجةً أو إقلاقاً فى الفصل ... إلا أننى أعتقد أن هناك علاجات على وشك أن تصبح خطيرةً لأنها تتمثل فى أن نترك «اللامنطقى» يجتاح كل شيء وأن نكتفى بمسّ بعض المسائل مساً خفيفاً..

وفى النهاية الابتعاد عن نقل الدرس إلى منتهاه . والوسيلة الثانية لطرح المشاكل هى الاستمرار فى الإبقاء على الوضع الراهن وبأنّ العلم ليس فيه «شاعرية» وأن وجود التلاميذ هنا هو فقط لكى يتعلموا وبدون أن يهتموا بالباقى .. أى ما معناه الاكتفاء بـ «رص» المعارف رصاً وهو ما يصير ذا مغزى» بالنسبه لكثيرين من التلاميذ أو لعدد معين من الشباب يجدون فى دنيا العلوم والاقتراب منها ما يكفى لفهم الحياة فهماً أفضل .. وهذا ما توصّل إليه قبلنا الأنجلوساكسون وما يطلق عليه Experiencinc أى القدرة على التقدم وإزاء هذه المعضلة يظل أمامنا بعض المخارج المعينة المحددة وأولها فى رأيى أن نقول لأنفسنا ونعترف بوجود نوع من الثورية والتلميح بشملهما العلم فى مجال تدريسه وفى أحيان كثيرة نجد أننا نطرح مسألة ما ونتوصل إلى نتيجتها دون التحاور حول هذه النتيجة وكيف توصلنا إليها، وهذا ما يبدو له مثيراً للسخرية وذلك لأننى أشك كثيراً فى استطاعة هذا التصرف أن يساهم فى تكوين عقول الطلبة على المعرفة العملية التطبيقية لما يحصلون عليه من معارف وعلوم كما أرى فيه نوعاً من «الخصاء العقلى Castration» أو الاجتثاث العقلى أو الاستئصال العقلى، نبعد فيه عن العلم ماهو فى حاجة إليه... حاجة ضرورية .. حاجته إلى إطار شاعرى مثير، وذلك لأن أنماط التفكير والاستدلال البرهانى وهى أنماط، أساسية.. وبإيجاز يجب علينا أن ندرك قبل معرفة المعنى... معنى أى مشكله... علينا أولاً وبدايةً الاعتراف بأن هناك مشكلة ؟!

والنقطة الأخرى التى أود طرحها هى من النوع الإدراكى... أى القدرة على المعرفة بالإدراك... أى طريقة وأسلوب التعليم، واليوم يمكننا القول إنه

إذا كانت هناك محتويات يمكن تماثلها وتشابهها ... إلا أن هناك أيضاً توجد تعددية وتنوعية لايمكن تصديقها عند التلاميذ وقدرات عجيبة على استنباطها بطرق استراتيجية مثيرة، فنجد أن أفضل التلاميذ هم الذين كانوا ذوى مقدرة خارقة فى تقييم وفهم قياسات الحسابات الخوارزمية (أى منهج العد العربى Algorithme)، فأنا بداية أفهم وبعد ذلك أنجح وبمعنى آخر فأنا قادر على القيام بتمارين. وبالنسبة لكثيرين من التلاميذ الآخرين فلا يعدو الأمر سوى «تحصيل» لكى لايرسبوا فى الامتحان أى نوع من التفكير الاستراتيجى لتفادى الرسوب.. ليس إلا..!

ومنهاجنا التربوى والذى أساساً يرتكز على أن استيعاب المعارف لايتيح للطالب أن يدرك أن معنى هذه المعارف لابد وأن يرتبط بالباطن... أى الاستبطان وأن على الفرد التوصل لاكتساب قدرة كافية للابتعاد عن المركز وهو ما يحقق النجاح لدى البعض ويفتك فيه البعض بواسطة «اللاإدراك».

كما أعلن أن ضرورة إدخال بعض المناهج التربوية الأخرى تتيح للتلميذ النجاح أولاً مع الفهم بعد ذلك بعيداً عن نهج استيعاب المعرفة فحسب.. وذلك ما سوف يؤدى إلى نجاح كثير من الشباب الذين هم اليوم فى موقع فشل، كما يتيح كذلك للطلبة الناجحين فى النظم والمناهج الكلاسيكية التقليدية إطاراً مناسباً لاستيعاب المناهج الـTransdisciplinarité والتوصل إلى إدراك أنه لا يكفى التعرف على أمور معينة لكى يصبحوا قادرين على تدريسها بروح علمية وذلك يعنى أننا لو أردنا أن يقوم المدرسون بالتدريس

بأسلوب مختلف فلابد من لهم معايشة المواقف والحالات التى يعايشونها بالتجارب والأبحاث. وحتى ولو كانت طموحاتنا لا تستهدف إعداد برامج ومناهج وإذا ما كنا نود إدخال بعض التغييرات الجوهرية تشمل هذه المناهج فليس كافياً الاقتناع بإضافة ١٠ ٪ من البحوث العلمية على سبيل المثال، إذ أننى على قناعة تامة أن الأمر يستدعى تعديلاً فى التطبيقات التدريسية ومراعاة واحتساب تعدد التطبيقات التعليمية... ليس هذا فحسب بل يقتضى الأمر على الأقل إلمام المدرسين بضرورة أن يكتسبوا معايشة نظم ومناهج تدريس أخرى ربما تغاير ما كان يروق لهم أثناء دراساتهم خلال مراهقتهم.. وهم لايعرفون سوى ترديدها بنية حسنة فهى فى نظرهم.. الوسيلة الوحيدة التى بها يتم التدريس!

خطة عاجلة لتدريس نظرية لغة التخاطب

هنرى ميشونيك

ماهى المعارف التى يجب تدريسها فى المدارس الثانوية ؟... على هذا السؤال كان ردّى أن هناك شيئاً يجب ألا يظل لا يدرس ليس فحسب فى المدارس الثانوية بل وفى الجامعات وأقصد به المنهج العلمى للغة الكلام وما أقترحه فى هذا الصدد هو عبارة عن «يوتوبيا» أى شيء لايوجد فى أى مكان ويمثل واجباً إذا ما نظرنا للدنيا كما هى بكل ما تحويه من معارف. وهذا النقص أمر غير مقبول حيث أنه يتعلق بموضوع أساسى فى مجال العلوم الإنسانية والإنسانيات البشرية.

ثم إن المنهاج التعليمى لابد وأن يكون برنامجاً فريداً وحقيقياً.. أى ضرورة لا تأخذ مكانتها ومن اللازم العمل على تحقيقها ولكى نضع هذه الفكرة موضع التنفيذ، يقتضى الأمر إعداداً مستمراً لمدرسى المدارس الثانوية وذلك لأننى أعتقد أنه لايوجد أحد حسب معلوماتى أو تقريباً لا أحد أو على الأقل فئة قليلة جداً بين مدرسى التعليم العالى لديهم الكفاءة والتخصص اللغوى والفلسفى والأدبى لإعداد هذا التشكيل الذى أقترحه.

فإذا ما كانت هناك رغبة سياسية لتحقيق مثل هذا البرنامج فلابد من إقامة حلقات محاضرات للبدء فى تكوين كادرات لمدرسى المدارس العليا يكونون قادرين على نقل الرسالة بعد تكريسهم للمهمة. وبالنسبة لنظرية اللغة فأنا لا أقصد علوم اللغة ولا فلسفة اللغة وإنما أقصد انعكاساً يشع على نظم ومناهج وتطبيقات اللغة بل وحتى اللغات الأخرى فى مجالات الممارسات الاجتماعية وتلك المحاولات التى نطلق عليها العلوم الإنسانية وإدراج دراسات الآداب والفلسفة فيها كما تشمل أيضاً العروض التعليمية للفنون كما لا يجب استبعاد علوم الحياة والطبيعة مثلما يحدث فى تدريس الاستعارات المجازية Métaphores فى البيولوچيا.

والأمر يحتاج إلى «مركز مراقبة» وهو ذو أهميه استراتيچية لملاحظة ورصد مجموع المعانى وما تثيره من مفاهيم فى كافة المواقف والحالات وكذا التفسيرات وتاريخها وآثارها الحالية على نصوص الترجمات والدعايات الإعلامية والإعلانات والاتصالات وما تثيره من نزاع بين الواقعية ومذهب الأسمية «أى المذهب الفلسفى القائل بأن المفاهيم المجردة أو الكليات ليس لها وجود، حقيقى وأنها مجرد أسماء ليس غير» ونظرية اللغة هى البحث والتدريب على نوعية وخصائص لغة التخاطب والاستماع إلى تنوعية اللغات إنما يتيح لنا الفصل بين عبقرية اللغات وبين لغة التخاطب الكلامى ولغة الأدب ولغة الثقافة، كما أنها نظرية تعترف بأثر «تاريخية» لغة التخاطب التى دائماً تكون نابعة من الماضى وجذوره، وتحمل فى مسيرتها تجديدات أحياناً تكون غير مرئية وينتج من هذه التفسيرات أننا نجد أن أفضل موقع لتتحقق فيه تاريخية اللغة هو مجالات

الفنّ وبالذات فنون لغة التخاطب التى هى أخيراً اللغة الأُدبية بكافة أشكالها وتنشأ قيمتُها من انغراسها فى التاريخ وليست نوعاً من المظهر الجمالى، ذلك لأن الفن ولغته لهما دور فى تعبيرات المجتمعات نفسها وفى الوقت الحالى نجد أن نظرية لغة التخاطب غائبة، عن مناهج التدريس العام وقابعة فقط فى ثنايا مناهج علوم اللغة بالجامعات وبالذات حيث نجدها فى مناهج منعزلة وفلسفة اللغة حاليا لاتنعكس على مناهج التعليم لعدة أسباب منها: الامتداد العالمي لنظرية الرموز والعلامات، أما بالنسبة للأدباء، فإن السبب هو الانفصام فى التعليم بين الدراسات الأدبية والفلسفية ودراسات اللغات، وتفاقم هذا الانفصال منذ ٣٠ عاماً حيث كانت الأساطير سائدة وقتئذ ومن هنا ظهر هذا التناقض الذى نجده بين مدرسى الأدب الذين كان مفروضاً أن يكونوا أول من يهتم بمنهج اللغة فنجدهم على العكس لا يعيرونها اهتماماً إزاء غَزْو الكلام الفلسفّى عن الفن والأدب وينتج عن هذه الحالة أن العمل على امتداد نظرية تدريس اللغة هو بمثابة العمل على إزالة الحواجز والمعوقات بين النظم التى تمثل العلوم الإنسانية وبالذات دراسات الآداب واللغة والتاريخ وعلوم الاجتماع وعلم النفس ودراسات التربية وعلوم البحث فى أصل الإنسان الـ Anthropologie.

وفى هذا السياق سنجد أن منهاج اللغة لابد وأن يكون نظرية نقدية تتعارض مع النظرية التقليدية الكلاسيكية التى وصفت بأنها إقليمية لا تعمل على تشكيل المجتمع وهى فى حاجة إلى جهود الجميع.

ولغة التخاطب تستوجبُ دراسة التقاطع والتواصل والاتصال الحركى والإشارى ونحن نعرف فحوى اللغة مع نبرة الصوت وتحولاتها الثقافية

وكل هذا ليس سوى جزء متصل بين جسم المحتوى واللغة وهو ما يتحقق فى الأدب بواسطة الإيقاع والوزن والعروض كما يضاف لهذا التواصل بين اللغة والثقافة لإدراك ما أشار إليه جان بولهان Paulhan وأطلق عليه : أوهام المترجم Illusion، وأخيراً التواصل بين لغة الكلام والحياة والنوعية المجردة التى تنطوى عليها الكلمات والتى تمثل بصفة خاصة علاقاتها الواقعية المحسوسة لدى الكائن الحى حتى لايكون هناك تعارض ما بين اللغة والحياة. وفى كل هذا لابد من الاعتراف بأهمية ما يقال وأيضاً ما يفعل مع اللغة فنجد أن أول مهمه لنظرية اللغة تستدعى دراسة الإيقاع ونجد جذوره فى الشعر وعلى سبيل المثال نجد أن آيات الإنجيل تتجاهل التعارض القياسى مع اتجاهات النثر وتشمل وزناً إيقاعياً واحداً.

ونجد عالم اللغويات بيانفينيست أوضح لنا أهمية النصوص الإنجيلية الثقافية ودور كتابات أفلاطون فى تفسير الإيقاع والوزن وأيضاً كتابات الفلاسفة هيراكل، وديموقراطس وفيها نجد أن الوزن الإيقاعى بكونه تواصلاً تجريبياً إنما يؤدى بنا إلى مجالات فحص حدود الإشارة وقدرتها وضعفها بينما الاتجاه التقليدى كان يشبه النموذج أو النمط اللغوى بسنه صيغ مختلفة وكلها تنبع من تماثل واحد وهى العنصر المتوازى (ثابت وقابل للتوازى) وعنصر يساوى الرمزيه بالنسبة للكل وهو حال وموقف صيغة ما يطلق عليه الدال والمدلول Signifiant et Signifié أو المغزى والمعنى فى المجالات التى تفرزها الصيغ الأنثروبولوجية لنشأة الكائن البشرى أو الصوت المسموع والمكتوب والعنصر الفلسفى أى الشىء والكلمة والصيغة الثيولوجية (اللاهوتية) أى العهد القديم والعهد الجديد والصيغة

الاجتماعية أى الفرد والمجتمع، والصيغة السياسية أى أغلبه وأغلبية فى العقد الاجتماعى إلا أن الإشارة أو العلاقة دائماً ما تفشل أمام أقل قصيدة شعرية وعلى ذلك فإن نظرية اللغة تعمل على كشف محتوى الكلمة الذى تحجبه وقائع الإشارة الدليل فهى تكشف الحجاب فقط عن التاريخية الجوهريةللغة Historicité Radicalé، ومحتوى لغة الثقافة وبهذا تسهم فى معرفة أفضل لفهم وقراءة الأعمال الأدبية التى يتم تدريسها اليوم فى مجال التاريخ الأدبى وكان عليها مراعاة نشر النصوص الكلاسيكية حيث فقه اللغة ودراسة النصوص وطرق انتقالها والتى تجهل النصوص الشعرية بل وأيضاً تاريخ النصوص التى تقوم هى نفسها بإعدادها وتحديثها لمواجهه متطلبات الحياة العصرية طبقاً لمنطق نحوى خاص بالقرن التاسع عشر ينتزع من النصوص أوزانها وإيقاعاتها الخطابية.

ونظريةُ اللغة هى فى نفس الوقت نوعٌ من الرَّصْد والملاحظة وقدرةْ على التداخل الثقافى ومواجهة التحدّيات الرئيسية التى تواجهها، هى التوصل لفهم عميق للتاريخ وللواقع المعاصر للمجتمعات والتى تمر بالانفصالات التقليدية بين المحسوس (الذى يمكن إدراكه) بالحواس، وبين المفهوم الذى يمكن إدراكه بالعقل، أى بين المعنى التأثيرى وبين المعنى المجرد وهذا البرنامج يتابع مسيرته ويتنامى ويتطور كما يطور فكرة المحتوى بتجارب الفكر التى افتتحها هامبولدت ولذا فإننى أقترح تسمية نظام أو منهاج هذه التجارب بإطلاق اسمه عليها.

كما يجب وعلى الفور بدء حوار نراه يغيب عن الساحة الثقافية المعاصرة ليس فى فرنسا فحسب بل ربما فى كل بلاد الدنيا، وذلك لدراسة

أفكارٍ عديدة تنتشر هنا وهناك منها أفكار «هابرماس Habermas» والفكر البراجماتى وفكر الرموز والعلاقات والدلالات Semiotique ... وكلها تيارات لموجة فلسفية صحيحة تفضل احتلال الأرض بدلاً من الجدال والنقاش.

وهكذا تتضح أهمية التدريس حول نظرية ومنهاج اللغة بالنسبة لكل فرد ليحد ويحدد موقعه الصحيح فى دنيا اليوم ... وأن يكون أكثر قدرة ومهارة وفهماً ... وهذا هو اتجاه التعليم أو يجب أن يكون ... وبدءاً من التعليم الابتدائى وليس اعتباراً من المراحل الثانوية فحسب!!!

التشابك والنظام المنهجي

جان لوى لومواى

أود البدء فى طرح بعض تأملاتى الفكرية مستعيداً ثلاث ذكريات آمل أن تُعْطى بعض الانعكاسات الفكرية المجردة. وأولى هذه الذكريات عندما حظيت بدعوة توجه لى من إحدى مؤسسات الأبحاث العلمّية فى علوم التمريض وعادة ما تضم المحاضرة التى ألقيتها ١٨٠ ممرضة ممارسة، وتدور حول سؤال أساسى هو: ماهى المعارف التى نريد تحقيقها فى عملنا إذ أنهن قد لاحظن أنه لا أحد من الأطباء ولا من الموظفين الإداريّن يُمْكنه أن يعطيهن وسيلةً للتفكير فى التطبيقات التى يعملن خلالها.. وبالتالى فهناك احتمالات تحويل هذه التطبيقات المتشابكة بصورة لاتصدق والتى تمزج بين الفارماكولوجيا (علوم الصيدلة وتركيب الأدويه) وبين علم النفس فى أكثر حالات الانفعال بدءاً من مرافقة المريض المحتضر حتى الطفل الرضيع الذى يحتاج للتشجيع.

وعلى ذلك قررت الممرضات أن يأخذن الأمور بأيديهن... ووقع اختيارهن على تبادل خبراتهن فيما بينهن ونقلها فى ذات الوقت لمن

يرغبن فيها، ذلك لأنهن مضطرات لإعادة بناء قواعدها.. وهكذا ورويداً رويداً توصلن إلى تحويل عملهن إلى معرفة ذلك لأن التجارب أدّت بهن إلى التحاور حول معنى مايقمن به من أعمال وبعد عديد من الأخطاء وغالبيتها مرتبطة بالبيئة وبتواضع مثير للدهشة، طلبن من البعض منا تعريفهن بعدد من الأفكار البحثية العلمية مثل : مامعنى ما اسم المعارف التى يقمن بها؟ وماهى المناهج التى يمكن إعدادها؟ ثم ماذا تعنى؟ وتذكرنا يوماً أن الحاضر المشئوم فى العلوم الإيجابية التطبيقية (كان هذا هو الوصف الذى أطلقه دومنيك لوكوور Lecourt) وهى فى مجال التحدث عما ذكره بول فاليرى Valéry يوماً، فقال : إن الحاضر المشئوم للعلوم الـ Positives والتى نقلتها أوروبا للدنيا ليس هذا الحاضر وحده الذى يمثل «الممكن»... إذاً ماهو البديل؟... ثم هل التأمل الفكرى المعاصر يستطيع هو أيضا أم لايستطيع تشكيل حاضر يكون مفعماً بالأمل.. وأقلّ شؤماً؟

وتجربتى الثانية مختلفة تماماً فمنذُ بضعة أعوام ظهرت بعضُ المناهج الجديدة لتدريسها فى المدارس الثانوية وقيل: إنها لمواكبة الصناعة وتقدم المعلومات والإنتاج الآلى. وعلى هذا الأساس يجب على طلبة المراحل الثانوية اكتشاف كيفية السيطرة والتحكم فى المشاكل الصناعيّة والمحتمل تواجدها وكانت المادةُ الأولى من المنشور الذى أصدرته وزارهُ التعليم فى هذا الشأن ولعرض هذه المناهج .. هذه المادة تذكر بأن المستهدف هو أن يعرف الطالب كيف يعد وصفاً لما يواجهه من مشاكل أما بقية مواد المنشور فكانت تتجاهل هذا المستهدف وتفصل هذه المشاكل وتحللها دون أن نتساءل حول مراميها ولا حول صعوبات تطبيقاتها بل ولا حتى ماهو المطلوب من

نصوصها؟ ثم جاءت النكتة الثالثة منذ فترة حيث كانت فكرة النظام المنهجي سائدة وتمثل موضة تلك الأيام.. فكل مسئول عن حلقة من حلقات التعليم العالي كان يعتقد في نفسه أنه مكلف قبل انطلاق التلاميذ إلى سوق العمل أن يعلمهم بعض المحاضرات حول النظم المنهجية.

وهكذا دعيت لإلقاء مثل هذه المحاضرات على طلبة من طلاب المرحلة النهائية وكان ذلك في الأسبوع الأخير من السنة الدراسية وحيث كانت الامتحانات قد تمت، فجاء الطلبة يستمعون إليّ من باب الأدب، وبينما كان زميلٌ مدرس تعس آخر يرافقني، فإن الآخرين كانوا دون شك مجتمعين في إحدى الغرف يقومون بإعداد حصص العام القادم.. أو ربما يتحدثون عن كيفية قضائهم لأجازاتهم.. وعلى أي حال لم يكن موجوداً أي مدرس آخر في القاعة فأدركت أنني هنا فقط لكي يقال أن تدريس المنهج النظامي يتم تدريسه في تلك المدرسة!!.. فقط لا غير!!

وقد رفضت إلقاء المحاضرة على طلبة لم يسمع مدرسوهم ولو لمدة ثانية واحدة عن هذا المنهج في حياتهم!.. وهذه التجارب التي مرت بي وكثير غيرها جعلتني أتساءل: إلى أين نسير؟ إذ لا يكفي أن نقول: إن مناهج التعليم لدينا فيها كل العيوب وكل الأخطاء وإنما يقتضي العلاج ضرورة اقتراح مناهج بحثية علمية تضع الإطار الشرعي حول المعارف التي نقوم بتدريسها، سواء أكانت حول المعلومات أو حول العلوم الهندسية أو علوم التمريض أو علوم الفيزياء أو البيولوجيا أو الاقتصاد... إلخ.

معارف علمية مطروحة بالمنطق الاستنتاجى

أو هى معارف تعرف بالاستنتاج ... والصعوبة هنا نجدها صعوبة قاتلة، فكل مدرس يعتقد أنه يُحْسِن صُنْعاً عندما يؤكدُ أنَّ الاستنتاج يؤدى إلى الصحيح أو الحقيقى! وأنا هنا أفكر فى مدرسى الرياضيات وأغلبهم من المنغلقين، فبعد أن ظل كتاب بورت رويال ولمدة قرنين من الزمان هو الكتاب المفضل عند مدرسى أوروبا إلاَّ أنَّ النهج القياسى بقى هو أساساً لثقافتنا التعليمية.. ثم ألم يوصف المنطق الاستنتاجى بـ«فن التفكير» .. ولنأخذ مثلاً من الاتجاه القياسى : كل الغربان سوداء وأنا رأيت غراباً أبيض اللون فإذا ما بادر أحد التلاميذ بأن يقول إن أحدهما خطأ وهذا صحيح.. لكن إذا ما رد عليك أحد الطلبة بقوله:... إذاً هذا الغراب الأبيض... كان مخضباً Teint ... فهل سترد عليه أنه أساء الفهم؟... ثم هل سوف تستطيع أن توضح أين أساء وأين أخطأ عقله؟... وهل ستعطيه صفراً على ورقة الإجابة؟

وعقدنا الاجتماعى والمعنوى والقانونى - على أقل تقدير بالنسبة للمعلمين الذين يقومون بتدريس الرياضيات وعلوم المنطق... هذه العقود تنادينا بوضع صفر على ورقة الإجابة بشكل لا لبس فيه...

ولقد واجهتُ أسئلة كثيرة منذ عدة سنوات وتناقشت حولها مع بعض الزملاء حول أصل قدراتنا الإدراكية التى نتوصلّ إليها بالوسائل التى نقول عنها مناهج أو طرق «منطقية Logiques» وهى ما نفضلها فى تعليمنا وعندما وجدت مثلما سبق ووجَد ڤاليرى Valéry أن الاستدلال القياسى ليس مقنعاً بالعقل... عدتُ إلى قراءة كتاب «التحليليات Analytiques وبعض فقرات من الميتافيزيك حيث تمكن أرسطو من التوصل إلى البديهيات Axiomes الثلاثة والتى تأسس عليها كيانُ علم المنطق الاستنتاجى الذى يَدْفَعْنا إلى التفكير العقلانى... إنه النموذجُ المثالىٌ للعقلانيّة فى أحسن صوُرها والتى تسوغُ شرعية إدخالها بدون تحفظ فى مناهج التدريس الجامعى الفرنسى وأكاديمية العلوم بباريس.كما لاحظت أن أحداً لم يسبق أن قام بتدريس تلك البديهيات الثلاثة لى حقيقة!.... والمثير للدهشة أننى تناقشتُ مع بعض الزملاء حولها فقالوا لى : إنهّم «يعرفونها»... إلا أن أحداً منهم لايتذكرها!! ولا يتذكر حتى ماهى... ثم عرفْت أن هذه البديهيات كانت تُدَرّسُ فى أعوام ١٨٩٨ و ١٨٩٩، وجرى حولها نِقاشٌ طويل، إلا أن كل هذا اختفى اليوم من مناهج التعليم ولاشك سيحدث إعادة تدريسها أثراً جميلاً وسيكون له وقع فريد فى التفكير المنطقى العقلانى طبقاً لما يقوم مدرسوكم بتدريسه لكم لتعودوا إلى البديهيات، التى تحدث عنها أرسطو وبعد ديكارت والدكتور. ليبزنير. ولنهيئ التلميذ بأمانة ويصدق بأن عليه ومسبقاً أن يتأكد من أنه بعد احترام تلك البديهيات أو حتى الأولويات البديهية فإن من شأن ذلك إسباغ الشرعية حول نتائج ما يتوصل لاستدلاله والبرهنة عليه، بشكل منطقى عقلانى!

تدريس نوعية جديدة من علم البلاغة المنهجى

ولنأت إلى الدور الذى يمكن فى المقابل أن يلعب دوراً فى تدريس علم البيان والبلاغه فحتى عام ١٩٠٣ كان كل طلبة الثانوية فى فرنسا يدرسون هذا المنهج، وبعد عدة سنوات من إلغائه كان بول ڤاليرى Valéry يؤكد أن إعادة تدريسه تحتاج إلى مائة عام!!... إذاً ماهو علم البيان والبلاغة هذا؟

.. لقد كان وسيظل علم البرهنة والتدليل والعرض وقد بدأ فى تدريسه فى نهاية القرن العشرين بأسلوب جديد.. ونتساءل لم إعادة إدراج علم البيان والبلاغة فى المناهج المدرسية؟ وهل لذلك أهمية تذكر؟.. والرد هو أن علم البيان والبلاغة هو الوسيلة الوحيدة لإسباغ الشرعية على التفكير العقلانى وفى هذا السياق يذكرنا ادجار موران فيقول: إننا ونحن نستمع إلى نشرة الأنباء فى الراديو أو فوق شاشة التليفزيون فإننا نستمع إليها بكونها مضموناً Contexte ويجب بالضرورة أن نعرف كيف نكون لأنفسنا مفهوماً لما نسمعه إذ عندما نسمعه يكون خالى المضمون ونفس القاعدة تنطبق على ما نفعله.. ونحن ندعى بأننا نشكل المواطنين Former Les

... وليسمح لنا التشبيه بقولنا.. أطباء أسرة وليس جراحين ... وبصورة أخرى مواطنون عندما يواجهون بعض المواقف فهم لايتجهون لا إلى إصلاح أو رأب العضو وإنما إلى فهم المحتوى ثم اختيار السلوك أو السلوكيات المتواصلة لتقدير وتقييم الموقف حسب ما يأملون فيه.. وهذه تشبه الخطوة التقليدية الكلاسيكية لدى طبيب السرير طبيب مهمته الفحص فحسب. الذى حصل على تعليم وافٍ ... ولنستبدل طبيباً بمواطن أو مهندس أو كيمائى أو فنى إليكترونيات أو مشرع أو صحفى ونسأل نفس السؤال: ماذا عليه معرفته لكى يتهيأ لما أطلق أنا عليه مجازاً بـ «تشخيص سريرى «أى فحص» وأنتم مثلى تعرفون ما يدرس للأطباء... إنهم يعلمونهم أن يقتحموا قطعا واحدة تلو أخرى ثم يضمونها فوق المائدة وينصلون إحداها عن الأخرى ثم يحاولون إحكام ترابطها بعد ذلك وهذا بدقة هو المسارُ الذى ومنذ قرنين من الزمان يسلكه مسار التعليم عندنا... أى ما يعتبر أمراً مقدساً، ألا وهو التحليل بفصل العناصر بعضها عن بعض، وهو ما يبدو لى اتجاهاً فاسداً وذلك لأنه لو أنّ علينا إعداد جراحين فإن تلك الوسيلة إنما تثير مشكلة إذ قبل وبعدان نكون قد فصلنا وقطعنا إلى قطع صغيرة فنحن ننتظر من الجراح كلمة لطيفة ولكن علم التشريح لايقوم بتدريسها بينما يساهم فيها تدريس علم النفس، فعندما نفتح بطن إنسان فإننا لا نتركُ الجهاز الهضميّ يدخل فى الجهاز التنفسى إذ نحن لانعرف بدقة أين الحدود... وذلك لأننا أمام بناءات من مبانى الفكر قادرة على تكوين تصورات واضحة ومفهومة من ظواهر لدينا عنها تجارب بشكل ما محجوبة وداخلية ولا يجب الادعاء بأنه بمثل هذه الكلمات نستطيع التحقق

من حقيقة الصحيح أو صحة الحقيقى ... لا وإنما نحن نوفر لأنفسنا أسلوبا من أساليب المعقولية للفعل ... ونحن نعرف جيداً كيف يدرس علم النفس ولاشك سوف نعرف كيف ندرس علم البيان والبلاغة وبالتالى سنعرف المصادر والوسائل والتطورات الجدلية ونماذج من المناهج وسيكون ذلك ما أنادي به فأقول : نحن قادرون على إعداد نماذج وأنماط منهجية للظواهر التى ندرك فعالياتها فى محتواها بالنسبة لما تشكله ونشاطها فى السياق الزمنى، فالمعارف التى نحن بصددها متوفرة وتكدست خلال ٢٥٠٠ سنة من عمر التاريخ الإنسانى على الأقل ويكفى الذهاب لرؤيتها والتقاطها وحشدها ولنلاحظ عرضاً أن أحداً منكم لم يتعلم أبداً أن يقوم «بالتحليل» وإن من يعتبرون معلمين ليس لديهم احتمال وجود أية ذكريات عن تعلمهم كيفية إجراء النماذج التحليلية... ولاشك أنهم يتذكرون فقط أنهم كتبوا على هامش إحدى الأوراق «تحليل جيد» أو تحليل ردىء» ... أما إذا ماطلبنا منهم لم لايعطون عادة أى رد آخر فسيكون جوابهم: إنه «تحليل جيد هو يشبه تحليلى أنا، أما التحليل الردىء فهو يختلف» !.. ونحن لم نتعود على اتجاه فكرى منهجى... وهذا حقيقى... فالمفتشون العموميون منغلقون فى بوتقه إيجابية بالية .. ولكن علينا أن نستمر فى الضغط عليهم!.

لنتعلم كيف نتحاور..!

إنّ توصّل المواطن إلى سلوكٍ حقيقيٍّ سليم سواءٌ فى المؤسسة أو فى المدينة أو فى العائلة يتطلب منه أن يتعلم كيف يفكر بـ «عقلانية» وإذا ما استعرت اللغة المتداولة فى محيطى العائلى فعلى إعداد تقديرات رمزية وتحويل هذه النماذج النظامية إلى رموز تؤدى بى إلى القول: هل تعلمون أن فى اللغة الصينية أن الرمز الذى يشير إلى المرأة إذا ما اقترح مع الرمز الذى يمثل البيت يتخلق رمزاً جديداً يعنى... معاملة... أو تفكيراً عقلانياً صائباً.. أو السلام ذلك لأن المرأة فى البيت تهدف إلى ما يؤدى لإرساء قواعد السلام ونحن نعرف كيف نفكر بعقلانية.. وكيف نحول ونبدل طرق مفاهيم تصوراتنا... وفوق هذا التأرجح وهذه المقدرة على إبراز معنى Sens من المعانى، أرجوكم أن تتركوا لى حرية دعوتكم لتعيدوا قراءة ليونارد دافنشى (الرسام والعالم الإيطالى المشهور ١٤٥٢ ـ ١٥١٩) عندما كتب يقول: إنه منذ عشر سنوات حاول أن يفهم كيف ما إذا كان فى استطاعته أن يقوم بتركيب شيء أثقل من الهواء وكان يشاهد العصافير أثناء طيرانها وظل يطرق كل الدروب والمسالك... يرى ويرسم ويكتب...

يرسم مسماراً يثبته داخل ثقب داخل أسطوانة، ثم يفكه من اللولب... وهكذا تمكن من رسم أول هيلوكوبتر يمكن أن نعرفها والطائرات الهيلوكوبتر الحالية تم إعدادها طبقا لهذا النموذج ثم إن ما يثير إعجابى ويسحرنى هو أن طريقة تفكير ليونارد دافنشى هى تماماً المثل على التصرف والسلوك الشرعى السليم الذى يستطيع كل واحدْ منّا امتلاكه.... واسأل لم لا...؟!

وكل ذلك يحيلنا إلى مسئوليتنا الأخلاقية والأدبية ويذكرنا ادجار موران باستمرار بكلمة قالها باسكال : لنعمل على أن نفكر تفكيراً جيداً.. ففى ذلك سنجد نبع الأخلاق .

وعندما أقرأ ما سطره قلم واحد من الصحفيين فى جريدة لوموند حين كتب يقول:... هل علينا أن نوقع المسئولية على المهندس أو على البيولوچى عندما يقوم بتطبيق المعارف التى تعلمها..؟ تجدنى أبادر بالرد فأقول : ليس هذا وذاك هم المسئولون... وإنما المجتمع الذى شرع هذه المعرفة... وعليهم كذلك واجبُ إعادة التحاور والتساؤل حول شرعية المعارف التى تعلموها... وهذا بالطبع لا ينزع شيئاً من مسئولية معلميهم ومدرسيهم!! .

التشابك

جاك اردوانو

حسب الاستخدام الركيك فإن صنفه الـ Complexe تعنى «المنســوج والمجدول وأيضا المرتبك والمحير والمتردد والمبهم والمشوش والمعقد كما يعنى أحيانا المفتول والمبروم... وهكذا فإن لفظ Complexe يصبح مرادفاً للفظ معقد ولايختلف عن صفة المتشابك والذى يحتاج إلى تبسيط. وعلى ضوء ما سلف نقول: إن هذا اللفظ يُسْتخدم كثيراً فى مجال العلوم الرياضيّة حيثْ نجد أعداداً وأرقاماً متشابكة، وهمية، مستحيلة أو متعذرة لايمكن تبسيطُها إذ بداخلها تتشابك كل العمليات المكونة فمثلاً فى الكيمياءِ نجد أن العناصر والأجسام متنوعة بل وغير متجانسة الخواص وإنما هى مترابطة وتوصف بأنها متشابكة، متشاركة فى مثل علم التوجيه، مع نظريات المعلومات والاتصالات فى التحليل النفسى، قبل أن تكون اليوم مفاهيم أساسية فى علوم الأنثروبولوچيا العصرية (علم الإنسان) والموضوع يتعلق بمفهوم واسع منشئ لمعطيات ومسلمات ومتواليات من العناصر تجاهد

١

للترابط فيما بينها مع الحفاظ على خاصيتها الأصلية كما رأينا كيف أراد باسكال أن يشرح لنا أن الجزء يظل لاينفصل عن «الكل» بنفس القدر الذى يظل «الكل» غير منفصل عن «الجزء»، وعندئذ يصبح «الكل شيئاً مغايراً لمجموع الأجزاء. وإذا لم يكن هناك بالضرورة تدرج للمكونات، عندئذ يتأكد ترابطها المتداخل ثم إن تجميع المكونات فى «مجمل واحد» أو «كل» واحد يمثل «وحدة» نجد فيها أن «التنوع الذى يثيره ظهور عناصر لايعنى بالضرورة أن تكون غير متجانسة الخواص... وهكذا نجد أنفسنا أمام مجموعة من العناصر المتمايزة والمتغايرة منظمة ومرئية ومتراصة بلا تركيب وبالتالى توفر فيها معانٍ جديدة وبالذات بفضل التفاعل الارتباطى وترنو إلى التعارض مع المفهوم الكلاسيكى أى التقليدى للتنظيم التخطيطى للعمليات الفكرية المعروفة بقدرتها على التحليل مما يؤدى إلى ما يشبه بواكير نوع من التطور يمكن بدوره أن يؤدى إلى تغيير بديهى فى معنى ومفهوم ماهو حقيقى صحيح.

ومن رأينا فإن «الـ مجموع» إذا ما أريد منا أن نعترف له بأنه «متشابك» فمن الضرورى افتراض وجود ذكاء تعددية مكونات متنافرة فى أمر هو ذاته منفتح على مصادفات واحتمالات حدث وقع بالمصادفة!!

تشابك وتغاير الخواص

عندما ظهرت مصطلحات أكثر تخصصاً أثناء القرن العشرين أمثال التشابكية أو التعددية فى مجالات علوم البيئة وعلوم الأخلاق والعادات والشبكات والنظم المنهجية ، تناثرت من هذه المصطلحات سمات جديدة جاءت لتثرى المفاهيم، إلا أنها وقبل كل شىء كانت عبارة عن «مواقع» فلسفية تتأكد ويشبهها جويل دور روزينى وبحق «زاوية بصرية جديدة» - أى ميكروسكوب - تختلف كثيراً عن القديم... هذا بينما يراها ادجار موران اتجاهاً إصلاحياً إن لم تكن ثورة فى مسار المعرفة يراد بها تجميع كافة المفاهيم التقليدية التى تعد أمثال متضادات (كليات وانفرادات) كما يصفها جان لويس لوموان بـ «البعد العينى» وأوجست كومت وجورج ليبيير يفسرانها بـ «الاتجاه الشعرى أى للعلم فالمجموع بالنسبة لذكائنا وحده يصبح نسبياً ذاتيه مثل الظاهرة البيولوچية والإنسان الحىّ بالنسبة لماديته الفيزيائية ، إلا أن يحتفظ بذاكرته وخواصّه وعناصره أى مكوناته .

ومع أن مثل هذه المفاهيم من الممكن أن تثير - وهذا طبيعى - اتجاها نحو بعض الحقائق.. إلا أنَّه من الأفضل حسبما نراه الإبقاء عليها فى نطاق

منطقيّ حيث لا يوجدُ في الكونِ كله شيء «مطلق أو ثنائية ممكنة بين أشياء بسيطة من جهة وأشياء متشابكة من جهة أخرى، وإنما توجدُ معطيات، وما نعده بشأنها من أفكار... إذاً هي صفة النظرة التي يلقيها الباحث عندما يتضح أمامه ألا طائل يرجى من مسار الذكاء المناسب، والدنيا تبدو بسيطة إذا ما نظرنا إليها من زاوية انتظامٍ وتناسق يخضعان للمبدأ التنظيمي وهكذا نراها تتشابك بدءاً من اللحظه التي يقوم فيها الذكاء بمحاولة تهذيب أو حشْو نظرة من النظرات لتكون أكثر دقةً في شأن تلك النظرة التي يلقيها على الظواهر فلا تعودُ أمامنا قابلةً للتجزئة إلى عناصر أكثر بساطة وإنما على العكس نراها مندفعة إلى أن تصير غير قابلة لتفتيت عناصرها، وذلك حتى بطبيعة نسيجها والذي هو أشبه بشبكة تتراءى منها أمامنا مفاهيم وتداعياتْ متغايرة بل ومتعارضة إلا أن ذلك لا يمنع الاحتفاظ بتلاحم البحث العلمي ولفظ تشابك ولفظ معقد لايمكن بالتالي الخلط بينهما فإذا ماظل المعقد الوجه الآخر للبسيط فإن التشابك لايمكن اعتبارُه فكراً خالصاً دون التسليم بـ تباين وتنافر العناصر التي يتكونُ منها وكذلك بطبيعته التجميعية وهي تترتب عن عدة مفاهيم متعارضة ومتناقضة. وما يعد متشابكاً هو ما يفشل التحليلُ الديكارتيّ (نسبة إلى ديكارت) أي التحليل المنهجي العقلاني في فصل عناصره بعضها عن بعض مع ضرورة أن نحتفظ ببعض التحفظ في استخدام لفظ، صفة المتشابك، ذلك لأن هذا المفهوم يتنامى ... كما تتضح أهمية الزمن والتاريخ في فهم الظواهر وتنوع مختلف الوسائل المنهجية والتقنيه وغيرها من الوسائل التي توفر لنا أمثلة متميزة ينبغي لإدراكها من مراعاة مدى

انطباعها في الذاكرة كما يقتضي الأمر أيضا ألا نخلط بين ماهو حركي وماهو إجرائي، فالنمطان الشكليّان يتواجدان ويتعايشان ويتصاحبان في أغلب الأحيان إلا أن تفسير أحدهما يجب أن يختلف عن الآخر. وعلى الرغم من وحدوية الفكر تقليدياً نجد تعددية شيء من الأشياء أو مسألة من المسائل، والتساؤلات المتنوعة التي نطرحها على أثر فحصها أو دراستها، وما نستخدمه من ألفاظ لوصف ظواهرها المتطابقة وعلى ذلك فإن الوحدة التنوعيه أو التشابكية سنجدهما يتطابقان في وحدوية متعددة أو ما يسمى .

طموحات التحكم والسيطرة!

من غير مساس بالتفردات التعبيرية نجد أن ألفاظ مثل التنبؤ أو التبصر والإرهاصات المستقبلية أو حتى «المنظور» المتوقع لم تتخلى أبداً عن الفَرْضِ الاستنباطيّ بدءاً من الحاضر بل ومن الماضى لاستباق المستقبل. وعلى العكس من ذلك فإن الفكر المتشابك يهيئ للشك والريبة مكاناً وشرعيةً أكبر، أى أنه يهيئ توقع نموذج آخر من السيطرة وعادة ما يعتبر هذا «التوقع» أشبه بمقدرة سيد من الأسياد الذى يملك عبداً من العبيد يعتبره «شيئاً» وبالتالى يصبح هذا «الشيء» قابلاً للتحكم فيه وقابلاً للمراقبة وفى هذا المعنى فإن التحكم والسيطرة على حركة تمرد أو على مظاهرة أو حريق أو حيوان مفترس تصبح كلُّها مترادفات إلا أن فكرة التحكم يمكن كذلك فهمها بصورة مغايرة فمثلا نجد أن أحد الفنانين وهو يتحكم أو يسيطر على فنّه أو على مجتمع من المجتمعات فإن هذا التحكم ماهو إلا تحكم صحبة يفترض الزمن بأكثر مما يفترض الموقع أو المكان، والسيطرة هنا هى سيطرة على ثقافة أو لغة من هذا النوع وأعنف نمط من هذه التجارب وأكثرها ثراءاً هى تلك التى تُفْرَض علينا عبر تقبل الآخرين

والتقابل معهم... وعندئذ فسوف تبدو أمامنا كإحدى الظواهر المتغيرة أكثر من أن تكون وضعاً لحدث قادر على تبيان التفاصيل... أى فقط فكرة عن الآخرين! ولكنها تفيض عن مفهوم الاختلاف البسيط تقديراً واعتباراً للرغبات والمصالح والنيات وحتى الاستراتيچيات المتعارضة!

تعددية الأبعاد والمراجع

عادة ما تتشابك فكرة تعدد الأبعاد والمواقف مع الفكر المتشابك ونحن نفضل تعدد أبعاد المظاهر والمواقف ولو كانت هذه الأبعاد مفروضة بنوع من التحليل، ذلك لأن تباين العناصر يبقى برغم كل شيء قوياً بينما هو في نطاق تعددية الاختلافات مع حالة اللامقبولية للتبسيط في العناصر إحداها في الأخرى فنجد أن تعدد النظرات المتنافسة، ومناقشة الأمور من جانب منظوريها المنطقي دائماً ... فنتساءل... في حالة الضرورة كيف وهي متعارضة فيما بينها... كيف تتبدل؟ وكيف نهيئ معاني مختلطة ومهجنة في صالح قصة أو في صالح تاريخ ومع تباين العناصر نجد الآخر كمصدر للتغيير والكبت (لأنه يقاومنا) وهكذا نعبر من دنيا ذات ثقوب إلى محيط نجد فيه الفجوات والثقوب والأشياء الناقصة بالنسبة لمثالياتنا والقيم التي نتمسك بها ولتطلعاتنا التي نرغب فيها وشهواتنا التي نراها قابلة للتحقيق على الأمل نظرياً في رحاب المستقبل أو في حياة أخرى مع مرور الزمن بفضل المجهود وبمعاونة أفضل الوسائل الممكنة نحو استكشاف وتقبيل آفاق المستقبل وتقبل ما يعترينا من نقص في الزمن الحاضر يمكن استكماله بفضل التجربة الإنسانية وبفضل المعرفة.

تصورات مناوءة للتشابك..!

يوجد شكلان من التشابك أو بالأحرى يمكن تخيل نوعين من التشابك أحدهما نظامي منهجي يخضع للمهارة والآخر أكثر طبيعية والأول ذو حسابية منطقية والثاني له سمة حياتية اجتماعية إنسانية مرتبطة بالكائن الحـــي أي «Bio - Socio Anthro Pologiceue» وكذلك نجد إشكاليات المقاصد والمعاني المرتبطة أيضاً بالنقص الذي تحدثنا عنه آنفاً ويضاف إلى الصفات المميزة للبناء الكلاميّ ما تُحدثه الكلمة من أثرٍ ووقع اللغة .وهذه الحقائق تحتمل تفسيراتٍ وتأويلاتٍ متعارضة، ولذلك فنحن منذ ذلك الوقت مع هذا المنظور من البحث العلمي النقدي للصفة الموضوعة للعلوم الاجتماعية والإنسانيَة، والفروق تظهر فيما بعد، ويجب أن نتعمق في دراستها لتكوين رؤية محددة عن الدنيا.

وبعض من هذه التفاعلات الداخلية إنما هي آثارٌ قوةٍ فاعلة ، تكفي لفهمها ونحن بها لانخرج عن مجالات الأساطير الخرافية وبعض آخر من هذه التفاعلات يجب إدراجُها ضمن التورطات (شهوانية) أو غريزية أو

اجتماعية Plusionnelles ، وفى حالاتٍ تلعب فيها المصالحُ دورها وكذا غرائزها وسوف يكون هناك آثار، تتداعى وتنعكس على المعنى.

وعلى ذلك فإن التنازعُ لايمكن أن يصبح خلافا أو تنازعاً وإنما يمكن اعتباره اتجاهاً أصيلاً وقادراً على إثارة تداعيات غير متوقعه وفجائية!

التدريس كتحديث للفكر متعدد الجوانب

يبدو لنا أن التربية التعليمية توفر لنا أرضية للفكرة متعددة الجوانب نظرياً .فعندما جعل الفيلسوف فرويد من التعليم مهمة مستحيلة بجانب الفنون العلاجية Thérapie وحكم الناس، فإنما كان يشدد على فكرة التشابك فمثلا ملحمة الأوديسة، كلٌ واحد يراها من وجهة نظره وبشكلٍ مختلفٍ اختلافاً عميقاً... إلا أن الجميع يظل يحترم القانون وفى هذا الصدد نجد أن التعليم والتربية هما عملية تهجين واختراع مجالات للتفاهم ومن جهة أخرى هما يرنوان بأبصارهما إلى تنمية وتطوير الفرد والمجتمع ودور الفرد أو المجتمع ووظيفته الاجتماعية وتكريسه وإعداده للخضوع للقواعد التى تُتيح له الاندماج فى المجتمع والدخول فى أحضانه مع مراعاة القيمِ العائلية وقيم المجتمع وأيضاً القيم العالمية... وتأخذ كلها بيد الفرد إلى حيث يتوفر له وأمامَه سبيلُ المعرفة واكتسابُ المهارات فى السلوكيات وتبادل العلاقات مع غيره من الناس وعلى ذلك فإن آليات التدريس التعليمية لابد وأن تجد الطرق المتجانسة وأن يتم عرض هذا كله على الطلبة حتى يحدد كل منهم مساره الشخصى حسب أهوائه!!

وكل هذا يعتبر مساراً مفيداً حيث لا احتساب لأى ذاتيات خصوصية ولا لأى انفرادات شخصية وبالذات الإيقاع الفردى ولكن لابد من خلق المجال ليساهم الجميع فى العمل المشترك مع الاحتفاظ بالرغبات والميول... وأن تكون النزاعات فى حدود مقبولة متقبلة من الآخرين والنجاح أو الفشل سيظل كل منهما فى إطار المنظور.

إلا أننا رأينا أن التشابك إنما هو إعادة تشكيل عميق للفكر وأن نظرتنا على الدنيا وعلى الأشياء هى التى فى حاجة إلى حوار فعندما يبدأ الحديث عن التعليم فذلك لاينطبق فحسب على ماذا كان فى الماضى بل وإنما أيضاً ينسحب على استكشاف آفاق المستقبل، فالمستقبل لم يأت بعد إذهو يمرّ بمرحلة تكوين تلمس كل الأنشطة الجارية القائمة والسارية والتفاعل اللاانعكاسى أى التفاعل ذو الاتجاه الواحد إنما يغير من التكوين البنائى ويخلق علاقات جديدة بين التاريخ ودنيا الحاضر التى نعيش فيها إنه التطبيق الـ Praxis العملى للفكر المتداخل.

ونجد جذور التربية التعلمية فى الثقافة تحتل جزءاً من القيم التى تحتويها وهى هنا تعنى كذلك تاريخاً وذاكرةً لميراث بقدر ما تعنى فرصاً مهيأة لتقبل التنافسات غير المتوقعة والتى تأتى صدفة.

ولذا يجب أن تنسحب نظرتنا على أهمية تهيئة وتكريس المدرس وهذا بالمنطقة يعتبر عملية مستمرة لا تتوقف كما أن علينا مراعاة تلك العلاقة الحميمة بين التعليم والثقافة والتدريس والتدريب على المعارف وهو ما نتجاهله أحياناً للأسف الشديد... نتجاهل أهميته ببساطة تثير الغضب إذ

فى حقيقة الأمر لابد وأن نرى فى الثقافة أنها تنشئ وتربى المعلمين وتنمى منهم روح التدريس والتربية التعلمية ليتبوأوا مكانتهم الشرعيه فى المؤسسات التعلمية وكل هذه قضايا لابد وأن تشغل بال المواطنين إذا ما كانت تخطى بما تستحقه من عناية وأهمية وخطورة على مستقبل أجيالنا... وضرورة أن يتزودوا بقدرات وتخصصات أخلاقية وعلمية وبدوافع للبحث العلمى Epistemologiques والنقدى والسياسى لحسن أداء المهام التى توكل إليهم من جانب مجتمعاتهم، ومواجهة تحديات تلك التناقضات التي كثيراً ما تظهرُ فى سماء دنيانا التى تتطور بسرعة مُذْهلة، ويمكنُ أن نطلق على كل هذا «التكريس لمواجهة التشابك والتعدد Initiation álacomplexite

ذلك أن الإنسان بطول حياته وعبرها يحاول بلا كلل أو ملل إقامة علاقة بينه وبين المعارف وفى سياق مختلف العناوين التى وصفنا بها اتجاهات هذا البحث نجد أن الرهان على الفكر المتشابك المتعدد إنما ينعكسُ على الوجهتين العلمية والفلسفية للمعرفة والرغبهُ فى ربَطْ المعارف وهو هدفُ هذه المحاضره فى هذه اليومية البحثية العلمية يستهدف بدقة تحديد موقعها بالنسبة للمنجزات الأخرى تبعاً لمسارها التاريخىّ الأنثروبولوجى والبحث العلمى والنقدى دونما استبعاد إمكانات واحتمالات تحولاتها المتبادلة !! . Altérations Mutuelles

تحديات التشابك ادجار موران

التشابك مشكلة ... بل تحدى... ولا يعتبر ذلك رداً .. إذاً ماهو التشابك؟ .. هو بإيجاز مالا يكون بسيطاً سهلاً وسوف يعاوننا هذا التفسير، ذلك لأن المعرفة العلمية وحتى بداية هذا القرن العشرين بل وحتى وقتنا الحاضر هو الكشف عن القوانين السهلة المبسطة وراء الغموض الظاهر حول الظواهر والقوانين التى تحكمها والنظام الذى يحددها وعلى ذلك لابد من التوصل لإعداد حقائق مبسطة وسهلة، وذلك يتأتى بأربعة طرق: الأول : يتمثل فى الرد على تساؤل لم أقل نظام وليس حتمية؟ Determinisme Ordre وذلك لأن فكرة النظام إنما تشمل فكرة الحتمية وتعد أكثر اتساعاً لتحوى كل ماهو ثابت وكل ماهو مستقر، منتظم ودورى... إذاً هذا المبدأ هو الأساس الذى يحكم الطبيعة والكون.

وفى هذا الصباح حدثكم المحاضر مسيو كورت Lecourt عن لابلاس Laplace الذى كان يرى الدنيا مثل الآله الحتمية Machiuede Terminicte الكاملة والممتازة والتى لايستطيع سوى شيطان جنى موهوب

بقدرة ذكاء وحاسةٍ خارقة أن يلمّ بكُلّ أحداث الماضى ويتنبأ أو يتكهّن بالمستقبل!

كانت هذه الآلة الجهنمية النموذج المثالىّ للمعرفة، فإذا ما نشأ بعض الاختلال أو الأحداث الصدفوية، لم يكن ذلك يعود إلى خلل فى تلك الآلة الجهنمية وإنما إلى نقص في معارفنا نحن. وعلى هذا الأساس تساءلنا كثيرا لم هذه الصورةُ الممتازةُ من النظام الكونىّ... لم كانت فى ذات الوقت فقيرة فقراً شديداً ذلك لأن صورة التكرار غير قادرة على عرض ما يستجد من الإبداعات الخلاقة والطريقةُ الثانية كانت مبدأ الفصل التى أوضحها الفيلسوف ديكارت وهو الذى فى مجال المعرفة الموضوعية يفصل المواد إحداها عن الأخرى ويفصل ما بين الشيء المعروف عن موضوع المعرفة، وذلك ما أدى للتوصل إلى مبدأ التخصص الذى اتخذ بدوره مساراً غريباً امتد على إعداد النظم Disciplines وأثبت أنه مبدأ خصب بالنسبة لعديد من الاكتشافات حيث أننا فى أحيان كثيرة عجزنا عن معرفة كيف حدثت اكتشافات كبرى في مجالات أخرى بدت أمامنا غامضة وليست منفصله مثلما حدث فى علوم البيولوجيا الذرية في الجزيئيات أو التناسليات التى تولدت على حدود علوم الكيمياء وعلوم البيولوجيا، وبدت أمامنا «كأرض لاصاحب لها No Man´sLand»ورأينا وعاصرنا ميلاد نظريات وأفكار كثيرة نشأت بصورة غالبا ما كانت غير منطقية ولا تتبع أيه نظامية أو قاعدة معروفة.

والطريقة الثالثة هى مبدأ الاختزالية Reduction حيث تتيح معرفة الوحدات والعناصر الرئيسية معرفة المجموعات التى هى مكوناتها.

وآخر هذه المبادئ كان يتمثل في الصلاحية أو الفعالية المطلقة للمنطق التقليدي الكلاسيكي والذي يمكننا أن نسميه الاستنباط الاستقرائي المتجانس الذي يمثل قيمة للحقيقه المطلقة للبرهان وللاستنتاج والذي يزيل كل ما يبدو متناقضاً فإذا ما بدت أية تناقضات في أية معرفة فهي تعلن عن خطأ ما وتجبرنا على إهمال هذه المعرفة وبطبيعة الحال نستنتج أنه في هذا الإطار كان مبدأ العلة والمعلول يسود تلك الرؤية.

إذاً فإن تحديات التشابك تأتي من أن كل واحد من هذه المبادئ وجد نفسه مزعزعاً بل وموضع خلاف خلال عديد من التطورات العلميه التي حدثت في هذا القرن، ومع ذلك لم نعر التفاتاً لضرورة إعداد نمط مستحدث في التفكير العلمي.

وفي هذا الصباح أعتقد أن المحاضر مسيو لوكورت Liecourt أوضح أمامنا وبصورة ملائمة جداً أن الديناميكية الحرارية Themodynamiaue أعطتنا ما يشبه «العار الفاضح ـ Chone Scandaleux» بالنسبة للفيزياء الكلاسيكية إذ أنها أدت ليس فحسب إلى فكرة عدم انعكاس في اتجاه واحد بالنسبة للمعادلات القابلة للانعكاس وإنما وأيضاً أدت إلى نظامية رائعة من اختزالية للطاقة مرتبطة بالحرارة، أي تلك الحرارة التي فهمها «بولتزمان ـ Boltzmann» على أنها اهتزازات توازنية Agilations Aoléculoires لا توضح لنا كيفية التنبؤ بتحركات كل جزيء.

وهذه النظرية أثارت كثيراً من النقاش في حينها وبدأنا نتساءل عما إذا لم يكن الكون في طريقه إلى قصور حراري Enthropie ضخم، فيسير

بذلك نحــو شلل Desordre عام أو (فوضى) لا مفر منها دون حتى أن نستطيع السؤال عن كيف تولّو وكيف نشأ نظام هذا الكون؟ وذلك بسبب جهلنا لما سوف يكون عليه غد الكوف ولما سيصير إليه أو عليه؟؟وبعد فإن، الكون كـ فضاء خارجى بذاته... إنما يسير نحو الهاوية وصحيح كان هناك «هابل ـ Hubble» ثم كانت هناك النظائر المشعة التى تأتينا من كل آفاق الكون... ولكن هاهو الكون يبث فينا الخوف بزيادة معدلات الحرارة ووقوع التصادمات والزلازل والبراكين وربما تدمر اللامادة Antimatiére... اللهم إلا إذا تمكنت اللامــادة من الانزواء فى مكان مــا وفى هذا الجــو المضطرب والذى يكاد لايصدق نتوصل إلى مبادىء تمثلها النواة والذرات وارتياد المجرات والكواكب وربما وجدنا الكون ينتظم من تلقاء نفسه فى ذات الوقت الذى فيه يتفتت ويتحطم، ونرى صراعات بين مبدأ نظامى وآخر فوضوى، ومع ذلك نجد تعاوناً بين الاثنين... تعاونا تتولد من ثناياه فكرة غابت عن علوم الفيزياء التقليدية التى من مهامها التنظيم ونرى أن الفوضى تحل محل النظام، وما يجب علينا أن نوليه اعتبارنا هو المباراة القائمة بين النظام والفوضى والتنظيم Organisation Desordre Ordre، وهو مــا نطلق عليــه الـ Dialogique أى التــحــاور المنطقى وبما أن هذه المفاهيم والأفكار التى تدفع إحداها الأخرى هى فى واقع الأمر متضادة، معاكسة ومتناقضه... إلا أنها وبالضرورة متكاملة يكمل إحداها الأخرى، وذلك لإدراك وفهم دنيانا سواء فى ظواهرها التدميرية مثل انفجارات النجوم أو تصادمات المجرات وتكونات البقع السوداء... إلخ.

ولاشك أن فكرة النشوء والتطور قد تبدلت... تلك التى شرحها لنا داروين Darwin وأخيرا تعرفنا أن الحياة نشأت أول ما نشأت فوق الأرض

فى ظروف عاصفة وصاخبة من بين البراكين والزوابع والأعاصير، فإذا ما كانت هذه الأجواء صالحة لنشأة الحياة نسبياً ثم هدأت...! أليس فى ذلك ما يبعث فينا الأمل؟... إلا أن التطور البيولوچى عرف كيف يهيئ أمامنا كوارث منها اثنتان من الكوارث البيئية الحياتية Ecobiologique الأولى دمرت ربما ٥٠ ٪ من الكائنات الحيه والثانية ربما أيضا دمرت ٣٠ أو ٤٠ ٪ من هذه الكائنات وفى نهاية الثانية انقرضت بصفة خاصة الدينا صورات وهذا الوضع مستمر فى البشريات Homnisation وتاريخها... حيث تمتد وتنتشر كثير من العوامل الطارئة المفاجئة... وأخيراً .. ينبثق التاريخ... التاريخ الذى ومنذ مدة طويلة كنا نعرف أن له تلك السمة الشكسبيرية التى نراها مفعمة بالرهبة والهيجان والصياح... والذى أردنا عقلنته (أى جعله أقرب إلى العقلانية) بقوانين ونواميس وقواعد إلا أنه مع ذلك ظل تاريخاً تتفجر من داخله قوانينه الداخلية الذاتية فإذا ما أردنا إدراك وفهم أبعادها فلابد من أن تتزاوج فى خيالنا كلٌ من آراء ماركس وشكسبير وعلى ذلك فإن أعماق التشابك توصلنا إلى تلك الفكرة : كيف نفهم ماهو مطلق وماهو فوضى وماهو تنظيم!!

والمبدأ الثانى : مبدأ الفصل بدأ كمن يسير بشكل قاس ومتعثر، إلا أنه فى نهاية الأمر، بدأت تظهر أثناء هذا القرن فكرة صيغت بآلاف الأشكال والأساليب وتقول الفكرة: إن الكل هو عدد معين من الصفات والخواص التى لا تظهر فى الأجزاء عندما تكون منفصلة وهذه الفكرة تحمل فى طياتها مفهوم الانبثاق وظهور الصفات والخواص الصالحة والجديدة بإعداد وتنظيم «كل» وعلى هذا فإن الحياة مكونة من عناصر فيزيائية كيمائية

(فيزيوكيمائية) تماماً لاتختلف أبداً وتتمايز فى أى شىء فى جوهرها وماديتها عنن بقية العالم الفيزيائى الكيميائى وما ينتج الخلاف أو الاختلاف إنما هو تنظيمها أى الطريقه التى بواسطتها يتم تنظيم الجزئيات الكبيرة منها والصغيرة التى تكونها وهذا التنظيم هو الذى يحمل الصفات التى تبرز : تناسل... حركة تنظيم ذاتى قادر على معالجة البيئه التى يتواجد فيها وها نحن الآن نعرف أن H2o وتقابل ذرتين من الهيدروجين وذرة من الأوكسيجين الغازى يترجم بظهور سائل مائى تختلف خواصه عن خواص مكوناته ومن ذلك يتضح أن معرفة خواص المكونات لايكفى لمعرفة الـ «كل» أو المجموع ومعرفة الـ «كل» بالتالى لايمكن عزله عن أجزائه وأعتقد أنكم ستدركون أهمية الجملة التى ذكرها باسكال بقوله : «إن كل معرفة للكل فى حاجة لمعرفة الأجزاء التى هى فى حاجة لمعرفة الـ«كل» ... وهكذا عندما نصل إلى تلك الفكرة يمكننا أن نلم بفكرة ومفهوم عن التنظيم إذ أن مفهوم النظام المنهجى يؤدى إلى فكرة التنظيم الذى ينتج انبثاقات تكبت أى توقف أثر عدد معين من الخواص وعندئذ لاتتمكن من التعبير عن ذاتها.

وفى مستهل القرن العشرين وبصورة مفاجئة قامت الثورة العلمية وبالذات فى مجال الفيزياء الكمية Quantique وبدورها أدت إلى ضرورة التعامل مع اللانظام ومع اللايقين واعتباراً من هذا المفهوم رأينا باتشيلارد Bachelard وبوبيرPopper، يسحبان من العلم إحدى خصائصه التى كنا بسذاجة نعتبرها جوهرية أساسية من خصائصه أى اليقين المطلق، وقرأنا ما قاله واتيهدبان Whitehead «فقط الفضائل الإلهية Théolagies هـي

اليقين الأكيد بالنسبة لمن يعتقدون أو يؤمنون بها طبعاً! فالعلم من جانبه يرتكز على معطيات مؤكدة ولكن درجة اليقين فيها تموج فى الزمن وفى الكون مثل سرعة دوران الأرض حول الشمس فهذه من المعطيات المؤكدة إلا أنها لم تكن كذلك منذ مائة مليون سنة... ولن تكون كذلك بعد مائة مليون سنة... إذاً فإن المسلمات والمعطيات هي مؤكدة فى فترات زمنية ومكانية محدودةٍ ومحدّدة... أما النظرياتُ فليست أموراً مؤكدة إذ أن النظريات العلمية من تفنيدها ودحضها عند ظهور معطيات ومسلمات جديدة لتفسيرها كما نشأت أخيراً انعكاسات فكرية خصبة وثرية جداً حول مفهوم المنهج العلمى والمسلمات اللابديهية والمفترضة ضمناً وحدث ذلك فى بداية القرن ولم ينته بعد.

والثورة الثانية فى مجال العلوم حدثت فى النصف الثانى من القرن العشرين عند ظهور تجميع تعدد النظم المنهجية أى Polydisciplinaires ومثل علوم الكون وعلوم الأرض وعلوم البيئة وما قبل التاريخ.. إلا أن هذه الثورة الثانية لم توفر لنا بعد حركة منهجية هامة وعميقة مثلما أثارت الثورة الأولى ونحن قلة من الذين يحاولون استخلاص تداعيات وآثار هذه الثورات وهذه التطورات والتى إحداها كالأخرى تمثلان معاً نوعاً من التشابك... فماذا إذا يعنى هذا اللفظ؟ بداية نجد أن المعنى الأول فى الكلمة مشتق من لفظ Complexe ويعنى كل ماهو مترابط معاً أو ما يعبر عن نسيج واحد... وهذا النسيج هو مايجب أن ندركه، ولكن عندما نرى التفاعلات اللانهائية التى تقع بين خلايا أجسامنا وداخل هذه الخلايا فى جزيئياتها يتضح لنا استحالة التيقن مما يقع أمام عيوننا... حتى التشابك

ذاته وحتى من واقع عدد من التفاعلات الداخلية وكذلك التفاعلات المضادة التى يقال عنها تفاعلات انعكاسية سالبه وأخرى يقال عنها انعكاسات إيجابية الأولى تنظم وتضبط والثانية تزيد من الانحراف ومن الممكن أن تؤدى إلى تحولاتٍ أو تفجرات هى نفسها تؤدى بنا إلى حالة من اللايقينية والشكوك، ويؤدى ذلك إلى إدراك أننا إزاء نهاية لما كنا نطلق عليه اليقين المطلق والمؤكد وها نحن نواجه التحديات الهامة جداً والتى تتمثل فى حقيقة الأمر فى تحديين اثنين ونظرية فصل العناصر والخواص لم تنتبه إلا أنها لاتكفى إذ يجب فصل وتمييز وتفريق هذه العناصر وفى ذات الوقت علينا أن نربط ونجمع ونوصل هذه العناصر بنفس المقدار ولم يندثر كذلك منهج النظام Ordre وإنما لابد من «دمجه» فى إطار يتسم بالتحاور حول منهج النظام اللانظامى أما منهج الاختزالية فقد انقضى حيث لن نتوصل أبداً لمعرفة أى «كل» بدءاً واعتباراً من عناصره الأساسية.

كما أن مبادئ ونظريات المنطق التماثلى والتطابقى لم تعد مطلقة ويجب علينا أن نعرف كيفية اختراق قوانينها... ولقد ظهر لنا الاختراق فى الفيزياء المجهرية Microphysique وارتكز المفهومُ العلميُّ حول التوافق بين العقلانية والمنطقية وبين معطيات الرصد والملاحظة ومعطيات التجارب وهو ما فتح أمامنا ثغرة جديدة مع هذا التناقض : فالجزىء الصغير وفى حالات تجريبية معينة يسلك مسلك الجسم العازل وفى حالات أخرى يشبه موجه Onde... ويظل هذا التناقض باقياً بين المفهومين متناقضا ومتعارضاً تماماً وفى هذا يقول نييل بوهر Niels Bohr : لايمكن تخطى هذا التناقض وعلينا اعتباره نوعاً من التكاملية

Complementarité ثم يستطرد فيقول : نحن نعيش مع تناقضات من أمثال موجة الجسيمات داخل الكائن الحي فعندما نشاهد الأفراد يختفي نوع من الجنس البشرى وهذا نوع من التجريد ولكنا عندما ننظر فى الزمن تختفى الأفراد ... تتلاشى وتضمحل تلك «العابرات» ويبقى الجنس البشرى ... وفى نفس الوقت نجد ذات الشيء ومثيله يحدث فيما يتعلق بالعلاقة بين المجتمع والفرد، فعندما ترى المجتمع يبدو الفرد كآلة يحركها المجتمع ولكن عند مانوجه النظر للإنسان الفرد يتلاشى المجتمع ويضمحل... إذاً علينا أن نتقبل فكرة التحاور الجدلى Dialogique الذى يسمح بربط منهجين متعارضين معاً وقد ظهر شبح التناقض هذا فى مجال أرحب وهو مجال الفكر الرياضىّ وظهور نظرية جوديل Godel عن المسلمات القياسية مثل ما أشيع عن سكان جزيرة كريت إذ قيل أنهم كذابون!.. فإذا ما قال أحدهم الحقيقة فهو يكذب وإذا كذب فهو يقول الحقيقة!!... إذاً فإن قدرة منطقنا ليست مؤكداً تأكيداً مطلقاً وإننا لكى نفكر فلابد من أن نكون قادرين على خرق ما تعارفنا عليه والعودة لإجراء تصحيحات مجزأة وقطاعية، وبنفس القدر لابد ألا نصبح أسرى لما يبد لدى البعض على أنه طوق عقلى.. فالمنطق يجب أن يكون فى خدمة الفكرة وليس العكس أى لايجب أن تكون الفكرة فى خدمة المنطق وإلا أصبحت الفكرة حشواً عشوائياً زائداً عن المعنى زيادة لاطائل من ورائها.. أى فارغة وعلى هذا ها نحن نرى الأعمدة الأساسية التى يرتكز فوقها بساطة Simplicité النظام Lbrdre والفصل والاختزال Réduction وكذا بتماسك وتلاحم المنطق وكيف أحياناً تهز كل هذه المفاهيم.

وهانحن إزاء تحديات التشابك والذى نجده أمامنا فى كل موقع، فإذا ماكنا نرغب فى معرفة متلائمة ومتوافقة فيجب علينا عندئذ أن نربط ونوّصل ونجمع معلوماتنا ومعارفنا... أى البحث عن «معرفة متشابكة Connauionce Compexe».

ومن الواضح أن تفكيراً من هذا النمط الكلاسيكى إنما يجعل من المستحيل علينا التوصّل إلى توضيح صيغة معرفة من المعارف ولن يتأتى ذلك سوى بالرجوع إلى كامل الفكرة أو المعلومة عن تلك المعرفة وقد اعتبر ذلك فى كثير من الأحيان صيغة لتحويل المتخصصين إلى مثقفين حمقى بلهاء Idiaks Caltweli جهلاء بكل ما يتصل بمشاكل أو قضايا متكاملة وعامه وكلها بالرغم من ذلك هى أمور واقعية ومحسوسة جداً مثل تلك الحرب التى اندلعت فى يوغوسلافيا أو فى معركة الانتخابات الإسرائيلية!

ومايثير الدهشة Monde Hyperspéccialié هو أن هذه الدنيا التى صارت تشمل التخصص المفرط فإن ذلك التخصص كان يفترض ضرورة أن يتفادى الإنسان تكوين أفكار عامة إذ لم يعد هذاك اليوم «منقار Pic ميراندول ic de La Mizandale الذى قرأنا عنه وبه قسمة قدرة «التلاؤم» ولم نعد قادرين اليوم على تخزين كل المعارف الحالية فى خيالنا كما كان يفعل هذا المنقار (منقار ميراندول إحدى شخصيات عصر النهضة الروائى) الذى كان يتمتع بذهن متقد وفضول يدفعه للتعرف على كل شيء، فقد كان يعرف اللاتينية واليونانية وكان قد تعلم اللغة العربية والعبرية وق[illegible] تفسير اليهود للتوراة أى الـ Kabbale وبالذات [illegible]

المعرفة مثل تلك التى أعلنها جاك اردوانو Ardoino وهى : وجـود وهذه Unité فى كل تعـددية Pluralité وتعددية فى كل وحـدة، وبالتالى كان بوسعه إدراج معرفتـه فى وحـدة واحدة بدلاً من تفريقـها إلى عناصر متجاورة فيما بينها وكان لا يميل إلى ربطها متجانسة أو توحيدها بشكل تحكمى... ومن ثم نجـد الفكرة الأخرى ... فكرة منقار دى لا ميـراندول التى كانت تبدو أكثر ضبابية وأنها ما يطلق عليها التبادلية Reciprocité وكان من بين قدرات هذه الشخصية الروائية «منقار دولا ميراندول» أنه بالإضافة لما ذكر آنفاً، فقد كان يعرف نظريات وآراء ابن رشد Averroes «هو الوليد بن رشد الفيلسوف والطبيب والعالم العربى ولد فى عام ١١٢٦ وتوفى عـام ١١٩٨ وقـام بنقد أفكار أرسطو» التى كـانت تميل إلى المذهب المادى الذى يعتبر المادة هى الواقع الوحيد وينكر الروح والعـالم الآخر ووحدة الوجود!

إذاً توجد فى داخلنا معالم الفيزياء والبيولوچيا وكل ذلك فى إطار من تفردنا الذاتى Sineularité Propre... وبتعبير أكثر دقة إننا نحمل بذور المبادئ المنظمة للمعرفة وهى ضرورية ولازمة لمواجهة تحديات التشابك Defis de La Complexité.

ايـڤلـين انـدريانـى : خبيرة فى التلحين الموسيقى وأستاذة بجامعة باريس ومسئولة سابقة فى مدرسة العلوم الجمالية والموسيقية والفنون ومن مؤلفاتها «دون جوان» شرح روائى و «العلاقة الخطرة»

چـاك أردانـو: أستاذ جامعى بجامعة باريس ورئيس الاتحاد القومى لتنمية العلوم الإنسانية ونائب رئيس مؤسسة الفرانكفونية. ومن مؤلفاته : التربية التعليمية والسياسة، ونظريات على التربية المعاصرة وتربية وتربويين.

هنرى الـتـــان: طبيب وعالم بيولوچى وأستاذ مادة الفيزياء بجامعة باريس وجامعة القدس (سابقاً) ومدير حلقة الدراسات وعضو اللجنة الاستشاريه الوطنية للعلوم الخاصة بالحياة Ehess والصحة وألف عدة كتب من أهمها : خطأ أم صواب... بين المعرفة والعقيدة وحول مؤلفات هنرى ألتان... وغيرها.

مدير أبحاث مؤسسة Cairs ومدير مختبر الأبحاث الفيزيائية بمدرسة النورمال العليا ومؤلف عدة كتب ومحرر فى عديد من المجلات العلمية

«الموسوعات والأنسيكيلوبيديات العلمية ومن مؤلفاته: التجوف الغازى فى غاز الهليوم.

إتيين اميل بوليو: طبيب وأستاذ فى الكيمياء الحياتية Biochimique بجامعة باريس وأستاذ مدرس بكلية الطب وأستاذ فى كوليج دو فرانس وعضو الأكاديمية الفرنسية للعلوم وكذلك عضو فى كلية العلوم الأمريكية بالولايات المتحدة.

رينيه بلانشيه: دكتوراة فى العلوم وعضو بارز فى العلوم الچيولوجية وأستاذ فى عدة جامعات ومحاضر بجامعة باريس ومؤلف كثير من الكتب من أبرزها: الچيوديناميكا وبنية النشرة الأرضية فى سلسلة الجبال والشواطئ النشطة للمحيطات وقام بعدةدورات بحثية فى كل من يوغوسلافيا وإيطاليا واليونان وشمال القارة الأمريكية وجبال جزر الكاريبى وغرب المحيط الباسفيكى وجنوب شرق آسيا... إلخ.

فرانسوا بون: كاتب ومؤلف لكتاب : السجون ١٩٩٨ وكتاب نفاذ الصبر Impatience ١٩٩٨ .

إيف بونيفوى: كاتب وأستاذ غير متفرغ بكوليج دوفرانس ومؤلف كتب قيمة مثل : المسرح والشعر، شكسبير وييتس Yeats (كاتب إيرلندى) والألوان والطيف وحقيقه الكلمة وحوارات حول الشعر والحياة، والحياة الشاردة والحركة والسكون.

دومينيك بورن: مفتش عام التعليم القومى وعميد معهد الدراسات

السياسية بباريس ومن أشهر مؤلفاته : تاريخ المجتمع الفرنسى وأزمات وتاريخ أوروبا ١٩٩٠ .

ميشيل برونيه : أستاذ بجامعة بواتييه ومدير معمل الأبحاث فى الجغرافيا الحيوية ودذ ا الأحياء Geobiologie وقام بتأليف عدة كتب منها : أول إنسان قديم فى تشاد وتوقعات الأبحاث فى العصور الچيولوچية القديمة وأشكال الحياة فيها من واقع الحفريات الحجرية وإنسان بحر الغزال ورجل قديم من كورو تورو Korotoro فى تشاد .

اندريه بورجيير: مدير مركز الدراسات العليا فى العلوم الاجتماعية وعضو لجنة الأبحاث الاجتماعية والعلميه ومن مؤلفاته : تاريخ فرنسا وتاريخ العالم وتاريخ العائلة فى فرنسا، وقاموس وقائع العلوم وتاريخها.

فرانسو كروان : أستاذ وخبير محنك فى التاريخ المعاصر بجامعة باريس ومؤسس مركز الأبحاث التاريخية ومؤلف كتب منها : الثورتان الصناعيتان فى القرن العشرين وتاريخ السكك الحديدية فى فرنسا والتاريخ الاقتصادى الفرنسى.

ميشيل كاسيه : فيزيائى فلكى ومدير مرصد ساكلى Saclay ومرصد ومعهد الفيزياء الفلكية بباريس ومؤلف نظريات علمية فى أبحاث السماء ومن أشهر مؤلفاته : قاموس الجهل! أى Dictionnaire de Lignorance .

أوجست كومبيراس : كيميائى وأستاذ ومدير معهد الذرة وتطورات المواد المشعه بجامعة مونبلييه وألف عدة كتب منها أصل الحياة والنشوء ودور أكسيد الذرة الآزونى فى تكوين الهيدروجين والسيانيد والأمونيا فى

المحاليل المائية.

جيل ديلانوا: مدير مبحث معهد أبحاث Fnsp ومؤلف كتاب : سنوات المدينة الفاضلة Les Annés Utopique في مديح حكمه الاحتراس Elogle de La Pruolence ١٩٩١.

چان - بول ديلباج: عالم فيزيائى ومؤرخ للعلوم وحاليا يعمل أستاذاً لقسم الجغرافيا بجامعة أورليانز حيث يشرف على قسم أبحاث البيئة والمجتمعات.

ميريى ويلماس مارتى: أستاذة بجامعة باريس وعضوة بمعهد الدراسات الجامعيه بفرنسا ومن مؤلفاتها : نحو قانون عام للإنسانية وكتاب الحريات والحقوق الأساسية وثلاث تحديات لحق عالمى كما شاركت أيضا فى إعداد أبحاث من تخليق ذرات حياتيه Clonage Humain .

فرانسوا دوس: مؤرخ وأستاذ محاضر فى معهد Iufm بفرساى ومدرس بجامعة نانتير منذ ١٩٩٣ وأستاذ محاضر بالمعهد السياسي بباريس منذ ١٩٩٤ كما ألف عدة كتب منها : معانى الحياة وإمبراطورية المعانى والأحاسيس وتهذيب وتأنيس العلوم Humoniation du Sciences وتاريخ التراكيب اللغوية.

أرمان فريمون أستاذ جغرافيا ورئيس سابق لأكاديميا تجر ينوبل وفرساى وألف عدة كتب منها : فرنسا وجغرافية مجتمع وأوروبا بين معاهدة ماستريخت وسرأييفو.

مـارك فـيـومـاروللى : أسـتاذ بكوليج دوفرانس وعضو الأكاديميـة اللفرنسية ومؤلف عدة كتب منها : الشعر وملك جان دولا فونتين (قصصى فرنسي مشهـور كتب رواياته بالشعر) فى زمانه وكتاب أبطال وخطباء وعصر الفصاحة والبلاغة وكتاب النهضة على أعتاب العصر الكلاسيكى وكتاب دبلوماسية الفكر بين لانونتين الشاعر ومونتين (كاتب فرنسى) ثم كتاب بحث حول ديانة عصرية Enoi Sur Une Reliqulón Moderne .

تيسون كـايون : أستاذ بجامعة باريس وعضو معهد فرنسا الجامعى وعضو اللجنة القوميه للتاريخ وفلسفة العلوم بأكاديمية العلوم ورئيس مناوب لمجلة تاريخ العلوم ومـؤلف كـتـاب : داروين ومـا بعـده وكـتـاب العلوم البيولوچية والطبيه فى فرنسا من ١٩٢٠ حتى ١٩٥٠ .

اندريه جـيـوردان عالم بيولوچى بجامعة چنيف (سويسرا) ومدير معهد الإرشاد فى الأبحاث العلمية ومن مؤلفاته : الجسم الإنسانى... أول أعـاجيب الدنيا وكـتـاب كـيفـيـة السيطرة على المعلومـة العلمـيـة والطبيـة وسيكولوچية التناسل وكتاب تاريخ البيولوچيا وكتاب دراسة حول البيئة وكـتـاب أى نوع من التعليم ولأى مـجـتـمع ؟ وكـتـاب أصـول تربوية للعلوم التجريبية .

الفـريد جـروسـيـر: أستاذ قدير بمعهد الدراسات السياسية بباريس ومـؤلف كـتـاب : جـريمة الذاكـرة وكـتـاب حـيـاة فـرنسـيـة Une Nie de Fronçouis .

سيـرج جـروزنـسكى : أمين مـحـفـوظات وعـالم فى النصوص القديمة

ومدير أبحاث معهد Cnrs وأستاذ بالمعهد العالى للدراسات الاجتماعيه ومؤلف كتاب الفكر المهجن.

آرنود جويج : أستاذ فى الفلسفة ومدرس بمعهد الليسيه ومن مؤلفاته : الدرس الأول في الأخلاق لأرسطو وكتاب : الحق والعدالة والدولة ١٩٩٦ . عالم نفسانى ومدير ومؤسس الاتحاد الفرنسى للدراسات النفسية وألف كتاب الطفل وأضرار المرض وكتاب مخاطر التخمين الحدسى

جاك لابييرى: عالم فى أبحاث الطقس والمناخ وأدخل التطبيقات التقنيه النابعة من الفيزياء النووية لدراسة الظواهر الجويه المناخية حاليا وفى الماضى وهو مؤلف كتاب الإنسان والطقس L'homme et Le Climat .

فانسان لابييرى : أستاذ جامعى متقاعد وعالم متخصص فى الحشرات والتطورات البشرية والأخلاقيات وعمل مستشاراً سابقاً للجنة دراسه أحوال البيئة بمدارس اليونيسكو وألف عدة كتب وكتب أكثر من ٣٠٠ مقال علمى نشرت كلها فى المجلات العلمية الفرنسية والأجنبيّه.

چان لادرييسر أستاذ متخصص فى العلوم الرياضية ودكتوراة فى الفلسفة ومدير المعهد العالى للدراسات الفلسفية وأستاذ مرموق فى الجامعة الكاثوليكية بلوڤان Louvain (بلجيكا) وعضو بالمعهد الدولى للعلوم والفلسفة بأكاديمية بلجيكا الملكية.

أرجو كتابة الاسم بالعربى : اختصاصى فى العلوم الوراثية وأستاذ بمعهد الإنسان بباريس وبجامعة جنيف (بلجيكا) وألف كتاب الفلسفة

البيولوچية وكتاب أحلى حكايات الإنسان وكتاب الجنس والأبتكار والتجديد.

چان لويس لو مدان: مهندس تشكيلي وأستاذ بجامعة أيكس مارسيليا ومدير برنامج Mcx الأوروبى وقام بالتدريس بجامعة مارسيليا عدة سنوات بعد أن مارس المسئولية في عدة تجمعات صناعية تحمي خلالها أفكارة عن العلاقات والعلوم الاجتماعية وهندسة التنظيم التقنى والاقتصادى وألف كتاباً عن : تاريخ العلوم الهندسية كما أنه أحد مؤلفى كتاب التشابكية Complexité والذكاء وكتاب آخر حول: النظرية البنائية Le Constructivisme والتى ظهرت فى عشرينات القرن التاسع عشر عن الجماليات... أى Les Épistémologies.

ايمانويل ليروى لادورى: أستاذ بكوليج دو فرانس وأستاذ سابق بالسوربون وجامعة باريس وعضو معهد الدراسات المعنوية الأخلاقية Morales والسياسية ومما نشره من بين عديد من المؤلفات كتاب عن : تاريخ المناخ منذ العام ألف وكتاب عن : المؤرخ ... والرقم.... والنص وسان سيمون ونظام البلاط.

دومينيك لوكودر: فيلسوف وطالب سابق بالمدرسة العليا نورمال ومتخصص فى العلوم الفلسفية ثم حصل على الدكتوراة فى الآداب عام ١٩٨٠ وعين أستاذاً للفلسفة بجامعة باريس وشغل عدة مناصب وأصبح خبيراً فى حقوق الإنسان باليونيسكو ١٩٧٧ - ١٩٩٠ ثم أستاذاً للفلسفة فى عدة معاهد دولية منها معاهد فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك وهو عضو أكاديمية العلوم والفنون الأوروبية منذ ١٩٩٠ وألف

عدة كتب منها : ضد الخوف وكتاب حظوظ العقل العاثر وكتاب رياح الغرب وكتاب: لم تصلح الفلسفة ؟ وكتاب : إذاً ومن علوم الخوف إلى العلوم السياسية ١٩٩٣ وكتاب : أمريكا ... بين الإنجيل وداروين!

بيير لينا : عضو معهد فرنسا بأكاديمية العلوم وأستاذ بجامعة دينيس ديديرو Oenis - Diderot بباريس وباحث بمرصد باريس ومن مؤلفاته : وجوه وصور وكتاب جذور العلم وكتاب علوم السماء.

داڤيد لوبووتر: أستاذ محاضر في علوم الاجتماع بجامعة آيميان Amiens كما شارك في بحث دكتوراة عام ١٩٩٦ حول : ثقافة الشارع وكان قد قام بالتدريس بإحدى كليات ضواحى باريس لمدة عشر سنوات ونشر كتاب عنوانه : قلب الضواحى... قواعد وقوانين وطقوس ولغات نشر عام ١٩٩٧.

جان مارك ليڤى لويلوند: أستاذ بجامعة نيس Nice وقام بتدريس مادة الفلسفة والأبحاث النقدية فى العلوم وأصولها المنطقية وكتب كتاباً عن : المحك الصادق وحجر الزاوية La Pierre de Touche

الرجاء كتابة الاسم بالعربى : قام بالتدريس بجامعة تورز Tours وكان أستاذاً فى علوم التربية والتعليم ومديرا ومناقشاً لرسائل لنيل درجات الدكتوراة ثم قام بالتدريس لمادة العلوم النفسية التجريبية Psychologic Exp´rimentale والوراثية Genetique والعناصر الوراثية قبل أن يتخصص فى تدريس مبادئ التشابك وهو مؤلف واحد من أهم الكتب عن : الذاتية المقنعة Láutonomie Masquée

كتابة الاسم بالعربى: أستاذ بمتحف التاريخ الطبيعى ومدير المتحف من ٢٥ أغسطس ٩٤ حتى ٢٥ أغسطس ١٩٩٩ ثم عين مديراً لمعمل «الإنسان ما قبل التاريخ بمعهد دراسات الإنسان ومن مؤلفاته: العظمة والقدسية فى حفريات ماقبل التاريخ والإنسان الأول والتطور.

فرانسوا ليڤونيه: أستاذ مادة الفلسفة بالمدارس الثانوية ومن مؤلفاته : أبحاث حول نهاية قرن ١٩٩٨ وكتاب عن : سيمون ويل Simon Weil والممر الكبير وكتاب : كلوديل والإنجيل وكتاب لويس ماسنيون وصوفية الحوار.

موريس ماتاوير: أستاذ مرموق بجامعة مونبلييه ومدير سابق للجمعية الچيولوچية الفرنسية وألف كتاباً عن : البناء الحركى للقشرة الأرضية وكتاب : التشوهات فى القشرة الأرضية وكتاب : ماذا تقول الحجريات والأحجار؟

هنرى ميششونيك: أستاذ بارز فى علوم اللغة بجامعة باريس ومؤلف كتاب عن : الشعر ٧٣ ـ ١٩٧٨ فى خمس مؤلفات وكتاب : أثر الإيقاع والوزن وكتاب : سياسة المضمون والشعر والنثر وكتاب شعرية الترجمة وكتاب حداثة ... حداثة عصرية ...

أدجار موران: مدير وباحث مرموق بموسسة Cnrs ولد عام ١٩٢١ بباريس وقاوم الاحتلال النازى ثم حارب النزعة الستالينيه وشاهد قدير على الحياة السياسية والاجتماعية فى عصره، والفلسفة التى كانت سائدة فى زمانه ويلم إلماماً تاماً بكم من المعارف التى لا تخص وهى ذات أبعاد

متعددة عن الظواهر الإنسانية ومنذ ١٥ عاماً كرس جهوده لإعداد منهاج لفهم «التشابك» و «الوامعى» وهو مؤلف رائع للخروج من أسر مفاهيم القرن العشرين وألف عديداً من الكتب منها : النقد الذاتى وكتاب : العلم مع الضمير. وحصل على الدكتوراة الفخرية من عدة دول ويعتبر من أشد الرافضين لتجزئة وتفتيت المعارف وضد المانويه Manicheisme (إحدى الديانات) وألف أيضاً كتاباً بعنوان : الصراع بين النور والظلام!

روبير ناكسيه : مدير مركز أبحاث وعضو لجنة القومية للبرامج والمناهج الدراسية فى علم الحياة ومراسل أكاديمية العلوم قسم البيولوچيا الإنسانية والعلوم الطبيعية. ومع باحثين أجانب حقق إنجازات هامة حول العلوم العصبية وبالذات مرض الصرع وأزماته وانعكاساته على الأشخاص للوقوع فى براثنه وفيما يتعلق بالحيوان يمكن ذكر عديد من الأبحاث المشتركة ودور العمود الفقرى لدى البغال وحول القرود والدجاج وتوافق وتطابق بعض الانعكاسات والنتائج لدى الإنسان.

باسكواليه ناردون : أستاذ ومحاضر فى البرامج والمناهج الدراسية فى العلوم الفيزيائية وعضو اتحاد تدريس الفيزياء بجامعة بروكسل (بلجيكا) وعضو اتحاد الأبحاث الكونية (الكوزمولوجيه) أى الكونيات.

رينيه باسست : بروفيسور قدير فى العلوم الاقتصادية بجامعة السوربون بباريس ومما نشره من مؤلفاته : الاقتصاد والإنسان الحى وكتاب : ورثه المستقبل وكتاب اقتصاديات حلم Une Economie de Réve

جان مارى ببلت : صيدلى جامعى وأستاذ فى النباتات والبيئة وأستاذ

مادة بيولوچيا النباتات والفطريات بكلية الصيدلية بجامعة متز Metz وسافر في عدة بعثات علمية في الخارج : ساحل العاج والمغرب ومن أبرز مؤلفاته : عودة الإنسان للطبيعة وكتاب : النباتات والحضارات النباتية وكتاب العقاقير ودور النباتات والأعشاب فيها وكتاب عن تاريخ النباتات والقرفه Cannelle والباندا Panda

فيليب كووى: مدير قسم المعلومات باليونيسكو بالأمم المتحدة وكان قبل ذلك مديراً للأبحاث بالمعهد القومى للعلوم السمعية والبصرية ومديراً مساعداً للجنة برامج الاتصالات ومن مؤلفاته : لغة النماذج مع الصور وكتاب لغة الفن الوسيط وكتاب : الافتراضى والتقديرى.

بول ريكور: فيلسوف وأستاذ بجامعة باريس وأستاذ زائر بجامعة شيكاغو بأمريكا وقام بالتدريس فى عدد من الجامعات فى فرنسا وأمريكا وألف عدة كتب فى : الفلسفة والنظام المنهجى الفلسفى وكتاب : الدسائس والسرد التاريخى وكتاب : الوهم والخيال وكتاب: الزمن وحكاياته.

روبير روتشيا : عالم صيدلى، أستاذ ورئيس لجنه الطاقة الذرية ويعمل فى معمل ومختبر أبحاث علوم الطقس المناخى والبيئة ودراسة الظواهر وحصل على الدكتوراة فى العلوم وكان مديراً سابقاً لمعهد استراتيچيات المدن العلمية وصناعات المدن الصغيرة.

جوديل دى روزينى : كان مديراً سابقاً وأستاذاً فى تطبيقات الأبحاث بمعهد باستير ومدرساً سابقاً بمعهد التكنولوچيا بجامعة ماساسوستس (أمريكا) Mit وكان على التوالى ملحقاً علمياً بسفارة فرنسا بأمريكا ومديراً

علميا بالجمعية الأوروبية لتنمية المؤسسات واهتمامه بصفة خاصة بالعلوم التكنولوجية المتقدمة وتطبيق نظرياتها كما قام بتأليف عدة كتب منها : أصول الحياة وكتاب الإنسان التكافلى L'homme Symbiotique وحصل على وسام كلية العلوم عام ١٩٩٠.

نوربير لان: عضو المعهد الجامعى لفرنسا وأستاذ بكلية حقوق جامعة ايكس مارسيليا ونشر عدة مؤلفات منها : الأنثروبولوجيا الشرعية (أصل الإنسان) والأنثروبولوجيا المعاصرة وكتاب عن : حقوق الأقليات والشعوب الأصلية وكتاب : مدخل تاريخى إلى الحق.

چاك روفييه: دكتورطبيب وأستاذ جامعى فى العلوم وأستاذ كرسى الإنسان وعلوم الأنثروبولوجى والفيزياء بكوليج دو فرانس وأستاذ زائر بكلية علوم جامعة نيويورك بأمريكا وعضو أكاديمية العلوم الطبية ومؤلف كتاب : الجنس والموت وكتاب : مولد الطب الوقائى وكتاب : نقل الدم بالاشتراك مع ج. س سورنيا عام ١٩٩٦ وصدر عن دار نشر فايارد Fayard عام ١٩٩٦.

چان ديدييه فنسان: أستاذ بالمعهد الجامعى الفرنسى بكلية الطب بباريس ومدير معهد الفريد فيسار Alfred Fessard وألف عدة كتب منها : بيولوچيات الانفعالات وكتاب : كازا نوفا وعدوى اللذة وكتاب : الجسد والشيطان La Chouie et la diafle وكتاب : الحياة حكاية أسطورية La Nie eat Une Folle.

تعليقات اليوم الثامن

العولمة.. ومحاولة دمج العالم

بقلم: الدكتور عبد الخالق عبد الله

العولمة التى أصبحت دارجة في الأدبيات مازالت تعانى من بعض الغموض، وهى حتما ليست واضحة كل الوضوح. فهناك غموض فيما يتعلق بمعنى العولمة وبحقيقتها، فهل هى ظاهرة حياتية جديدة مرشحة للاستمرار والبقاء أم هى مجرد موضة فكرية طارئة؟ ومصيرها الزوال؟ هل هى حركة تاريخية ستستمر فى النمو أم هى فقاعة من الفقاعات التى ولدت لتموت؟ ثم إن هناك غموضا إضافيا فيما يتعلق بإفرازات ونتائج العولمة عموماً ومترتباتها بالنسبة للواقع العربى بشكل خاص. فهل العولمة حالة صحية أم مرضية؟ هل هى حركة استعمارية أم تحررية؟ هل ستصب فى سياق تحرير طاقات وقدرات الشعوب والمجتمعات أم ستعمل على تعميق التبعية والهيمنة للدول المهيمنة؟ وأخيراً ما هو الموقف الصحيح من العولمة؟ هل المطلوب الانغماس أم الانكماش فى وجهها؟ هل ستحتوينا أم سنحتويها؟ هل ستزيدنا تقدما أم ستضاعفنا تأخراً؟

ربما كان من السابق لأوانه تقديم إجابات جازمة للتساؤلات العديدة التى تطرحها. فالواضح أن العالم لايزال فى بدايات لحظة العولمة. والبدايات عادة ما تثير من التساؤلات أكثر مما تعطى إجابات واضحة. كما أن لحظة العولمة تبدو وكأنها مليئة بالفرص التاريخية الكبرى والمغرية ومليئة أيضاً بالتحديات والمخاطر العالية الحقيقية. فرص العولمة كثيرة ومخاطرها كثيرة والموقف تجاهها ليس بالضرورة واضحاً كل الوضوح.

الواضح الوحيد أن لحظة العولمة ليست ثابتة ومستقرة. بل مزدحمة بالتحولات الكبرى التى ريما تفوق كل ما حدث من تغير فى التاريخ خلال الـ ٢٠٠٠ سنة الأخيرة.

إن التحولات المصاحبة لبروز لحظة العولمة عميقة وسريعة حتى بمعايير عصر السرعة، لم يعد بالإمكان التحكم فى سرعة الأحداث والتطورات الحياتية، كما أخذ يتضح أن الجهاز العصبى والذهنى للإنسان المعاصر فى كل مكان قد أصبح عاجزاً عن متابعة ومجاراة وفهم التحولات الحياتية والفكرية التى تتدفق خارج سياق أى تحكم بشرى.

أبرز المعالم:

هذه السرعة فى المستجدات العالمية هى واحدة من أبرز معالم العولمة وهى التى ستجعل منها مجرد لحظة من لحظات التاريخ الحضارى. وهى مجرد لحظة مهما طالت أو قصرت. لقد سبقتها لحظات وستتلوها لحظات أخرى. إن العولمة هى مجرد فصل من فصول التاريخ الحضارى العالمى، لكل هذا الفصل لم يكتب محتواه بعد، بل هو الآن قيد الكتابة. إنها عنوان

هذا الفصل الجديد الذى لا يعرف بعد مضمونه بالكامل حتى لدى من يبدو الآن وكأنه يكتب الكلمات والفقرات الأولى فى فصله ويعمل الفكر من أجل تفسير بداياته ونهاياته.

فمؤلفات ككتاب «نهاية التاريخ» لفوكوياما وكتاب «صراع الحضارات» لهنتجتون وكتاب «صعود وهبوط الإمبراطوريات» لبول كندى وكتاب «الموجة الثالثة» لتوفلر وكتب أخرى من تلك التى برزت خلال السنوات الأخيرة تأتى ضمن سياق المشروع الفكرى فى الدول المتقدمة لفهم طبيعة اللحظة الحضارية المستجدة واستكشاف آفاقها وفرصها وتحدياتها ومساراتها المستقبلية المحتملة. جميع هذه الاجتهادات تحاول استيعاب التحولات التى يعيشها العالم حالياً والتعرف على القوى الدافعة لها والتى تؤسس للحظة الحضارية الراهنة بكل فرصها وتحدياتها المتداخلة وذلك من أجل الاستفادة من الفرص والتقليل من المخاطر المحتملة. هذه الكتابات تشكل درجات عالية من الوعى باللحظة الحضارية القائمة. تليها بعد ذلك مجموعة من الكتابات التى لا تخرج عن نطاق ردود الأفعال المهمة وغير المهمة والتى لا تضيف أى جديد حضارى لأنها فى مجملها انفعالات وخطابات عاطفية صادرة إما عن سوء فهم أو عن ضعف فكرى يحمل كل عوارض عدم القدرة على مجاراة المستجدات الحياتية والفكرية التى تؤسس للحظة العولمة.

استيعاب الواقع:

العولمة هى لحظة من لحظات التاريخ الحضارى العالمى. هذه اللحظة متداخلة أشد التداخل لكنها ليست بالضرورة كلها شراً مطلقاً. فالعولمة ليست

حركة استعمارية جديدة وهى ليست مصدراً جديداً يهدد الذاتية الحضارية للشعوب ويهدف القضاء على الهوية القومية أو استبدالها بهوية إقليمية وجيوبوليتيكية . وهى ليست جهازاً للهيمنة على العقول من قبل الدووائر والمؤسسات الدولية الحاكمة يسعى لتوحيد العالم تحت هيمنة السوق. كما أنها ليست معنية بتحويل العالم إلى قرية كونية تتحكم بها الأجهزة الإعلامية الإمبريالية وتهدف إلى أمركة العالم وترسيخ الهيمنة الأمريكية.

هذه ليست العولمة، بل إنه لا يمكن التعامل مع الحقائق العالمية الجديدة بمثل هذه العقلية التآمرية ويمثل هذه الآراء التبسيطية والمخلة فى البساطة .هذه العقلية مضادة للعولمة وتفتعل المعارك غير الضرورية وتتجه ضد حركة التاريخ ولن تحقق سوى المزيد من الإخفاقات والهزائم.

إن العولمة تتطلب حتماً تجاوز هذه العقلية السوداوية واستبدالها بعقلية علمية وعقلانية وواقعية تستوعب الواقع والوقائع الحياتية وتعمل على تجاوزهما.

إن العولمة هى فى جوهرها حركة تاريخية وليدة ومازالت قيد التأسيس. هذه الحركة شبيهة فى بداياتها وربما فى تداعياتها الحياتية والفكرية بحركة الحداثة التى برزت قبل حوالى ٣٠٠ سنة والتى انتشرت إلى كل المجتمعات وأسست لمفاهيم وقناعات ونظم حديثة. وهى استمرار واكتمال لموجة الحداثة الأولى وتجاوز لها فى اتجاه دمج العالم وتوحيده اقتصاديا وسياسياً وحضارياً.

لقد أصبحت العولمة أكثر وضوحاً إثر التحولات والتطورات الحياتية والفكرية التى شهدها العالم خلال الآونة الأخيرة. وجاءت هذه التحولات متدفقة ،وفجائية وتأسيسية.

كما جاءت فاصلة للحظة تاريخية أوشكت على الانتهاء هى لحظة الحداثة الأولى ومؤسسة للحظة حضارية مختلفة سياسيا واقتصاديا وعلميا ومعرفيا عما كان قائماً حتى الآن.

والعولمة فى شقها السياسى هى محصلة للتحولات فى النظام السياسى العالمى الذى شهد انهيار دولة عظمي واستفراد قوة عظمى أخرى بالشأن السياسى العالمى دون وجود منافس حقيقي يعيد التوازن للساحة السياسية الدولية، وهى فى شقها الاقتصادى محصلة لبروز التكتلات التجارية العالمية الكبرى والتغيرات العميقة في سوق العمل، وأساليب الإنتاج وبروز القوى الاقتصادية والصناعية الجديدة والسريعة النمو. كما أنها فى شقها الإنسانى تتمحور حول مجموعة القضايا الإنسانية المشتركة كقضية الانفجار السكانى والفقر والمجاعة والمشكلات البيئية العالمية المعاصرة وقضية حقوق الإنسان وحرياته السياسية والمدنية وقضية تفاقم الفجوة بين الشمال الغنى الذى يزداد غنى والجنوب الذى يزداد فقراً.

أما العولمة فى شقها العلمى والمعرفى فإنها تستمد حيويتها الحقيقية من الثورة العلمية والمعلوماتية التى أخذت تكتسح العالم بمعطياتها الباهرة فى مجالات الهندسة الوراثية وتطوير الأجيال الجديدة من الحاسب الآلى والاقتراب من أصغر الجزئيات المكونة للمادة والغوص عميقاً فى الكون

والمستجدات المعلوماتية والاتصالية التى توشك أن تفتح آفاقاً معرفية لا متناهية للإنسان المعاصر.

قلق العولمة:

لقد أسست هذه التحولات السياسية والاقتصادية والعلمية والمعلوماتية للحظة حضارية جديدة هى لحظة العولمة التى تزامن بروزها مع اقتراب التاريخ من ألفيته الثالثة. والتى هى أكثر من لحظة. فهناك العولمة السياسية والعولمة الاقتصادية والحضارية والعلمية والثقافية والبيئية والفكرية. إنها لحظة متداخلة أشد التداخل ومليئة بكل الاحتمالات المقلقة، خاصة إذا كانت تعنى تزايد انقسام العالم اقتصاديا إلى دول غنية تزداد غنى ودول فقيرة تزداد فقراً وهى مقلقة إذا كانت تعنى تزايد هيمنة ثقافة واحدة ووحيدة وقيامها بتهميش الثقافات الحية الأخرى فى العالم. وهى مقلقة إذا كانت تعنى المزيد من التطورات فى الهندسة الوراثية وهندسة الجينات التى تستفز القيم والأخلاقيات الإنسانية السائدة. وهى مقلقة إذا كانت تتجه نحو صدام الحضارات الذى ربما أدى إلى اندلاع حروب أكثر عنفاً ودموية من كل الحروب التى شهدتها البشرية، وهى مقلقة إذا كانت تدفع فى اتجاه المزيد من اغتراب الإنسان المعاصر وعدم قدرته على التحكم فى التحولات وعجزه عن مسايرة المستجدات الحياتية والفكرية السريعة والمتلاحقة. وهى حتماً مقلقة إذا كانت تتضمن استفراد الولايات المتحدة بالشأن العالمى الأمر الذى يعنى أنها ربما كانت مجرد تعبير آخر لأمركة العالم.

عالم آحادى

مهما كانت حقيقة العولمة من الواضح أنها تتطلب عقلية جديدة.

إن المطلوب عقل جديد لعالم جديد. لقد انهارت دول وتفككت دول عظمى وتغيرت المسلمات والثوابت الراسخة والمقدسة. كان العالم فى يوم من الأيام ثنائيا وأصبح فجأة أحاديا وربما تعدديا. كان العالم يعيش عصر الصراعات المزمنة وأدخل الآن إلى عصر التسويات المقبولة وغير المقبولة. كان العالم يعج بالأنظمة الفردية والدكتاتورية وأصبح اليوم وربما أكثر من أى وقت آخر يؤكد على حقوق الإنسان وحرياته، غارقاً فى الهم النووى ويحكمه سباق التسلح النووى، لكنه اليوم أمام خطر التلوث البيئى الذى يزداد تفاقماً ويهدد الحياة على الكرة الأرضية الفريدة من نوعها. كانت البشرية تعيش فى كنف النظام العالمى القديم وانتقلت بسرعة الضوء إلى رحاب النظام العالمى الجديد حيث عالمية التفكير وعالمية القضايا والحقوق والإنجازات وعالمية النجاحات والإخفاقات.

لا يمكن التعامل مع هذه المستجدات الحياتية والفكرية سوى بعقلية جديدة قائمة على أسس معرفة جديدة ومسلمات ومفردات فكرية وأدبية وفنية متجددة بتجدد الوقائع والمعطيات العالمية. لا يمكن التعامل مع حقائق التسعينيات بشعارات الستينيات. ولا يمكن فهم نهايات القرن بلغة بداياته. كما لا يمكن الإعداد للمستقبل بالعودة للماضى. ولا أن نكون فاعلين ومؤثرين فى النظام العالمى الجديد من خلال التمسك بثوابت النظام القديم، وأيضا لا يمكن مجاراة العالمية بالتعصب لذاتية الحضارية، أو تحدى العولمة بالقوقعة، ولا الانكفاء والانكماش فى عصر الانفتاح والانغماس.

لقد أصبحت العولمة. بكل فرصها وتحدياتها، إحدى الحقائق المعاصرة، الغامضة والتى تثير المشاعر الأدبية التى تتراوح بين المرحب كل الترحيب والرافض كل الرفض وتلك المواقف الوسطية والتوفيقية بينهما. فالعولمة طرحت من جديد نفس التساؤلات التى طرحت قبل أكثر من حوالى ٢٠٠ سنة والتى مازالت مستمرة حتى الآن والمتعلقة بكيفية العامل مع الحداثة والحضارة الغربية. وبرغم اختلاف الظروف والمعطيات الحياتية والفكرية فإن الموقف عموماً لا يخلو من الراغبين فى الاستفادة من فرص العولمة الواضحة وبالتالى الدعوة للانغماس، وموقف الراغبين فى تجنب مخاطرها الواضحة أيضاً وبالتالى الدعوة للانكماش. وهناك دائماً الموقف الوسط والمستقل بين الأنغماس والانكماش وهو فى جوهره موقف «الانغماش» الذى يمثل خليطاً منهما.

ثلاثة مواقف:

والحقيقة أن لكل موقف من هذه المواقف الثلاثة حسناته وسيئاته. ويبدو أن من اختار الانغماس أو الانكماش أو «الانغماس» على حق. فلا الانغماس أرقى سياسياً ولا الانكماش أرقى أخلاقياً من الانغماش والعكس صحيح. لا يمكن أخلاقياً أو سياسياً اعتبار أى موقف من هذه المواقف أكثر صحة أو رقياً. من اختار الانغماس ليس بالخائن ولا بالمنحل، الانغماس أسلوب مشروع من أساليب التعايش مع الوقائع المعاصرة. ومن اختار الانكماش ليس بالضرورة سلفيا أو ماضويا أو متخلفا. الانكماش هو الآخر خيار حر من الخيارات العديدة للتعامل مع التطورات الحياتية. ومن «انغمش» اختار

أيضاً الأسلوب الذى يعتقد أنه الأسلوب المناسب للتعامل مع اللحظة الحضارية القائمة. هذه المواقف الثلاثة تظل قائمة ومن حق كل موقف أن يتبنى قناعاته الخاصة وليس من حق صاحب أى موقف تخوين أو تكفير أو نفي الموقف الآخر

المطلوب أن تتعايش هذه المواقف والتيارات وتتجاوز حواراً سلمياً وحضارياً ضمن مناخ حر وتعددى وديمقراطى دون أن ينفى أحدها الآخر. إن المطلوب إجراء حوارات على أرض الواقع بين أصحاب هذه المواقف والتيارات التى تسعى للقضاء على بعضها البعض. لا يمكن تخيل فى أى لحظة من اللحظات أن يصبح كل أفراد المجتمع منغمسين أو منكمشين أو «منغمشين». من الممكن جدا أن يزداد التوجه نحو الانغماس أو الانكماش أو «الانغماش». المعطيات الحياتية هي التى تحدد مدى انتشار أو تقلص هذا الموقف أو ذاك. ومن الممكن من الطبيعى أن يصبح المنكمش اليوم منغمساً أو «منغمشاً» غداً والعكس صحيح. وقد يجد المنغمس أنه أكثر انغماساً فى فترة من الفترات والمنكمش أكثر انكماشاً و«المنغمش» أكثر «انغماشاً»، كل ذلك ممكن ومتوقع ومقبول.

ينبغى أخيرا أو فى سياق خصوصية الثقافة العربية الإسلامية، الإشارة إلى أن أى موقف من المواقف الثلاثة السابقة لا يعنى على الإطلاق أن صاحب هذا الموقف هو أقل أو أكثر عروبة أو إسلاما من صاحب المواقف الأخرى. فلا المنغمس أقل عروبة أو إسلاما، ولا المنكمش أكثر عروبة أو إسلاماً، كما أن «المنغمش» ليس هو أكثر فهماً لحقيقة عروبته وإسلامه،

فالعربى المسلم مهما كان منغمساً أو منكمشاً أو منغمشاً فإنه سيظل عربياً ومسلماً، فالشكل قد يختلف بيد أن المضمون الغربى الإسلامى سيظل باقياً وستظل الثقافة العربية الإسلامية حية ومتفاعلة تفاعلاً انغماسياً أو انكماشياً أو «انغماشياً» مع العولمة أو أية لحظة حضارية أخرى. لذلك فإن الخلاف الحقيقى هو ليس مع العولمة أو الحداثة أو مع الغرب أو الآخر أو الخارج. الخلاف هو فى ومع الداخل أى فيما بيننا ومع أنفسنا ومواقفنا المختلفة القناعات والمنطلقات والمصالح. ينبغى أن نعترف ونحترم اختلافنا واختلاف مواقفنا ونتعلم كيف نتعايش معه. وعلينا أن نحوله من صراع إلى حوار، ينبغى ألا نعيش نحن من الداخل صراع الحضارات. وعلينا أن نؤسس لرؤيتنا الكونية المختلفة فى مجتمع عربى يؤمن بالتسامح والتعددية ويتفاعل تفاعلاً إيجابياً مع لحظة العولمة.

العقلانية. فى الفكر الفلسفى الحديث

فى مؤلفه القيم «شخصيات ومذاهب فلسفية» يقول العالم الراحل والفيلسوف د. عثمان أمين:

عظماء الفكر فريقان منهم من يتجلى عظمته فى أنه استطاع أن يمثل عصره أصدق تمثيل. ومن هذا الفريق فى فرنسا «ڤلتير» حتى قال فيه بعض الكتاب على سبيل الهجاء: «إنه أصاب أو فى قسط من عقلية أهل زمانه». والواقع أن أحداً من الكتاب فى فرنسا لم يستطع أن يعبر عن أفكار عصره خيراً مما عبر ڤلتير. وفريق آخر من المفكرين يعدّ عظيما لأنه يمثل كل ما ينطوى فى عصره من قوى كامنة. ومجلى عظمته أنه استطاع أن يظهر المستقبل، وأن يكشف عن تلك القوى المطوية التى أصبحت بعد قرن أو قرنين ملكا مشاعا للجميع.

ومن الفريق الأخير «ديكارت»: فقد كانت لهذا الفيلسوف العبقرى حدوس جريئة فى العلم، فاق بها كبار العلماء فى عصره؛ وكانت جرأته فى التفكير إرهاصا بالنتائج التى شيدتها بحوث أجيال من العلماء من بعده.

وهذا ما شهد به فى العصر الحديث العالم الفسيولوچى الإنجليزى «هكسلى» حين قال بصريح العبارة: «إن المفكر الوحيد الذى أرى أنه فاق كل من عـداه فى تمثيل أصول الفلسفة الحديثة، وجذور العلم الحديث هو رينيه ديكارت: فمن ينعم النظر فى نتيجة من النتائج التى طبعت الفكر الحديث بطابعها، سواء فى الفلسفة أو فى العلم، يتبين أن معنى هذا الفكر، إن لم نقل صورته، كان حاضراً فى ذهن ذلك الفرنسى الكبير....».

منهج ديكارت

ضرورة المنهج:

عُنى ديكارت بمشكلة المنهج أكبر عناية، كما عنى بها مفكرو القرنين السادس عشر والسابع عشر. أراد «أبو الفلسفة الحديثة» فى بداية إصلاحه الفكرى أن يظفر بطريقة قويمة للحصول على المعرفة الحقيقية، بواسطة ذلك النور الفطرى المبثوث فينا جميعاً، وهو نور العقل.

كره ديكارت منهج «المدرسين» الذى تعلمه أيام طلبه العلم فى مدرسة «لافليش»، وكان ذلك المنهج المدرسي يكتفي فى معالجة المشاكل الفلسفية أو العالمية ومحاولة حلها بذكر طائفه من أقوال المؤلفين السابقين سواء أكانوا معروفين أم غير معروفين.

ووقف ديكارت على ما كان سائداً فى زمانه من اختلاف الأنظار والآراء، سواء فى الفسلفة أو فى العلوم أو فى الدين، ولاحظ أننا « لا نكاد نجد شيئا هو من اليقين بحيث لا يدع مجالا للمناقشة والجدال». وجلى أن

مصدر ذلك النزاع والخلاف بين الفلاسفة والعلماء ورجال الدين أنهم جميعاً يسيرون فى مباحثهم على غير هدى، ويتخبطون فيها تخبط العميان، وكان أكبر اعتمادهم فى بلوغ مراميهم على مواتاة الصدف والحظوظ، دون أن يكون لهم فى ذلك خطة مرسومة أو منهج معين، «مثلهم فى ذلك مثل رجل استولت عليه رغبة جنونية فى أن يكتشف كنزاً ما، ، فتراه لذلك يقضى وقته متجولا منقبا فى كل مكان، ليرى لعل أحد السائحين أو العابرين قد ترك كنزاً». الحق أن الإنسان إذا لم يكن له من قبل منهج يسير على على قواعده، سواء فى الفكر أو فى الحياة، لم يصل إلى الحق إلا صدفة، ولم يدرك التوفيق إلا فلتة من فلتات الظروف وموافقات الحظوظ» وخير للإنسان أن يعدل عن التماس الحقيقة من أن يحاول ذلك من غير منهج»!

وكما أن حب الاستطلاع عند بعض الناس قد يسوقهم أحيانا إلى الوقوع فى مآزق لا مخرج منها.، فكذلك شأن من ينكبون على الدرس من غير نظام. لن تكون ثمرة جهودهم ومتاعبهم إلا أن يفقدوا «نور الفطرة» وإلا أن يصابوا بعمى البصيرة: «إن الدراسات التى تسير من غير ترتيب ونظام، وإن التأملات الغامضة والأفكار المبهمة تحجب أنوار الفطرة وتلقى على عيون الذهن غشاوة. ومن اعتاد أن يسير هكذا فى الظلام ضعف بصره ضعفا يصبح من العسير عليه أن يتحمل الضوء الساطع» وهذا ما تؤيده التجربة: «فإننا نرى فى أغلب الأحيان أن من لم يشتغلوا بالدراسات قط يحكمون على ما يعرض لهم أحكاماً أصوب وأمتن وأوضح بكثير من أحكام الذين أكثروا التردد على معاهد التعليم».

فأول ما يلزم إذن من أدوات التفلسف هو الشعور بضرورة المنهج، ثم إيجاد ذلك المنهج بالفعل، ثم تطبيقه على النظر والعمل. ويعنى ديكارت بالمنهج قواعد مؤكدة بسيطة إذا راعاها الإنسان مراعاة دقيقة كان فى مأمن من أن يحسب صوابا ما هو خطأ، واستطاع - دون أن يستنفد قواه فى جهود ضائعة، بل بالعكس مع ازدياد علمه زيادة مطردة - أن يصل بذهنه إلى اليقين فى جميع ما يستطيع معرفته».

وحدة المنهج وشموله:

يرى ديكارت أن المنهج فى الحقيقة واحد، لأن العقل واحد فى الناس جميعا: «العقل أعدل الأشياء قسمة وأنصبة الناس منه متساوية» ولذلك كان من الخطأ أن يتدراس الناس العلوم متفرقة متباعدة، مع أن الاشتغال بعدة علوم أدعى إلى تجويدها وإفادة بعضها من بعض: ذلك أن العلوم متآزرة متعاونة، قد بلغ من تساندها أن كسبها جملة وفى مجموعها قد يكون أحيانا أقل كلفة وعناء من فصلها ودرس كل علم منها على حدة. ديكارت يفسر ذلك بأن ذلك العقل البشرى واحد لا يتغير مهما تنوعت الموضوعات التى يخوض فيها: فهو لا يحتمل القيود والفواصل التى يضعها الناس عسفا فموقف ديكارت هنا يخالف موقف العالم «المتخصص» كما نقول اليوم، إذ ليس للعلوم ولما تحوى من معلومات جزئية من قيمة فى نظر الفيلسوف إلا بانتسابها إلى شيء واحد يشترك فيه الناس جميعا: وهو «العقل الصريح» «Lebon sens» ولذلك كله لم يصح - فى نظر ديكارت - أن يكون هنالك إلا منهج يقينى واحد هو منهج العلوم الرياضية، لأنها هى وحدها فى نظره العلوم اليقينية.

المنهج والرياضة:

يقول ديكارت: ليست تجدينا الدراسات التى لا نكتسب منها إلا آراء محتملة. والجهل التام خير من المعرفة المزعزعة المضطربة، ولا يكون العلم علما إلا إذا كان يقينا: لأن العلم قوامه البداهة واليقين لا الظن والتخمين. ونموذج ذلك اليقين إنما هو المعرفة الرياضية. فالمنهج المطلوب إذن هو المنهج الرياضى، وهو منهج طبيعى لفكر، يهدينا إليه تفكير المشتغلين بالعلوم الرياضية (الحساب والهندسة). وتفوق. العلوم الرياضية على غيرها ناشذ من بساطة موضوعاتها لأن العقل البشرى، أنشأها مقتبسا إياها من ذاته من غير أن يدين للتجربة بشيء. ويقول ديكارت: «لم يكن على كبير مشقة فى أن أبحث عن أى الأشياء وجب البدء بها: لأننى كنت أعرف من قبل أن بدأنا يكون بأبسط الأشياء وجب البدء بها: لأننى كنت أعرف من قبل أن بدأنا أن يكون بأبسط الأشياء وأيسرها معرفة، ولما رأيت أن من بين جميع من سبقوا فى طلب الحقيقة فى العلوم إنما استطاع أصحاب الرياضة حدهم أن يجدوا براهين، أعنى استدلالات يقينية، لم أشك فى زن بحوثهم كانت جارية على مقتضى ذلك المنهج نفسه». لقد كان أفلاطون إذن محقا حين حرَّم الاشتغال بالفلسفة على أولئك الذين لم يكن لهم بالرياضيات معرفة. وهذا التحريم الأفلاطونى هو بمثابة التصريح بضرورة المنهج.

المنهج الشامل:

لكن ديكارت يرى مع ذلك أن قصد الفيلسوف ليس هو علم الرياضيات لذاتها، ولا لإيجاد خصائص «أعداد عقيمة وأشكال وهمية»، بل لتعويد

الذهن على مناهج وطرائق ينبغى أن تتسع وتمتد إلى أشياء أكبر أهمية وأكثر قيمة فالرياضيات عند ديكارت هى كما قلنا ثمرة المنهج، وليست هى المنهج نفسه. والناس جميعا يعلمون أن المعرفة التى تقنع الفكر وتشفى غليله إنما هى المعرفة الرياضية. فلنطلب إلى فكرنا أن يبنى جميع معارفه الأخرى على ذلك النمط، وذلك المثال. والفلسفة الديكارتية بهذا الاعتبار مجهود لنشر المنهج الرياضى وامتداده إلى مجموعة المعارف البشرية التى ليست هى نفسها إلا استعمال العقل اسعمالا حسنا

ذلك هو «المنهج الشامل» وهو ممكن التحقيق: فإن العقل الصريح لا يتردد فى اختيار موضوعه. وكل شىء يصلح أن يكون له موضوعا، سواء كان طبيعة أم إنسان. ويقول ديكارت: «ليست العلوم جميعا إلا العقل البشرى الذى يبقى هو دائما بعينه، مهما تتنوع الموضوعات التى يبحثها، دون أن يغير ذلك الاختلاف من طبيعته أكثر مما يغير اختلاف الأشياء من طبيعة الشمس التى تلقى على الأشياء من طبيعة الشمس التى تلقى على الأشياء نورها».

والخلاصة أن ديكارت لم يقصد منهجا ينطبق على علم واحد فحسب كالرياضيات، بل أراد منهجا عاما يمكن انطباقه على العلوم جميعا، وهذا هو ما يدل عليه عنوان كتابه «المقال فى المنهج لإحكام قيادة العقل، وللبحث عن الحقيقة فى العلوم»: فإن الذهن إذا اعتاد مطالب المنهج الصحيح استطاع أن ينقلها إلى مجالات أخرى غير الرياضيات، واستطاع أن يتصور إمكان «الرياضيات الكلية الشاملة».

وقد تكون تلك محاولة وهمية بادئ الأمر: إذ ربما لاح أن من المحال رد كل شيء إلى الحساب، وتحويل المشكلات الميتافيزيقية أو الأخلاقية إلى معادلات جبرية. ولكن من الممكن مع ذلك أن تعالج المشكلات المختلفة معالجة رياضية.، وما الحساب في الحقيقة إلا الأداة التى يستعملها علم الحساب أو علم الجبر لحل المشكلات الخاصة بهما، والذهن الذى ينحو نحو الحساب، لحاجته إليه فى ظرف من الظروف، ليس ملزما مع ذلك أن يستبعد نفسه للحساب. وإذا كان للعلوم الرياضية يقين لانزاع فيه فيقينها آت لا من طرائق الحساب التى تعمد تلك العلوم إليها، بل من «البداهة» التامة، بداهة المعانى التى تصطنعها، ومن «الترتيب» الذى يجرى عليه تسلسل تلك المعانى.

التماس البداهة الرياضية:

وحسبنا أن نراعى فى مباحثنا أموراً ثلاثة مراعاة دقيقة عندئذ يتسنى لنا أن نسبغ على أى علم يقينا يعدل يقين العلوم الرياضية.

الأمر الأول: أن لا نشتغل إلا بمعان «واضحة» «متميزة»، أعنى بمعان مضمونها بديهى تام البداهة.

الأمر الثانى: أن نذهب دائماً من «المعانى» إلى الأشياء، أعنى أن لا تنسب قط إلى الأشياء إلا ما ندركه إدراكا بديهياً فى معانى تلك الأشياء.

الأمر الثالث: أن «نرتب» جميع أفكارنا ومعانينا، وأن ننظمها فى نسق خاص، بحيث يكون كل معنى منها مسبوقا بجميع المعانى التى يستند عليها سابقا لجميع المعانى التى تستند عليه.

ولكن كيف يمكن بلوغ «البداهة» الرياضية فى حل المسائل التى يخوض فيها الفيلسوف؟

لنبدأ أولا بإطراح الآراء الصادرة عن السلطات أيا كان مصدرها: زمنية أو سياسية، أو دينية، ألخ: لأنها فى الغالب أشد الآراء ميلا مع الهوى والنزوات الطارئة والبعد عن اليقين: ثم لنبعد عن الآراء التى يصفق لها الجمهور «فليس ينفعنا فى شئ أن تأخذ الأصوات لكى نتبع الرأى الذى يحوز منها أكبر عدد».

ولنطرح كذلك شهادة التجربة الحسية: لأنها فى الأغلب خداعة، وإذا كان من الممكن أن تخدعنا حينا، فمن الممكن أن تخدعنا دائماً، ما دمنا لا نجد لها ضابطا نثق به ليضبطها.

ولنطرح أخيراً تلك الطرائق المعهودة فى منطق القرون الوسطى، وتلك الأقيسة التى تفرض ما يطلب البحث عنه، والتى لا تصنع شيئا أكثر من أن تعرقل حركة الذهن الطبيعية، والتى هى أدنى إلى أن تنفع فى أن نشرح للغير ما نعرف من الأمور، لا فى تعلم الأمور. بل هى كفن «لل» «lulle» ينفع فى أن نتكلم فيما نجهل دون تمييز!

ومادمنا قد استبعدنا آراء السلطات وشهادة الحواس وطرائق الأقيسة فلم يبق إلا «الحدس» و «الاستنباط»، وهما أشبه بشرطين عامين لهما الذهن فى جميع خطواته المنهجية.

«الحدس و«الاستنباط»:

والحدس عند ديكارت إنما هو نظرة عقلية مباشرة بلغت من الوضوح والتميز أن تستولى على النفس فينتفى منها كل شك. ويقصد ديكارت بالحدس «الفكرة المتينة التى تقوم فى ذهن سليم منتبه، وتصدر عن مجرد الأنوار العقلية». من أجل ذلك كان الحدس الديكارتى عقليا صرفا، و«فطريا» أوليا، ولا شأن له بالحواس ولا بالخيال.

وبالحدس يستطيع كل واحد أن يعلم أنه موجود ضرورة مادام مفكراً، وأن المثلث شكل محدود بثلاثة أضلاع ويستطيع أن يقف على حقائق أخرى، كثيرة قد تفوقنا معرفتها، لأننا لا نلقى بالنا إليها لبساطتها. ولذلك سمي ديكارت «الحدس» «نورا فطريا» أو «غريزة عقلية» نكتسب بها معارف كثيرة جدا كافية فى إثبات قضايا عديدة.

والحدس عند ديكارت لا يتناول معانى فحسب، بل يتناول أيضا حقائق لا قبل للشك فيها. ويختص الحدس الديكارتى بأدراك «الطبائع البسيطة» أى الطبائع التى بلغت معرفتها من الوضوح والتميز مبلغا لامزيد عليه: مثل «الامتداد، والحركة والشكل والزمان، والمكان» وما إليها. وهذه الأشياء البسيطة ليست «تصورات» يتألف منها أحكام، بل «حقائق» يتألف من التئامها حقائق أخرى.

والوسيلة الثانية لبلوغ اليقين الرياضى هى «الاستنباط» وهو قوة نفهم بها حقيقة ما، على أنها نتيجة حقيقية أخرى نحن على يقين منها، وهو «عملية بها نستخلص من شيء لنا به معرفة يقينية نتائج تلزم عنها».

ويلاحظ أن «الاستنباط» الديكارتي يختلف عن «القياس» في منطق القرون الوسطى: ذلك أن «القياس» القديم هو رابطة بين «تصورات» في حين أن الاستنباط رابطة بين حقائق. ثم إن علاقة الحدود الثلاثة في «القياس» خاضعة لقواعد معقدة، تطبق بطريقة ميكانيكية لمعرفة الأقيسة المنتجة وغير المنتجة، في حين أن «الاستنباط» إنما يعرف بواسطة «الحدس» معرفة هي من البداهة «بحيث أن أقل الأذهان أهلية للاستدلال لا يستطيع أن يسيء القيام به» و «القياس يمتاز بروابط ثابتة وموجودة، سواء أدركت أم لم تدرك» . لكن الاستنباط «حركة موصولة، حركة فكر يرى الأشياء واحدا بعد الآخر رؤية بديهية» . وإذن فلا مكان في «الاستنباط» الديكارتي إلا لقضايا يقينية، في حين أننا نجد «القياس» الأرسطاليسي يفسح المكان لقضايا احتمالية ظنية.

وللاستنباط منزلة في المنهج الدكارتي. ولكن الاستنباط لا يمكن أن يكون أوثق من «الحدس»: إذ لابد من مبدأ للاستنباط و«الحدس» هو بمثابة ذلك المبدأ. بل الاستنباط» أقل وثوقا ويقيناً من «الحدس»: لأن كل استنباط هو سلسلة من الحدوس، فهو محتاج إلى زمن، وإذن فهو لا يستغني عن استعمال الذاكرة التي كثيراً ما تخون الإنسان. أما الحدس فشبيه بالصورة الفوتوغرافية «البرهية» السريعة لا يحتاج إلى زمان.

ويضيف ديكارت إلى الحدس والاستنباط شيئاً آخر يسميه «الاحصاء» أو «الاستقراء» و«الإحصاء» ليس عملية ذهنية جديدة بالمعنى الصحيح. بل الإحصاء تكملة للاستنباط، والقصد منه تقريبه من الحدس، وتلافي ضعف

الذاكرة فـإذا كـان لدى سلسلة روابط أعـرف بـهـا رابطة أخـرى «فـإننى لا أستطيع أن أحدد بدقة إذا كنت أتذكر هذه الروابط جميعا، لذلك أتصفحها من حين إلى حين بحركة متصلة من حركات الخيال، بحيث إذا تصورت واحدة منها بالحدس انتقلت منها إلى أخرى. وهكذا إلى أن أتعلم كيف أمر من رابطة إلى أخرى بدرجة من السرعة لانترك مجالاً للذاكرة، فأحصل على حدس للكل فى وقت واحد». فالإحصاء، أو «الاستقراء» هو إذن البحث عن كل ما يتعلق بمسألة معروضة بحثا باهتمام وعناية يحملاننا على اليقين والإقرار بالبداهة أننا لم نغفل شيئاً مخطئين.

ولما كان الذهن الإنسانى مشغولا بالحسيات فينبغى تخليصه منها وفتح عينيه على مسائل الميتافيزيقا لكى يرى الأفكار والمعانى فى صفائها وجلائها. ويحتاج ذلك إلى مجهود خاص: وهو «الانتباه» وليس يعنى ديكارت بالانتباه العناية فى استعمال الذهن فحسب، بل يعنى به أيضاً توجيه الذهن وصرفه عن أوهام الحواس، ولذلك كان القادرون على فهم الأشياء هم وحدهم أهل الانتباه الشديد، الذين يخلصون أذهانهم من علائق الحواس وشواغلها.

قواعد المنهج:

كان ديكارت قد جمع حوالى سنة ١٦٢٨ طائفة كبيرة من القواعد والأحكام التى ينبغى مراعاتها فى كل بحث علمى. وكتابه «قواعد لهداية العقل» الذى تركه دون أن يتمه يذكر إحدى وعشرين قاعدة. ولكنه اقتصر فى «المقال فى المنهج» على أربع قواعد تكفى مراعاتها لتعصمنا من الزلل.

والغرض من هذه القواعد أن تصف الوجه الذى يفكر الذهن عليه حين يفكر تفكيرا رياضيا، وهى:

الأولى: أن لا أقبل قط شيئاً على أنه حق ما لم أتبين بالبداهة أنه كذلك، بمعنى أن أبذل الجهد كى أتجنب التهور والسبق إلى الحكم قبل التثبت وطول الروية والنظر، وأن لا أدخل في أحكامى إلا ما يتمثل أمام عقلى فى جلاء وتميز بحيث لا يبقى لدى أى داع لأن أضعه موضع الشك.

«الثانية: أن أقسم كل واحدة من المعضلات التى أختبرها إلى أجزاء على قدر المستطاع، بمقدار ما تدعو الحاجة إلى حلها على خير الوجوه.»

«الثالثة: أن أرتب افكارى، وأن أجريها على نظام، بحيث أبدأ بأبسط الأمور وأسهلها معرفة، كى أتدرج قليلا قليلا حتى أصل إلى معرفة أكثرها تعقيدا. بل وأن أفرض ترتيبا بين الأمور التى لا يسبق بعضها البعض الآخر بالطبع».

«والأخيرة: أن أعمل فى كل الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الشاملة ما يجعلنى على ثقة من أننى لم أغفل شيئاً».

والقاعدة الأولى المشهورة تلخص ما سمى «بالثورة الديكارتية» والمعنى الذى يتبادر إلى الذهن مباشرة من تلك القاعدة هو أن الإنسان ينبغى له حين البحث فى المسائل العلمية والفلسفية أن يتحرر من كل سلطة إلا سلطة العقل، وأن لا يخضع إلا للبداهة. والبداهة التى توصى القاعدة بأن نتحراها ليست بداهة الأشياء المحسة، لأن الحواس خداعة، بل البداهة التى

يعنيـهـا ديكارت وهى: بداهة الأشـيـاء التى تدرك بـالحـدس العـقلى أو بالاستنباط فإذا أردنا أن نتعرف صدق قضية من القضايا أو كذبها، فالشأن فيه أن نتعرف لا رأى أرسطو أو غيره، بل أن نتبين إذا كانت تلك القضية متمثلة فى أذهاننا بأفكار واضحة متميزة أم بأفكار غامضة مبهمة.

أما تقسيم المشاكل أو «التحليل» الذى تقرره القاعدة الثانية فليس هو إلا الوسيلة التى لا غنى للصعود إلى تلك «الطبائع البسيطة» التى يحجبها عن نظرنا تعقد الأشـيـاء الموجودة فى الواقع، أو للرجـوع إلى تلك الحـقـائق الكامنة فى نفوسنا والتى هى أسس كل علم ومصدر كل وضوح.

و«التأليف» المطلوب فى القاعدة الثالثة هو بمثابة اختبار عكسى. وهو اخـتـبار لازم ليدلنا على مـبلغ صـحـة التـحليل الذى أجـريناه فى المـرحلة السابقة.

والتأليف يفيد أيضاً احترامنا وتمسكنا «بالترتيب المنطقى» الذى تنتظم فـيـه القضـايا؛ بل والقـاعـدة تتطلب أن يفتـرض ذلك التـرتيب إذا لم يكن ظاهراً كما يفترض عالم الآثار القديمة سلسلة من الكلمات ليستطيع أن يقرأ كـتـابة مطـمـوسـة. وهذه الفكرة على بسـاطتـهـا من الطرافة بمكان: لأن الترتيب العقلى المطلوب ليس هو الترتيب الواقعى فى حدوث الأشياء. وإذن فليس مـعناه الخـضـوع للواقع ولا الإذعـان للعـالم على الوجـه الذى يكون عليـه، وإنمـا مـعناه تنظيم حـدود البـحث بحـيث تظهـر دائماً بين السـابق واللاحق علاقة واحدة. وإذا أردنا لهذا الترتيب مثلا لا بأس به وجدناه فى تقسيم العلوم على نحو ما تصورها الفارابى فى القرن العاشر الميلادى أو «أوجست كمت» «Auguste Comte» فى القرن التاسع عشر.

«والترتيب» الديكارتي بمثابة قوة كبيرة على «الرفض» رفض هذا العالم الذى يعرض لنا كلا غير منقسم، ورفض ذلك البرهان الثقيل، برهان «الحضور» و«الأمر الواقع» الذى يكون له الغلبة على أفكارنا أكثر مما يلزم.

وإذا كان من شأن المنهج الأخذ بالترتيب العقلى فالمنهج ينبغى كذلك أن يعود الذهن أن يفرق بين ما هو «مطلق» وبين ما هو «نسبى». فالمطلق هو الشئ الذى لا تترتب معرفته على شئ آخر. كمعرفتنا بالعلة وبالكلى وبالبسيط فإننا إذا بحثنا عن معلول ما وجب أن نعرف أولا العلة. و«النسبى» هو ما كانت معرفته دائماً مشروطة بشروط: مثل المعلول بالنسبة للعلة.

والوصية الرابعة تدعونا إلى أن نستوثق أننا لم نغفل أى جزء من أجزاء المشكلة التى نكون بصدد حلها، وأن نستعرض استدلالاتنا بحركة موصولة لكى نتفادى بقدر المستطاع الخطر الناشئ من تدخل الذاكرة فى الاستدلال، ولكى نصل إلى أن نطابق بقدر المستطاع بين الاستنباط وبين الحدس.

وجملة القول أن ديكارت أراد بالمنهج الوصول إلى دراسة الذهن، أعنى دراسة ظروف البحث عن الحقيقة فى أية مادة كانت. ولقد حرص ديكارت على أن يخبّرنا بأن الرياضيات ينبغى أن لا تستخدم إلا كتمرين للذهن. والمنهج واحد وإن اختلفت موضوعات البحث. والمذهب الديكارتى قد أعلن بهذا وحدة ذهنية قوية، هى وحدة «مجهود» منهجى يستطيع أن يؤلف بين الناس فى نظام روحى واحد وتربية عقلية واحدة مقصودة مقبولة، ويستطيع أن يعلمنا لا أن نسيطر على الأشياء المادية فحسب، بل وأن ندبر أهواءنا تدبيراً باطنيا.

٣ ـ الميتافيزيقا

جرى ديكارت فى بسط آرائه الفلسفية على نمط واحد: بدأ بالشك فى وجود الأشياء المادية وفى يقين الرياضيات، ثم سار إلى يقين لا يتزعزع هو يقين وجود النفس. ثم مضى إلى إثبات وجود الله، وانتهى من هذا الوجود الإلهى إلى أن الله هو الضامن لصحة أحكامنا مادامت قائمة على أفكار واضحة متميزة. ثم انتقل إلى يقين عن ماهية النفس وأنها هى الفكر، وعن ماهية الجسم وأنها هى الامتداد. ثم انتهى إلى اليقين بوجود العالم المادى.

وإذن فالميتافيزيقا الديكارتية «إنما تذهب متدرجة من الشك إلى اليقين، أو من حكم أول يقينى هو «الكوجيتو» (أنا أفكر فأنا إذن موجود) إلى أحكام يقينية تزداد عدداً». ويتم ذلك التدرج على مراحل:

المرحلة الأولى: من الشك إلى اليقين

المرحلة الثانية: من «الكوجيتو» إلى الله.

المرحلة الثالثة: من الله إلى العالم.

الشك الديكارتى:

كان العلماء فى عصر ديكارت ما يزالون يتناقشون فى موضوعات بحوثهم مناقشات لا نهاية لها وكان الفلاسفة فيما بينهم مختلفين حتى فى المسائل الكبرى، وظهر عجزهم عن أن يحلوا مشاكل الفلسفة حلولا يمكن أن تطمئن العقول إليها.

ارتاع ديكارت لتلك الحال، وساورته الهموم العقلية. ولما كان يطلب بلوغ الحق الذى لا نزاع فيه، ويتلمس اليقين الذى يمكنه أن يقيم عليه بناء العلم، فقد صمم على أن يرفض جميع المذاهب القائمة، وأن يتناسى الماضى، وأن يشك فى جميع ما تعلمه من قبل، وأن يمضى فى هذا الشك إلى أبعد حدوده، معولا على أن يبدأ النظر كله من جديد، مطرحا جميع الأخطاء التى ربما كانت تسربت إلى ذهنه، ولعله يجد أصولا أخرى يقينية تصلح أساساً لكل معرفة ممكنة.

استبعد ديكارت شهادة الحواس لأنها تخدعنا أحياناً، بل استبعد شهادة العقل نفسه: لأن بعض الناس قد يخطئون فى الاستدلال ولو فى أبسط قضايا الهندسة .وزاد على ذلك فافترض فرضا لم يسبق إليه فقال ماومعناه: ربما كان هنالك شيطان ماكر مخادع، يعبث بعقلى فيرينى الباطل حقا والحق باطلا، ويجعلنى أخطئ رغم ما قد يكون عندى من يقين نفسانى. فإذا كان الأمر كذلك كنت أعزل من غير سلاح، على رغم ما تظهر عليه معرفتى من بداهة، وربما عجزت عن الوصول مطلقا إلى أية حقيقة.

لكننى يمكننى أن أحمى نفسى من ذلك الشيطان إذا صممت منذ الآن على رفض أية قضية قد يخالجنى الشك فى إمكان وقوع الخطأ فيها: «بما أننا كنا أطفالا قبل أن نكون رجالا، وبما أننا أحسنا حيناً وأسأنا حيناً آخر فى الحكم على الأشياء التى عرضت لحواسنا، حين لم نكن قد استكملنا بعد استخدام عقولنا، فإن كثيرا من الأحكام التى تهورنا فى إطلاقها على الأشياء تحول دون وصولنا إلى معرفة الحق، وتعلق بأذهاننا قبل أن نتثبت

منها، تعلقا قد لا يدع لنا أملا فى الخلاص منها. إذا لم نشرع فى الشك، ولو مرة واحدة، فى جميع الأشياء التى قد نرى فيها أقل موطن للريب وضعف اليقين».

والشك أشبه بأول نظرة من نظرات التفكير يلقيها الإنسان على معروضات التجربة. فيلزم إذن أن نتشبه بأولئك الناس الذين يقوضون دارهم، لكى يبنوها من جديد على أسس أكثر متانة.

والشك نفسه لايكفى. بل ينبغى الحذر من الثقة التى نسبغها بطبعنا على أحكامنا المعتادة المألوفة فى النظر إلى الأشياء وآرائنا السابقة على البحث والروية: فإن كثيراً من الأشياء لا تبدو لنا فى الغالب بديهية إلا لأن العادة قد جرت بأن نراها أو نحكم عليها، أو نسمع غيرنا يحكم عليها كذلك.

وأمثل السبل هو أن نتكلف مؤقتا بطلان هذه الآراء كلها»: فينبغى إذن أن يمتد الشك إلى كل شيء، إلا الحقائق الأخلاقية والعملية: لأن: «أفعال الحياة لا تحتمل عادة أى تأخير». ويجب على إذن أن أشك فى وجود العالم الخارجى، وفى حقيقة الأشياء التى تحيط بى، وفى وجود أمثالى من الناس؛ بل يجب أن أشك أيضا فى قيمة عقلى: فأشك فى الأحكام التى تبدو لى أشد وضوحا وأكثر بداهة. لأن من الممكن كما قلنا أن شيطاناً خبيثاً يلهو بإضلالى فى أحكامى. وماذا لدى من ضمان على أن الأمر ليس كذلك؟

إن شيئا واحدا يلبث قائما وهو الفكر: أنا أفكر، وأنا واثق أننى أفكر. وأنا حتى لو شككت فى أننى أُفكر، فمثل هذا الشك يقتضى أن أفكر أيضا.

وبعبارة أخرى: إذا صممت على أن أشك في كل شيء، فأخليت نفسى من كل اعتقاد، وتوقفت عن كل حكم، بقى أمامى مع ذلك أمر مؤكد: وهو أننى مهما شككت، ومهما فكرت، فلا أستطيع أن أنكر أننى أفكر حين أشك، وأننى وقت تفكيرى، بل وقت خطئى فى تفكيرى، لابد أن أكون موجوداً: «أنا أفكر فأنا إذن موجود»).

اعترض البعض على ديكارت بأن الأسباب التى أدلى بها لتبرير الشك أسباب مبالغ فى تقريرها، فقالوا:

إذا كانت الحواس تخدعنا أحيانا فهل من سبيل لأن نعرف فى أى الحالات تخدعنا؟ وهل من علاج لهذه الأغاليط؟ الواقع أن وسبب الغلط ناشئ إما من أننا قد نستمع إلى شهادة حاسة فى أمر ما، ، وكان الأولى أن نستمع لشهادة حاسة أخرى.

وإما أننا نزعم أن الحواس توقفنا على طبيعة الأشياء مع أننا قد أعطينا الحواس لمنفعة البدن ومصالح الحياة. وإذا كان الاستدلال قد يخدعنا فالمنطق يعطينا قواعد لتمييز الاستدلالات الصحيحة من الاستدلالات الفاسدة.

أما افتراض إله خداع أو «شيطان ماكر» فهو افتراض لا يمكن الوقوف عنده، لأنه لو كان صحيحا لما أمكن إزالته إطلاقاً: إذ لو كان يتناول جميع تفكيرنا لبطلت الاستدلالات التى يراد بها إثبات صدق الله أو انعدام الشيطان الماكر.

والحق أنه كان يمكن الإتيان بأسباب أخرى لشك أقوى مما أورده ديكارت، لأنه انتقل بسرعة إلى الشك دون أن يتمهل فى النظر؛ وسبب ذلك أن شكه كما قلنا شك «مؤقت».

ولكن أهم من هذا أن نتعرف مدى هذا الشك الديكارتى. فأحكامنا على ضربين: الأول أحكام بها أقرر بالإيجاب أو بالسلب أن الأفكار الموجودة فى ذهنى موافقة للأشياء الموجودة خارج ذهنى، كحكمى بأن الصوت الذى أسمعه الآن هو صوت بوق سيارة؛ والطائفة الثانية أحكام بها أربط الأفكار، دون أن أثبت أو أنفى أن هذه الروابط تطابق حقيقة ما خارج ذهنى، كحكمى بأن مجموع زوايا المثلث يساوى قائمتين، دون أن أثبت أن هناك مثلثا خارج ذهنى؛ فبالنوع الأول من الأحكام العقلية أثبت أن أفكارى متفقة مع ما هو موجود خارج الذهن، وبالنوع الثانى أثبت فقط أنها متفقة مع نفسها، بصرف النظر عن مطابقتها لما هو خارج الذهن.

فترى هل الشك المنهجى يتناول هذين الضربين من الأحكام العقلية على السواء؟ الشك يتناول الضرب الأول: فإن من أسباب الشك التى ذكرها ديكارت غلط الحواس، وعدم التمييز بين اليقظة والنوم، وهما يضطراننا إلى الشك فى «الوجود العينى» للأشياء ، أعنى وجود حقائق خارج الذهن مطابقة لأفكارنا؛ وكثير من عبارات ديكارت يؤيد هذه النتيجة.

ولكن هل يتطاول الشك أيضا إلى الأحكام العقلية التى نؤلف بها بين أفكارنا دون أن نحفل بما إذا كانت هذه الأفكار متحققة فى الخارج أم لم تكن متحققة؟ فالمثلث مثلا ألا يكون له خصائص ضرورية حتى ولو لم يوجد شكل مثله فى أى مكان من الأرض خارج ذهنى؟

ربما كان ينبغي أن يقف الشك هنا، وأن يحترم الحقيقة المنطقية لأحكامنا لكن ديكارت لا يحفل بذلك، ويقول إن من الناس من أخطأ في مثل هذه الأمور، وقد أخطئ أنا مثلهم، ثم إن كل استدلال إنما هو سلسلة مقدمات تقضي إلى نتيجة ، ولكن عند وصولنا إلى النتيجة قد تغيب عن أذهاننا المقدمات التي قادتنا إليها، فتفقد النتيجة دواعي التصديق بها حالما تخرج من الوجدان الأسباب التي منها استفادت وجودها.

وأخيراً هذا «الشيطان الماكر» ألم يقض بأن أخطئ أنا أيضا كلما أردت أن أجمع ٢ و٣؟ أو كلما عددت أضلاع المربع؟ أو كلما حكمت على شيء أسهل من ذلك؟ اعترضوا على ديكارت بأن شكه لم يبق على حقيقة عقلية مهما تكن، وقال بعض المعترضين: إن شك ديكارت بمثابة «قصة ميتافيزيقية» أو «حيلة» من حيل المنهج، ولو كان شكا جادا لأفضى إلى فناء الوجدان نفسه، وتلاشى الذهن قطعا.

والواقع أن ذلك الافتراض لم يفهمه كثيرون على وجهه الصحيح، حتى في أيام ديكارت ، فوجهوا إلى الفيلسوف أسئلة كثيرة طلبا لبيان منحاه في الشك، ،ومن ذلك سؤال وجهه اللاهوتي «بويتندجك» ونصه: «هل يحل الشك في وجود الله؟».

وكان جواب ديكارت على هذا السوال بوجوب التفريق بين الشك الذي يتعلق «بالعقل» وبين الشك المتعلق «بالإرادة» . ولذلك كان من الناس من يشكون شكا عقليا في وجود الله، مادامت عقولهم لا تستطيع أن تقيم لهم الدليل على وجوده، وهم مع ذلك قد يكونون مؤمنين بوجود الله إيمانا قويا:

لأن العقيدة شأن من شئون الإرادة . فإذا آمنت فرغم إيمانى أستطيع بعقلى أن أثير مسألة وجود الله، وأن أشك فيها؛ دون أن يحصل عندى شك فى عقيدتى؛ ولا حرج على من يستخدم الشك وسيلة لبلوغ اليقين، ولكن يأثم إثما كبيرا من يضع نصب عينيه أن يشك فى وجود الله ليظل مقيما على شكه.

ولقد كان ديكارت حريصا على أن لا يتطاول شكه إلى شىء مما يتصل بالدين، أو ماله اتصال على العموم بالأخلاق والعادات : وذلك لأن العقائد الدينية بطبيعتها بعيدة عن متناول العقول. وأما العقائد العملية فلابد منها لهداية سلوكنا فى الحياة، فيجب أن تكون هذه وتلك فى مأمن من الشك.

ولعل السبب الحقيقى فى الشك الديكارتى هو الارتفاع عن مرتبة الحواس والمادة.

وديكارت يبين أسباب الشك لإعداد أذهان القراء للنظر فى الأشياء الذهنية ولتمييزها عن الأشياء البدنية» فالشك فى الأشياء المادية هو إذن شك منهجى، هو نوع من «المجاهدة» أو «الزهد» فى المحسوسات ويتوصل به إلى بلوغ الحقيقة الروحية: ذلك أننا خاضعون كسائر الممكنات لمؤثرات خارجية على يمينا أحكامنا فتظهر تلك الأحكام وعليها مسحة عقلية، مع أنها فى الحقيقة لا عقلية، و«الشيطان الماكر» عند ديكارت قد يتمثل هذا العنصر اللا عقلى الذى يشبه أن يكون موجودا فى الكون. ولما كان العقل معرضا لطغيان الأشياء الخارجية فكان لابد له أن يستعين بالإرادة، وتستطيع الإرادة أن تنصر العقل، وذلك بالكف عن إبداء الرأى أو التوقف

عن الحكم. ويقول ديكارت: إن لنا من حرية الإرادة والاختيار ما يجعلنا نتوقف عن التصديق بالأشياء المشكوك فيها، وبذلك نحول دون وقوعنا فى الزلل. وعلى هذا النحو يقرر الإنسان حريته واستقلال إرادته عن الإحساس وطغيانه؛ فإذا سنحت للإنسان الفرصة للحكم دون أن يتأثر بطغيان الحواس فقد حصل حينئذ على أول حكم صحيح يقينى.

وإذن فالشك.، كما يتصوره ديكارت، «شك منهجى» لا مذهبى، وبعبارة أخرى هو شك الذهن والعقل، لا شك القلب والعقيدة؛ هو محاولة عقلية للوصول إلى اليقين العقلى فهو إذن قوة فكرية دافعة إلى الفكر، وليس ميلا إلى الانحدار فى هوة الكفر أو التحلل من ربقة الدين.

ومهما يكن من أمر هذا الشك، فإن ديكارت أراد أولا أن يدخل الحق والصواب إلى فكره، قبل أن يدخل الفكر نفسه فى حياته لتنظيمها وهدايتها. وكان قصده أن يتسنى له النظر إلى الحق نظر الإنسان الخالى من الأهواء والآمال والحاجات والواجبات، بل على نحو ما ينظر عقل خالص صاف، لا تحفزه إلى العمل ضرورة ملحة، عقل ينظر فإذا لم يؤد نظره إلى نتيجة، استطاع بتوقفه عن الحكم أن يبقى على حال صفائه وهدوئه واستقلاله عن كل طغيان.

ويلزمنا أن نعترف أن الشك الديكارتى على الرغم مما يكن أن يوجه إليه من مآخذ شك نافع، وإذا استخدم فى حيطه وتبصر كان منهجا مشروعا لاغبار عليه. بل الأولى أن يقال: إنه منهج مفروض على كل فكر جاد: لأنه إذا وجب أن لا نقبل إلا ما تبينت صحته بالبداهة، فقد وضح أن أول

واجبات الفيلسوف هو أن يشرع فى امتحان أفكاره وآرائه ووسائله فى المعرفة لكى يتبين قيمها ومسوغاتها . والشك الديكارتى أشبه بتمهيد ضرورى للفلسفة: يكفل لأحكامنا قدراً من النزاهة، وخلوا من التعصب، وينأى بعقولنا عن جميع نزوات الأهواء. ووثبات الأغراض، وزلات الآراء.

اليقين الأول: «الكوجيتو»، إثبات الفكر:

رأينا أن ديكارت بعد أن شك فى كل شئ وجد قاعدة ثابتة يعتمد عليها. وهى ذلك المبدأ المشهور: «أفكر، فأنا إذن موجود». فكونى أشك معناه أنى أفكر، وكونى أفكر يفيد أننى موجود. وهذه الحقيقة تدركها بلمحة واحدة من لمحات الفكر. وهى «حدس» وليست قياسا ولا استدلالا؛ وقد نحتاج إلى كلمات كثيرة للتعبير عن هذا الحدس، لكنه على كل حال حدس أول واحد: فإننى فى شكى هذا مدرك وجودى، ووجودى متضمن فى فكرى، وفكرى حاضر بنفسه حضوراً مباشراً. ولو فرضنا أن «شيطاناً خبيثاً» يضلل بى فى كل شىء، فهو لا يستطيع أن يمنعنى من التوقف فى التصديق، ولا أن يمنعنى من اليقين بأنى موجود حين أفكر؛ فأنا أتخذ لنفسى منذ الآن قاعدة وهى: «إن كل ما أدركه إدراكا واضحا متميزاً لابد أن يكون صحيحا حقيقيا».

ولكن أى وجود أدرك، حين أدرك أنى موجود؟

ليس هو وجود جسمى، بل هو وجود فكرى، فأنا أعلم نفسى الآن موجودا مفكرا، ولا أعلم نفسى إلا كذلك. ولا أعلم بعد إذا كنت شيئاً آخر غير هذا

الموجـود المفكر. فـأنـا مـفكر، بمـعنى أنـنى مـوجـود يشك، ويثبت، وينفى، ويريد، ولا يريد؛ وأنا كذلك موجود يتخيل ويحس، وإن كـان لا يمكننى أن أعلم بعد إذا كان الخيال والحواس تتطلب وجودات أخرى غير وجود ذهنى. وأنا أجـهل فى هذه اللحظة إذا كان هنالك عالم خارج فكرى، وكل ما أعلم آلان يقيناً هو أن إثبات إننى كموجود مفكر أصبح حقيقة لا ينالها الشك.

تلك إذن هى الواقعة الأصيلة البديهية التى لا ترد ولا تدفع، والتى تبقى بمنجاة من الشك مهما امتد. والتى سيقام عليها بناء الفلسفة المستقبلة. «أفكر، فـأنا إذن مـوجـود». أنا «شىء مـفكر» «Res cigitans» ، وأنـا كـــذلـك بالطبيعة وبالماهية. وأنا لا أستطيع أن أقف عن التفكير دون أن أقف عن الوجود. والواقع أننى أفكر وأنا طفل صغير، وأفكر أثناء النوم والغيبوبة. وكل ما فى الأمر أننى أفكر إذ ذاك فكرا مبهما غامضا، مؤلفاً من أحـاسيس «صماء» لا وعـى فيها ولا وجدان. ومن الواضح أن لفظ «الفكر» ينطلق كما رأينا على ظواهر نفسية كثيرة، ولا يقتصر على التفكر والتعقل اللذين إنما يوجدان فى حال تمام الفكر وكماله.

الفصل بين النفس والجسم:

وليس الفكر متميزاً فحسب عن البدن الخاص وعن الأجسام عموماً، بل إن واقعة وجود الفكر أشد وثوقاً وثبوتاً من وجود الجسم. وإنما أعرف الفكر بالفكر نفسه، فى حين أن الحـال فى الأجسـام علـى خلاف ذلك: فلست بمستطيع قط إدراكها إلا فى الفكر وبالفكر؛ فمعرفتى بالنفس معرفة مباشرة يقينية، وليس يعرف الجسم إلا بالظن وبالتخمين

وبهـذا الفـصل التـام بين النفس والبـدن أسس ديكارت بسـيكولوجـيـا المسـتقبل، واسـتحق قلائد المديح التى صاغـهـا «مين دو بيران» إذ قـال: ديكارت من الميتافيـزيقيين أول من تصور، بل أول من وضع الحد الفاصل بين صفات المادة وخصائص الجسم، وبين صفات النفس وما لا يمكن أن يخص إلا جوهرا مفكرا؛ وهذه التـفرقـة المهـمـة التى بسطهـا فى كـتـابه الجليل: «التأملات» بسطا فيه تفكر عميق لا يجارى، قد استحق بها فيلسوفنا (ديكارت) أن نسميه خالقا أو ربا للميتافيزيقا الصحيحة» فالكوچيتو اكتشاف ديكارتى أصيل، وديكارت هو الذى اهتدى إلى تلك البداية الرائعة للفلسفة الحديثة. وسنرى بعد كيف استطاع ديكارت أن يستخلص من هذا اليقين الأول، اليقين بوجود الذات المفكرة، جميع الحقائق الأخرى واحدة واحدة.

اليقين الثانى : وجود اللّه :

إن التدرج الذى اتبعه ديكارت هنا جدير بالملاحظة: فإن الكثيرين من الفلاسفة واللا هوبيين ربما كانوا يبادرون بعد إثبات الفكر إلى إثبات وجود العـالم الخارجى المادى، ليصعدوا بعد ذلك إلى وجود اللّه. فيلجـأون إلى الاعتبارات التى جرى العرف عليها عند المفكرين، كضرورة فرض صانع لهذا العـالم، أو ضرورة تفسير نظامه البديع. لكن ديكارت ينهج فى ذلك نهجا آخر، فهو كما قال أحد الكتاب المعاصرين: «لم يرد أن يعرف وجود الله عن طريق العالم، بل زعم على العكس أن الأولى معرفة وجود العالم عن طريق الله؛ ولم يستخدم ديكارت الأرض للصعود إلى السماء؛ بل استخدم السماء للنزول إلى الأرض! ولم يطلب إلى الدنيا أن تضمن له الله، وإنما طلب إلى الله أن يضمن له الدنيا!».

فديكارت يريد إذن أن ينتقل من فكرة هو إلى وجود الله انتقالاً مباشراً: فأنا موجود، وفى نفسى فكرة «الموجود الكامل». وهذا كاف للتدليل على وجود الله. وعلى هذا الأساس وحده أقام ديكارت ثلاثة أدلة رآها قاطعة.

قال ديكارت: ولما تنبهت إلى أن هذه الحقيقة: «أفكر فأنا إذن موجود» هى من الرسوخ والثبوت بحيث لا يستطيع الشُّكَّاك أن يزعزعوها، مهما ركبوا في فروضهم من شطط، حكمت أننى أستطيع مطمئنا أن اتخذها مبدأ أولاً للفلسفة التى كنت ألتمسها». كنت فيما مضى يخيل إلى أحيانا أننى أدرك بعض الأشياء إدراكا واضحا متميزا، ولكننى كنت أسائل نفسى دائما إذا كان هنالك «شيطان خبيث» يستطيع رغم يقينى أن يلقى فى روعى وهما لا حقيقة. وبناء على ذلك فالقاعدة العامة التى تقرر أن «كل ما أدركه إدراكا واضحا متميزا لابد أن يكون حقيقيا» هى قاعدة لا تصلح إلا فى حالة اليقين بأننى لم يخلقنى شيطان ماكر مخادع.

إذا رجعت إلى نفسى فأول ما يتبدى لى حينئذ هو نقصى: لأننى أعرف أنى أشك، والشك نقص. وأجد أيضا فى نفسى فكرة وجود اللا متناهى الكامل، أى فكرة اللّه. ولكن تبين لى أننى لم أستطع بنفسى أن أخلق تلك الفكرة، ما دمت قد لاحظت منذ قليل أننى موجود ناقص. والعلة التى تؤثر لابد أن يكون لها من الحقيقة مقدار ما لمعلوها على الأقل: وبما أن حقيقتى محدودة متناهية ناقصة - أشعر بذلك بواسطة فكرة اللا متناهى وفكرة الكمال التى أجدها فى نفسى - فيلزم عن ذلك أن فكرة اللا متناهى لست أنا مصدرها، إذ أننى موجود متناه وإذن فهذه الفكرة لم تستطع أن يضعها

فى نفسى إلا موجود يحوى كل كمال، وهو ما يطلق عليه اسم «الله» إذن فالله موجود، وهو «الموجود الكامل» اللا متناهى».

وهذا الموجود الكامل، أى اللّه، لا يمكن أن يكون مخادعا: لأن المخاذعة من النقص، وإذن فينبغى أن يكون الله صادقا، خيرا جواداء وأن يكون جوده شاملا. وهو إذن لا يمكن أن يكذب أو أن يخدع. وبناء على ذلك أستطيع أن أستند فى كل فعل من أفعال المعرفة على معايير الوضوح والتميز المتصلة اتصالا وثيقا بالكوچيتو . وهذه المعايير تكفى فى أن تدفع احتمال «الشيطان الخبيث».

لكن أدق الأدلة الديكارتية على وجود اللّه وأقربها بيانا عن منحى الفيلسوف الفرنسى هو الدليل المعروف: «بالدليل الأنطولوجى «Preuve ontologique» سمى كذلك لأنه يمثل مجهودا لاستخلاص وجود اللّه من نفس معنى اللّه، على نحو ما تستخلص خواص المثلث من تعريفه. وهذا الدليل مبسوط فى «المقال فى المنهج» وفى «التأملات» الخامسة وقد بسطه فى صورة أجلى فى «ردوده على الاعتراضات الأولى» وفى «المبادئ»؛ وخلاصته فيما يلى فى صيغة قياس منطقى:

إذا علمنا أن اللّه هو الموجود الذى له الكمالات جميعا، وأن الوجود كمال من الكمالات، رأينا توآ أن اللّه له الوجود.

(أما أن الوجود كمال من الكمالات، فذلك لأن الوجود يتضمن قوة إيجابية تتعلق إما بنفس الشىء الذى يوجد، وإما بالشىء الذى منحه الوجود. لكن القول بأن اللّه غير موجود يفيد أن فيه قوة ما غير محققة.

وهذا معناه أنه ليس مطلق الكمال. وهو محال).

قال ديكارت: «إذا عدت إلى فحص الفكرة التى كانت فى نفسى عن الموجود الكامل وجدت أن الوجود داخل فيها، كما يدخل فى فكرة المثلث أن زواياه الثلاثة مساوية لقائمتين». والواقع أن فكرة القائمتين منسوبة إلى المثلث، لأننى أتبين بوضوح أنها تخصه. وكذلك أستطيع أن أنسب الوجود إلى الله دون إمكان خطأ، لأننى أرى بوضـوح أن تلك الفكرة داخلة فى فكرة «كامل الوجود» وأنها تناسبه ضرورة. ولم كان ذلك؟ لأن «كائنا كاملا» له الوجود هو أكمل بداهة من «كائن كامل» متصور على أنه غير موجود. وإذن فأنا حين أفكر فى الموجود الكامل إنما أتصوره كائنا كاملا له الوجود الضرورى.

يبـدأ هذا الدليل إذن من تعـريف الله بأنه «الكائن الكامل» بالمعنى الأنطولوجى، أعنى بمعنى أنه الكائن الحقيقى إطلاقا «Ens relissimum» الحائز فى ذاته كمال الوجود. ومن الكمال يستخلص الدليل بالتحليل الوجود الضرورى. ومعنى استخلاص الدليل بالتحليل هو أنه يجده متضمنا فيه مستفاداً منه.

ويمكن أن يصاغ الدليل إذن على الوجه الآتى:

الله هو الكائن الكامل.

ولكن الوجود كمال من الكمالات

إذن فالله موجود.

وبعبارة أخرى الله هو الكائن، والكائن الوحيد الذى ماهيته تتضمن وجوده، وانعدام وجوده أمر متناقض لا يتصوره الذهن.

ولقد أكمل ليبتز ذلك الدليل الديكارتى فقال إنه إذا أريد أن يستخلص منه الوجود الحقيقى فقد وجب أولا أن يبين أن فكرة الله لها الوجود المنطقى، يعنى أنها «ممكن تصورها»، وأن فكرة الكائن الكامل ليست فى ذاتها متناقضة. (ويصح هذا بالإمكان بالنسبة لفكرة الله: لأن الكمال هو كون الكائن لاحد له وسلب فيه؛ وإذن فليس فيه تناقض. وإذا لم يكن فى فكرة الله تناقض فالله موجود).

فقد رفض هذا الدليل كما رفض جميع الأدلة العقلية على وجود الله، وقال: إن الوجود ليس كمالاً من الكمالات. ومضمون الفكرة التى تكون لنا عن الله واحد، سواء أتصورنا الله موجوداً أم غير موجود. وإذن فالدليل الأنطولوجى فى نظر «كانت» ينطوى على خلط بين الفكر والوجود فى ذاته.

ولعل ديكارت رغم الجهد الذى بذله لتجديد ذلك الدليل القديم، دليل القديس «أنسلم» لم يستطع أن يقضى على المغالطة التى ينطوى عليها ذلك الدليل.

ولقد يصعب علينا اليوم أن نتمثل دليل ديكارت على وجهه الصحيح: فإننا لم نعد نتصور الأفكار والمعانى على نحو ما كان يتصورها مفكرو القرن السابع عشر.فالفكرة عندنا هى مجرد حالة من حالات الوجدان الشخصى. والطمع فى الانتقال من مثل هذه الحالة «الذاتية» إلى حالة

«موضوعية»، أي من «الوجود الذهنى» إلى «الوجود العينى»، طمع لا يخلو من مجازفة. ولكن الديكارتيين كانوا يرون فى الفكرة نوعا من الوجود وهم هنا يقتربون من الأفلاطونية. والفكرة مستقلة بعض الشيء عن الوجدنات التى تضيؤها. فإذا كان «مالبرانش» مثلا يقول: «إن أفكارى تقاومنى» فبديهى أنه يعنى هنا بالأفكار شيئاً آخر غير ما هو ثمرة لتصوراته الشخصية؛ فلا شك إذن أن المسافة بين «فكرة» الوجود الكامل وبين ذلك الموجود الكامل نفسه كانت عندهم مسافة قصيرة وقد كانت على كل حال أقصر عند ديكارت مما هى عندنا الآن.

من الله إلى العالم:

وإذا كان اللّه كاملا فلا يجوز أن يتصف بالغش ولا يمكن أن يضلل بى، وإذن فإننى أجد فيما أثبتناه الآن من وجود اللّه ضمانا لقيمة أفعالى الذهنية؛ وإذا كنت أخطئ وأضل أحيانا فذلك لأننى حر الإرادة، وقد جعل اللّه الناس قادرين على الخطأ والصواب لأنه جعل لهم حرية واختيارا. والآن وقد اطرحنا افتراض «الشيطان الخبيث» فينبغى لى أن أعتقد أننى إنما أخطئ فقط حين أتعجل فى الحكم على الأشياء، وحين تقضى إرادتى وحريتى بوقف البحث العقلى قبل تمامه. ولكن اللّه يكفل لى صدق الأفكار الواضحة المتميزة: تلك نظرية الصدق الإلهى «Veracite divine» عند ديكارت.

وما يكاد ديكارت يقيم المعرفة الواضحة المتميزة على هذين الأساسين، أساس «الكوچيتو» وأساس اليقين بوجود اللّه، حتى يعود إلى الاطمئنان إلى

معظم الحقائق التى وضعها فيما يبق موضع الشك، لا سيما الحقائق الرياضية ووجود الأمور المادية فى الأعيان، على شرط أن يدرك تلك الأمور إدراكا واضحا متميزا.

عرفنا أن فكرة الكامل التى أجدها في نفسي ليست آتية منى، ولا من الحواس؛ ولا من المخيلة، بل مصدرها نفس الموجود الكامل. ولما كان الله صادقا لا يخادع فالاعتقاد القوى الذى أحسه فينفسي بالقضايا العلمية، وبوجود الأشياء الخارجية آت منه تعالى، فأنا أؤمن إذن بوجود أشياء خارجية تقابل ما عندى من الأفكار الذهنية، وبأن الجلاء والتميز هما علامتا الحقيقية: لأن هذه العلامة تميل بى ميلا شديدا نحو الاعتقاد، فهى أيضا من اللّه، رتبها لهذه الغاية.

***

أستطيع إذن أن أتقدم فى سيرى إلى الحقائق، وأستطيع - بادئا على الدوام من «الذات المفكرة التى هى «إنيتى» - أن أثبت يقين العالم الخارجى. وهذا المبدأ من الأهمية بمكان فى الميتافيزيقا الديكارتية: فهو وسيلة نستطيع بها أن نطلق الأحكام على وجود الكون المادى وعلى طبيعته. فإذا لقينا جسما ما فيكفى أن نسائل أنفسنا بصدده: عن أى شىء يكون عندنا فكرة واضحة متميزة حين نفكر فى هذا الجسم؟ «لنأخذ مثلا هذه القطعة من الشمع ولم يمض على استخراجها من الخلية إلا زمن يسير: فهى لم تفقد بعد حلاوة العسل الذى كانت تحويه؛ ولم يزل بها شىء من رائحة الزهور التى جمعت منها، لونها وشكلها وحجمها أشياء ظاهرة،

وهى جامدة وهى باردة يمكنك أن تلمسها. وإذا نقرت عليها أحدثت صوتا ما. وأخيراً جميع الأشياء التى يمكن بتميز أن تجعلنا نعرف الجسم، نلقاها فيها. ولكن بينا أنا أتكلم، إذا بها توضع قرب النار فتذهب بقية طعمها، وتتلاشى رائحتها، ويتغير لونها، ويضيع شكلها، ويزيد حجمها، وتصبح من السوائل، وتسخن ولا نكاد نستطيع لمسها، ومهما نقرنا عليها لم ينبعث منها صوت ما. فهل لاتزال الشمعة باقية رغم هذا التغير؟ يجب أن نقر بأنها باقية، ولا يستطيع أحد إنكار ذلك؛ وإذن فما الذى كنا نعرفه فى قطعة الشمع هذه بتميز ووضوح؟ الحق أنه لا يمكن أن يكون شيئاً من الأشياء التى لاحظتها منها عن طريق الحواس، مادامت الأشياء التى كانت تقع تحت الذوق أو الشم أو البصر أو اللمس أو السمع قد تغيرت كلها».

ويستنتج ديكارت من هذا التحليل أن ماهية الأجسام هى الامتداد، لا الامتداد الذى أبصره وألمسه والذى أتمثله بحواسى وخيالى، أى الامتداد الحسى، وإنما هو الامتداد المجرد الذى يتصوره الذهن، وهو فضاء صاحب الهندسة. والامتداد وحده هو «الصفة الأولى» وهو جوهر الجسم المستقل عن جوهر النفس. أما الألوان والروائح والطعوم والأصوات فليس لها وجود إلا فى ذهنى فهى كلها صفات ثانية وليس لها وجود فى ذاتها، وإنما وجودها فى أذهاننا.

***

ونلاحظ أن ديكارت يبدو لنا هنا قريباً جداً من «المثالية» الحديثة التى ترى أن حقيقة العالم الخارجى، عالم الأعيان، هى كونه مدركا متعقلا.

ولكن ديكارت مع ذلك لم يصنع ما صنع «برْكلى» من بعده حين أنكر المادة وسلب الوجود عن كل ما لم يكن «فكرة» أو تصورا ذهنيا. صحيح أن ديكارت جرد المادة من صفاتها الثانية، ولكنه استبقى لها «صفة أولى» وهى الامتداد، وهى التى تضمن لها وجودا مستقلا عن الفكر. والحق أن ديكارت لم يكن يقصد بنظريته فى «الصفات الثانية» أن يحكم على العالم المادى بالفناء، بل بذل الجهد ليمنح ذلك العالم وجودا لا نزاع فيه: وهذا لن يتأتى فى نظره إلا إذا خلصنا ذلك العالم مما لا يدخل حقا فى جوهره، أى إلا إذا خلصناه من اثار الحواس والخيال والأوهام. ولو تم لنا أن نعرف العالم الخارجى عن طريق الذهن وحده لكان وجوده أوثق وأمتن.

***

ويس من قصدنا زن نتابع ديكارت فى تفاصيل مذهبه فى العالم الطبيعى وحسبنا أن نجلى ما قد يكون فى فلسفته تلك من طرافة وخصوبة

نريد أولا أن نفسر معنى النظرية المشهورة التى تسمى «بالميكانيكية الديكارتية» «Mecanisme cartesien».: جميع الحالات المادية ترجع فى نظر ديكارت إلى الحركة فالصوت مثلا ليس إلا فينا، ولا يوجد خارجا عنا إلا حركة أجزاء الهواء التى تهتز قبل آذاننا. وليس الثقل خاصية ذاتية للأشياء ولا المقاومة أيضا، بل الطبيعة المادية كلها ليست إلا سلسلة من الحركات، لكن هذه الحركات لا تسير «بالصدفة» وإنما تخضع لقوانين، منها:

١ ـ أن العلة الأولى للحركة هو الله.

٢ ـ أن كمية الحركة فى العالم باقية ثابتة لا تتغير.

٣ ـ أن كل شئ يلبث على حاله مادام لم يغيره شئ آخر.

٤ ـ أن جميع حالات الحركة المتغيرة الخاصة تخضع لقوانين المقاومة الأقل والتكافؤ بين الفعل ورد الفعل، الخ.

****

وتعريف المادة بالامتداد يصلح أساسا لطبيعيات الديكارتية كلها: بما أن المادة عبارة عن الامتداد، فلا امتداد من غير مادة وإذن فلا «خلاء»، فأينما وجهنا الفكر استطعنا دائماً أن نتخيل وراء الحد الذى بلغناه فضاء لا متناهيا، ففكرة الخلاء فكرة باطلة وكذلك فكرة الجزيئات التى لاتتجزأ، فلا وجود للذرات: لأن وجود الذرات يفيئد وجود الخلاء الفاصل بينها: بل أن تقسيم الجزيئات ممكن دائما مادمنا نتصور بالضرورة الجزئ ممتدا، وليس العالم المادى بأسره إلا قضية تنبسط وفق قوانين الحركة. والكلمة الأخيرة للأشياء النمادية هى جوهر حامد ماهيته الامتداد، خاضع لقوانين الميكانيكا. وإذن فليس هناك فى العالم المادى إلا علم واحد. هو الميكانيكا، وجميع العلوم الأخرى من طبيعة وكيمياء وبيولوجيا ليست إلا علم الأشكال الخاصة التى يمكن أن تتخذها حركة الجوهر الممتد.

***

ومن قبيل التأويلات العجيبة لهذه الميكانيكية الشاملة نظرية ديكارت المشهورة فى «آلية الحيوان»): ليس فى العالم عند ديكارت إلا جوهران: النفس المفكرة، والمادة الممتدة؛ ولا توسط بين الأمرين، فكل ما ليس بنفس فهو مادة. وإذن فما دام الحيوان خاليا، من النفوس المفكرة فليس الحيوان إلا من قبيل الجوهر الممتد الخاضع لقوانين الحركة، وما الحيوان إذن إلا آلة تشبه الآلات التى يصنعها الإنسان، وكل الفرق فى كمال الصنع؛ والحيوان عند ديكارت أشبه بالساعة المعقدة، ولو بلغ صانع من الحذق أن صنع كلبا جمع فيه تفاصيل الأشكال والحركات التى نراها فى الطبيعة، لم يكن لدينا وسيلة للتميز بين ذلك الكلب المصنوع وبين الكلاب التى تنبح فى منازلنا!

***

نرى أن هذه الطبيعيات الديكارتية مشتقة من الميتافيزيقا، أعنى من تصور المادة تصورا ثم بالاستدلال المحض وليس للتجربة فيه إلا مكان ثانوى. وتلك محاولة فى الحق قد بلغت من الجرأة حدا قصيا، وهى تدل على ما أولى ديكارت العقل الإنسانى من ثقة قد لا يشاركه فيها أحد من علماء عصرنا الحاضر. ولكنا رأينا فيما سبق أن ديكارت قد ناط العقل البشرى بالعقل الإلهى، فكأن صدق العقل البشرى مكفول بالله موكول إليه، وديكارت يقول: «يبدو لى أن من اعتقد ببطلان علل المعلولات الموجودة فى الطبيعة والتى وجدناها على هذا النحو، هو من المستهترين المعترضين على الله: لأن هذا معناه أنه يريد أن يعترض على الله إذ خلقنا من النقص بحيث كنا معرضين للخطأ، حتى حين نستعمل ما منحنا من العقل استعمالا

حسنا». من أجل هذا يختم ديكارت كتاب «المبادئ» مؤكدا في شيء من الزهو: «إن لدينا يقينا أخلاقيا بأن أمور هذا العالم جميعها هي على نحو ما أثبتنا إمكان كونها كذلك، بل إن لدينا على ذلك يقينا يعدو اليقين الأخلاقي ويسمو عليه».

***

ها هو ذا ديكارت قد أثبت الحقائق الثلاث الكبرى التي يقوم عليها بناء الفلسفة: وهي النفس والله والعالم. ولقد رأينا أن فيلسوفنا لم يقنع بالإدلاء بأفكاره متلاحقة بعضها في أثر بعض، بل أراد أن يبين في أي نظام وفي أي تدرج، وبأي حركات الذهن اهتدى إليها، كما أراد أن يستخدم الحقائق التي اكتسبها وسيلة للاهتداء إلى حقائق أخرى جديدة كما هو الشأن في سلسلة البراهين الهندسية: رأيناه بعد أن أثبت وجود الفكر أو الذات المفكرة يتأدى إلى إثبات وجود «اللا متناهي» أوالله، ورأينا أن بمقدوره، مع اللا متناهي أو الله، أن يؤكد وجوده هو، وأن يثبت وجود الامتداد أو المادة، ووجود بدن متحد بالنفس، ووجود نظام أو انسجام دبره الله في الأشياء المخلوقة لكي يهيىء له أن يحيا في هذا العالم.

خاتمة:

ظاهر أن فلسفة ديكارت تخالف فلسفة القدماء، ولا سيما فلسفة أرسطو وفلسفات القرون الوسطى المشتقة منها: ذلك أن أغلب القدماء كانوا يعنون بمشكلة الوجود ويلتمسون لها حلا، ولم يكن يخطر ببالهم أن يبحثوا في

العقل نفسه وفى طبيعته ووسائله في معرفة العالم الخارجى، وبعبارة أخرى لم ينتبهوا إلى البحث فى حدود العلم الإنسانى وشروطه. فمن القواعد المنهجية فى فلسفة أرسطو أننا قبل النظر فى ماهية شىء من الأشياء يجب أن نثبت وجوده، وإلا تعرضنا لأن نبحث عن أشياء غير موجودة كالغول والعنقاء.

أما ديكارت فقد قلب وضع المشكلة الفلسفية كما قلب المناهج التى كانت تستخدم لحلها، ورأى بنظرة من نظراته الفلسفية الثاقبة أن هنالك مشكلة تمهيدية وهى مشكلة «المعرفة»؛ رآها «ديكارت» قبل «هيوم» و «كانت»، ورأى أنها هى المشكلة الفلسفية الكبرى، وحلها حلا لا يخلو من مجازفة وأقدام: فأغلق الباب منذ البداية دون كل بحث عديم الجدوى فى «الوجود» وفى «الشىء فى ذاته»، وجعل كل بحث وكل نظر منصبا على إمكان المعرفة. وبهذا أيضا استطاع ديكارت أن يسير من التصور إلى الوجود ومن الفكر إلى الأشياء، كما صنع أفلاطون، لا من الوجود إلى التصور، ولا من الأشياء إلى الفكر، كما أراد أرسطو.

فموقف ديكارت من الفلسفة قريب من موقف أفلاطون. ونقطة البداية فى الفلسفة الديكارتية هى الفكر مسلما به كحقيقة أولى يمكن أن نثبتها: والشىء الحق هو ما جاء مطابقا لمطالب الفكر. والمسألة الثانية الكبرى عند ديكارت هى الانتقال من الفكر إلى الوجود، والقبض على الوجود بمعونة الذهن وحده وابتداء من الأفكار المحضة. وإذن فلو استثنينا من المذاهب القديمة فلسفة أفلاطون، ومن المذاهب الحديثة جزءا من فلسفة «كانت»،

لاستطعنا أن نقول إن طريقة ديكارت فى التفلسف لا تكاد تشبهها طريقة فيلسوف آخر.

والفلسفة الديكارتية أشبه بأن تكون نظاما روحيا وتربية عقلية من أن تكون مذهبا يمكن أن يلخص فى مسائل وفصول، أو يستطاع تعلمه كما تتعلم الآراء والعقائد فى المعاهد والجامعات.

اختار ديكارت لبسط مذهبه أسلوب القصة والحكاية. ولم يصنع هذا عفوا ولا بالصدفة: فإن كتاب «المقال فى المنهج» على تركيزه وأقلاله، أشبه بحكاية عن تجربة شخصية لا يعرفها إلا من يعانيها. ولم يرض «أبو الفلسفة الحديثة» أن يطلع على الناس داعيا إلى ثورة، ولم يرد الشك الذى دعا إليه أن يكون شكا هداما يجعل من الذهن صفحة بيضاء كما يقولون، وإنما أراد به أن يكون آلة لاستبقاء الصالح من العلم الموروث بعد أن يجتث منه الفاسد المطلوب .

***

وجملة القول أن نظرات ديكارت تطابق العلم الحديث. كان ديكارت مثاليا وكان أيضا واقعيا: لقد فهم الرجل روح العلم، واستطاع فى الوقت نفسه أن يثبت وجود النفس ووجود اللّه. وما نحسب أن مفكرا جادا يحل له أن يتهم بالتناقض فيلسوفا مثل ديكارت أراد أن يوفق بين أمور تبدو متعارضة فى الظاهر. والحق أن العلم فى صميمه لا يتنافى مع الاعتقاد، وأننا نستطيع اليوم أن نتمشى إلى حد بعيد مع العلوم الوضعية، وأن تشيع

فينا روحـها، وأن نقبل كل اكتشافاتها واكتشافات المستقبل، ولا يمنعنا ذلك من أن تكون لنا نظرة ميتافيزيقيـة إلى العالم فى مجموعه، ولا يصرفنا عن الإيمان بحقيقة الروح والعقل والأخلاق.

المؤسسات التربوية ودورها فى تطوير الإنسان العربى

يظن البعض أن الحديث والبحث فى القضايا التربوية والتعليمية يقتصر على رجال التربية والتعليم فى بلادنا العربية باعتبارهم الأكثر خبرة ودراية وقدرة على تفكيك خيوط هذه العملية المعقدة التى تحتاج إلى نوع من المتابعة الحثيثة، والمواكبة الدائبة لكل تطور فى هذا الحقل أنى كان موطنه، ولكل تجربة فى هذا الميدان قد تكون ذات نتائج نافعة ويمكن الاستفادة منها بصورة ما. والموضوع الأساس هنا مرتبط بتوأمة الثقافة والتعليم، بحيث تحقق بأسلوب تكاملى التنمية المستدامة التى باتت تؤرق مجتمعاتنا العربية على وجه الخصوص بصورة لم يعد فيها الحديث وحده مجدياً ما لم ترافقه خطط واستراتيجيات واضحة ومفهومة تحدد أهداف العملية برمتها ومراحلها المختلفة، وقبل الدخول فى الحديث عن ضرورة تلازمية الارتباط المطلوب بين التعليم والثقافة حتى يصبحا ثنائياً لا مجال انفصال أحدهما عن الآخر، أرى أن الاهتمام يجب أن ينصرف فى جزء كبير منه إلى بحث علاقة الفكر بالتنمية كواحد من العناصر الإنسانية

الرئيسية ذات الصلة المباشرة بالديناميـة والفعل اللذين تتحرك بهما ومن خلالهما المجتمعات البشرية، وإذا كان للفكر دور فى صياغة الشخصية الإنسانية عبر تشكيلها في قالب معين، فإن له دوره من بعد أيضاً في بلورة أوصاف هذه الشخصية ودفعها إلى إنجاز مهام وواجبات عملية تصب في مصلحة الفكر ذاته، ويؤثر إتمامها على الصورة الكاملة للمجتمع إن سلباً أو إيجاباً، وهذه هي إحدى أخطر نتائج الفكر والتى تكشف بجلاء عن أهمية العقل البشرى ودوره فى صناعة المستقبل أو تدميره..!!

وحتى نكون بمأمن عن مخاطر الفكر (والمخاطر هنا نسبية، تختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص والآلية المعتمدة) لابد من الإشارة إلى ضرورة إبراز العنصر البشرى فى المجتمع بصورته الحقيقية التى تتماشى مع مكوناته العقلية والروحية، دون تحميله بضغوط، أو وضعه فى حجز مهما كانت الدواعي أوالمسوغات التى قد تتراءى للبعض على أنها كذلك أو يرونها ذرائع سهلة لهم فعلتهم، وعليه فإن إطلاق حرية الفكر هى واحدة من أهم القضايا العاجلة التى تستدعيها الحالة العربية الراهنة على اعتبار أن الفكر الحر هو الوعاء الأكثر رحابة ومرونة للعطاء الإنسانى، وهو المنطلق الحقيقى للإبداع والابتكار، ناهيك عن الدور الكبير الذى يلعبه الفكر في تغيير حركة المجتمعات وتطوير حياتها المعيشية فى إطار القاعدة الأخلاقية التى تؤلف بين أبنائها، وتحافظ على هويتها ووجودها. إننى على يقين أن مصير مستقبل أى أمة من الأمم مرهون بمدى ومقدار حرية الفكر التى يتمتع بها أبناء هذه الأمة أو تلك، ولا تستطيع أى أمة أن تحقق التقدم

التكاملي المنشود في شئونها المختلفة ما لم يكن ابناؤها قادرين على إعمال فكرهم وتركيزه لصناعة مستقبلهم، ولهذا كان «ملفتيوس» يردد عبارته المشهورة «وليست العبقرية أكثر من تركيز الذهن..» في واحدة من إشاراته إلى أهمية الفكر وحصره وتركيزه بما يمثله من محضن للعبقرية والإبداع والخروج من دائرة التقليد والاتباع في أمور الحياة العملية والعلمية.

الاهتمام الخلاق

المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية في العالم العربي كله ستظل عاجزة عن تحقيق أهدافها في تطوير الإنسان العربي وتنمية قدراته العملية والعلمية ما لم تسع بجدية إلى تجسير الهوة الكبيرة القائمة بين الجماهير العربية ذاتها والأنظمة السياسية التي تحكمها، وبمعنى آخر، لابد من إعادة النظر في العلاقة القائمة بين هذه الأنظمة والجماهير وبنائها على أسس إنسانية مصلحية عامة، تقيم وزناً حقيقياً لعقل الإنسان وقدراته وميوله كأهم عنصر في المجتمع يمثل دوره أساساً من أساسات الكيان السياسي، وركناً ركنياً فيه، ومن هنا، فإننا نفهم جيداً مقولة خافيير بيريز دي كويلار التي استشهد بها الدكتور العسكري ووردت في تقرير مركز التطوير التكنولوجي الصادر عن وزارة التربية والتعليم في القاهرة: (فتقاس التنمية في إطارها بمجموعة واسعة من القدرات تتراوح بين الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ،الفرص المتاحة للفرد في أن يكون سليماً معافى ومعلماً ومنتجاً ومبدعاً يحترم ذاته وينعم بحقوق الإنسان)، فهذه النظرة التكاملية التي يحتاج إليها الإنسان هي أولى درجات وفي سلم الإبداع

والعبقرية، إذا لا يستطيع الإنسان حصر اخـهتمامه وتركيز فكره ما لم يكن مهيأ لذلك على الوجه المناسب، وهو لا يملك بمفرده أن يحقق هذه التهيئة ما لم تفسح أمـامه الطرق لكى يفكر بحـرية وتركيـز واهتمـام من أجل أن يبدع ويبتكر، وكما قال الفيلسوف فيليبس بروكسل: «إن حصر الاهتمام هو أول مقومات العبقرية» فكيف والأمر إذن على غير هذه الحالة، بل على النقيض منها تماماً.!!

فإذا كنا نريد بالفعل أن نضع أصابعنا على مواطن الوجع الحقيقى الذى تعانى منه أمتنا، فإن البداية يجب أن تنبثق عن الفهم الدقيق لاحتياجات الإنسان العربى الذى مافتئ يبحث عن نقطة اهتمام ويفتش فى القاموس السياسى العربى عن حريته التى يتطلع أن تكون حقيقية تؤهله لإطلاق فكره وتركيزه اهتمامه بعيداً عن أداة التهديد أو الخوف، فالخائف المتردد المرعوب لا يمكنه أن يبدع أو يعمل عبقريته إلا فى حالة واحدة فقط هى حالة النفاذ والهروب من سوط الجلادين.!!

وظيفى لا إبداعى

تكمن معضلة التعليم فى العالم العربى فى أنه ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمكانتين الاقتصادية والاجتماعية اللتين يتطلع إليهما الأفراد والجماعات، وقد أثرت هذه النظرة على بنيان التعليم ذاته بمناهجه وأساليبه وعناصره المختلفة، وليس أدل على ذلك من جيوش «المتعلمين» العرب الذين تقذفهم مؤسسات التعليم العالى كل عام وتضخهم فى شرايين المجتمعات العربية، وبدلاً من أن تساهم هذه الدماء الجديدة الطازجة فى تحريك الجسم بصورة

أكثر حيوية ونشاطاً، ودفعه إلى ممارسة دور أكثر ريادة ومناقشة بين مجتمعات الدنيا، نرى أنها - في الغالب - باتت تشكل ضغوطا جديدة على الجسم، فبدل تسريع دورته الدموية، وقفت عائقاً في طريق جريان الدم في شرايينه، وأدت في كثير من الأحيان الى إحداث تجلطات واختناقات كادت تكون قاتلة.

ولعل السبب الحقيقي الكامن وراء هذه الحالة، يعود إلى نظرة المجتمعات والأفراد الى التعليم على أنه سبيل لتحقيق المكانة الاجتماعية المرموقة، والوضع الاقتصادي المريح، وليس على أنه طريق للتقدم المجتمعي بصورة عامة ورفع مكانة المجتمع والأمة بين غيرها من الأمم والمجتمعات من خلال الإبداع المطلوب، والقدرة على صناعة المستقبل المشرق عبر التوأمة الأكثر أهلية للاستمرار والنجاح وهي ثنائية العلم والإيمان، وهما الأحرص على الدعوة إلى التفكير وما يمكن أن ينتجه هذا التفكير من إبداع، وما قد تتفتق عنه العبقرية الناجمة عنه من ابتكار وسبق وريادة، فالمكانة الحقيقية التي يجب أن تتطلع إليها الأجيال هي مكانة العلم من أجل العلم ومنافعه مجتمعة لا من أجل ما يحققه من منافع اقتصادية واجتماعية فردية خاصة، فالعلم والإيمان هما الوجود ذاته، والأمة التي تستطيع أن توائم بين هذين الركنين الأساسيين في الحياة تمتلك كل أسباب القوة والقدرة على تحقيق المعجزات، إذا كان ثمة معجزات يمكن تحقيقها!!

يجب أن نكون قد أهلنا أنفسنا لدخول القرن الواحد والعشرين بالمواءمة بين هذه الثنائية المهمة، وأن تكون رساسا تستند إليه مؤسساتنا التربوية

والتعليمية، فى رطار التعليم على ممارسة التفكير والتأمل لأن الحفاظ على ممارسة هذا الدور المنوط بالإنسان دون سائر المخلوقات الأخرى هو حفاظ على وجودنا وطبيعتنا الإنسانية. وقد نقل عن ذكريات قول: «أنا أفكر.. إذن أنا موجود..)، ولعله من غير الصحيح إطلاقا أن تظل مؤسساتنا التعليمية والتربوية تقذف بأفواج من الموظفين، ممن تعلموا فقط من أجل أن يحظوا بوظيفة كل ما تقدمه هم من امتيازات لا يتجاوز كرسياً ومكتباً شهرياً ثابتاً، ونوعاً مما يتصوره الكثير من شبابنا «برستيجا» يحقق لهم مكانة لائقة فى المجتمع!

هل التنمية مرهونة بالثقافة حقا..؟

فى تصورى إن الكثير من الكتاب العرب لم يقدموا فى معرض تناولهم لمثل هذه القضية مسوغاً حقيقياً واضحاً للربط بين التعليم والثقافة، فارتباط التعليم بالثقافة له أكثر من تفسير ومفهوم، ولعل ما دعا العديد من الكتاب إلى الربط بين الاثنين على وجه التحديد في إطار أحاديثهم عن التنمية وربطها بتحقيق المواءمة المطلوبة بين التعليم والثقافة، هو إيمانهم بأن المنتوج الذى ستسفر عنه الحالة الثقافية للأجيال يرتبط بمدى بأن المنتوج الذى ستسفر عنه الحالة الثقافية للأجيال يرتبط بمدى إحساسهم أو معايشتهم أو ممارستهم لحرياتهم، على اعتبار أن المثقف هو أكثر شعوراً بأهمية الحرية وضرورتها بالنسبة له من غيره، وأن المكبل أو مقيد الفكر لا يملك أن يبدع أو يطور عبقريته إذا كان يحتفظ فى رأسه بنوع من العبقرية.

دور المدرسة مهم .. فماذا عن القدرات الذاتية؟

المهتمون بفعل القراءة وعالم الكتب هذه الأيام يدركون أن استهلاك الكتاب لم يعد يلقى الإقبال الكبير نفسه الذى كان عليه فى السابق، وعلى الرغم مما يبدو لنا عندما نتحدث عن النشاط التعليمى والمدرسى من أن فعل القراءة هو عبارة عن نشاط محسومة ممارسته سلفاً، بمعنى أن طلابنا وتلاميذنا يقبلون على القراءة بكل تلقائية وعفوية، فإن العكس هو الصحيح، حيث نلاحظ الطلاب والتلاميذ يبدون نفوراً من الكتب والقراءة، ويحاولون جهد الإمكان الابتعاد عن هذا النشاط التثقيفى الأساسى والضرورى الذى يؤهلهم للاندماج فى خضم الحياة العامة.

هنا يجب أن نؤكد أن الثقافة ترتبط بصيغة حاسمة بنشاطى التعليم والتكوين، حيث لا يمكن تحصيل الثقافة بمختلف مكوناتها وأبعادها إلا بواسطتهما ، ولذلك بات من الضرورى على مدارسنا العربية أن تجمع فى تكوينها لطلابنا وتلاميذنا بين عدة كفايات، تربوية، وتعليمية، وتكوينية، وثقافية، ومهنية، وبذلك تستطيع مؤسساتنا تأهيل متعلمينا للدخول فى الرهانات الضرورية لتدعيم أسس التنمية العربية المستديمة.

القراءة التي نتحدث عنها هنا هي القراءة بمعناها العام والشامل، فهي لا تقتصر على ذلك النشاط المرتبط بالمقررات والمناهج الدراسية، بل تتعداه إلى استهلاك كل أنواع المقروء المفيد في تكوين وتثقيف طلابنا، والقراءة في الحقيقة هي عبارة عن ولع فعّال، ونشاط خاص، وموهبة سامية، وهي كذلك مهارة تجعل الفرد القارئ يعمل على إدراك محتوى نص مكتوب بناء على عمليتي التأويل والفهم، لأن القراءة تبدأ عادة بتحليل شبكة الرموز اللغوية التي يتشكل منها نص من النصوص المتنوعة، وبعبارة مبسطة إن القراءة هي تحليل الكلام الذي يوجد بثنايا النص، و«أول ما نلاحظ أن كلاماً ما لا يصير نصاً إلا داخل ثقافة معينة، فعملية تحديد النص ينبغي أن تحترم وجهة نظر المنتمين إلى ثقافة خاصة، لأن الكلام الذي تعتبره ثقافة ما نصاً قد لا يعتبر نصاً من طرف ثقافة أخرى». إن هذه الملاحظة تعتبر حاسمة في طريقة التعامل مع النص المقروء، وخصوصاً ذلك النص الذي لا يتوافر على أي فائدة آنية أو مستقبلية في حياة تلاميذنا وطلابنا، وينسحب هذا المعنى بكل وضوح وجلاء على نوعية الكتب والنصوص التي ينبغي علينا أن نوجه إليها المتعلمين، حتى تكون قراءاتهم ناجعة وفعالة في الربط بين رفع وتيرة علمهم وتكوينهم، وبين درجة حصولهم على عمق ثقافي معقول يؤهلهم للمشاركة في تدبير حياتهم، والمساهمة في صنع القرار مع مواطنيهم، خدمة لبلدانهم.

إن فعل القراءة عبارة عن نسيج بنائي تساهم فيه ذات القارئ الحقيقي بكل إصرار وفاعلية، وبكل انسجام كذلك، وغالباً ما يوصف فعل القراءة

هذا بأنه ليس خطيا، بل هو دائم التعرج والانكسار، ويتميز بمجموعة من التحولات والتغيرات، لأنه لا يسير بصيغة مستقيمة، على اعتبار أنه يكون مساوقاً لمجموعة من الأنشطة التى تتطلب التأويل، والتركيز، والفحص، والاستمرار، وهكذا نلاحظ أن فعل القراءة يحتاج إلى طاقات قوية، وقدرات عقلية عليا معقدة ومتنوعة، ولذلك فإن «القليلين من الناس فضلاً عن طلبة اللغويات ومدرسى القراءة هم الذين يدركون الممارسات العقلية المعقدة التى تشتمل عليها عملية القراءة، فبعد وقت قصير من تعلم الشخص القراءة، يستوعب العملية تماماً إلى حد أن الكلمات فى الكتب تبدو كأنها اكتسبت وجوداً يماثل تقريباً الأشياء أو الأفعال التى تمثلها»، ولذلك فنحن نجد أن المفكر والمربى السويسرى «جان بياجية» قد تحدث عن مرحلة فى حياة الطفل تسمى «المرحلة الواقعية الاسمية» حيث يعتقد الطفل أنه يستطيع امتلاك الأشياء عندما يصل إلى تعلم الكلمات والعلامات الدالة عليها، ويظهر جلياً أننا عندما نعود المتعلمين القراءة، فإننا فى الحقيقة نكون قد جعلناهم يحققون معها ألفة حميمية تدفعهم إلى تصور امتلاك كل ما هم بصدد قراءته.

ويجب أن نؤكد أن الطالب عندما يتعود القراءة، فإنه سوف يكون مساعداً لنا ولنفسه على تيسير عملية تكوينه، لأن التكوين فى عمقه هو مجموعة المعارف والمعلومات والإرشادات المكتسبة فى المدرسة، أو بوسائل ذاتية، وهنا يتضح لنا أن عملية تكوين المتعلمين لا تقتصر على المدرسة فقط داخل الأقسام والفصول، بل إن التكوين يرتبط كذلك،

وبالدرجة الأولى، بالإرادة الطموح التى يعبر عنها المتعلم، فيعمد إلى تدعيم تكوينه المدرسي باستثمار البدائل الممكنة والمتاحة والتى تأتى القراءة فى صدارتها، ولذلك يمكن أن نقول: إن التكوين يشمل بالصيغة التى ركزنا عليها آنفا الجانب المعرفى، والتثقيفى، والمهارى، إن هذه المعطيات ترتبط بالتأكيد ليس فقط بالمدرسة، بل وكذلك بالقدرات والإمكانات الذاتية والخاصة التى تميز المتعلمين فيما بينهم، وهنا نستطيع أن نتحدث بكل ثقة وتفاؤل عن تلك العلاقة المتينة والمنسجمة بين المدرسة والحياة، حيث يعى المتعلم كل الوعي أنه يتعلم من أجل المدرسة، والامتحانات، والثقافة، والحياة.

إنا نستطيع بناء على هذه الطموحات التى نروم بلوغها، ونحن نعلم طلابنا وتلاميذنا، أن نشير إلى أن القراءة الهادفة والمنظمة تشكل أحد الممكنات التى تستطيع التأثير فى التكوين داخل الوسط المدرسى، هذا الوسط الذى يعرف عادة «بأنه مجموع المعطيات الخاصة بنظام معين، يستمدها من المحيط العام، وبهذا يكون الوسط المدرسى عبارة عن نظام خاص يتوافر على مجموعة من المعطيات يستمدها أساسا من محيطه الطبيعى الذى يوجد به» أى المجتمع، فيكون الوسط المدرسى بهذا المعنى نموذجاً لنظام محدد يرتبط بعلاقة واضحة مع المجتمع حيث يمكننا أن نقوم بدراسته وتحليله انطلاقاً من ثلاث صيغ:

أ - يحصل الوسط المدرسى من محيطه العام الذى هو المجتمع على مختلف الإمكانات المادية التى يحتاج إليها لممارسة مختلف أنشطته

التعليمية، والتربوية، والتكوينية، والتثقيفية، مثل الموارد البشرية، والتجهيزات.

٢ - يعتمد كل من المجتمع والوسط المدرسى على الآخر ضمن علاقة تعاقدية فى إقامة مختلف الأنشطة التربوية والثقافية، سواء بصيغة دورية، أو فى المناسبات الخاصة والعامة.

٣ - يعتمد النشاط العام الذى يسود المجتمع والذى يتمثل فى نوع التدبير والتسيير لمختلف هيئاته ودواليبه على طبيعة المنتوج الذى تتيحه «المخرجات Out Put» الخاصة التى يقصدها النظام المدرسى والتى هى فى الحقيقة من تحديد المجتمع، على أساس أن نوعية الموارد البشرية والشروط والخصائص التى يجب أن تتوافر فى الخريجين يتم تحديدها من طرف الجهة المكلفة تسطير سياسة التعليم داخل كل بلد عربى.

فى الحقيقة :إن فعل القراءة يقع ضمن هذه الصيغ الثلاث، حيث يوجد على طول الخط فى مختلف العلاقات القائمة والممكنة بين الوسط المدرسى ومحيطه العام، ولكنه يظهر بصورة واضحة أكثر من خلال نوعية العلاقات التبادلية والتعاقدية بين الوسط المدرسى والمجتمع، على أساس أن المجتمع يعتبر الوسط المدرسى امتدادا طبيعياً له، باعتباره نموذجاً مصغراً للمجتمع، فهو نسق اجتماعى يتميز بمجموعة من العلاقات المرتبطة ببعضها البعض بصيغة نسقية، ويقوم فيه كل جزء بوظائف منسجمة ومكملة للوظائف التى تقوم بها كل الأجزاء الأخرى.

إن فعل القراءة هو عبارة عن تغير دائم ومستمر وهو يتخلل العملية التعليمية، بحيث إن التأثير الذى يمارسه على التكوين، ومن ثمة على الوسط المدرسي رهين بعدة معطيات دخيلة أو مشوشة، ولذلك فإنه لا يمكن أن يكون للقراءة تأثير إيجابى وفعال إلا إذا كانت واعية، والوعى هنا ينصرف مباشرة إلى الإدراك، بمعنى أن يكون المتعلم واعياً ومدركاً بتوجيه من مدرسيه بأن فعل القراءة هو فعل يدعو بإلحاح إلى التغيير والتطوير، وبذلك فإن على المتعلم إقامة علاقة تفاعلية بينه وبين النص المقروء، لأن المتعلم القارئ عندما يقرأ فإنه يكون فى الحقيقة مشاركاً فى إنتاج النص وبنائه من جديد حسب تصوراته ومكتسباته السابقة، وفى هذه الحالة يصبح المتعلم منتجا للنص المقروء من خلال تبنى معطياته وأطروحاته، هنا تكمن أهمية التدخل فى توجيه أنشطة القراءة التى يمارسها المتعلمون، حتى تكون النصوص المستهلكة منسجمة مع سن المتعلمين، ومداركهم، وقدراتهم العقلية، وطاقاتهم المعرفية، لأن تلقى نص من النصوص هو الذى يشكل فى الحقيقة فعل القراءة، بينما يتحدد تأثير القراءة فى التكوين والوسط المدرسي ضمن النتيجة التى تشكلها تلك القراءة فى فكر وسلوك المتعلم.

إن فعل التأثير نتيجة للقراءة يدعو بالتأكيد إلى البحث عن حالة ونية القارئ، وكذلك الدوافع والمسببات التى دفعت المتعلم للقراءة، حيث أشار البعض هنا إلى ما يسمى «الاكتراث بالقراءة»، بمعنى هل يقرأ المتعلم بدافع حب القراءة وتأصلها فى سلوكه؟ أو يقرأ لأن المدرس طلب منه ذلك من

أجل الامتحان أو تلخيص بعض النصوص؟ أو لأنه يعي جيداً أن القراءة تشكل رهاناً ثقافياً تمليه روح العصر؟ هذه التساؤلات تعتبر حاسمة في معرفة نية المتعلم القارئ ودرجة اكتراثه بالقراءة، حتى نستطيع ضمان إنجاح مشروعاتنا التربوي، والتعليمي، والتثقيفي الذي ننطلق منه حفاظاً على الطاقات وخوفاً من إهدارها فيما لا طائل من ورائه، وتتطلب هذه الاحتياطات منا بالضرورة الاهتمام بما يمكن تسميته «سيكولوجيا القراءة» أو سيكولوجيا الزمان والذاكرة، والمقصود بهما الوقت المناسب للقراءة، والنفسية المستعدة لتقبل وتلقي النصوص القرائية التثقيفية والتكوينية، وهنا يجب الاحتياط ما أمكن من تداخل القراءة كفعل تثقيفي مع الزمن المحدد لتلقي المقررات الدراسية، إذ يبدو أن المقررات الدراسية غير كافية تماماً لتكوين المتعلمين، ولابد من دعمها بأنشطة أخرى متنوعة ومن بينها القراءة الهادفة والمفيدة ولكن الفصل بين النشاطين والعملين أمر جوهري من أجل تعويد المتعلمين التنظيم والتنسيق في حياتهم المدرسية، تمهيداً لممارسة السلوك نفسه في حياتهم الخاصة والعملية، ولذلك تظل القراءة دائما رهينة بأوضاع وأدوار محددة ومعينة.

إصلاح العملية التربوية.. بداية العلاج

أطراف هذه القضية الشائكة أربعة: المجتمع والمتعلم ودار العلم والمعلم، فما دور كل طرف من هذه الأطراف؟، وما الاتجاه الذى يسير فيه الآن، والاتجاه الذى يجب أن يكون عليه، حتى نوفق بين هذه الأطراف كى نصل إلى الهدف الذى نسعى إلى تحقيقه؟

لذلك فإننا نسأل أولا: هل المجتمع الذى نعيش فيه يريد للمتعلم أن يصل للدرجة الثقافية التى يأملها التربوى منه؟ أم أنه يريد شخصاً يملأ الفراغ ويسير على وتيرة السابقين ويطبق قوانين ولوائح أكل عليها الزمن وشرب؟

إذا أجبنا عن هذا التساؤل بكل صدق نكون قد بدأنا الخطوة الأولى للعلاج، فالمجتمع لا يريد إلا إنساناً يسعى طيلة الشهر كادحاً كاداً لكى يحصل فى نهايته على راتب يستطيع أن يعيش منه هو وأسرته، دون النظر لكونه مبتكراً أو عبقرياً، بل أحياناً قد تؤدى عوامل أخرى إلى دفن أصحاب المواهب والقدرات الخلاقة، وقد يؤدى نبوغ الفرد إلى فصله وتسريحه من العمل، وقد يتطور الأمر إلى اتهامه بالجنون وإيداعه فى أقرب مصحة

للأمراض العقلية، فالمجتمع الذى يرفض كل جديد ولا يتقبل الأفكار الأفكار النابغة ويرى فيها مخالفة للسنن التى سار عليها الأقدمون سنوات طويلة، كيف يشجع الثقافة والمثقفين؟

إن البداية تكون برصلاح نوعية معينة من أفراد المجتمع وإعدادهم لمستقبل التغييرات التى سوف تحدث حتى لا نصطدم بالرفض من جانبهم حين نصل إلى مرحلة التطبيق العلمى والعملى.

فمن الآن يجب أن تقوم أجهزة الإعلام المختلفة بالتوعية اليومية لأفراد المجتمعوحثهم على تبنى الأُكار الجديدة، وتشجيع المواهب والنابغين، وإعداد المؤسسات التعليمية الخاصة لتشجيع الأفراد وإفهامهم أن ما تقدم عليه هو الإصلاح بعينه، أى زرع الأفكار الجديدة محل الأفكار القديمة التى لا تناسب ما نصبو إليه، وهو ما يتطلب تضافر الجهود، وإضافة إلى ما سبق فإن هناك مجتمعات ليس لديه الاستعداد لتقبل النصيحة أو حتى الإصغاء لفكر جديد، بل يتعدى الأمر إلى أبعد من ذلك، حيث يتطور إلى هجوم ضار ينجم عنه إجهاض الفكرة قبل ولادتها، ومن ثم النكوص من جديد.

أما عن المتعلم وهو الهدف الأساسى والرئيسى الذى قامت من أجله العملية التعليمية، فيجب علينا أن نعده الإعداد الجيد منذ نعومة أظفاره، ونبدأ بالمنزل وقبل دخوله المدرسة، ثم يتدرج إدخال المواد الثقافية مع باقى المواد على أن تعمل المؤسسات وكل من يهمه الأمر على تدعيم هذا الاتجاه، ويقوم فريق عمل بإعداد منظومات يومية أسبوعية وشهرية

وسنوية، وتوضع خطة قصيرة الأجل وخطة طويلة الأجل، وتقوم بإجراء المسابقات وترصد لها الجوائز، ويتم إضافة درجات وعلامات تمييز للنابغين وتكون لهم الأولوية فى الأماكن الراقية لقيادة المجتمع ومنحهم مكافآت مادية لتشجيعهم على صقل مواهبهم.

وتقدم الجهات المعنية الدعم والعون الكافى للتعليم، وبهذا نكون قد وصلنا إلى بداية الطريق إلى الحل الجذرى.

وعن دور العلم على اختلافها واتجاهاتها، فيجب أن تكون معدة إعداداً جيداً يسمح بالابتكار والإبداع وتشجيع المثقف، وتخصص حصص ومحاضرات وندوات لحث الطلاب على السير فى الاتجاه السليم، لذلك يجب أن نزود بكل ما تحتاج إليه من الوسائل العصرية التى تواكب الجديد فى كل مجال، فليس من المعقول أن يدرس الطلاب فى بلاد حولنا مبادئ الحاسب الآلى منذ بداية إدراكهم، فى الوقت الذى يتم فيه تعليم أولادنا على أصابع اليد، ويجب توفير المكان الجيد المناسب والملائم، فمن غير المعقول أيضاً أن يجلس التلميذ مرتعداً من البرد بسبب عدم وجود زجاج للنافذة، ونطلب منه أن يركز ليبدع! فالمكان المناسب المعد والمجهز بجميع الأجهزة والأثاث هو أساس العملية الثقافية.

والعنصر الرابع وهو المعلم، فيجب إعداد جيل من المعلمين يكونون على اقتناع تام وإيمان كامل بالدور المنوط بهم فعله، لأن فاقد الشئ لا يعطيه.

ويعطى كل الصلاحيات التى تساعده فى عمله لإعداد ذلك الجيل الذى

نريد منه أن يمتطى صهوة الجواد ليحلق ملتحقاً بركب الحضارة، ومن أجل ذلك نرى ضرورة.

- زيادة ميزانيات البحث العلمى وربط مراكز الأبحاث بالشركات والمصانع لتتولى الإتفاق والتمويل والمساهمة فى دعم الأنشطة الثقافية والعلمية.

- تغيير محتوى الأنظمة التعليمية والمناهج بحيث تدعم الثقافة والابتكار بدلاً من الحفظ.

- عدم استيراد نماذج غريبة عن المجتمع، لأن ما يصلح لمجتمع قد لا يصلح لمجتمع آخر، مع الوضع فى الاعتبار حاجات وميول ورغبات وواقع المجتمع الذى نعيش فيه، وتطويع الظروف المحيطة بنا لتتوافق مع معطيات ذلك النظام.

- خلق جو تعيش فيه الثقافات، وذلك بعدم تكميم الأفواه، وسجن الأفكار الخلاقة وأصحابها وإتاحة الفرصة لكل مبدع لأن يدلي بدلوه دون عقاب أو محوه من الحياة ومجازاته بجزاء (سنمار).

- يجب ربط الجامعات والمجتمع بشكل وثيق.

اليوم الثامن

تعليق على موضوع العلمية العقلية (العلمانية)

المصدر: دراسات

المجالس القومية المتخصصة

الموضوع رقم ٣

اليوم الثامن
تقنين العلمانية وحركة المجتمع

إن مسيرة التاريخ الكونى آيلة إلى العلمانية، وإن مسيرة التاريخ الاجتماعى والثقافى العربى محكومة بهذا المسار، على الرغم من الصراعات الطبيعية التى تستثيرها هذه المسيرة مع القوى المحافظة التى أضحى الدين علماً عليها، وبالرغم من إعادة الاعتبار إلى مؤسسات دينية خالية وإلى عقل دينى بال فى مجال الصراعات السياسية. استمر انتشار التعليم التابع للدولة بعد الحرب العالمية الثانية، ولو بنسب متفاوتة، فكان أعلاها نسبة فى سوريا حيث كانت الدراسة الابتدائية فى مدارس الحكومة مجانية منذ ١٩٣٣، فى وضع كادت فيه الكتاتيب أن تنقرض، بينما توسع التعليم الأبتدائى والثانوى فى الأزهر فى مصر، وكان تلامذة الكتاتيب فى تونس عام ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ يشكلون مايقرب الأربعين بالمئة من طلاب الدراسة الابتدائية. وكم كان طه حسين محقاً عندما طالب فى مستقبل الثقافة فى مصر بإصلاح التعليم الأزهرى بما يتوافق وتطوير الشخصية الوطنية ويتفق مع مناهج الدولة. وبامتناع عن كونه دولة داخل الدولة، ولو

أراد له تخصيص أبنائه فى العلوم الدينية «فى حدود القانون». بل دعا أحمد أمين الأزهر إلى التخلى عن التعليم الابتدائى والثانوى والاقتصاد على التعليم الجامعى، وما انطبق على الأزهر، انطبق على ما عداه من التعليم الطائفى، فدعا طه حسين إلى معاملة المدارس المسيحية بالطريقة نفسها التى دعا فيها إلى معاملة الأزهر. ولعل مثل دار العلوم» كان ماثلا أمامه، إذ عرضت هذه المؤسسة عن التعمق فى العلوم الدينية ولئن انتشرت المدارس الرسمية فى سوريا، إلا أن الغلبة بقيت للمدارس الأجنبية ـ الفرنسية العلمانية أو اليسوعية واللعازارية وغيرها ـ التى بثت ثقافة كونية على الأقل، إضافة إلى ثقافة دينية بل وطائفية لبعض طلابها المسيحين. وكانت هذه إضافة إلى مدرسة التجهيز الرسمية ـ مكتب عنبر سابقاً ـ سبيل الوصول إلى ثقافة جامعية كانت علمانية الطابع شأنها شأن الثقافة الجامعية كونياً وعربياً . ولكن لا يبدو أبداً أن التعليم الأجنبى أو التعليم العلمانى شكلا بحد ذاتهما قضية بالنسبة إلى العلمانيين. فقد كان هذا التعليم هو التعليم الطبيعى والسوى بمقياس العصر، وكان طريق الوصول إلى الوظائف والمناصب، وكان المرتبط بالدولة وبمرجعيات الحداثة فى أوروبا وفى الدولة وفى العلم. ولم يصبح الدفاع عنه فى القضايا المطروحة ـ على قلة الدفاع عن أمر قبل به الهرب بداهة ـ إلا لتعرضه للهجوم من الدينين المسيحيين الذين حذروا من التعليم العلمانى لحثه إيانا على التخلق «بأخلاق غيرنا» ولإقامته التعارض بين العلم والدين. وانضم إلى هذه الحملة مسلمون من أمثال السيد رشيد رضا الذى أفتى عام ١٩٢٩ بمنع انتساب المسلمين إلى المدارس الأجنبية إلا بعد تمكنهم من عقائد الإسلام، أو

كالأزهريين الذين كانوا من طالبي الوظائف لخريجي الأزهر الذين نافسهم خريجوا الجامعة ودار العلوم وغيرهما. فكان أن اتخذ الأزهريون من قضية الشعر الجاهلي لطه حسين مناسبة لهجوم عارم على الجامعة المصرية وعلى الدولة التي لا تضبط الجامعة لمصلحة الثقافة الدينية، بل كان ضغط الأزهر على الجامعة من الشدة والاستمرار بحيث سمحت له الجامعة بالتدخل في شؤونها في الثلاثينيات وحذف مسرحية جان ـ دارك لبرناردشو من مقرر اللغة الانكليزية بدعوى أن فيها ما يمس العقيدة. بل اضطرت جامعة القديس يوسف في بيروت إلى طرد مارون عبود من التدريس بعد ثلاثة أشهر من مباشرته، بدعوى خطورته على الطائفة المارونية والدين الكاثوليكي.

على هذه الصورة أصبحت التحولات الاجتماعية والثقافية الطبيعية تحولات علمانية عندما قضى الدينيون بجعلها أعلاماً على مناقضة الدين. من هذه الأمور التفرنج بشكل عام، أي التحول الطبيعي للحياة الاجتماعية بمقتضى العصر، الذي كان مناسبة لإنتاج أدب نقدي غزير في العشرينيات والثلاثينيات. وادعى الدينيون أن العدالة الاجتماعية أمر لابد من تقنينه تبعاً لما يرونه موافقاً للشريعة. فكان أن جعل الديّنيون من الإسلام معياراً للسلوك الأخلاقي بعد أن أدخلوا العوائد والأخلاق ـ خلافا للتراث ـ في إطار الدين، وابعدوا سلطة المجتمع عنها وجعلوا معيارها قبلياً دينيا بَدلاً من المعيار الاجتماعي. كان ذلك موافقاً لنزعة الإسلام الحديثة نحو اتخاذ الصفة الشمولية المحاكية للعالم التي ذكرناها، والتي قام الإسلام فيها بتحويل نفسه من كيان تاريخي إلى جملة من القواعد الشمولية جعلت منه

عالماً «بديلا» أو عالماً مضاداً، فكان أن تحجبت معالمه فى هذه العملية الموازية والمحاكية لقيام التنظيم الاجتماعى الحديث على دعوى العقلانية والضبط. ، ونقلت المؤسسة الدينية هذا الضبط العلمانى من مجال الكمون وجعلته علمانياً عن وعى عندما وضعت نفسها علماً على ما يخالف لأنه يخالف التحول بعامة. ولم تكن المؤسسة الدينية منزوعة الصلات، فكانت تستند إلى مكامن المحافظة الاجتماعية حتى عند اللادينيين. فنجد، مثلاً، أحد أكبر الليبراليين، محمد حسين هيكل، يستنكر الشعر الحديث، المهجرى، على الرغم من اعترافه بامتيازه الفنى، ويقرر ضرورة مقاومته، كونه خطراً على الثقافة الإسلامية- ولعل هذا الموقف كان متفقاً مع ازدواجية تم فيها تبنى المعايير الفنية الجديدة رغم عدم المقدرة على تقدير الشعر الجديد وفهمه، بل ومقاومته، عند طه حسين وعباس محمود العقاد. ولم تكن هذه المواقف إلا التعبير عن استمرار غريزى لمقاومة الجديد على مختلف الصعد، أو تخصيص حيزات - كالشعر - لمقاومته، وكأنها علم على محافظة اجتماعية شاملة، فى وقت لم تكن هذه المحافظة واردة بالعموم الذى تصورت به، ولو كانت العناصر الدينية ناشطة فى الهجوم على الأشكال الأدبية الجديدة. فهاجمت الرواية بدعوى أنها أدب ماجن هادم للأخلاق، واعتبرت أن فى المسرح العالمى مدخلاً لهدم لغة القرآن ولكتابة العربية بالأحرف اللاتينية. وعلى الرغم من أى إرهاف فى هذه المواقف، فإنها تستند فى النهاية إلى مشروع شامل يستصلحها، ونقصد هنا المشروع الدينى الذى توخى أصحابه الوصاية على المجتمع سبيلاً للحفاظ على الامتيازات لمؤسسيه والنفوذ السياسى. وقد بقيت قضايا الشعر الحديث

والحرية الشخصية وإحجام الكثيرين من التقدميين عن تحمل مسؤولياتها، وبالتالى عزوفهم عن قطاعات اللا وعى وغيرها ما يبرزه الشعر الحديث، من الاحتياط الاستراتيجى للدعوات الدينية السياسية فى هذا القرن.

ولما تزامنت الحقبة الليبرالية من التاريخ الشرقى مع الثورة الكمالية، لم يكن غريباً أن تكون الثانية قد اعتبرت قدوة. فقد سبق أن أشرنا إلى الأصداء الوطنية للكمالية عند ابن باديس. بل كان السيد رشيد رضا ممن قدروا مصطفى كمال قبل إلغاء الخلافة. وكان اتاتورك موضع تقدير كبير من الوطنيين السوريين الذين قدموا إلى حكومة أنقرة مساعدات كبيرة خلال حرب كيليكية، ولو أحجم الأتراك عن إقامة صلات سياسية دائمة معهم أما فى مصر، فكان معظم الناس من المعجبين بمصطفى كمال، فقارنه أحمد شوقى بخالد بن الوليد، ولو فترت حماسة البعض له بعد إلغاء الخلافة. ولئن رأى أحد الإسلاميين أن فى هذا الأمر تقليداً بحتاً: حين كان الكماليون يتخذون الذئب الأبيض - وهو رمز أسلافهم الأقدميين من الوثنيين - شعارا لهم ويرسمونه على طوابع البريد، كان المصريون يحذون حذوهم ويرسمون أبا الهول على أوراق العملة وعلى طوابع البريد. وحين جعل الكماليون حد أدنى لسن الزواج بالنسبة إلى البنين والبنات، اقتفى المصريون أثرهم فى ذلك، وعندما ألغى الكماليون المحاكم الشرعية فى تركيا أخذ بعض الكتاب فى مصر يناقشون إلغاءها، وحين حمل مصطفى كمال نساء تركيا على السفور والاختلاط بالرجال ومراقصتهم، احتدمت المعارك فى مصر حول هذه الموضوعات فى الصحافة وفى الأندية. وحين ألزم مصطفى كمال الترك أن يعتمروا القبعة، خاض بعض الكتاب

المصريين فى بحث ما سموه «مشكلة الأزياء» داعين إلى توحيدها ، ودعا بعضهم إلى اعتماد القبعة. وحين استبدلت تركيا بالحروف اللاتينية الحروف العربية، أخذ كثير من الكتاب والصحفيين فى مصر يناقشون ما أسموه «مشكلة الكتابة والخط العربي» - إلا أننا نرى فى الوضع المصرى أكثر من تقليد، فشهد فيه نزعات كونية شجعتها التجربة الكمالية وهى ناجحة ماثلة أمام أعينهم. أما تحويل النزوع المحلى المصرى إلى الكونية، إلى أمر وافد من الخارج، فهو من آثار السجال الإسلامى ضد الكمالية الذى تزعمه الشيخ مصطفى صبرى، شيخ الإسلام فى الفترة ١٩١٩ - ١٩٢٢، بعد لجوئه إلى مصر - والذى ساهم فيه السيد رشيد رضا والرافعي وكثيرون غيرهم - على الرغم من ريبة الكثيرين بدوافع مصطفى صبرى .

فلم يكن شأن استبدال الطربوش بالقبعة أمراً كبير الأهمية، على الرغم من قيام حركة قصيرة الأجل دعت إلى الاقتداء بتركيا فى هذا الأمر، فبعد أن منعت المعارف تلامذة مدارسها من اعتمار القبعة، وأفتى بعض العلماء بأن اعتمارها اقتداء محرم بالأوربيين، علقت الهلال ساخرة بقولها «وقد نجح بعض ذوى العمائم فى استبدال الطربوش بالعمامة، ولكن المتطربشين لم يفلحوا فى اصطناع القبعة ولئن رأى بعض التقدميين مثل سلامة موسى أن النقاش حول الموضوع بالرجوع إلى الأمور النفعية كالوقاية من الشمس والمطر بجانب لب الأمر وهو أن القبعة «تبعث فينا العقلية الأوروبية» إلا أن الأمر لم يكن له من الأهمية إلا من حيث الجانب الاستعراضى الذى انتهى بسرعة، بل فاق فى محصلة طرح العشرينيات بعد سقوط استخدام الطربوش كلية واستبداله بالرأس العارى السائد اليوم فى تركيا أيضاً، عدا الأرياف .

أما قضية المرأة، وهى القضية المحورية فى شؤون الحريات الشخصية والعقدة التى يؤدى فكها، كما قلنا، إلى فك عقد اجتماعية كثيرة، فكانت قضية ذلك الزمان وزماننا هذا، قضية بدايتها التوتر المتشنج بين وقائع التحول الاجتماعى من جهة، والصياغة الدينية للمحافظة الاجتماعية والرجعية الثقافية. جعل ذلك من قضية المرأة قضية أخلاق عامة، وقضية تطور علمانى فى مواجهة معارضة صاغت معارضتها دينياً، فأضحى الموقع المتسق مع تطور المجتمع معارضة علمانية بالمعنى الإيديولوجى للهجوم الدينى الذى نتجت منه مواقع دفاعية قائمة على التقية، وعلى صياغة البعض ممن المواقع العلمانية صياغة اعتقد استساغتها من قبل الدينيين اعتقاداً لم يكن فى محله. بل قوت هذه المواقع الدفاعية من هجوم الدينيين، وسمحت لهم بالرباط ما بين مواقعهم وأحد الدوافع التى استصلحتها، ألا وهى العدوانية تجاه النساء التى تسم قطاعات واسعة من المجتمعات البطريركية. فتصبح المرأة - وليس عند الدينين فقط - ناقصة أساساً، بل موضع ازدراء ورفض. لا ينحصر هذا الموقف فى التحقير الشعبى للمرأة، بل نجده متمثلاً عند عباس محمود العقاد بحدة بالغة، وعلى صورة تعال عند توفيق الحكيم.، مثلا، الذى لم ير فى المرأة المثقفة إلا متعة عقلية تحبب للرجل بيته.

وكان طه حسين كدأبه فى أكثر الأحيان، متزناً فى هذا الموضوع، عندما تهكم على اقتراح أحمد أمين إنشاء مدرسة للزوجات، بقوله: إن تربية الرجال أولى، فهم أكثر منهن حاجة للإصلاح، وأكثر منهن فساداً.

سبق أن رأينا كيف أن محاصرة النساء فكرياً واجتماعياً نمط من أنماط الدفاع الاجتماعى بالنسبة إلى مجتمع ناقل خاضع لتحولات عنيفة وسريعة، ومن الممكن أن نضيف إلى كلامنا بعدا تحليليا نفسياً يتجلى فى استصلاح نمط خاص من العلاقة، بين الأولاد والأمهات يستخدمه المجتمع الناقل لتوظيف قطاعى التدنس والجنس لمصلحته، ويجعل فيه النساء - القاصرات عقلاً وشرعاً حارسات الهوية الجماعية(٣١). لم يكن هذا امراً فات دعاة تحرير المرأة، فكتبت نظيرة زين الدين عام ١٩٢٩ تلوم نقادها قائلة «إنكم لم تتطوروا مع الزمان. فطوى الزمن لواءكم، وأضعتم تراث أجدادكم.أو تريدون الآن أن تنشروا ألويتكم على وجوه نسائكم، متخذين منهن بدلاً من ذلك الملك ملكاً؟. كان تطور الناس فى نظرتهم إلى حرية النساء وحقوقهن تطورا سوياً، غير مؤدلج على العموم، كدعوة أحمد لطفى السيد الهادئة مثلا، أو موقف أحمد أمين السلبى من بيت الطاعة على الرغم من اضطراره إلى إصدار حكم بموجبه عندما كان قاضياً شرعياً. بل كانت مواقف الناس ضمنية، يعبر عنها تزايد السفور والاختلاط وتعليم الفتيات والنساء. أما الأدلجة، وتحول القضية إلى صراع بين العلمانية والدينيين، فكانت بواعثها الأساسية ادعاءات الإسلاميين الأخلاقية، التى يمكن التعبير عنها بموقف السيد رشيد رضا، الذى علق على تحرير المرأة - وقد وسمه بالتهتك - على النحو النموذجى التالى فى العام ١٩٢٩: «وصار النساء من ربات البيوت والأمهات، ومن العذارى المتعلمات، يمشين فى الشوارع بالليل والنهار، مخاصرات الرجال، ويغشين الملاهى والمنتزهات، وهى كاسيات عاريات، مائلات مميلات ومنهن من

يسبحن فى البحر حيث يسبح الرجال أو معهم.. ومنهن من يختلفن إلى المراقص المشتركة فيرقصن معهم، وهى أشد من الأجنبيات غرباً وتهتكاً، وخلاعة ومجونة ورقاعة، ومنهن من يدخلن فى خلوات الحلاقين حيث يقصون لهن شعورهن ويحلقون لهن أفقيتهن ويزينون لهن نحورهن وصدورهن. وهناك يلتقين بإخوانهن، ولا تسل عن حديثهما جهراً، وقواعدهما سراً». كان هذا كلاما بعيداً عن عالم غريب، أتى من أصحاب مواقف شمولية تدعى لنفسها المرجعية المطلقة استناداً إلى الدين.فكانت معارضتها شاملة ـ على عدم علمها ـ وكانت نتائجها، وهى المعارضة للمسيرة الطبيعية للمجتمع، أن اتخذت العنف المباشر سبيلاً للتعبير عن الرأى. فتعرض الحجابيون لنساء السافرات فى شوارع دمشق فى العشرينيات، ورشق بعض النساء بماء النار، وتعرضن للضرب، وقدمت إلى الحكومة طلبات بمنع النساء ممن الخروج من البيت، وبإغلاق مدارس البنات، وتزامنت هذه مع الهجوم على بعض الأندية الليلية والمشارب وغيرها. وكان من القبيل نفسه الهجوم العارم على كتاب السفور والحجاب لنظيره زين الدين الذى صدر عام ١٩٢٧، من تهديد البائعين، وتكفير فى المساجد، ومحاولة التدخل لدى الحكومة لمنع تداول الكتاب. وكذلك الأمر فى مصر، ولو على صورة أكثر سلبية قبل نضوج مشروع حسن البنا، فأفتى السيد رشيد رضا عام ١٩٢٦ بتكفير سيدة تكلمت عن إجحاف الشريعة الإسلامية بحق المرأة، وبارتدادها، وعدم جواز زواجها من مسلم، أو وراثتها وحاول الأمير عمر طوسون التدخل لدى الدولة لقمع الكلام على تعديل قوانين الزواج والطلاق والمواريث الإسلامية والدعوة إلى السفور

والاخـتـلاط. وتجب الإشـارة في هـذا الصـدد إلى مـا دعى «الاغـتـيـال الاجـتـمـاعي» للطاهر الحـداد في تـونس بعـد نشـره امـرأتنا في الشـريعـة والمجتمع عام ١٩٣٠ من قبل الزيتونيين، القضية التى امتدت إلى الجزائر وأثارت قضية النساء فيها على نحو مماثل، انتصر فيها باديس للزيتونيين وعبر عن آراء السيد رشيد رضا. فكان أن وفرت الأهواء السلطوية والحسية للذكر العربى المسلم «آخر ما تبقى من سيادته» بعبارة جاك بيرك وأدغمت ما بين هذه السيادة والسيادة الوطنيـة على نحو وهمى، جعلت منه المرأة فى دونيتها علامة عن السيادة القومية وتكامل الشخصية الوطنية: هذا ما دعا بالحبيب بورقيبة، إلى الوقوف موقف معاد من السفور عام ١٩٢٩، بحجة ضرورة تأجيله حتى ما بعد إنقاذ الشخصية التونسية. وكان الحجاب أكثر من تشويه للشخصية التاريخية. ذلك هو أيضا ما دعا بعض العلمانيين من أنصـار المرأة فى المشـرف، مـثل جـمـيل بيـهم، إلى تجـمـيـد نشـاطهم المناصر لها - رغم كونه زوج نازك العابد - بدعوى وحدة الصف الوطنى الذى عمل الإسلاميون على تمزيقه إن لم يتم الإذعان لادعائهم الأولوية فيـه. بل لعل الشيخ عبدالقـادر المغربـى - من الإصلاحـيين الإسلامـيين الشاميين، ومن مريدى السيد جمال الدين - كان الأكثر إرهافاً فى حسه السياسى والوطنى وانتباهه إلى مجرى التحول الطبيعى فى المجتمع، عندما أيد نظيره زين الدين بدعوى أن رفع النقاب فى تركيا تم بأيد وطنية مسلمة فى الجملة وأنه يخشى رفعه عن السوريات «بأيد لا نريدها».

لعله لم يكن من الغريب فى هذا الجو المكفهر بالعنف أو بالتهديد بالعنف على مـخـتلف أشكاله أن يتـجـه الكثـيـر من المؤلفين، أصـالة أو تقـيـة، إلى

استخدام الحجج الدينية فى الأنتصار لحقوق المرأة. فذلك كان شأن كتاب نظيره زين الدين، بالآيات القرآنيةوالأحاديث السنية والشيعية، والسائر على سنة الخطاب الإصلاحى الإسلامى. فهو ينفى صحة الأخبار الجارحة بالنساء، ويدعو إلى الاختلاط والسفور الشرعى فقط، وينتصر لأفضلية غريزة المرأة على الرجل، فذهب إلى أن امتياز الرجل فى الإرث والشهادة، والطلاق والزواج حجة عليه لا حجة له؛ إذ أن هذا الامتياز قام على قسوة قلبه وفساد خلقه واستحكام العادات الجاهلية التى توخى الإسلام التدرج فى إزالتها(٤٥)، ولاستخدامه الحجج الدينية انتقده على عبدالرازق برفق، وسخر منه إسماعيل مظهر وهو يربت على كتف نظيره زين الدين(٤٦)، وكذلك الأمر لدى الطاهر الحداد الذى تضمن القسم الأول من كتابه دفاعاً عن حقوق المرأة فى الإسلام بدعوى إصلاحية إسلامية مفادها الفرق الكبير بين جوهر الإسلام، ومقاصده من جهة، وواقعه وتحول الأحوال الدنيوية من جهة أخرى. وعلى ذلك، ساهم أنصار حرية المرأة وتعلمها فى تعضيد الموقف الإسلامى، بنقل الجدال من مجال المجتمع إلى مجال المرجعية الدينية، على الرغم من نقدهم الشديد لما يستفاد من واقع الموقف الدينى فى يومهم. فقالوا بإثبات جواز السفور شرعاً، فلم يقدروا أن يصلوا إلى أكثر من الحجاب الشرعى ولو ترك الطاهر الحداد الباب مفتوحاً أمام الأعراف المرسلة. ولئن كانت الحجة الأساسية لتثبيت الحجاب درء الفتنة، إلا أن هذا الموقف بدا غاية فى التهافت فى ضوء النصوص، وانتقد على أسس غير دينية أيضاً، من قبل أنصار المرأة المدافعين عنها بدعوى الإسلام: فكتب الطاهر الحداد «ما أشبه ما تضع المرأة من النقاب على

وجهها منعاً للفجور بما يوضع من الكمامة على فم الكلاب كى (لا) تعض المارة. وما أقبح ما توحى إلى قلب الفتاة وضميرها إذ نعلن اتهامها وعدم الثقة بها إلا فى الحواجز المادية التى نقيمها عليها، ونلزمها هى الأخرى أيضا أن تقتنع بما قررناه راضية بضعفها إلى هذا الحد، موقنة بخلوده الآتى من أصل تكوينها»، وقرر بوضوح أن السفور ليس سبباً من أسباب الفجور، بل إن الفجور أمر اجتماعى أسبابه فجور الرجل فى الزنى واللواط وتعدد الزوجات والزواج بالإكراه والطلاق بيد طليقة، إضافة إلى الفقر رأس الفساد. ولم تكن هذه الاعتبارات مقتصرة على الطاهر الحداد أو نظيره زين الدين، بل مازالت منتشرة عند كل المتزنين من الإسلاميين كعلاّل الفاسى.

ولكن لا يبدو أن حركة المجتمع تأثرت بهذه النقاشات تأثراً كبيراً، ولو كان للهجوم الإسلامى عليها أثر ظرفى، ولعل من أكثر التعبيرات عن الواقع صدقاً كان قول محمد كرد على - وكان موسس المجمع العلمى العربى بدمشق ،ووزير المعارف - بأن الحجاب نزل فى نساء الرسول وفى وضع شديد الخصوصية، وأن السفور أنفع منه، وأن السفور هو الرابح تاريخياً، فلا ضرورة فى الإلزام بل من الضرورى مراعاة التدرج. وعلى الرغم من عدم التدخل فى السجال على نحو فعلى، فقد أيد نظيرة زين الدين عدد كبير من الدوريات فى مصر ولبنان ،والمهجر، ومنها الكلية والمقتطف والمقطم والأهرام والحديث، وعدد من الشخصيات كان منها مفتى بيروت، وهدى شعراوى، وعلى عبدالرازق، وأمين الريحانى،، خليل مطران، والزهاوى والرصافى فى العراق إضافة إلى وزراء سوريين منهم

محمد كرد على، والمندوب السامى الفرنسى ولا شك أن اشتراك الحركة النسائية الفاعل فى النضال الوطنى فى الشام ومصر وفر لها قدراً لا بأس به من الحماية وسمح لها بالمضى حول قضايا نسائية بحتة تجارى متطلبات الترقى، كالسفور والعتربية، فتقدمت الحركة النسائية المصرية سريعاً نحو نزع النقاب[*] بعد ثورة ١٩١٩ حين قامت أول مظاهرة نسائية بقيادة صفية زغلول وهدى شعراوى، وتأسست اللجان النسائية داخل حزب الوفد، أما فى الشام، فقد سبق أن ذكرنا نشاط نازك العابد وغيرها، وقامت أولى التظاهرات النسائية الوطنية فى دمشق عام ١٩٢٢، كما كان وفد نسائى بيروتى قد هنا الملك فيصل بالعودة من باريس عام ١٩١٩ .ثم عقدت مؤتمرات نسائية سورية لبنانية وعراقية عام ١٩٢٨ و ١٩٣٠ تتوجت فى المؤتمر النسائى لنصرة القضية الفلسطينية الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٣٨ بمبادرة من هدى شعراوى وبهيرة العظمة. أما الحجاب وخصوصاً البرقع، فابتدأ بالزوال من العشرينيات فى ظروف صعبة. فى القاهرة وبيروت وحلب أولاً، ثم فى دمشق ويبدو أن أول خطبة ألقتها سافرة فى تونس كانت عام ١٩٢٩ . ويصف لنا أحد المحافظين الدمشقيين هذا التطور آسياً بقوله: إن النساء ابتدأن بأن أسدلن على وجوههن منديلاً رقيقاً بدلاً من البرقع، وتدرج البعض إلى خلع هذه المناديل بالمرة «سافرات بملابس الزينة» على رؤوسهن خمر رقيقة من الحرير لستر الشعر دون الغرة والجبين وإن الأمر كما هو معلوم إلى شبه السفور التام فى المدن الكبرى فى الستينيات، عدا الشرائح الدنيا من الطبقة المتوسطة. وكان من وسائل هذا الأمر سلوك الدولة والشرائح الاجتماعية العليا. ينطبق الأمر نفسه على

الاختلاط: فى العمل فى دوائر الحكومة، وفى مؤسسات التربية، ولو اضطر الأمر أحيانا لأسباب سياسية أو مزاجية. من هذه ما يخبرنا عنه طه حسين من أن أحد وزراء المعارف رأى أن اختلاط البنات بالبنين شأن يجلب الخطر على الأخلاق، فأنشأت الوزارة معهداً للمعلمات، ونسيت أن هؤلاء الفتيات والفتيان قد اختلطوا معاً فى الدروس فى الجامعة قبل دخولهم المعهد.

لم تستلزم حركة التحرر النسائى الاجتماعى ثم المهنى تحسناً فعلياً، فى وضعها فى إطار المجتمع البطريركى، فكانت دونيتها المتمثلة فى قوانين الأحوال الشخصية من أركان النظام الاجتماعى، وكانت قوانين المواريث كما رأينا من العمليات الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع فضلاً عن كونها علماً على استمرارية تاريخية أرضت الفئات النافلة المنطوية على ذاتها، واستفادت منها الفئات الصاعدة نوعاً من الأصالة الوهمية وعلامة على استمرار اجتماعى مزعوم، ولكنه مقو للحاضر. إضافة إلى ذلك. كانت التحولات الاقتصادية الكبيرة التى مرت على الوطن العربى غير قادرة بعد على إنتاج بنى اجتماعية جديدة متكاملة، فلم تكن الدورات الإنتاجية متكاملة داخلياً، وعلى النطاق الوطنى - وهى ليست كذلك - بل نجد تكاملها فى الاقتصاد العالمى ركيزتها، فكان المجتمع معلقاً ما بين اقتصاد جديد وتوزيع عمل عالمى، بل وقام تراتب اجتماعى عالمى ازداد وضوحاً، فى العقدين الأخيرين، فلم يخضع لإعادة تركيب ولو زالت أسس بنيته القديمة. فجاء المجتمع وجاءت المحافظة الاجتماعية عنصراً أساسياً فى عرقلة التحول السوى نحو الكونية على صعيد القيم. وصارت المحافظة

القيمية بحد ذاتها علماً على سوية وهمية، وصار الأحتكام للقيم الدينية فى أمور تنظيم الحياة العائلية نوعاً من الضمان ضد التحول، فمنعت القيم الجديدة القائمة عن الليبرالية وحقوق الإنسان وما تستتبعه من نظرة مساواتية إلى العلاقة بين الجنسين من التأثير فى البنية الحقوقية للمجتمع، كما حجبت التحولات الاجتماعية المتعلقة بتعليم المرأة وعممها مرآة الاجتماعى وخروجها من البيت عن قطاع القانون، ورؤى فى هذه الجب أمر يدرأ من هجمات الدينيين إن لم يردعها.

على ذلك، بقيت قوانين الأحوال المدنية الطائفية هى السارية، فتضافرت الأبوية والمحافظة الاجتماعية على الاستمرار فى الخطاب الإسلامى حول المرأة والزواج دون رادع عقلى أو ذوقى، بل اكتسب هذا الخطاب نوعا من المصداقية بسبب عدم المساس بنتائجه القانونية؛ حجبت هذه المصداقية عن الرؤى الأسس الواهية التى يستند إليها فى الكلام على الاختلاف الفطرى حول القابلية للعمل. وحول القوامة واستنادها إلى ذلك، وقيام اللامساواة فى الوراثة على اعتبار النفقة، وحصر الطلاق بالرجل لأنه أصبر من المرأة ولا يسارع إلى الطلاق - مما ينافى المعرفة الاجتماعية العامة. كما كان ممكناً الاستمرار دونما أى حياة فى الدفاع عن حق الرجال فى ضرب النساء مع قبحه، والقول بأن التسرى قائم لحفظ كرامة السبايا ولو جاز منعه. بل كان من نتائج استمرار الخطاب الإسلامى عند مناصرى حقوق المرأة أن اضطرت نظيرة زين الدين إلى قبول كون الرجال قوامين على النساء، ولو حصرت ذلك فى علاقة الزوج بزوجته دون الرجال عموماً، على أمهاتهم وأخواتهم. فليس غريباً فى هذا الوضع

أن لا تحظى دعوة سلامة موسى لإصلاح المواريث الإسلامية على تأييد هدى شعراوى التى استندت إلى حقيقة لا صحة لها بالأمر المقترح، وهو أن المسلمة أكثر حظاً فى الميراث من الغربية، فى وقت كان الاقتراح قائماً على تحسين هذا المسار وكانت النتيجة إعادة تأكيد مصداقية الخطاب الإسلامى والطائفى عموماً، على الرغم من عدم اتفاقه مع حركة المجتمع العلمانية، بل مناقضة لها. فكان أن التجئ إلى الفتاوى القائمة على اعتبار التشريع بسلطة القاضى الشرعى بدلاً من التشريع باسم المجتمع وتحوله، مثل إجابة ابن باديس على استفتاء تعلق بجواز استعمال المرأة دواء لمنع الحمل إن كانت ضعيفة بالمرض: «أصل هذه المسألة هو العزل أى عدم إنزال الرجل المنى فى الفرج، وهذا كرهه بعض، والمشهور فى المذهب «المالكى» جوازه بإذن المرأة الحرة لحقها فى الوطء والإنزال من تمام لذتها، وفى العزل منع للولادة، فيقاس عليه شرب الدواء لمنع الولادة، فيجوز ما لا يلحق ضرراً بالجسم إذا كان بإذن الزوج لأن له حقاً فى الولد، وإذا كانت ضعيفة عن الولادة فلا تتوقف على إذنه».

ولذلك فلم يكن للدعوات الإصلاحية ـ ولم تكن كلها علمانية ـ أثر يذكر فى احتكار رجال الدين القول والفعل فى مجال الأحكام الشخصية. يذكر القارىء أن الشيخ محمد عبده قد قال بجواز منع تعدد الزوجات لامتناع الالتزام بشروطه، ووافقه على ذلك كثيرون، منهم الطاهر الحداد». بل رأى السيد رشيد رضا أن الزواج بواحدة «غاية الارتقاء البشرى فى بابه» ولو كانت هناك ضرورات عامة وخاصة جعلت من التعدد «رخصة لا واجباً ولا مندوباً لذاته، وقيد بالشرط الذى نطقت به الآية الكريمة» . وأيد علال

الفاسى مبدأ منع تعدد الزوجات لجلبه المفاسد الاجتماعية. وكان التعدد على ذلك وما زال أمرا ليس بالشائع، فلم يكن عادة اجتماعية عامة، بل اختصت به بعض الفئات الاجتماعية واعتبرته غيرها من الأمور المحجوبة لاعتبارات اجتماعية علمانية خالصة. ولكن على الرغم من ذلك، رفض الملك فؤاد اقتراح منع التعدد فى مصر عام ١٩٢٩.

ولم يكن تعدد الزوجات وحده موضعاً للنقد، بل سبق أن انتقد على صفحات المؤيد عام ١٩١٠ تفرد الرجل بالطلاق ، وعدم المساواة فى المواريث والشهادة، بل وهضم الحقوق فى الجنة، إذ تساءل الزهاوى عن سبب انفراد الرجال بالأعداد الكبيرة من حور العين بينما ليس للمرأة أن تستمتع فى الجنة إلا بزوجها. كما انتقد الطاهر الحداد سلوك الرجال فى الطلاق وطالب بتقييده لأنه يجعل حياة المرأة ذليلة وغير آمنة وأراد محمد جميل بيهم من الإسلام أن يكون دين الأصلح والأفضل، وأن تكون قابليته للانفتاح مرسلة حتى يتم النظر العقلى المتأنى لما استمر فيه من قبله، كالأبوية فى الحياة القانونية وكان إسماعيل مظهر من القلائل الذين أخذوا هذا الرأى إلى نتائجه العينية فى كتاب عقلانى جميل مرهف، إذ رأى أن الإسلام، مع امتيازه على ما قبله، لم يجعل من المرأة إلا نصف إنسان، بينما نحن نحيا فى عصر «الإنسان الكامل وحده لا شريك له» فأعطى الإسلام المرأة أقصى ما يمكن منذ خمسة عشر قرناً، وعلينا إعطاوها ما يناسب هذا العصر: الحقوق المدنية والسياسية التامة، المساواة فى الميراث والشهادة، الاستقلال الفكرى والاقتصادى، والمقدرة على الطلاق أمام المحكمة وبمساواة مع الرجل. ولم يكن إسماعيل مظهر الوحيد الذى لم

يعتبر الموقف الإسلامي من المرأة أمراً غير قابل للتطور والتحسين، بل رأى الطاهر الحداد قانون المواريث الإسلامي مرتبطاً بظروف عصره، ولم ير مانعاً من مساواة المرأة في الوراثة عندما تتحقق شروط المساواة الاقتصادية في سوق العمل ومع انتشار رياض الأطفال.

جاءت على ذلك تقنيات الأحوال المدنية تدويناً للتراث الفقهي مع قليل من التعديل في الأساس. فسرى في الشام والعراق وشرق الأردن القانون العثماني لحقوق العائلة للعام ١٩١٧ - الذي مازال العمل جارياً به في لبنان، وكان قد ألغي في تركيا عام ١٩١٩ - الذي قنن معطيات الفقه الحنفي، وأومأ بأتجاه متطلبات العصر الحديث إيماءة خفية خرج فيها عن التراث الحنفي، فتطلب اجراءات شكلية معينة في الزواج، وحارب الزواج المبكر، وأباح الطلاق للمرأة في حالات معينة، كما أباح اشتراطها في عقد الزواج عدم اتخاذ الزوج زوجة ثانية إلا اعتبرت هي أو الأخرى طالقاً.، أما في مصر، فقننت تشريعات ١٩٢٠ و ١٩٢٩ بعض معطيات الفقه الحنفي، وضبطت بعض نواحي الطلاق بإعطاء المرأة حق التطليق للضرر وبالحد من حرية الزوج المطلقة في هذا الأمر، وقننت موضوع النفقة. ثم جاءت قوانين الأحكام الشخصية اللاحقة - في الأردن عام ١٩٥١، وفي سوريا ١٩٥٣ وفي العراق عام ١٩٥٩، وفي مصر عام ١٩٥٥ - فزادت في التقنين والضبط دون حروج على تراث فقه الأحوال الشخصية، ولكنها ولأول مرة قننت المواريث على أساس الشريعة، وتضمن التقنين العراقي أحكاماً من المذاهب السنية والشيعية مجتمعة، مما جعل مواريث النساء أكثر سماحة لاعتمادها، وإلى درجة كبيرة، على الفقه الجعفري الذي كانت له

فائدة أكيدة للتطور الاجتماعى بحثه الضمنى على اعتبار العائلة النواتية الوحدة الأساسية للميراث دون العائلة الممتدة. فإن مات رجل عن بنت واحدة فقط. فهى التى ترث كل شىء، دون اضطرارها إلى إشراك أولاد عمها فى ميراثها، على أساس المبدأ الذاهب إلى أن الذرية تستثنى الأخوة وذريتها من الميراث وجاءت التقنيات الأخرى للمواريث جانحة أيضاً نحو تشجيع اعتبر العائلة النواتية الوحدة الأساسية للميراث، وإن فعلت ذلك ضمن إطار ما هو ممكن فى الفقه السنى الذى كان القانون السورى للأحوال الشخصية الأكثر جرأة فيه. ينطبق الأمر نفسه على التقنيات المغربية عموماً: فعلى الرغم من مواقف شخصية جريئة وتقدمية بخصوص تعدد الزوجات والطلاق والعلمنة وغيرها من الأمور عند علال الفاسى، لم تنم «المدونة المغربية للأحوال الشخصية»(١٩٥٨) عن تقدم كبير، بل قننت بروح محافظة جداً مع أن علال الفاسى كان من واضعيها: فثبت الموقف المالكى الذى يمنح الأب القدرة على تزويج ابنته دون رضاها، ولم تثبت أية قيود على الطلاق مع أن تعدد الزوجات قيّد إلى حد، كما قيد الطلاق فى الجزائر التى لم يتدخل مشرعوها فى شأن تعدد الزوجات. أما تونس، فقد أنجزت أكثر تقنين للأحوال الشخصية تقدما فى الوطن العربى - بل كان أكثر تقدماً من نظيره فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية - إذ نصت مجلة الأحوال الشخصية على منع تعدد الزوجات وعلى تحديد سن أدنى للزواج (٢٠ للفتى و١٧ للبنت)، ونصت على حق المرأة فى تزويج نفسها بنفسها وعلى حقها فى طلب الطلاق وفى الولاية على الأولاد، ولكن رغم استمرار المشرع التونسى فى توجيه

المجتمع التونسي نحو المزيد من الرقي، إلا أنه ماشي إحدى ركائز التخلف الاجتماعي بوصف العلاقة بين الزوجين)في الفصل ٢٣) على أنها قائمة على رئاسة الزوج للعائلة وطاعة الزوجة له، فكان على الزوجة استئذان الزوج إذا توخت العمل بقصد المشاركة المالية في التي تنص عليها أيضاً مجلة الأحوال الشخصية التونسية، وليس واضحاً مصدر هذا الاشتراط على إذن الزوج، فهو يقابل مادة في القانون المدني اللبناني يحرم النساء من الأهلية التجارية إلا بإذن الزوج، وذلك بناء على القانون الفرنسي الذي الغي عام ١٩٣٨. بل أمعنت القوانين العربية في اللا مساواة بين الجنسين مجاراة لتقاليد المجتمع: فكانت عقوبات الزنى أكثر قسوة بالنسبة إلى النساء منها بالنسبة إلى الرجال في القوانين الجزائية العربية بعامة واستفاد الرجل من العذر المحل أو المخفف إذا قتل زوجته أو أخته في جرم الزنى المشهود، بل إن القانون المصري لا يعاقب الزوج الزاني إلا إذا زنى في المنزل الزوجي، مع نصه على عقاب الزوجة الزانية، وكان ما يعرف بجرائم الشرف ومازال يخضع لاعتبارات فوق القانون، تجر العملية القانونية في المجتمع إلى أدنى درجاته على سلم الرقي، بينما تنزع بعض أحكام وإجراءات هذه العملية إلى ما هو أكثر ترقياً من عموم المجتمع. ونرى في كثير من الأحايين أن العملية القانونية لا تردع المجتمع عن المسير في حركة هابطة ومتدنية عن القانون. فليس من شك في أن الزواج بأكثر من واحدة في العراق، ولو كان غير قائم على أسس مضبوطة حسب القانون، لا يعتبر غير شرعي كما لا تأخذ كل المحاكم في الجزائر بالقيود التي يضعها القانون على الطلاق.

إذا كانت قوانين الأحوال الشخصية قد ترددت فى القيام بوظيفتها التاريخية - اختراق المجتمع وتحويله من قبل دولة قائمة على منطق علمانى فى الإدارة - وتراوحت بين مراجعة الأسس الدينية الغيبية للأحوال الشخصية دون الخروج على هذه الأسس، وبين تقنينها وتبويبها على نحو يجعل من إدارتها أمراً ممكناً لسلطة مركزية، كان تنظيم السياق العملى والتنفيذى لهذه الأحكام هو المجال الذى اخترقت فيه الدولة الترتيبات القانونية القائمة على مرجعية غيبية، فكان أن أدمج نظام القضاء الشرعى، وهو سياق الأحوال الشخصية، فى نظام القضاء المدنى (فى سوريا عام ١٩٥٣، وفى عصر عام ١٩٥٥)، بحيث أصبح القضاة المدنيون هم الذين يفصلون فى أمور الطلاق (التى أصبحت منوطة بالمحاكم) والزواج بثانية أو ثالثة، أو بتعسف الزوج فى الطلاق (وفى سوريا) وجاء إلغاء الأوقاف الذرية أو الأهلية فى سوريا (١٩٤٩) وفى مصر(١٩٥٢) بمثابة النهاية لإشراف الدولة على الأوقاف التى تحولت السلطة عليها فى وقت مبكر من الهيئة الدينية - القضائية إلى إدارات ثم وزارات للأوقاف، المحصلة العامة لهذه التطورات ازدياد تقليص مجال عمل رجال الدين وسلطتهم لصالح مؤسسات الدولة العلمانية. ولكن هذا التقليص جاء فى وقت ألزمت فيه الدولة نفسها بالتحول إلى مرجع للفصل فى أمور دينية المرجعية، كالأحوال الشخصية، فخلقت لنفسها حاجة إلى رجال الدين للفصل فى أمور من المفترض أن تكون من اختصاصها واختصاص موسساتها العلمانية وحدها.

لكن شأن القانون المدنى كشأن الأحوال الشخصية.، فإن الأخيرة تعلقت بالعلاقات الاجتماعية الأولية التى رأت الدولة إمكانية تأجيل النظر فيها قوانين المدنية، ذات التاريخ الطويل والمتعرج منذ أوائل القرن التاسع عشر، فلم تكن خاصة بأمور تحتمل التأجيل، إذا كانت ومازالت تمس العلاقات بين البشر فى معاملاتهم الاقتصادية والمالية ومصالحهم المادية المباشرة، التى تتأتى عن كل ضرورة تحويل هذه العلاقات إلى علاقات تناسب الاقتصاد الرأسمالى العالمى. ولئن كانت العلاقات الاجتماعية الأولية، كما رأينا، معقلاً من معاقل المحافظة الاجتماعية. إلا أن القوانين حاولت التدخل فى ضبطها. فنجد القانون المدنى المصرى (١٩٤٩) فى مواده ٣٤ ـ ٣٩ يحدد معنى الأسرة والقرابة، ولو أنه يجعل الشريعة المرجع الأساسى فى المواريث (المادة ٩١٥) وينطبق الأمر نفسه على القانون المدنى السورى للعام ١٩٤٩ (المادة ٨٧٦) ولكن القانونيين لم يوفقوا إلى ضبطها الضبط اللازم أو لم ينجحوا فى ذلك، بما يوافق اتجاهات المجتمع الحديث ويستند إلى أحكام الشريعة دون التقيد بمذهب من المذاهب وبما لا يتعارض مع ما يناسب غير المسلمين، كما أراد عبدالرزاق السنهورى، على الرغم من إصراره على ضرورة قيام الأحوال الشخصية على «معتقداتنا الدينية وأسلوب حياتنا الاجتماعية».

أما الاتجاه العام للإصلاحات القانونية منذ القرن التاسع عشر، فقد استمر باتجاه المزيد من تهميش أو إلغاء الجانب الدينى والشرعى فى القانون. فنجد القانورن الجنائى المصرى لعام ١٩٧٣، مثلاً، يسقط كل إشارة إلى الدية.، ونرى الأمر نفسه فى قانون العقوبات السورى لعام

١٩٤٩ الذى ألغى كل إشارة إلى القصاص والجلد، وكان مستوحى من القانون اللبناني. أما في ما يختص بالشهادة، فأسقط فى كل القوانين أى استصلاح لتزكية العدالة فى الشهود، ولضرورة شفوية الشهادات، وغير ذلك مما كان من أركان العملية القضائية الإسلامية مما تم له الانقراض العملى والحضارى بانقراض مؤسساته وثقافته وبسير شروطه الاجتماعية نحو الزوال. أما أقطار المغرب، فعاشت ازدواجيات فى النظم القانونية بين ما يطبق على الأجانب والمتجنسين جنسية فرنسية، وبين المحليين الذين فتتت، كما رأينا نظمهم القانونية على أساس بلقنة متعمدة جمدت المجتمعات على حالة دنيا من الرقي.

جاء وضع القوانين المدنية العربية الموضع الأكمل لاندراج الوطن العربى فى الكونية الرأسمالية ولنزع الطابع الدينى عن المعاملات اليومية لأفراده، فكانت تلك القوانين إحدى أهم معالم العلمانية فى الحياة العربية ولا شك أن عبدالرزاق السنهورى كان الطاقة المحركة الأساسية فى صياغة القانون المدنى المصرى - لعام ١٩٤٨ - بالاشتراك مع لجان ضمت شفيق شحاته وغيره وهو القانون الذى تبنه سوريا مع بعض التعديل عام ١٩٤٩، وجرى استلهامه فى صيغة القانون المدنى العراقى (١٩٥٣). وكان لهذا القانون مساهمات أساسية فى صياغة القوانين المدنية فى الكويت وغيرها من الأقطار النفطية. وكانت الصفة الأساسية للتوجه التشريعى الذى كان فاعلاً فى صياغة هذه القوانين أخذها بمبدأ نسبية الآداب والأخلاق تبعاً لتغير أحوال الزمان والمكان، وهو المبدأ الأساسى فى كل سلوك علمانى. ويستتبع ذلك فصلاً أساسياً استصلحه المشرعون المدنيون العرب فى استصلاحهم

أحكام الفقه الإسلامي وفي صياغتهم إياه. وهو أن النظرة الواجبة تجاه هذه الأحكام ينبغي أن تكون منصبه على الجانب القانوني الفني منها، دون الجانب الديني، مما يجعل منها عناصر في إطار من القانون المقارن. الناحية الدينية «تحتفظ قواعده بقوة معنوية يفرضها الضمير على المسلم»، فإن الناحية القانونية «هي وحدها تدخل في نطاق القانون بالمعنى الصحيح وتطبق على جميع المواطنين سواد كانوا مسلمين أم غير مسلمين». فجاء استصلاح الفقة الإسلامي مبنياً على اعتبارين، عملي ونظري، قام الأول على كون الكثير من أحكام الفقه جارية في التراث القانوني الحي الذي لابد أن يؤخذ في الاعتبار دون البث في أمور قانونية عامة قد تستثنيه وسط مجتمع لم تستقر أوضاعه القانونية استقراراً نهائياً، مجتمع سريع التحول ينبغي على نظامه القانوني أن يكون مرناً ومفسحاً في لمجال لاجتهاد القضاة وتقديرهم. واستتبع هذا الاعتبار العملي بمجئ القانون المدني متدرجاً في التراث التشريعي للبلاد منذ إنشاء المحاكم المختلطة والوطنية مما يسر الانتقال بين أوضاع التعامل القديمة والجديدة.

أما الاعتبار النظري- أو بالأحرى الفني- فرجع إلى نظرة السنهوري إلى طبيعية الفقه الإسلامي في إطار الفقه المقارن،وإلى مصادر القانون المدني المصري التفصيلية فكان الفقه الإسلامي جزءا من الفقه القانوني العملي، إضافة إلى تشريعات فرنسية أصبحت من التراث القانوني المصري الحي فضلاً عن تشريعات قائمة على العادة، مما جعل التراث القانوني المصري غير منحصر بالفقه الإسلامي، ومما جعل نقل أحكامه (أي الفقه الإسلامي) إلى القانون «دون تدبر» أمراً سيؤدي إلى اضطراب،

حسب قول السنهوري في نقاش مجلس الشيوخ المصري لمشروع القانون المدني بل كان السنهوري محافظاً إلى حد ما، وإن كانت محافظته مهنية، فأراد من الشريعة ما تنسجم مع التقاليد القانونية المصرية حتى يتسق القضاء، فجاء القانون المقارن - وفي إطاره الفقه الإسلامي وتراث القضاء المصري - المصدر الأول للقانون المدني، على اعتبار أنه أرقى سبل التقدم التشريعي، بحيث جاء مشروع القانون المدني قائماً على فحص كل مادة في إطار عشرين تقنيناً (بينهم الفرنسي والسويسري والألماني)، «حتى ليجوز القول بأن المشروع يمثل من ناحية حركة التقنين العالمية نموذجاً دولياً صلح أن يكون نواة لتوحيد كثير من التقنيات المدنية»، يتجاوز في سعته ومصادره الفقه الإسلامي الفرنسي الذي اعتبره السنهوري وزملاؤه متخلفا عن الحركة التشريعية العالمية المعاصرة المتمثلة في سويسرا وألمانيا بأرقى صورها. وبذلك انفصلت الأحكام عن مصادرها وأصبحت معاصرة مطابقة لمتطلبات العصر ذات قوام خاص بها وكان الالتفات إلى الفقه الإسلامي أيضاً أمراً نص عليه في المادة الأولى من القانون إذا طلب من القاضي، في غياب نص تشريعي، أن يحكم بمقتضى العرف، وإن لم يوجد فبمبادئ الشريعة الإسلامية، وإذا لم توجد، فبمقتضى مبادئ القانون الطبيعي وقواعد العدالة، وكان السنهوري المسؤول عند وضع الشريعة في المكان الذي اتخذته في النص القانوني. بعد أن كانت لاحقة على القانون الطبيعي ومبادئ العدالة في مشروع القانون، على اعتبار أن الشريعة أدق تحديداً وأكثر انضباطاً من القانون الطبيعي ذي المفهوم الغامض، والعدالة الخاضعة للتقدير الذاتي في النهاية. فجاء الاعتبار الأساسي فنياً قانونياً

واقعياً، لادينياً أو أخلاقياً ولو كان موضع نقد من أحد زملاء السنهورى وتلامذته، الذى رأى فيه أمراً مخلا باعثاً على الاضطراب، إذ إن أحكام الفقه التفصيلية متضاربة، بينما ليست الأسس العامة للفقه قادرة على إنتاج فقه عينى لأنها منطق قانونى وليست منهجاً تشريعياً فى بيعتها، فلا يمكن أن نستنتج منها نظرية عامة فى العقد أو الالتزام، ولو كان من الممكن اعتباره مبادئها بمثابة تمهيد للقانون الطبيعى القائم على العقل واعتبار الأحوال الاجتماعية وأخذ السنهورى عن الفقه الإسلامى شأنا جعل منه فهما متقدماً من وجهة نظر القانون المقارن، وهو قيامه، كالقانون البريطانى وعلى عكس القانون الفرنسى، على نزعة مادية أو موضوعية، تقف على استخلاص المعانى من الألفاظ لا من النيات المستكنة فى الضمير، مما يجعل للقوانين الثبات والاستقرار. أما من ناحية القوانين التفصيلية، فقد أخذ القانون المدنى المصرى من الفقه الإسلامى جملة أمور، منها منع بيع المحصولات المستقبلة واعتبار البيع الصادر عن البائع المريض مرض بمثابة الوصية. كما جعل القانون الشريعة المرجع فى المواريث، ورجع إلى «الضرورة» فى ما يتعلق بالظروف غير المتوقعة، وإلى تفاصيل فقهية خاصة بالعقود وبالتكليف وبإيجاز الأوقاف وجملة أمور زراعية، اشترك فيها القانون المدنى السورى أيضاً. إضافة إلى ذلك، قام القانون السورى بإلغاء الشفعة التى كانت حقاً مقرراً فى الفقه الإسلامى منذ قرون، مع أن الضغوط فى مصر كانت موفقة فى الإبقاء عليها. كانت المعاملات المدنية فى سوريا فى ظل الانتداب الفرنسى مضطربة، إذ عاد الفرنسيون إلى العمل بنظام المحاكم المختلطة بموجب سياستهم

الاستعمارية. بقيت مجلة الأحكام العدلية العثمانية سارية المفعول على الرغم من استحداث الكثير من القوانين المدنية، خصوصاً في مجال الملكية والتعاقد، فأدى ذلك إلى اضطراب في النظام القضائي خصوصاً أن مجلة الأحكام العدلية، في عبارة المذكرة الإيضاحية للقانون المدني السوري، كانت بعيدة عن معاملات الناس. فقامت الحكومة بإصدار القانون الجديد على أساس القانون المصري، لما بين القطرين من تقاليد مشتركة وأوضاع اجتماعية متشابهة، وكمساهمة في الوحدة العربية حذف القانون السوري جميع الأحكام العقارية المصرية واستبدلت بقانون الملكية العقارية السوري اللبناني(١٩٣٢) مراعاة للأوضاع السورية ولتداخل الملكيات العقارية السورية مع لبنان، إلى أن السجل العقاري السوري العيني كان أكثر تقدماً من السجل المصري الشخصي أما في ما يختص بالشريعة، فكانت إيماءه الحكومة السورية باتجاه الإسلاميين واضحة، إذ نص القانون على أنه «إذا لم يوجد نص تشريعي يمكن تطبيقه، حكم القاضي بمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية، فإذا لم توجد بمقتضى العرف، وإذا لم يوجد فبمقتضى مبادئ القانون الطبيعي وقواعد العدالة». وأخيراً تضمن القانون المدني العراقي قدرا أكبر من الأحكام الفقهية الإسلامية الحنفية، ذلك أن مجلة الأحكام العدلية العثمانية كانت لاتزال المستند الأساسي الفعلي في المعاملات المدنية عند إقرار القانون المدني عام ١٩٥١.

بذلك تم في الوطن العربي ولأول مرة الاعتراف بالتاريخ، فنزع الغلاف الديني عن الفقه وأرجع إلى نصابه الحقيقي من الدنيا الذي درسناه في الفصل الأول من هذا الكتاب، ونظر إلى الفقه الإسلامي على أنه لا يحتوي

على جماع البنية الحقوقية للمجتمع، بل على أنه من التاريخ وإليه، يقوم في ظروف تقيمه، وتنزع عنه المناسبة، بل قام السنهوري بمحاولة أكاديمية لتقنين الحقوق الشخصية والعينية الواردة في الفقه الإسلامي على صورة يتم فيها استبعابها من قبل المفاهيم العامة للقانون المقارن وللقانون الحديث، وصياغتها في إطار مقولاتها ،خصوصا مفهومي التصرف القانوني والواقعة القانونية. وليس واضحاً إلى أي حد وفق السنهوري في هذا الأمر، كما أنه ليس واضحا إلى أي حد يمكن القيام بهذا التقنين ومدى صلاحية المفاهيم الفقهية الإسلامية لهذا الأمر ولكن الواضح بالنسبة إليه، كما بالنسبة إلينا، هو أن التقنين يجب أن يطال جميع مجالات الحياة القانونية على الأسس نفسها التي قام عليها القانون المدني، بل ينبغي ضم الحقوق العامة إلى مجال القانون، من قواعد دستورية ونظم مالية وإدارية وقوانين جنائية قضائية وهذا أمر حصل بنسب متفاوتة التاريخ العربي الحديث. وكان أساس علمنة الفقه الإسلامي، أو إرجاعه إلى وضعه الحقيقي، هو ما أخذه عليه أحد نقاده الإسلاميين، من أن الفقه كان لدى السنهوري «محدداً» في إطار الفقه الخالص المحض دون اتصال لهذا الفقه بالدين ومصادره وأصوله في القرآن والسنة «فأصبح بذلك حكماً وضعياً مبتور الصلة بأصله - ولو أننا نرى أن الأمر لم يشتمل على بتر بل على إعادة صلة بالأصول الفعلية، التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، وفك ارتباط مع أصول ركبها الخيال الإيديولوجي . ولكن المعارضة للقانون المدني كانت مريرة، ولو أنها لم تتعرض لتقدم فكري يذكر منذ بدايتها. فكان حسن الهضيبي قد عبر عن هذه المعارضة خلال مناقشة مشروع

القانون فى مجلس الشيوخ المصرى (فى ١٩٤٨/١٠/٣٠)، عندما قال: إن خطأ المشروع وصوابه سيان عنده لأن التشريع فى مصر يجب أن يقوم على أحكام القرآن والسنة، وإن ما يؤخذ من التشريعات الغربيةيجب أن يكون قابلاً الرد إلى هذين المصدرين كانت المعارضة ومازالت غير معتمدة على أكثر من ترداد الشعارات العامة،، وكان جلياً فى المناقشات التفوق الفكرى والعلمى الكبير للسنهورى على مناهضيه من الأخوان أو من الوفد الذى عارضه لأنه ـ أى السنهورى ـ كان قد اشترك فى الانشقاق عن الحزب عام (١٩٣٧) مع أحمد ماهر النقراشى وفى تأسيس حزب السعديين. وكان الأزهريون أعلنوا إعلاناً صامتاً عن معارضتهم بعد تلبيتهم دعوات ابداء الرأى، فاستمرت المعارضة الإسلامية المبدأية بعد قرار مجلس الشيوخ القانون بتاريخ ١٥/١٠/١٩٤٩ ـ خمسة أشهر بعد إعلان القانون المدنى السورى الذى تم بقرار من مجلس الوزراء وبمرسوم تشريعى من رئيس المجلس والقائد العام للجيش والقوات المسلحة حسنى الزعيم، بعد توصية من وزارة العدلية. وتتبدى فى المعارضة الإسلامية للقانون المدنى وفى معارضاتها القانونية ـ أى محاولاتها تقنين الفقه ـ حدود الإصلاحية الإسلامية، بل عدم قدرتها على ترجمة نفسها من جملة شعارات عامة إلى أساس لحياة حديثة.

فقد رأينا أعلاه كيف شددت الإصلاحية الإسلامية على مرونة الشريعة وعموم مداها ولكن الإصلاحية الإسلاسية اضطرت مع مرور القرن العشرين ومسايرة التطورات القانونية فيه متطلبات الكونية والعلمانية إلى محاولة التحيين والتخصيص، ولو لم تكن هناك فرص فعلية لتقنين

إسلامي عام، كالذى ارتاه علال الفاسى بعد وضع مدونة الأحوال الشخصية فى المغرب، ومنع من تنفيذه فهى من جهة، استمرت فى ترداد الصيغ العامة التى تسمح بالمزاوجة بين شريعة عصور ماضية وعصرنا هذا بالرجوع إلى عموم أسس هذه الشريعة وعصمتها دون تفاصيلها، كالقول بأن أحكام الدين الشرعية لا تتغير فى أصولها «وإنما يقع التطور والتطوير في علم الإنسان بها واستنباطه لها وتطبيقه لها على ما يستجد من الجزيئات.

لغتنا العربية فى مواجهة رياح العولمة؟

هل أصبحت اللغة العربية مهددة فى زمن انهيار الجدران الثقافية واجتياح العولمة لكل قلاع الخصوصية؟ وهل بات علينا أن نتحصن ضد هذا القادم فلا اقتراب ولا تعامل معه؟ أم أن فى لغتنا ما يجنبها خطر الذوبان، ويكفينا عناء التحصن؟ هنا يكمن السؤال: وهنا أيضا محاولتان للإجابة عنه

بقلم الدكتور عبداللطيف عبدالحليم

بالرغم من أن مصطلح العولمة حديث النشأة، حتى أن صيغته الاشتقاقية فى اللغة العربية تبدو غريبة أو طارئة، فإنه قديم فى جوهره، يتخذ وجوها أو أقنعة متباينة، يكاد الناس يعرفونه بسيماه، وهو يشير مع عموميته الشديدة - إلى عملية متشابكة الأبعاد الاقتصادية والسياسية والثقافية والتكنولوجية، تستهدف دمج جميع المجتمعات والثقافات والمؤسسات والأفراد فى بوتقة واحدة يحكمها النظام الرأسمالى الحر والسوق العالمية الموحدة، ويرى جيدنز أنه يمكن فهم مصطلح «العولمة» من خلال عبارة بسيطة هى «الفعل عن بعد».

وليس من وكد هذا المقال أن يتعقب الظواهر السياسية والاقتصادية للعولمة، بل إن وكده منصرف إلى الظاهرة الثقافية من خلال فرعية واحدة هي اللغة، وبالطبع لا يخفى أن اللغة لا تنبت في فراغ وإنما هي صورة لأهلها صعودا وانحدارا، تقدما وانحسارا.

وليست دول الجنوب ومنها عالمنا الثالث كم يسمونه هي التي تستهدفها «العولمة» بل إن الأوربيين يتحسسون مواقع أقدامهم بحذر وإشفاق من ظاهرة الهيمنة الأمريكية أو «أمركة» العالم، وإن كانت أمريكا ذاتها تعاني اختراقا من التكتلات الأوربية والآسيوية، لأن مفهوم الدولة ذاته أو القومية معرض لهذا الخطر الداهم.

وليست العولمة في ذاتها شرا محضا، كما أنها ليست «اليوتوبيا» أو الخلاص المنتظر، بل هي ككل نظام يصلح بصلاح القائمين عليه، ويفسد بفسادهم، ولكن لأن عالمنا العربي والإسلامي يعاني سوء ظن - ومعه بعض من الحق - من كل قادم من الغرب تقريبا، فقد حق له أن يتوجس ريبة، أو يقف موقف الحذر والحيطة الواجبين، وأن يستثير عوامل الدفاع أو المصل الواقي في مواجهة الرياح الدافعة، ونظرا لأن الوجوه تشكل، والأقنعة تتباين مع مواكب الزمن، فقد بات من اللازم البحث عن الهوية أو الخصوصية الفردية. ولحسن حظ هذه الأمة العربية والإسلامية أنها وعت الدرس جيدا، خاصة فيما يتعلق بأمر لغتها ودينها، وتقاليدها المرعية، فصمدت في لحظات الانكسار والنكوص، وصمودها لا يقل عن زهورها في لحظات الانتصار والإقدام، وإنها مع تعرضها لكل جائحة ما حقه تعتصم بيقينها في لغتها ودينها، فيهديها إلى السواء، وليس هذا من قبيل التفاؤل

الساذج الذى يستهوى المشيحين المدبرين، بل إنه حقيقة تؤيدها أسانيد الواقع والتاريخ، وما أمر التتريك، والكتابة بحروف لاتينية، وفرنسة شمال إفريقيا ببعيد.

عابرة القوميات

وإذا كانت هذه الحركات المداهمة للأمة اتخذت أشكال الغزو والاستعمار بالقوة مما أشعل فى الأمة عروق الغضب والمناجزة، فإن الوجه الجديد لهما يتخذ صبغة «القرية الكونية» أو الثقافة العابرة للقوميات عن طريق التكنولوجيا، دون لجوء إلى القوة، فإن هذا مما يجب أن يشحذ الهمم لبحث عن مكان داخل هذه القرية، صحيح أننا لا نملك التكنولوجيا المتقدمة والغازية، لكننا نملك الإرادة، وهى سلاح غير مثلوم إذا صحت لكنها تثلم إذا استعاذت بالقنوط أو بالعزلة ولا مكان لهما فى سباق الأمم والحضارات.

اللغة العربية لغة عالمية مثل دينها الذى هو هداية للناس كافة ، وهو الخطر الذى يحارب تحت مسميات كثيرة، وقد صحبته اللغة فعزت الألسنة فى أطوار العالم القديم، وغدا الخط العربى أبجدية فى التركية والفارسية ولغات أخرى، بل زحزح لغات كثيرة - لا بالقوة - وحل محلها، ووشيكا عرف الناس فى الأندلس طائفة المستعربين يعرفون العربية وآدابها وإن لم يعتنقوا الدين الإسلامى، وبلغت معرفتهم بالعربية درجة جعلت ألبرو القرطبى يشكو مر الشكوى حيث يقول: «إن إخوانى فى الدين يجدون لذة كبرى فى قراءة شعر العرب وحكاياتهم، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين، لا ليردوا عليها وينقضوها، وإنما لكى يكتسبوا

من ذلك أسلوبا عربيا جميلا صحيحا، وأين نجد الآن واحدا من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التى كتبت على الأناجيل المقدسة؟ ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والرسل؟ ياللحسرة!! إن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها، ويؤمنون ويقبلون عليها فى نهم، وهم ينفقون أموالا طائلة فى جميع كتبها، ويفخرون فى كل مكان بأن هذه الآداب حقيقة جديرة بالإعجاب، فإذا حدثتهم عن الكتب النصرانية أجابوك فى ازدراء بأنها جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم، يا للألم!.. لقد أنسى النصارى حتى لغتهم، فلا تكاد تجد فى الألف منهم واحدا يستطيع أن يكتب إلى صاحبه كتابا سليما من الخطأ، فأما عن الكتابة فى لغة العرب فإنك واجد منهم عددا عظيما يجيدونها فى أسلوب منمق، بل هم ينظمون من الشعر العربى ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنا وجمالا».

هذه زفرة محترق ربما تساور نفوس الإسبان طيلة الحكيم العربى حتى قضت عليها محاكم التفتيش، وإن تخفت العربية فى ثياب أخرى هنالك، وبعد زوال الفاشية عاد الإسبان مرة أخرى إلى الاعتزاز بالثقافة العربية فى الأندلس باعتبارها جزءا مضيئا من تاريخهم، حين كانت قرطبة عاصمة العالم.

الحيوية القديمة:

وقد ظلت العربية تمارس بالفعل دورها الهائل فى التأثير شعرا ونثرا وألفاظ حضارة فى الأندلس، ونظرة خاطفة إلى الألفاظ العربية الوافدة ا...

الإسبانية تحقق المقولة التى نطق بها المجمع الملكى للإسبانية حين أصدر إحدى طبعات معجمة وفيه الألفاظ التى من أصل عربى بحروف عربية، ثم اختفت هذه الطبعة بعد ذلك، كذلك فى شرق الأندلس خاصة يلاحظ المتأمل أسماء القرى والشواطئ، وآلات الزراعة بأسمائها العربية مع تحوير تقتضيه اللغة المنقول إليها، وتأثير الزجل والمقامات فى الشعر البروفنسالى، والقصص البيكارسية أو قصص الشطار على نمط الأبطال فى المقامة العربية، وتأثير الحكايات العربية والقصص العربية - بمعناها الساذج - مثل حكايات عيون الأخبار وكليلة ودمنة فى القصص فى إسبانيا وأمريكا اللاتينية.

وسوف يلاحظ القارئ الكلمات العربية الكثيرة التى تسربت إلى الأسبانية فى الأدب الأسبانى حتى بحروفها، وبدت شواهدها فى الشعر والنثر على السواء.

ولسنا نفزع بذلك إلى التاريخ القديم لنقول: كنا وكنا.. وإن كان هذا القول مشروعا، حين نركن إليه استمدادا للحيوية القديمة، أن تشتعل فى أعرافنا، وأن نؤكد أن اللغة العربية لغة عريقة فيها جرثومة بقائها ،وقدرتها على التجدد ومواصلة العطاء، ولنقول أيضا إن اللغة ليست كيانا مجردا عن كيان أصحابها، يعتريها ما يعتريهم من وهى وقوة، ولا يمكن أن نقول إن اللغة فى طور التقدم وأهلها فى طريقهم إلى الإشاحة، بل إن العلاقة مطردة، ربما تبقى فى منطقة الكمون تنتهز نهزة الانطلاق والانتزاء، وكانت العربية بهذه المثابة ناهضة فى كل أطوارها بهذا المعنى الذى حددناه إن زهوا وإن صمودا.

غزوة تكنولوجية

ثم نجمت نواجم من رياح العصر، هبت علينا من القرية الكونية، وأعانها علينا قوم منا، واشتجرت الأنساب بين الشعر والرواية مع غزوات الآلة التكنولوجية فى وسائل الإعلام، وازداحمت أجناس القول، وقال بعضهم إن العصر عصر الرواية لا عصر الشعر، وافتتن البعض مغاليا بقيمة المسلسلات فى الإذاعة مرئية ومسموعة، فرأوها ديوان العرب الآن، والحق أن العصر جلب لنا أشياء ما كانت تدور فى خلد السلف، بيد أنه يبقى فى هذا العصر تنوع المتلقى الذى يطرب للشعر والذى يطرب للرواية، وفنون القول الأخرى، لكن لن يلغى فن فنا، ويبقى للعربية شعرها الذى هو ديوانها أو ينبغي أن يكون ديوانها الأول. لأن قيمة الفنون الأخرى سترتقى بقدر حظها من الشاعرية، وتنحط بانحطاط كفلها من تلك النفحة الشعرية التى هى جوهر كل فن الفن القولى فقط، وينبغى أن نفطن إلى أن الجور عليها جور على حظ المرء من الحياة الراقية، وأنها علة يجب الإسراع إلى علاجها، وإذا كانت العولمة لما أرثت لهذه العلة ونفخت فيها، فإننا أعناها بالخذلان والتراخى.

ومن العلل التى تتفاقم حول اللغة العربية بأيدينا وبأيدى عمرو الخلط بين المصطلحات الفنية الذى إذا كان مسوغاً فى أدب أمة أخرى فلا مسوغ له عندنا، تمثل هذا الخلط بين الشعر الموزون المقفى، والشعر الحر، وما يسمى قصيدة النثر، ثم الشعر الشعبى أو الزجل وليست المسألة مسألة كلمة أو اسم، بل أن المصطلح نظام لحركة الفكر أو تعبير عنها، فالشعر الموزون

المقغفى - وينبغى أن نقول: الشعر فقط - فى رأينا الشعر الصحيح النسب إلى هذه الأمة والذى حمل ويحمل روحها ولون عينيها، وما عداه ينبغى البحث له عن اسم أو مصطلح، لا تهوينا من شأنه بل احترام لكل حد من حدود الكلام، وقد اتسع هذا الضرب للتجديد، ونفر من التسيب والاختلاق، واحتراماً أيضا للقائلين فى الأجناس الأخرى من الشعر الحر أو التفعيلة، لكن من الفهاهة أن نطلق مصطلح الشعر على النثر المتخذ شية القصيدة (قصيدة النثر) فهو مع حسن النية كلام العجزة وارتكاس القدرة. ومن الخذلان للأمة أن نطمس هويتها لا لشئ إلا ليكون فنها مثل فن أمة أخرى، وما رأينا العقلاء من أبناء الأمم الأخرى يطلقون على مثل هذا الكلام شعرا، فها هو خوان رامون خمينيث (نوبل ١٩٥٦) يطلق على أناشيده فى «أنا وحمارى» صفة الكلام النثرى، تمييزا له عن دواوينه الشعرية، وكلامه فيه ذروة الشاعرزية، وكذلك رائد الحداثة فى نيكاراجو «روبن داريو» أطلق على نثره نثرا وعلى شعره شعرا، وكان الأولى بصائغى مثل هذا الكلام فى لغتنا أن يظلوا ناثرين مجيدين إذا أجادوا بدلا من أن يتعلقوا بنعت أو لقب بم يخلقوا له ولم يخلق لهم، وكبار الناثرين فى العربية وفى غيرها يضاهئون الشعراء مكانة وتقديرا، ولانريد أن نقول أن هذا الكلام النثرى الجديد يمكن أن يكون مزلقا لخبث الطوية والضغينة النكراء ضد أدب هذه الأمة العربية وحسبنا هذا الإيماءة الآن.

لكن هذه التيارات الغربية ربما زين لها ولدعاتها ما يلقونه من رواج، وما تلقاه لدى صغار المستشرقين وأصحاب النحل المذهبية منهم حين

يقبلون على ترجماتها ولا تكلف ترجمتها شيئا، ويتنفج دعاتها هنا بأنهم عالميون وهو كلام غير مقبول فى لغته أولا، فضلا عن أن أغلب المستشرقين لا رأى لهم يسمع حتى فى أدبهم هم فى خارج دائرتهم. ثم يجيء الدور على «الزجل» وهو فن جميل ما كان فى إطاره مرتبطا بالبيئة والزمن، دون أن يكون شعرا أو حتى شعرا شعبيا، وأرث هذه الفتنة بيننا صوت العولمة وإن لم تأخذ اسمها المعاصر، فقد سبق أن قلنا إنها ظاهر قديمة واحدة مع تعدد الأسماء الشعر فى أى منطق سليم هو فن شعبى حتى ما رفع منه إلى الملوك والخلفاء والأمراء، لأنهم جزء من الشعب، ولأن الشعر يؤثل لهم مكانة لدى المحكومين، وامرؤ القيس والمتنبى وابن الرومى وأنا دمونو، وماتشادو، وخوان رامون، وشكسبير وملتون، وشيلى كلهم شعراء شعبيون، أما هذه الصفة التى تطلق على أصحاب الكلام العامى فهى خطأ صراح، لأنهم ليسوا شعراء، ولا يعيبهم هذا، بل هم زجالون، ناسلون من شيخهم ابن قزمان الأندلسى، وحسنانعته غريثة غومث بأنه صوت فى الشارع وقراءته الآن صعبة، وموسيقاه لا تتضح إلا بالإنشاد وقيمته تاريخية فى المقام الأول، وكذلك كل زجل مجدد الإقامة، رغم وسائل الإعلام والغناء المعاصر.، ومن الجب أن يتمسك دعاته بأنهم شعراء وتنعتهم وسائل الإعلام بهذا اللقب، وكأنهم يستشعرون حطة فى الزجل أو الزجال، وهو فن جميل ومحترم ولسنا ضده، ومن الأعجب أن «العولمة«» وهى هيمنة «عامة» تلتفت إلى هذة الخصوصيات اللغوية أو الإقليمية فتنفخ فى نارها، مما يشئ بأن البواعث ليست فوق مستوى الشبهات على الأقل.

أخطار محدقة:

بالطبع ثمة أخطار محدقة بالعربية منها شيوع العامية فى وسائل الإعلام مرئية ومسموعة، وفى قاعات الدرس بالجامعات حتى بين المتخصصين فى العربية، وسرى هذا الداء فى بعض الأعمدة الصحفية، فضلا عن بعض الحوارات أو حتى السرد فى الروايات والقصص، وكل هذا تكريس للعجز ولإعطائه صفة المشروعية، ومنها - وهو الأخطر - إنتشار التعليم باللغات الأجنبية فى المدارس والجامعات مشاكلة للبيئات الأخرى المنتجة للتكنولوجيا، مع العلم أن هذه التكنولوجيا لو اخترعها العرب لأعطوها أسماءها، ولعلموها العالم كله كما حدث فى النهضة العربية القديمة التى فرضت لغتها على الناس، ويتخذ هذا الخطر وسائل متعددة تتعلق بوسيلة العيش ذاته حيث يتم الإعلان عن الوظائف متضمنا شروط التخرج من المدارس الأجنبية أو أقسام اللغات الأجنبية ولسنا ضد اللغات الأجنبية بحال، فقد تعلمناها فى بلادها «إسبانيا» بل إننا ضد محو الهوية، ولم نشعر مطلقا «بالعار» الذى أشار إليه د. جلال أمين حين كان مع رفاقه فى البعثة، بل كنا نشعر بالامتلاء لا بالنقص أو العار، لأننا كنا نعوذ إلى حصن لغتنا وثقافتنا، وإلى الثقافة الوافدة فتحا لنوافذ المعرفة والموضوع متراحب شديد التشعب، حسبنا ما قدمناه وما نوجزه الان فى الأسطر الباقية: ما موقفنا من العولمة؟

باختصار مأمول هو موقف المريد المبصر لا المندهش الأعشى، ومرحبا بها حين نكون واعين، وحين نضيف إليها، لا أن نبسط إليها أيدينا

ضارعين وحين نعوذ بتراثنا الحى، وإلى نخوتنا التى افتقدناها أمدا طويلا حيث تبعث الهمم الراكدة، وحيث تكون البواعث الصحيحة مقترنة بالغايات الصحيحة، أو سابقة عليها لأنها تخلقها إن لم تكن موجودة، وألا نركن فقط إلى أن لغتنا كفل الله حفظها بسبب من كتابه الكريم، بل علينا أن نعين أنفسنا، وكاتب هذه السطور وهو يقف بالوصيد على عتبة الألفية الثالثة موقن كل الإيقان بأن المستقبل مع العربية الفصحى، ومع آيتها الناسخة لكل آية: مع شعرها الموزون المقفى ومع التجديد فى كل الفنون الملتزم بقواعدها لا الآبق من كل قاعدة إلا قاعدة الهدم الصريح أو العجز الذميم، وهنا نكون مسهمين فى العولمة بوجهها الواضح القويم.

من مشكلات اللغة العربية

تتحدد مشكلة اللغة العربية الفصحى فى أنها أضحت لغة غير متحدثة، بمعنى أن المثقفين وغير المثقفين، يتحدثون اللغة الأمية بمستويات ولهجات تختلف باختلاف البيئات التى ينتمون إليها.

وقد نشأ هذا الوضع من عقيدة لغوية بعينها هى القصد إلى إبقاء اللغة العربية فى صورتها المعيارية الموروثة، دون تطورها، حتى لا يباعد ذلك بين اللغة فى صورتها المتطورة، ولغة القرآن الكريم، فنحتاج ـ إذا ما تركنا هذا التطور يمضى إلى غايته الطبيعية ـ إلى ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة العربية الجديدة على نحو ما حدث للنصوص الدينية المكتوبة باللغة اللاتينية التى ولدت عدة لغات أوربية حديثة.

وقد اضطر اللغويون القدامى اضطرارا، إلى الأخذ «بمعيارية اللغة»، بسبب دخول عناصر من أبناء الأمم المفتوحة إلى الحياة العربية، وإحداث تغييرات لغوية واجتماعية وحضارية حادة فى المجتمع الإسلامى الوليد، وهو ما كان سببا فى معاناة اللغة العربية من اللحن الذى أخذ يفشو على ألسنة الخاصة والعامة على حد سواء.

وقد مهد ذلك لأن ينشط اللغويون العرب، فى صور مختلفة، إلى ضبط اللغة وتصحيح أساليبها، وقياس أبنيتها على نصوص العربية التى لم تتسرب إليها العجمة، وبعبارة أخرى قياس اللغة الجديدة على لغة عصور الاحتجاج، وهى الفترة الواقعة بين العصر الجاهلى ومنتصف القرن الأول الهجرى على أرجح الآراء. وقد اتخذ اللغويون من الشعر الجاهلى مصدرا أساسيا لاستخلاص مقومات اللغة المعيارية، سواء لاستخلاص مقومات اللغة المعيارية، سواء فى وضع القواعد النحوية والصرفية التى تضبطها. أو تفسير معانى القرآن الكريم! وهكذا اكتسب الشعر الجاهلى، شعر البيئة الوثنية، قداسة دينية، لصفاء لغته، أو فلنقل «لمعياريتها»!

وقد أنتج هذا القصد إلى «معيارية اللغة» على مر العصور، نتائج ذات خطر فى حياة اللغة العربية، يمكن تلخيصها فى العناصر الآتية:

الأول: تثبيت اللغة العربية، أبنية وأساليب وألفاظ ودلالات، على نحو ما تؤول إليه هذه العناصر فى اللغة المعيارية، لغة عصر الاحتجاج.

الثانى: غلبة التنظير والتعقيد على التطبيق والتحليل فى دراسة اللغة، وفصل النحو والصرف عن النصوص الإبداعية، ودراستهما مستقلين فى ذاتهما ولذاتهما، وتغليب النظر العقلى فى التقنين لهما.

الثالث: الاعتماد فى صناعة المعاجم التى تضبط دلالات اللغة، على الشعر الجاهلى الذى استمدوا من لغته مادة هذه المعاجم، ولغة الشعر بطبيعتها لغة مجازية، تحتمل الألفاظ فيها وجوها متباينة ومختلفة من المعانى التى تطرحها السياقات اللغوية، والأبنية المجازية الشعرية.

وهى بالإضافة إلى ذلك معان تفتقر إلى الترتيب التاريخى، الأمر الذى يجعل من هذه المعاجم ذوات اللغة الشعرية، وسائل لغوية، مضللة وقاصرة عن تفسير نصوص الشعر القديم عامة، والشعر الحديث خاصة الذى يعد، في صورة أو أخرى، تقليدا للشعر القديم الذى فوض نفسه على أذواق المعاصرين.

وقد أسهمت هذه اللغة الشعرية التراثية فى إقرار ظواهر لغوية، والتضاد الدلالى. وهى فى حقيقتها معان شعرية. كما أسهمت فى طبع العقلية العربية المعاصرة بطابع تقليدى، يتمثل فى معالجة ظواهر الحضارة الحديثة من خلال لغة قديمة!

غزو وتغريب:

وكان لابد أن يؤدى هذا كله إلي ما أدى إليه فعلا، من ازدواج لغوى، يتمثل في نشأة لغتين:

الأولى: لغة قريبة من اللغة الفصحى، يصح أن نطلق عليها، اصطلاحا: «فصحى العصر الحديث»، تمييزا لها من «اللغة المعيارية» الثابتة التى يدعو إليها اللغويون القدامى والمحدثون.

وقد حققت «فصحى العصر» هذه تطورا محدودا وعلى الرغم من ملاحقة المحدثين، من حراس المعيارية لها، ولكنها ظلت، مع ذلك عاجزة عن استيعاب ظواهر الحضارة الحديثة بصورة علمية، بسبب دعاوى التحذير من «التغريب»، و«الغزو الثقافى» ورصد الانحرافات الموروثة، ورفع شعارات قل، ولا تقل!

الثانية: لغة عامية فشت على ألسنة العوام والخواص، من المثقفين وغيرهم، وهى لغة قد بنت لنفسها نظاما نحويا وصرفيا وأسلوباً خاصاً، أخذت فيه من اللغة الفصحى، وأضافت إلى ما أخذته عناصر أخرى استقتها من لغات أخرى وافدة.

وقد اتسعت هذه اللغة العامية لكثير جدا من ظواهر الحضارة الحديثة، ولكنها، مع ذلك، لغة مرفوضة ومطاردة وغير مكتوبة، إلا فى نماذج محدودة من النصوص الأدبية الشعرية والمسرحية، ولكن هذه اللغة العامية المرفوضة أضحت لغة الحديث والتدريس والحوار فى المدارس والمعاهد والجامعات ووسائل الإعلام المسموعة على وجه الخصوص، وتوارت اللغة الفصحى، وأضحت لغة غريبة.

اقتراحات للنهوض:

ونتسائل بعد هذا العرض الموجز، ما هى وسائل النهوض باللغة العربية؟

والإجابة عن هذا التساؤل صعبة وغامضة وتحتاج إلى تحديد دقيق. ونقترح فى هذا المجال ما يأتى:

أولا: الإفراج عن اللغة العربية، بأن يسمح حراسها لها بأن تدخل إلى محرابها المقدس مفردات الحضارة الحديثة، والعلوم الوافدة. متأسين فى ذلك بصنيع القدامى فى العصر العباسي، الذين أدخلوا إلى اللغة العربية ألفاظ الحضارة والعلوم الجديدة: مثل الفلسفة والمنطق والجغرافيا، والطب، والرياضيات. ، والهندسة والفلك إلى غير ذلك من العلوم الأخرى التى وفدت على البيئة العربية. ولا تزال مفردات هذه العلوم تعيش فى الفصحى

المعاصرة، وانتقل أكثرها إلى اللغات الأوربية الحديثة.

ولا مجال هنا للتخوف الذى يبديه البعض من طغيان اللغات والمصطلحات الأجنبية على اللغة العربية فى عصر العولمة، فإن وظيفة اللغة تتحدد فى قدرتها على التعبير عن ثقافة الإنسان الحديث وتصوير مشاعره ـ وقد ثبتت اللغة العربية فى العصور العباسية للترجمة من اللغات الوافدة بعد اتساع رقعة العالم الإسلامى واختلاط العرب بغيرهم من أبناء الشعوب الأجنبية، واستيعاب ثقافاتهم وعلومهم كما قلنا ـ وتطورت اللغة بفضل الثقافات الجديدة، وأوضحت لغة أدبية وعلمية مثل غيرها من اللغات الأخرى الراقية، فلماذا لا نسمح للغة العربية بما تطورت إليه اللغات الأجنبية حتى نستطيع أن نفكر بها، وأن نعبر من خلالها عن تطورنا وعلومنا وثقافاتنا؟

ثانيا: تدريس اللغة العربية فى الكليات الجامعية والمعاهد العليا بوصفها اللغة القومية، التى يحاضر بها المتخصصون، ويؤلفون.

ثالثا: العدول عن فصل النحو والصرف عن النصوص الأدبية، والعودة إلى استخلاص قواعدهما من النصوص المدروسة.

رابعاً: أن تتم دراسة اللغة من خلال نصوص أدبية مختارة، تلائم الأذواق الحديثة، وتحقق مستوى لغويا راقيا، وتدرس دراسة تحليلية، لاستخلاص مقوماتها الفنية واللغوية.

اليـوم الثامـن

تطوير منهجية التعليم الجامعى

التعليق على موضوع : مخطط عاجل للتدريس

المصدر : دراسات المجالس القومية المتخصصة

تطوير منهجية التعليم الجامعى والعالى

يتعرض المجتمع المصرى - شأنه فى ذلك شأن المجتمعات المتقدمة التى تسعى نحو التقدم - لتغيرات ثقافية متنامية ومتسارعة نتيجة العديد من العوامل، من بينها ذلك التقدم العلمى والتكنولوجى الهائل والمذهل، والانفتاح الثقافى على المجتمعات الأخرى.

وتعد الجامعات والمعاهد العليا - وهى التى تمثل نهاية السلم التعليمى - من أهم المؤسسات التربوية والاجتماعية التى ينشؤها المجتمع لصالح أبنائه وتسهم الجامعات فى إنتاج المعرفة، كما أنها تعتبر أحد المنابع الأساسية التى تقوم بتلبية احتياجات سوق العمل من التخصصات المختلفة، وتهدف إلى الإسهام فى تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع، والمحافظة على تراثه وثقافته، وتكوين جيل من العلماء قادر على تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع، وإعداد المواطن المتسلح بالمعلومات المناسبة للمشكلات والعقبات التى تواجه الإنتاج والخدمات، ومن ثم كان الاهتمام بالتعليم العالى والجامعى وتطويره. والتأكيد على جودة مخرجاته، أمراً ضرورياً وهاماً وملحاً.

ومن الطبيعي أن ننظر إلى التعليم الجامعى والعالى على أنها جزر منفصلة عن باقى المؤسسات التربوية.

وهذا الأمر يلقى مسئولية كبيرة على الجامعات والمعاهد العليا ومحاولة معالجة ما قد يظهر من أوجه القصور فى إعداد الطلاب فى مرحلة التعليم العام.

وتستهدف هذه الدراسة منهجية التلعليم الجامعى والعالى فى جامعاتنا ومعاهدنا العليا، ولتحقيق الأهداف المرجوة والمنشودة نحو الارتقاء بمستوى هذا التعليم وجودته.

مفهوم منهجية التعليم الجامعى والعالى:

ويقصد بمنهجية التلعيم الجامعى والعالى وسائل وأساليب الأداء التى تسهم فى تحقيق أهداف التلعيم الجامعى والعالى نحو الارتقاء بمستوى الخريج وتنمية قدراته على التفكير العلمى والإبداع وتزويده بالمعلومات الحديثة والمهارات، بما يواكب المتغيرات الكبيرة والمتسارعة على المستويين المحلى والعالمى، وتلبية احتياجات، وإعداد جيل من العلماء القادرين على تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع، وسوف يتم التركيز فى هذه الدراسة على أهداف التلعيم الجامعى والعالى، والجوانب الخاصة بأعضاء هيئة التدريس، والطلاب، والتفاعل بينهما، والمحتوى الدراسى، وطرائق التدريس، وأساليب التقويم والتأكيد على الشخصية العلمية المستقلة لكل جامعة أو معهدٍ عالٍ.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة فيما يلي:

١ ـ أنه على الرغم من الجهود التي تبذل في مجال تطوير التعليم الجامعي والعالي بوجه عام، إلا أنه من الملاحظ أنه لم يحقق الكثير من أهدافه بصورة مناسبة، حيث لم يتحقق النمو الشامل المتكامل للخريج من النواحي العقلية والدينية والاجتماعية والخلقية والسلوكية والوجدانية على الوجه الأكمل، ولعل السلوكيات التي يتصف بها بعض الشباب الجامعي، والأمية الثقافية منهم، بل وانحراف بعضها عن القيم الرفيعة للمجتمع لخير دليل على ذلك.

٢ ـ أنه نظرا لما يحدث اليوم من تغيرات علمية وتكنولوجية وثقافة متنامية ومتسارعة، وحاجة الطلاب إلى التزود بمهارات عقلية واجتماعية ويدوية ومهارات اتصال، إلى غير ذلك، فإنه يجب إعادة النظر في منهجية التلعيم الجامعي والعالي، وزيادة الاهتمام بالتعليم الذاتي، وإعداد الطلاب ليمكنهم استيعاب احتياجات العصر ودراسة التخصصات الحديثة كالهندسة الوراثية، والتكنولوجيا الحيوية، وهندسة النظم الحيوية إلى غير ذلك.

٣ ـ أن النمو الهائل والمتنامي والمسارع في المعرفة والفكر والاختراعات والثورة في مجال التكنولوجيا المتقدمة ووسائ الاتصال الحديثة... إلخ، يتطلب أن يواكبه تطور مماثل في برامج التعليم الجامعي والعالي بوجه عام، إلا أنه يلاحظ أن ذلك لم يتحقق بالصورة المناسبة، وقد أدى ذلك إلى

عدم امتلاك بعض الخريجين للقدرات والمهارات التى تتطلبها قطاعات العمل المتطورة، كما لم يتم تطوير وتحديث المعارف والمعلومات التى يتم تدريسها بالقدر الكافى.

بعض المرتكزات الأساسية لتحقيق تطوير منهجية التعليم الجامعى والعالى:

يمكن تصنيف المرتكزات اللازمة لتحقيق تطوير ومنهجية التعليم الجامعى والعالى فى المحاور التالية:

أولاً: تطوير أهداف الجامعة، وتوفير الإمكانات المختلفة لتحقيق هذا التطوير:

١ ـ الاهتمام بوضع فلسفة واضحة للتعليم الجامعى والعالى وتحديد أهداف فى ضوء المتغيرات العلمية والتكنولوجية والثقافية الحديثة، والمنتظر أن تحدث مستقبلا بما يهدف الى تحقيق القدرة على مواجهة هذه المتغيرات والتحديات وذلك من خلال تحسين وتجويد العملية التعليمية.

٢ ـ وضع تصور لتحديد الاحتياجات المستقبلية لإعداد العاملين والمتخصصين المؤهلين تأهيلا جيدا فى التخصصات المختلفة ليتم فى ضوئها وضع سياسة القبول بالجامعات والمعاهد العليا.

٣ ـ أن يكون لكل جامعة أو معهد عال شخصية لها طابعها الخاص بما يسهم فى ارتباط الجامعة بالبيئة والمجتمع المحلى الذى يحيط بها. وأن تبرز فى كل منها التخصصات التى تسهم فى تنمية هذه المجتمعات والعمل على أن تكون بكل جامعة مدارس علمية متميزة فى تخصصات معينة.

٤ ـ زيادة الموارد المالية لكل جامعة حتى تستطيع تحقيق أهدافها وطموحاتها.

ثانيا: بالنسبة للطلاب:

١ ـ الحرص على ألا تكون زيادة أعداد الطلاب الذين يقبلون بالجامعات والمعاهد العليا على حساب الكيف، حيث يرى التركيز على إعداد نوعية متميزة من الخريجين.

٢ ـ زياد الاهتمام بأن يقوم الطالب بدور إيجابى فى العملية التعليمية ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال أساليب متنوعة، منها الآتى:

(أ) ألا يكون أسلوب المحاضرة هو الأسلوب السائد فى التعليم الجامعى وأن يتم الأخذ بأسلوب حلقات المناقشة والحوار وتبادل الآراء، وإعمال الفكر... إلخ.

(ب) الاهتمام بالتعليم الذاتى: حيث يتم تشجيع الطلاب على ممارساته، واعتمادهم على أنفسهم فى الحصول على المعلومات.

(جـ) الاهتمام بتوفير الاستقلالية للطالب فى جو ديمقراطى يمكنه من أن يتمتع بالحرية فى التعبير عن آرائه، احترام الرأى الآخر فى نطاق منظم لا يطغى فيه على زملائه..

(د) توفير مصادر المعرفة المختلفة للطالب الجامعى مع توجيه إلى عدم الاعتماد على ما يسمى بالكتاب الجامعى أو المذكرات الجامعية وتوفير الخدمة الكتبية المتميزة وإتاحة الكتب والدوريات العلمية بصورة دورية منتظمة وكذلك توفير وسائل الاتصال الحديثة.

(هـ) الاهتمام باكتساب الطالب للمهارات المتنوعة (العقلية واليدوية والاجتماعية ومهارات الاتصال... إلخ، ويتطلب ذلك زيادة الاهتمام بالجانب العلمي والتطبيقي في العملية التعليمية، وتوفير المعامل والورش ومحطات التجارب المتطورة والحديثة.

٣ - الاهتمام بالأنشطة الطلابية المختلفة، ودعم وتنشيط دور اتحاد الطلاب في مجالات (الأنشطة الثقافية، والاجتماعية، والرياضة، والفنية، والرحلات، والجوالة، نظام الأسر.. إلخ).

ثالثا: بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم:

١ - أن يتم التعيين في وظائف هيئة التدريس عن طريق الإعلان، مع وضع هياكل علمية لوظائف هيئة التدريس بالأقسام العلمية، مع وضع ضوابط ومعايير تضمن تعيين النوعيات المتميزة على المستويين المحلي والعالمي، وإتاحة وتيسير سبل حصولهم على المعلومات بالطرق الحديثة وتوفير المراجع والدوريات العلمية الحديثة بانتظام، وكذلك توفير المناخ المناسب.. إلخ.

٢ - أن يستبدل بنظام تعيين المعيدين نظام تعيين طلاب البحث للدراسة لدرجة الماجستير، ومن يثبت منهم كفاءته ونجاحه يستمر في دراسته للحصول على الدكتوراه، كما يتم تعيين من يثبت كفاءته وقدراته واستعداداته وإمكاناته للانخراط في سلك وظائف التدريس في وظيفة مدرس.

٣ - الاهتمام بتشجيع التفاعل والترابط بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب، ويمكن أن يتم ذلك خلال تطوير نظام الريادة العلمية للطلاب

تحت إشراف أعضاء هيئة التدريس، ووضع صيغة علمية منضبطة لتطبيقه لتحقيق الأهداف المنشودة منه.

رابعا: تطوير المحتوى العلمى للبرامج الدراسية:

١ ـ الاهتمام بربط المحتوى بأهم قضايا المجتمع ومشكلاته وذلك طبقا لنوعية الدراسة بكل كلية وطبيعة المقرر الدراسى، وبما يتفق مع رغبات الطالب واحتياجاته وذلك حتى يمكن أن يسهم فى شعور الطالب بأن ما يدرسه يمكن أن يفيده فى حياته العلمية بعد التخرج كى يفيد المجتمع الذى ينتمى إليه.

٢ ـ الاهتمام بتضمين المحتوى الدراسى جانبا علميا أو تطبيقا طبقا لطبيعة كل مقرر دراسى، حيث يسهم ذلك فى اكساب الطلاب المهارات المتنوعة، بالإضافة إلى تأكيد الفائدة العلمية من المعلومات التى يتلقونها.

٣ ـ الاهتمام بعمل توصيف للمحتوى العلمى المقرر يلتزم به أعضاء هيئة التدريس الذين يقومون بتدريسه.

٤ ـ الاهتمام بالمكتبة الجامعية وتزويدها بالمراجع والدوريات العلمية باستمرار، ورفع مستوى الخدمة المكتبية واستخدام الوسائل الحديثة فى نقل المعلومات والحصول عليها واسترجاعها، وإيجاد الحلول المناسبة لما يسمى بقضية الكتاب الجامعى وذلك من خلال وضع ضوابط للتأليف ووضع نظام للتقييم العلمى لمحتويات الكتاب بما يضمن ارتفاع المستوى العلمى للكتاب وإخراجه.

خامسا: تطوير طرائق التدريس:

الاهتمام بتطوير طرائق التدريس وتحديثها بما يحقق المشاركة الإيجابية للطلاب، ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال الآتى:

١ ـ الاهتمام بتنوع طرائق التدريس. وعدم الاقتصار على استخدام أسلوب المحاضرة، واستخدام طرائق التدريس التى تسهم فى تحقيق المشاركة الإيجابية للطلاب، وتنمية القدرات العقلية العليا وحفزها واستخدام الأسلوب العلمى فى التفكير، والتفكير الابتكارى، والتخيل، والتصور.. إلخ ومن أمثلة هذه الطرق أسلوب حل المشكلات، وأسلوب العصف الذهنى. والأسلوب الاستقصائى... إلخ.

٢ ـ الاهتمام باستخدام أسلوب التعليم الذاتى لدى الطلاب حيث يسهم ذلك فى الحصول على المعلومات التى يريدونها. والتوصل بأنفسهم للمعرفة.

٣ ـ الاهتمام بادخال الوسائط التربوية المختلفة وخاصة الوسائط المتعددة، لما لها من عائد إيجابى فى تأكيد المعلومات وجذب اهتمام الطلاب.

سادساً: تطوير النظام الحالى للامتحانات:

وذلك من خلال استخدام نظام التقويم الشامل بدلا من الاعتماد كلية على نظام الامتحانات الذى عادة ما يهتم بقياس الحفظ والاستظهار.

ويمكن أن يتحقق تطوير النظام الحالى للامتحانات على النحو التالى :

١ ـ تحسين نظام الامتحانات المتبع حاليا من خلال النظر إلى الامتحان على أنه ليس منعزلا عن العملية التعليمية، ولكنه جزء مكمل لها، ويجب أن يستخدم مردوده كركيزة لتطوير العملية التعليمية.

٢ ـ أن تتضمن أسئلة الامتحانات ليس فقط ما تختزنه الذاكرة ولكن يجب أن تشتمل على ما يحقق إعمال العقل والفكر.

٣ ـ توافر الخصائص والسمات المميزة للتقويم السليم الذى ينتظر أن يحل محل الامتحانات مستقبلا، ومن أنواع ذلك التقويم: التقويم المبدئى ـ والتقويم التكوينى ـ والتقويم التجميعى ومن خصائصه الاستمرارية والشمول والعمق والتنوع.. إلخ.

التوصيـــات

تتمثل أهمية هذه الدراسة فى الإسهام فى الارتفاع بمستوى الجودة لمخرجات العملية التعليمية والبحثية بالجامعات والمعاهد العليا، وإعداد خريج يستطيع التكيف مع احتياجات المجتمع وتطوراته المستقبلية، وكذلك الإسهام فى علاج بعض أوجه القصور التى تشوب العملية التعليمية فى الجامعات والمعاهد العليا.

وفيما يلى بعض المحاور التى تمثل عناصر تطوير منهجية التعليم الجامعى والعالى.

أولاً: تطوير أهداف الجامعة وفلسفتها .. وتوفر الإمكانات المختلفة :

١ ـ الاهتمام بوضع فلسفة واضحة للتعليم الجامعى والعالى وتحديد أهدافه فى ضوء المتغيرات العلمية والتكنولوچية والثقافية الحديثة، والمنتظر أن تحدث مستقبلا بما يهدف الى تحقيق القدرة على مواجهة هذه المتغيرات والتحديات وذلك من خلال تحسين وتجويد العملية التعليمية.

٢ ـ التأكيد على اهتمام الجامعات والمعاهد العليا بوضع خطط مستقبلية لتطوير التعليم الجامعى والعالى والعمل على توفير التمويل اللازم لذلك.

٣ ـ الاهتمام بتحقيق شخصية متميزة ومنفردة لكل جامعة أو معهد عال، وذلك فى ضوء طبيعة البيئة المحيطة بها، والمجتمع المحلى، والمواد الخام، والإمكانات المادية والبشرية المتاحة والمدارس العلمية المتخصصة بالجامعة.

٤ ـ اهتمام كل جامعة أو معهد عال بإيجاد آلية تسمح بتوصيل نتائج البحوث الجامعية وتسويقها للاستفادة منها فى ميادين الإنتاج والخدمات مما يضيف إلى الموارد المالية للجامعة.

٥ ـ إعادة النظر فى قانون تنظيم الجامعات لائحته التنفيذية بما يحقق تطوير أهداف الجامعة وفلسفتها، مع توفير الامكانات المادية والبشرية اللازمة لتحقيق ذلك.

٢ ـ ثانيا : الطلاب :

١ ـ أن يراعى تقليل أعـداد الطلاب فى المدرجـات وقـاعـات الدرس بصورة تسمح بالحوار والمناقشة وتنمية قـدرات الطالب العقلية، وتنمية ملكات الابتكار، والمبـادأة، واسـتقلال الفكر، وممارسة الحرية المنضبطة والتكوين المتكامل للشخصية.. الى غير ذلك.

٢ ـ وضع نظام فى برامج الدراسة يتضمن خروج الطالب من كليته أو معهده إلى المؤسسات الإنتاجية والخدمية والبيئة المحلية من خلال القيام بزيارات علمية، والإقامة فى معسكرات، والقيام بدراسات بيئية تتناسب وتتماشى من طبيعة ومجال دراسته المختلفة للطلاب.

٣ ـ توجيه الطالب وتشجيعه على الاعتماد على نفسه فى التوصل للحقائق. ويمكن أن يتحقق ذلك خلال تشجيع التعلم والذاتى وتعميق دراسته فى المجالات العلمية والتطبيقية مع اعتبار هذه المجالات مكملة للدراسة النظرية، كذلك العمل على توفير مصادر المعرفة المختلفة والتدريب على استخدامها والإفادة من إمكاناتها مثل الكومبيوتر، وشبكة الإنترنت، وغيرها، وكذلك توفير الكتب والمراجع والاهتمام بإنشاء المكتبات الحديثة الشاملة وتحسين الخدمة المكتبية.

٤ ـ الاهتمام بتوفير مبدأ اختيار الطالب لبعض مقررات الدراسة التى تتفق مع رغباته وميوله واستعداداته ومواهبه وقدراته الخاصة، وإشباع الحس الفنى والتذوق الجمالى والثقافى للطلاب، وذلك من خلال الاهتمام بالموسيقى والفنون التشكيلية والمسرح وغيرها من مجالات الأنشطة المختلفة التى تسهم فى تكوين الشخصية السوية للطالب.

٥ ـ الاهتمام بترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية السليمة لدى الطالب، وذلك بتوفير المناخ المناسب وتحقيق الرابط والتفاعل بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، وأن يمثل عضو هيئة التدريس القدوة الحسنة للطالب.

٦ ـ التوسع في دعوة بعض العلماء والخبراء المتخصصين والمتميزين على المستويين المحلى والعالمي لإلقاء المحاضرات وعرض خبراتهم العلمية والفنية، ونتائج جهودهم البحثية والتطبيقية للاستفادة منها وتحفيزا للطلاب.

٧ ـ دعوة بعض رجال الأعمال البارزين وخبراء الصناعة الأكفاء للمساهمة في التدريس وإعطاء خبراتهم للطلاب، ومن خلال عقد ندوات يتعرف الطلاب فيها على متطلبات سوق العمل احتياجاته والمهارات المطلوبة في التخصصات المختلفة.

٨ ـ تنمية الثقافة والحس الفنى والتذوق الجمالى لدى الطلاب.

ثالثا: أعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم:

١ ـ وضع نظام فعال لإعداد المعلم في مجال التعليم الجامعي والعالى، وتدريب أعضاء هيئة التدريس على استخدام تكنولوچيا التعليم في التدريس والتعرف على أسلوب تشغيل الأجهزة،، وإنتاج البرامج والمواد التعليمية، على أن يعتبر ذلك ضمن المعايير التى توضع لتقييم عضو هيئة التدريس وتعيينه فى وظائف أعلى.

٢ ـ التأكيد على توفير أوجه الرعايا العلمية والصحية والاجتماعية والمادية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمعاهد لحفزهم على بذل

المزيد من الجهد وترغيبهم للتفرغ لمهامهم التدريبية والبحثية دون تشتيت لجهودهم لتوفير الحياة الكريمة لهم ولأسرهم.

٣ ـ إعادة النظر فى أسلوب تعيين المعيدين،. وإيجاد نظام بديل يسمح بانتقاء العناصر الصالحة من الخريجين وتعيينهم كطلاب بحث فى البداية، ومن تثبت صلاحيته يسجل لدرجة الماجستير، ثم لدرجة الدكتوراة ثم يعين فى درجة مدرس من يثبت صلاحيته للتعيين فى وظائف هيئة التدريس.

٤ ـ الاهتمام بتقسيم الطلاب الى مجنموعات صغيرة حتى يتسنى إحداث التفاعل بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب، وذلك فى ضوء الإمكانات المتاحة بكل كلية. ويمكن أن يتحقق هذا التفاعل من خلال تدريس أعضاء هيئة التدريس للطلاب، أو من خلال نظام الريادة العلمية، وكذلك من خلال ريادة أعضاء هيئة التدريس على الأنشطة الطلابية.

٥ ـ وضع الأساليب التى تؤدى إلى توثيق العلاقة بين الطالب والأستاذ.

٦ ـ وضع دستور ينظم آداب المهنة بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمعاهد العليا.

رابعا : المحتوى العلمى للبرامج الدراسية :

١ ـ تطوير المحتوى الدراسى للمقررات المختلفة بما يساير التطورات العلمية الحديثة والتغيرات العالمية المتسارعة والمتنامية بما يؤدى فى النهاية لخدمة قضايا المجتمع، وعمل توصيف للمحتوى المقرر حتى لا يتغير المحتوى بتغير الأشخاص.

٢ ـ الاهتمام بإدخال التخصصات الحديثة في برامج الجامعات والمعاهد العليا والمقررات الدراسية بما يتمشى مع علوم المستقبل مثل: هندسة الچينات، والطاقة البديلة والمواد وتكنولوچيا الفضاء، والطاقة النووية، والليزر، والبروكيماويات.. إلخ.

٣ ـ الاهتمام بالجانب التعليمى والتطبيقى الذى يسهم فى إكساب الطلاب المهارات المتنوعة.

٤ ـ وضع ضوابط لتأليف الكتب الجامعية، ووضع نظام للتقييم العلمى لمحتوى الكتب التى يسمح بنشرها وتداولها.

خامسا: تطوير طرائق التدريس:

١ ـ الاهتمام بتنوع طرائق التدريس وخاصة تلك التى تسهم فى تنمية القدرات العقلية العليا لدى الطلاب مثل التفكير الابتكارى والتحليل والتصور واستخدام اسلوب حل المشكلات والأسلوب الاستقصائى وأسلوب العصف الذهنى.

٢ ـ زيادة الاهتمام بإدخال تكنولوچيا التعليم ـ سواء من خلال استخدام الأجهزة التكنولوچية، أو المواد والبرامج التعليمية.

٣ ـ تشجيع الطلاب على استخدام التعلم الذاتى كأحد أساليب التدريس، ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال حفز الطلاب على الحصول على الحقائق والمفاهيم العلمية بأنفسهم.

سادساً: تطوير نظم الامتحانات:

بحيث لا يقتصر أهدافها على قياس القدرة على الحفز والاستظهار واسترجاع المعلومات، بل التركيز على قدرة الطالب على التفكير والتحليل والاستنباط والابتكار، ويتطلب ذلك الاهتمام بالتقويم بمفهومه الشامل.

الإصلاح الاقتصادى فى تسعة عشر عاماً
من عهد مبارك
(المنجزات والخطط المستقبلية)

من واقع تقرير الحكومة المصرية المقدم لمؤتمر عمان ١٩٩٥م

باللغة الإنجليزية وهذه الإنجازات تعتبر قنطرة العبور المصرية

للقرن الحادى والعشرين



السيد الرئيس / محمد حسني مبارك
رئيس الجمهورية

تقديم

مازالت موجات الأحداث تتوالى فى تدفقها دون انقطاع، ورياح التغيير تتابع فى هبوبها دون هوادة، فما تكاد إحدى الموجات ينتهى مدها حتى تأتى فى أعقابها أخرى؛ حاملة ملامح جديدة تضيف إلى كل حدث سابق ملحماً يؤكد أن عالمنا فى طريقه إلى مخاض من نوع غير مألوف.

وليس من اليسير التنبؤ بما ستكون عليه صورة العالم فى القرن القادم ولكننا نستطيع أن نمسك بإرادتنا لنصنع لأنفسنا رؤية قومية، نستقرأ من خلالها نتائج سلوكنا فى الماضى، ونمعن النظر فى الحاضر، ونستشرف بها آفاق المستقبل، مع ضرورة إدراك الأبعاد على المدى القريب والمدى المتوسط والمدى البعيد، إذ لدينا من الخبرات والخبراء ما نستطيع بها وبهم أن نستوعب الفوارق بين الممكن والمستحيل، وما يمكن أن نحققه فى المدى المنظور على أقل تقدير.

ومن هنا كان اهتمام هذه الموسوعة أن تضرب فى أعماق الزمان للتعرف على جذور بعض المشكلات التى واجهتنا، وبعض العقبات التى

أثرت على خطانا، وعلى علاقتنا ببعض الفرقاء، سواء فى الجوار القريب، أو البعيد، أو فى بعض أركان العالم الشاسع المليئ بالصراع، والمضطرب بعوامل التقدم فى جانب، والمزدحم بأسباب التخلف والتراجع فى جانب آخر.

وعلى الرغم من إدراكنا لحقيقة ما تعرضنا له - منذ نصف قرن أو يزيد - مما أفقدنا كثيراً من المزايا والمقومات، بمعرفة بعض القوى ذات التأثير العالمى على مجريات الأمور فإننا لانسعى إلى الصراع مع قوى بعينها، ولا نرغب فى الشقاق مع آخرين، ولكننا نسعى إلى حقنا فى ألا تقتلع جذورنا من أصولها، وألا نتخلى عن ذاتيتنا، وألا نفقد مصالحنا التى تأثرت؛ بسبب بعض المتغيرات، إلى حد يستدعى يقظة تناسب ما يتكالب علينا من أحداث، وإلى عزيمة لا تفلها الضغوط.

وحين نسعى إلى ذلك، فإننا على يقين من أن قياداتنا الواعية تدرك أكثر مما ندركه، وتستوعب من القواعد الحاكمة للأمور أكثر مما نستوعب، أن الآمال التى تراودنا أن تلوح لنا؛ فى فكر القيادة وفى تصميمها وعزيمتها ما سيدفع بها إلى دنيا الواقع وإلى مجال التطبيق. وفى هذا يغنينا عن الافاضة والشروح. وبهذا اليقين نلقى نظرة ختامية على بعض الملامح البارزة من حولنا، مع ايماننا بأن كلا منها معرض للتغيير حتى قبل أن يجف هذا المداد، وكل ما نرجوه أن يكون التغيير إلى الأفضل وإلى خير ما ندعو وما نريد.

تمهيد :

ـ على مدار ١٩ عاماً ن حكم مبارك (١٩٨١ ـ ٢٠٠٠) اهتمت الحكومة بالسير قدماً فى مجال الإصلاح الاقتصادى فى مختلف المجالات، ومن ذلك:

١ ـ مجال النقل والمواصلات.

٢ ـ تنمية الكهرباء والطاقة.

٣ ـ البترول.

٤ ـ الزراعة.

٥ ـ الصناعة والتجارة.

٦ السياحة.

٧ ـ الثقافة وحفظ التراث.

٨ ـ تنمية الموارد البشرية.

٩ ـ التكنولوچيا العالية.

١٠ ـ المعلومات.

١١ ـ البيئة.

١٢ ـ البحث والتنمية.

١٣ ـ المياه.

ـ وقد كان هذا الاهتمام بالإصلاح الاقتصادى تعبيراً عن رغبة مصر ـ مبارك فى دخول القرن الواحد والعشرين من باب التحديث والعصرية واللحاق بمستجدات العالم الحديث.

ـ وقد ظهر الاهتمام واضحاً بالتركيز على البنية الأساسية فى مصر بوصفها عاملاً هاماً فى مجال الإصلاح الاقتصادى.

ـ وقد ظهر الاهتمام فى الخطط المستقبلية لمصر ـ مبارك والتى قدمتها فى دراسة مكثفة إلى المؤتمر الاقتصادى الإقليمى الذى عقد فى أكتوبر ١٩٩٥ فى عمان.

ـ وقد وضح من هذه الدراسة المستقبلية أن مصر لن تترك الساحة خالية أمام التحرك الاقتصادى الإسرائيلى، انطلاقاً، من حقائق المنطقة وأولها قيادة مصر ودورها الرائد، استناداً إلى إمكاناتها السياسية والبشرية والمادية.

ـ ونلقى فيما يلى نظرة سريعة على مجمل اهتمامات مصر ـ مبارك ومنجزاتها وخططها المستقبلية.

أولا - فى مجال النقل والمواصلات :

١ - اهتمت الحكومة فى عهد مبارك بتنمية شبكة مواصلات بحرية وبرية وجوية. كما وضعت التصورات لربطها بالطرق الإقليمية، لأن ذلك هو أساس التوسع الاقتصادى والتعاون فى منطقة الشرق الأوسط، وتؤدى إلى سهولة انتقال الأشخاص والسلع عبر الحدود وإلى اتساع السوق فى المنطقة.

- وهذا الاهتمام بالنقل والمواصلات يخدم قطاعات متعددة أبرزها السياحة والصناعة ويؤدى إلى قيام تنافس مرغوب، يؤدى بدوره إلى خفض التكاليف.

- وقد اهتمت مرحلة مبارك بتنمية وسائل النقل لأنها استوعبت متطلبات مرحلة ما بعد السلام، وعمدت إلى الاستفادة من عائداتها، وخاصة أن المنطقة إبان الحروب كانت ممزقة الأوصال، وتغير هذا الواقع بعد السلام لتجد المنطقة أمامها آفاقاً واسعة فى مجال النقل والمواصلات.

(أ) الطرق السريعة والطرق العادية :

- وقد وضح اهتمام مصر - مبارك فى هذا المجال بدراسات الجدوى والتمهيدات لإنشاء الطرق الهامة التالية، والتى قدمت كما قلنا إلى مؤتمر عمان/١٩٩٥:

(أ) الطريق الساحلى عبر سيناء على الساحل المتوسط.

(ب) الطرق التى تعبر الممرات فى سيناء، فى اتجاه طرق الربط الأخرى فى منطقة السلطة الفلسطينية والأردن وإسرائيل.

(جـ) طرق الممـرات والتى تربط بين السـويس ورأس النقب، وترتبط بالطرق الموصلة إلى منطقة خليج العقبة.

(د) الطريق الدائرى حول العقبة.

(هـ) الإسراع بإنهاء الطريق الساحلى فى شمال إفريقيا، والذى يربط الدول العربية فى الشمال بمصر وبآسيا.

(ب) السكك الحديدية:

* العمل على إعادة الحياة إلى الخط الحديدى الذى يتحرك من سملا حتى السلوم.

* الخط الحديدى بين الإسماعيلية ورفح.

(جـ) الكبارى والمعابر الأخرى:

* كوبرى عبر قناة السويس.

* إقامة جسر بين مصر والسعودية.

* إدارة حركة عبور السفن فى خليج السويس.

* تدعيم مركزى تحميل الحاويات فى كل من بورسعيد وموانئ العقبة.

(د) المطارات:

* توسيع وتنمية مطار رأس النقب ليصبح مطاراً دولياً.

٢ - المشروعات:

وهى مشروعات قدمها الجانب المصرى فى المؤتمر الاقتصادى فى عمان (١٩٩٥) ونعرضها فى الجدول التالى:

١٢ مشروع مصرى لتنمية منطقة الشرق الأوسط فى مجال النقل والمواصلات

	طبيعة المشروع	هدف المشروع	المنتفعون بالمشروع	الشركاء	مدة المشروع	الموقف من المشروع	التكلفة التقديرية بالمليون دولارالأمريكى
١	● طرق الممرات والساحل فى سيناء: يبدأ الطريق من السويس إلى العريش ورفح وغزة ويافا وحيفا وبيروت وطرابلس وطرطوس واللاذقية وحلب إلى تركيا بطول إجمالى ١٢٠٠ كم.	إعادة بناء الطريق التاريخى لربط دول شرق المتوسط وأوروبا وشمال إفريقيا. ويغل عائداً اقتصادياً عالياً.	دول شمال إفريقيا مصر ـ فلسطين ـ إسرائيل ـ لبنان ـ وسوريا.	ـ مصر وفلسطين وإسرائيل ولبنان وسوريا.	٢,٥ سنة داخل مصر والمدة الكلية ٦ سنوات.	تم قبول المشروع من مجموعة العمل الكلية.	داخل مصر ٤٠ الكليه ٦٠٠
٢	● ممرات سيناء والطريق المركزى: تدعيم الطريق عبر الكوبرى المقترح فوق قناة السويس ويمتد إلى طابا وإلى الجفجافة وأبو عجيلة والعوجة وصولا إلى كوك والأردن وبطول إجمالى ٤٠٠ كم منها ٢٣٠ كم داخل الأراضى المصرية.	ربط مصر وإسرائيل والأردن وسوريا. اتاحة اتصال بين دول شمال إفريقيا ودول شرق المتوسط. تخفيض الضغط على الطريق الساحلى فى شرق المتوسط.	ـ دول شمال إفريقيا. ـ مصر. ـ إسرائيل. ـ الأردن. ـ سوريا.	ـ مصر. ـ إسرائيل. ـ الأردن.	٣ سنوات للقطاع المصرى	تم قبول المشروع من مجموعة العمل الإقليمية.	فى القطاع المصرى ٤٠
٣	● الممرات فى سيناء والطريق الجنوبى: إنشاء وتدعيم الطريق من نفق أحمد حمدى إلى الشط والتمد والنحل ثم رأس النقب بطول ٣٦٠كم. ثم يتصل بالطريق الدائرى فى خليج العقبة.	ربط دول غرب إفريقيا بإسرائيل والأردن والجزيرة العربية. ويعطى الطريق الدائرى اتصالاً مكثفاً بالمطارات الثلاثة فى شمال خليج العقبة. يسهل المشروع سبل نقل الحجاج. كما تستفيد غزة باستخدام الطريق على طول الحدود المصرية الإسرائيلية من رفح حتى طابا.	ـ دول شمال إفريقيا. ـ مصر. ـ إسرائيل. ـ الأردن. ـ السلطةالفلسطينية. ـ دول الخليج.	ـ مصر. ـ إسرائيل. ـ الأردن.	٣ سنوات		٦٠
٤	● طريق العقبة الدائرى: ربط مصر وإسرائيل والأردن فى مسافة تزيد على ٦٠ كم.	توفير طريق إقليمى يربط مصر وإسرائيل والأردن والسلطة والسلطة الفلسطينية، ويربط الدول العربية	ـ دول شمال إفريقيا. ـ مصر. ـ إسرائيل.	ـ مصر. ـ إسرائيل. ـ الأردن.	من ٢ إلى ٣ سنوات		١٠٠

(تابع) ١٢ مشروع مصرى لتنمية منطقة الشرق الأوسط فى مجال النقل والمواصلات

	ومخطط أن يكون طريق عبور دولى (ترانزيت) بإمكانية دخول محدودة.	فى شمال إفريقيا بالجزيرة العربية ودول الخليج.					
٥	● تطوير وإتمام الطريق الساحلى لشمال إفريقيا: تطوير الطريق داخل ليبيا وتونس والجزائر ومراكش. وسيتم تطوير مسافة ٥٥٦٤ كم من الطريق الذى يمتد ٧٠٠٠ كم.	إتمام الطريق الساحلى بالطول المقترح من القاهرة (مصر) إلى العيون (فى مراكش). ربطه بشبكة الطرق الأوروبية عن طريق معبر جبل طارق المقترح.	- مصر. - ليبيا. - تونس. - الجزائر. - مراكش.	ست سنوات	انتهت مصر من إنشاء الطريق داخل أراضيها	٨٥٠	
٦	● إحياء خط سكك حديد سملا - السلوم: إعادة تصميم الخط ن سملا إلى السلوم. يتضمن المشروع أيضاً القيام بالأعمال المدنية.	تحسين طرق السكك الحديدية للساحل الشمالى بين مطروح وسملا. والامتداد فى المستقبل نحو الغرب للربط مع الدول العربية فى المغرب.		خمسون شهراً		٢٣٠	
٧	● مد خط حديدى بين الإسماعيلية ورفح: إنشاء خط حديدى يربط بالخط الموجود فى مينائى الإسماعيلية وبورسعيد عبر قناة السويس عند الفردان فى الجانب الشرقى على طول المتوسط إلى رفح على طول مسافة حوالى ٢٢٥ كم.	إنشاء خط حديدى فى سيناء للإسهام فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية. والاتصال بشبكة سكك حديد الدول المجاورة.		أربعون شهراً		٢٦٥ بما فى ذلك تكلفة الكوبرى المطلوب عبر قناة السويس.	
٨	● الكوبرى عبر قناة السويس: إنشاء كوبرى معلق (بالكابلات) فوق القسم الشمالى.	ربط آسيا بإفريقيا. كما يتصل بالكوبرى المقترح فى جبل طارق الذى يربط إفريقيا وأوروبا.	مصر تقوم وحدها بالمشروع	دراسة جدوى ١٨ شهراً. ثلاثة سنوات للتنفيذ		١٩٠	

(تابع) ١٢ مشروع مصرى لتنمية منطقة الشرق الأوسط فى مجال النقل والمواصلات

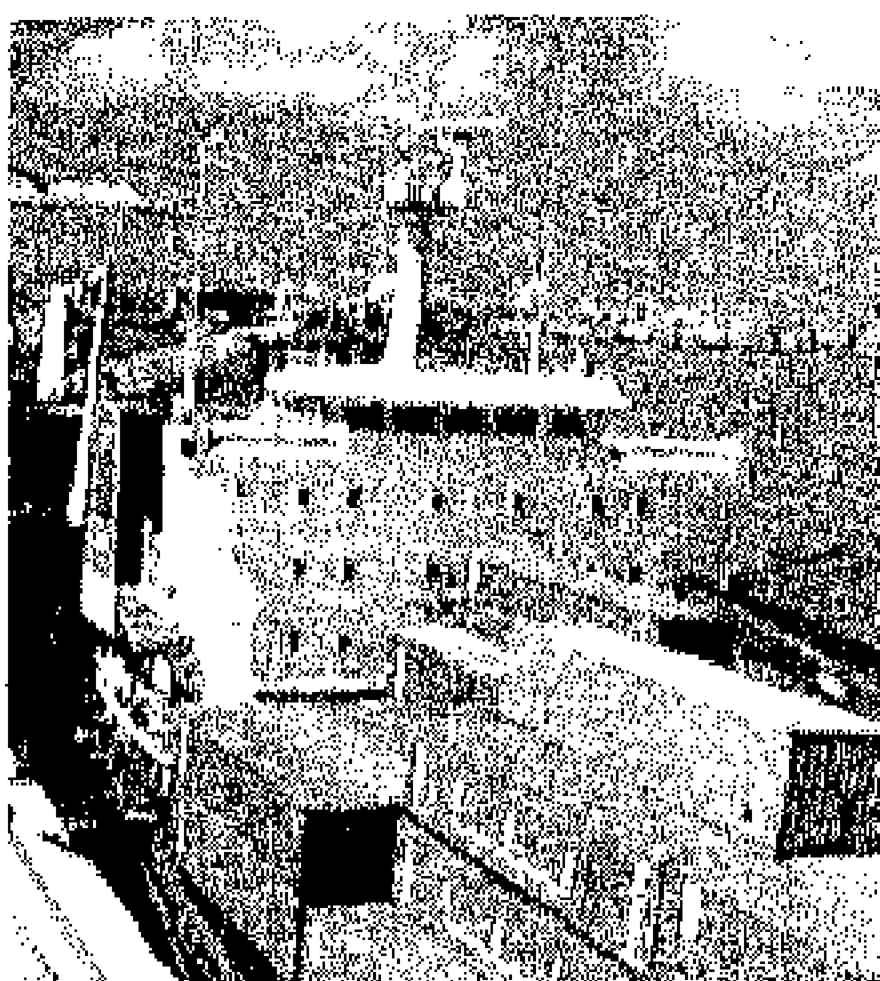
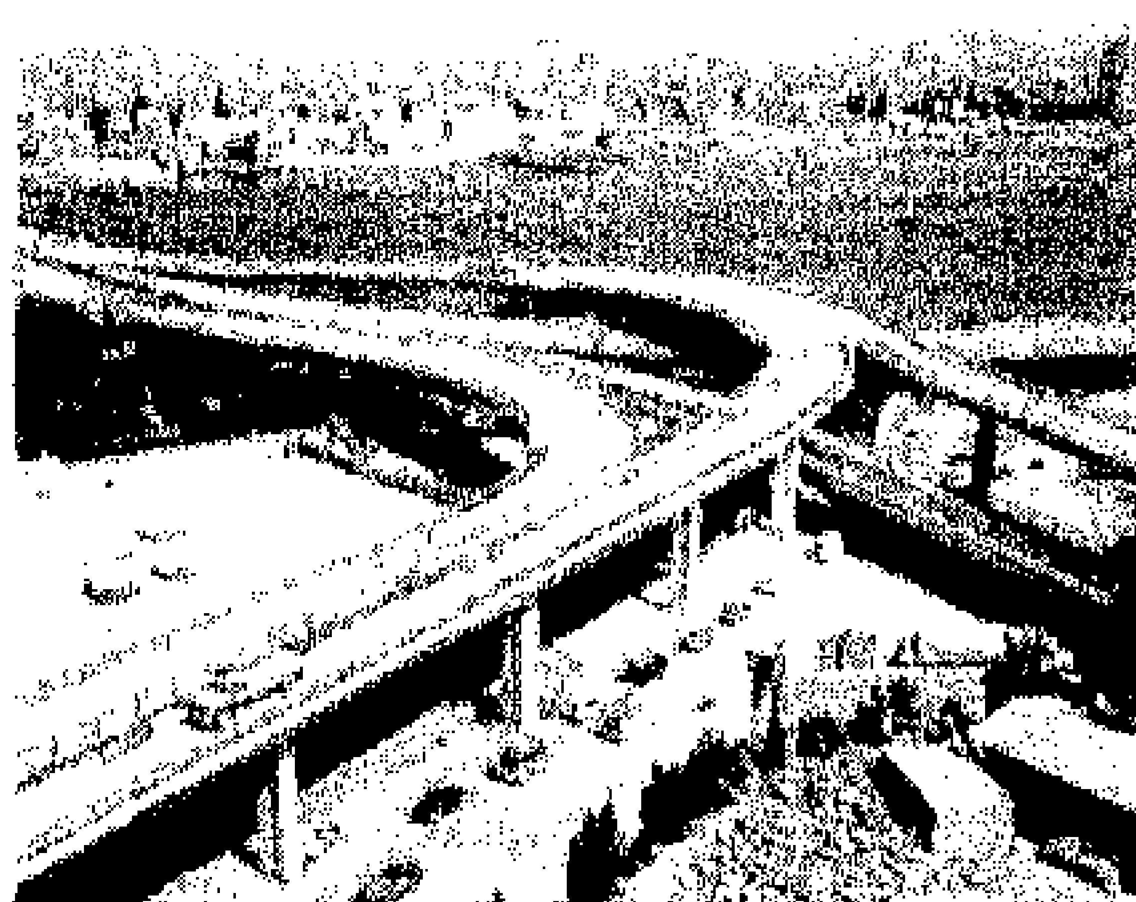
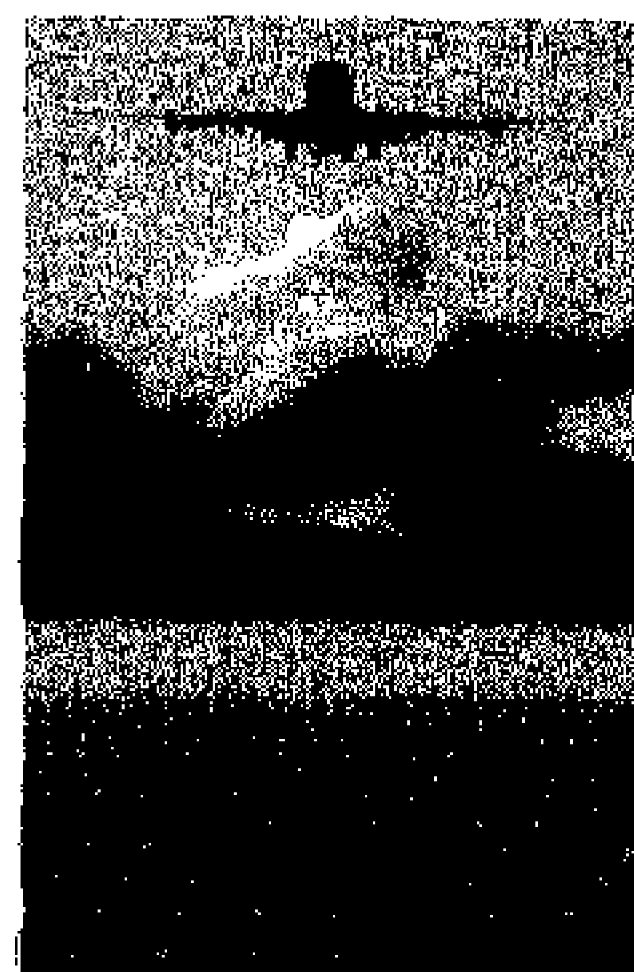
	لقناة السويس يعلو ٧٠ متراً فوق سطح مياه القناة ليسمح بمرور السفن العملاقة.		- إسرائيل. - لبنان. - سوريا				
٩	● **جسر بين مصر والسعودية:** إنشاء جسر بين مصر والسعودية من رأس نصرانى إلى رأس حميد بمسافة ١٥,٦ كم. وهذا يتطلب ازدواج الطريق من النفط إلى رأس نصرانى ويؤدى إلى الجسر.	يربط الجسر قارتى آسيا وإفريقيا. وسيكون الجسر أقصر الطرق بين الجزيرة العربية ودول الخليج وبين دول شمال إفريقيا ومن ثم لأوروبا عبر جبل طارق.	- دول شمال إفريقيا. - مصر. السعودية. - دول الخليج الأخرى.	- مصر - السعودية.	خمس سنوات	٣٦٠٠	٣٦٠٠
١٠	● **إدارة حركة عبور السفن فى خليج السويس:** شبكة رادار تغطى كل منطقة خليج السويس. شبكة اتصالات تربط وحدات نظام الاتصال.	تأمين الملاحة الإقليمية والدولية فى خليج السويس (فى الجنوب).			سنتان	٥٠	٥٠
١١	● **تنمية مراكز تحميل الحاويات فى مينائى بورسعيد والأدبية.** إنشاء أرصفة متعددة الأغراض فى مركز حاويات مجهز بشكل كامل فى ميناء الأدبية.	خدمة حركة الحاويات فى المنطقة فى بورسعيد والأدبية على البحر الأحمر.			سنتان	٨٠	٨٠
١٢	● **توسيع وتنمية المطار الدولى فى رأس النقب:** توسيع وتنمية المطار الحالى فى رأس النقب لخدمة السياحة.	إقامة صالات استقبال الركاب (فى الأغلب دولية). إقامة منطقة حرة بالقرب من المطار.			من ٤ إلى ٥ سنوات	بدأ العمل بالمشروع	١٠٠

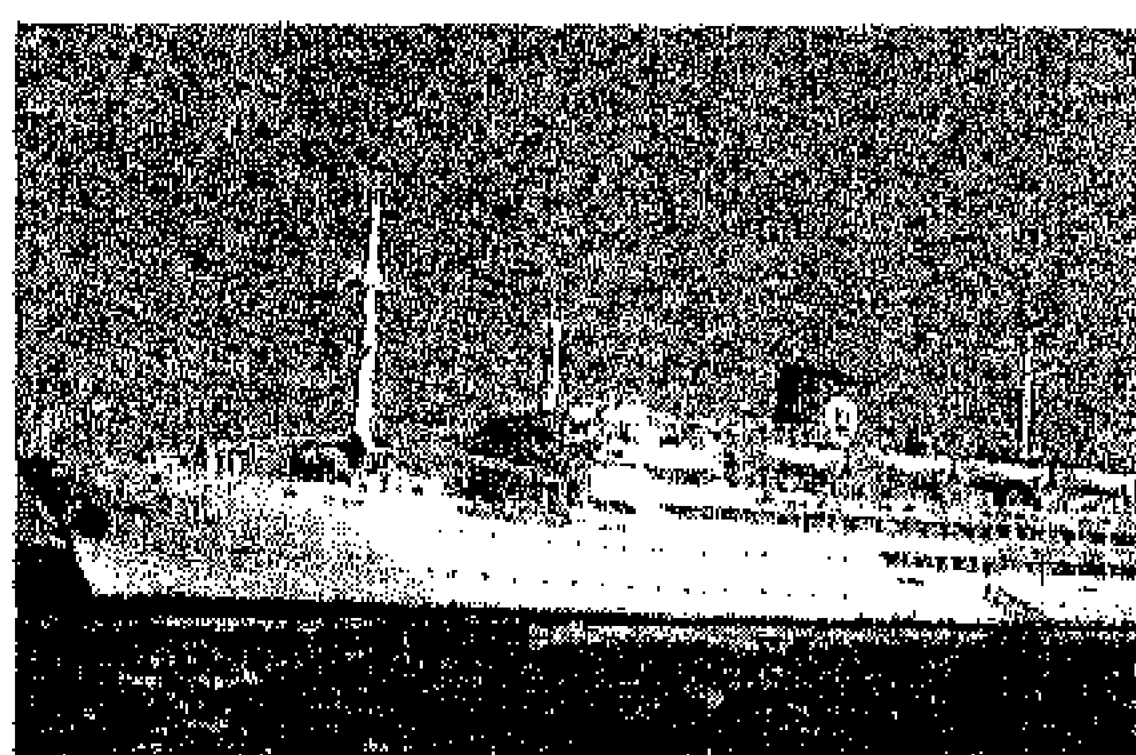
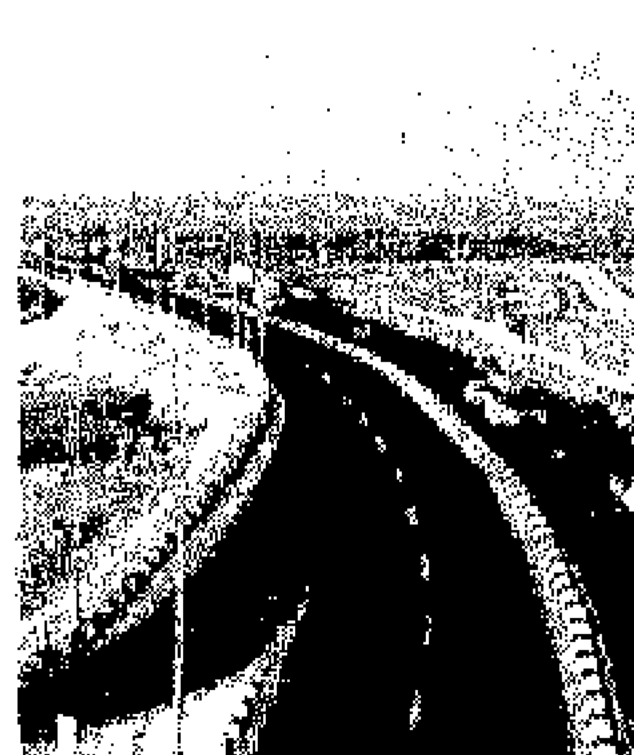
صور

خاصة بإنجازات عهد

السيد الرئيس **محمد حسني مبارك**

خلال ١٨ عامًا في مختلف المجالات

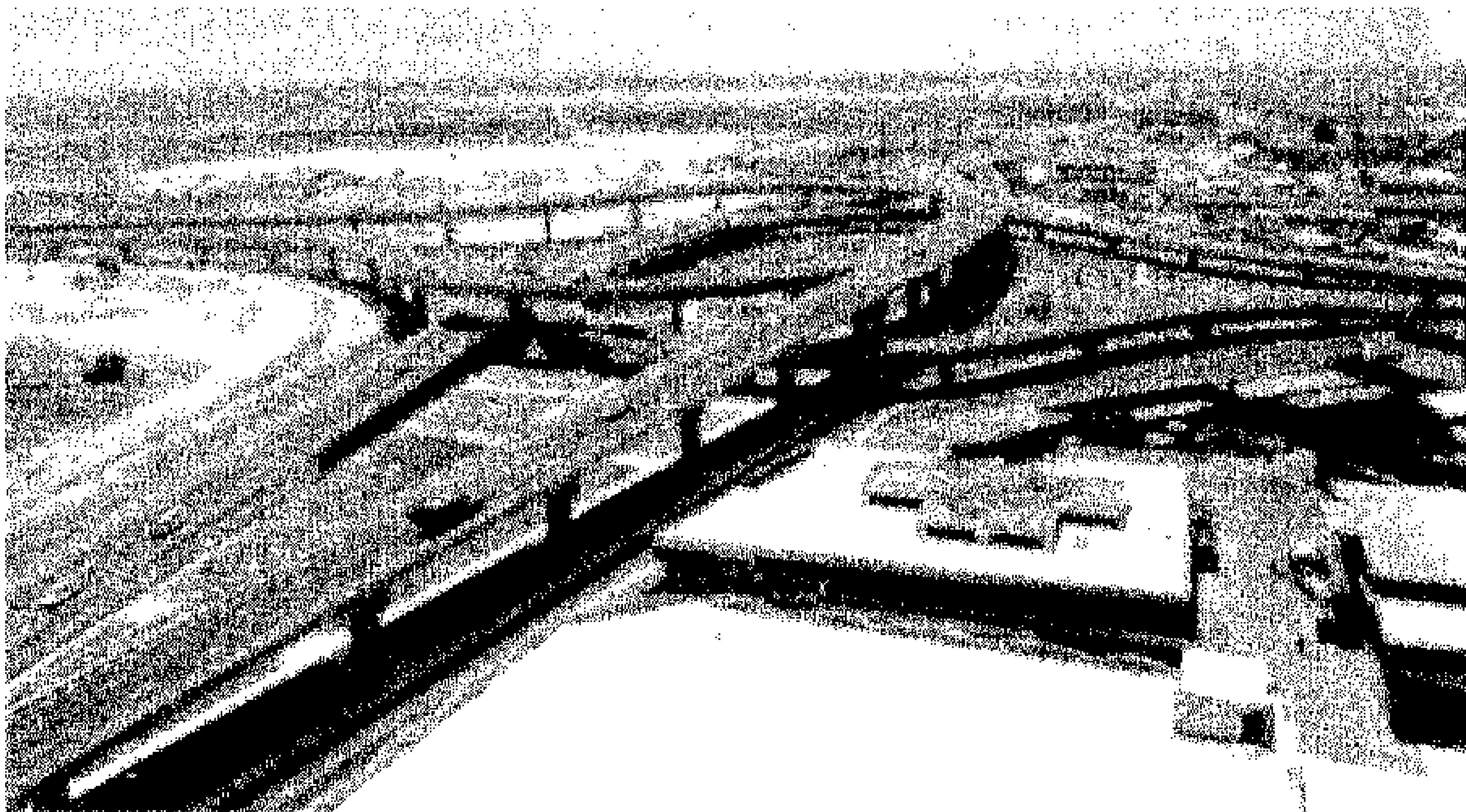




۱۳۷۲



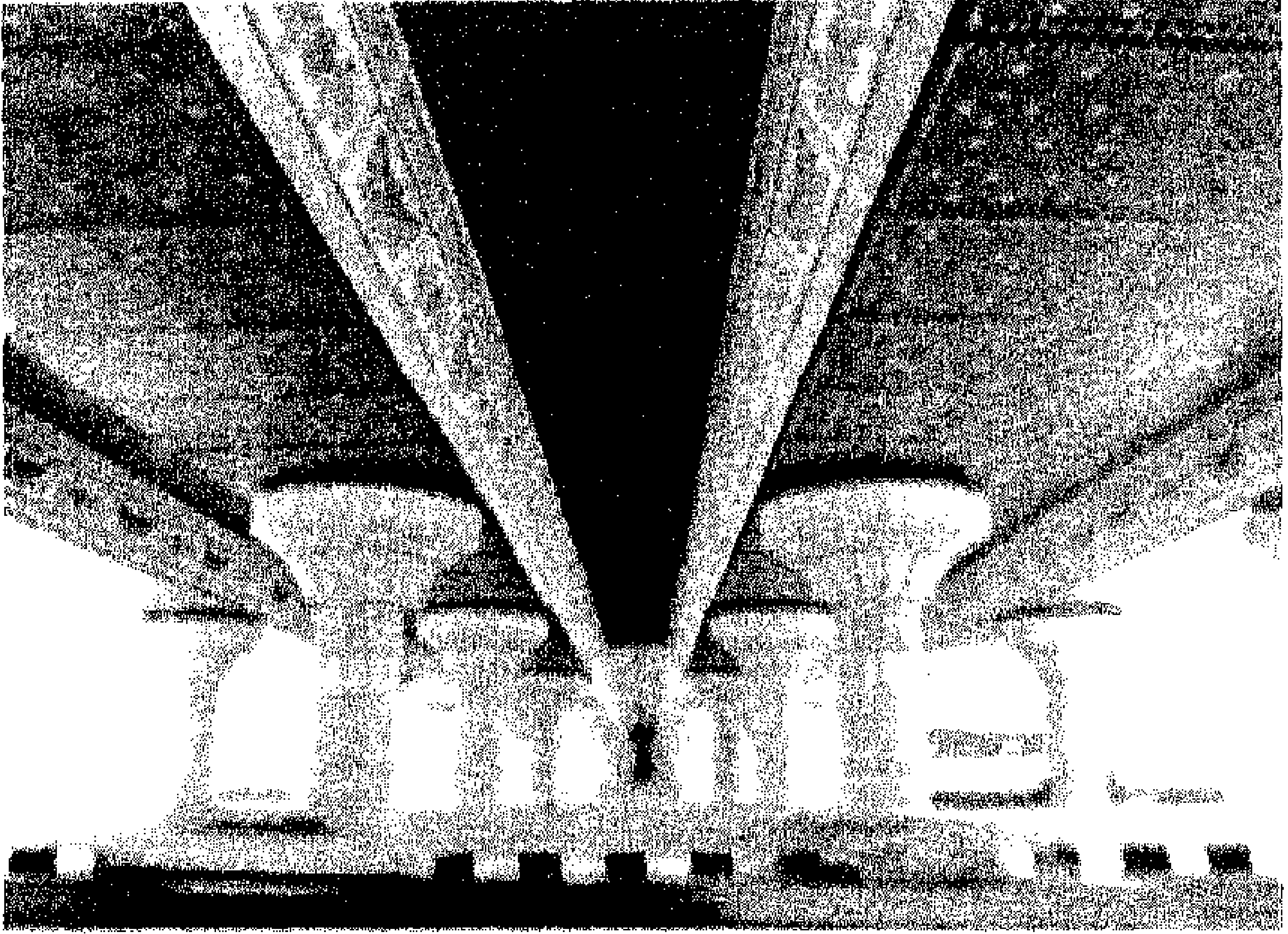
قناة السويس شريان حيوى هام لربط الشرق والغرب



شبكة من الكبارى الضخمة تساهم فى عملية التنمية والبناء



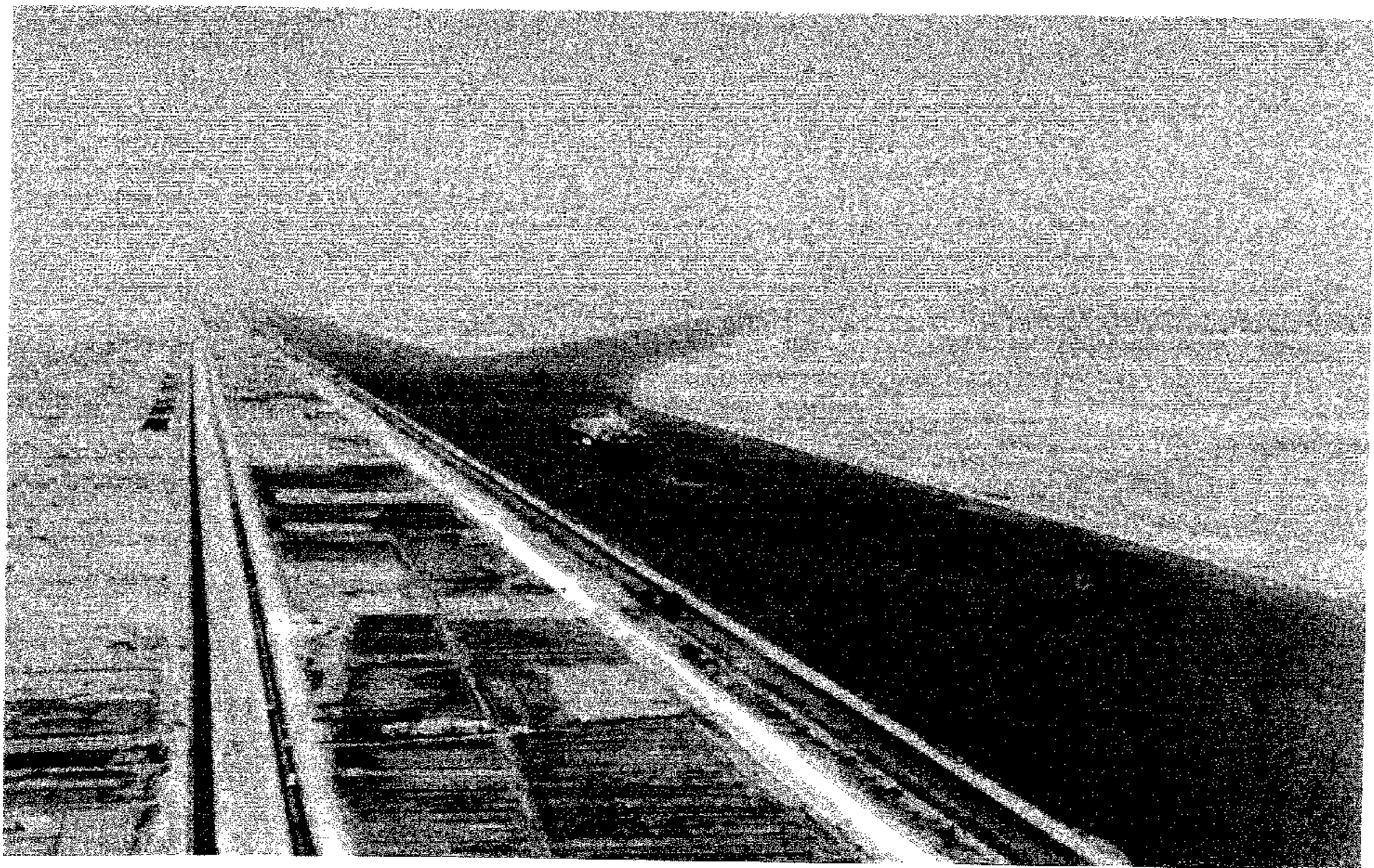
مترو الانفاق .. أسرع وسيلة لنقل الركاب فى القاهرة الكبرى



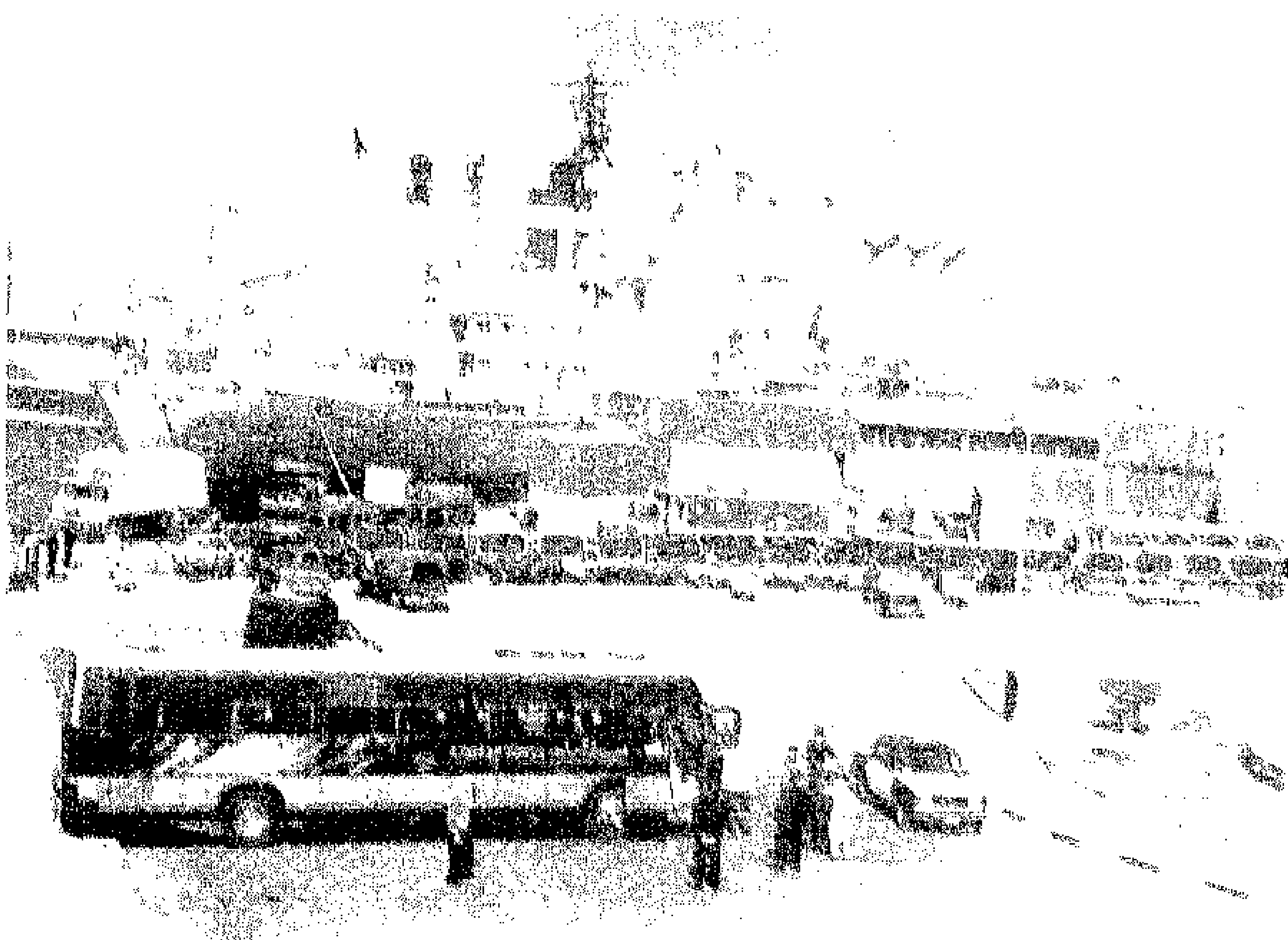
جمال الفن المعمارى فى تصميم كوبرى محرم بك



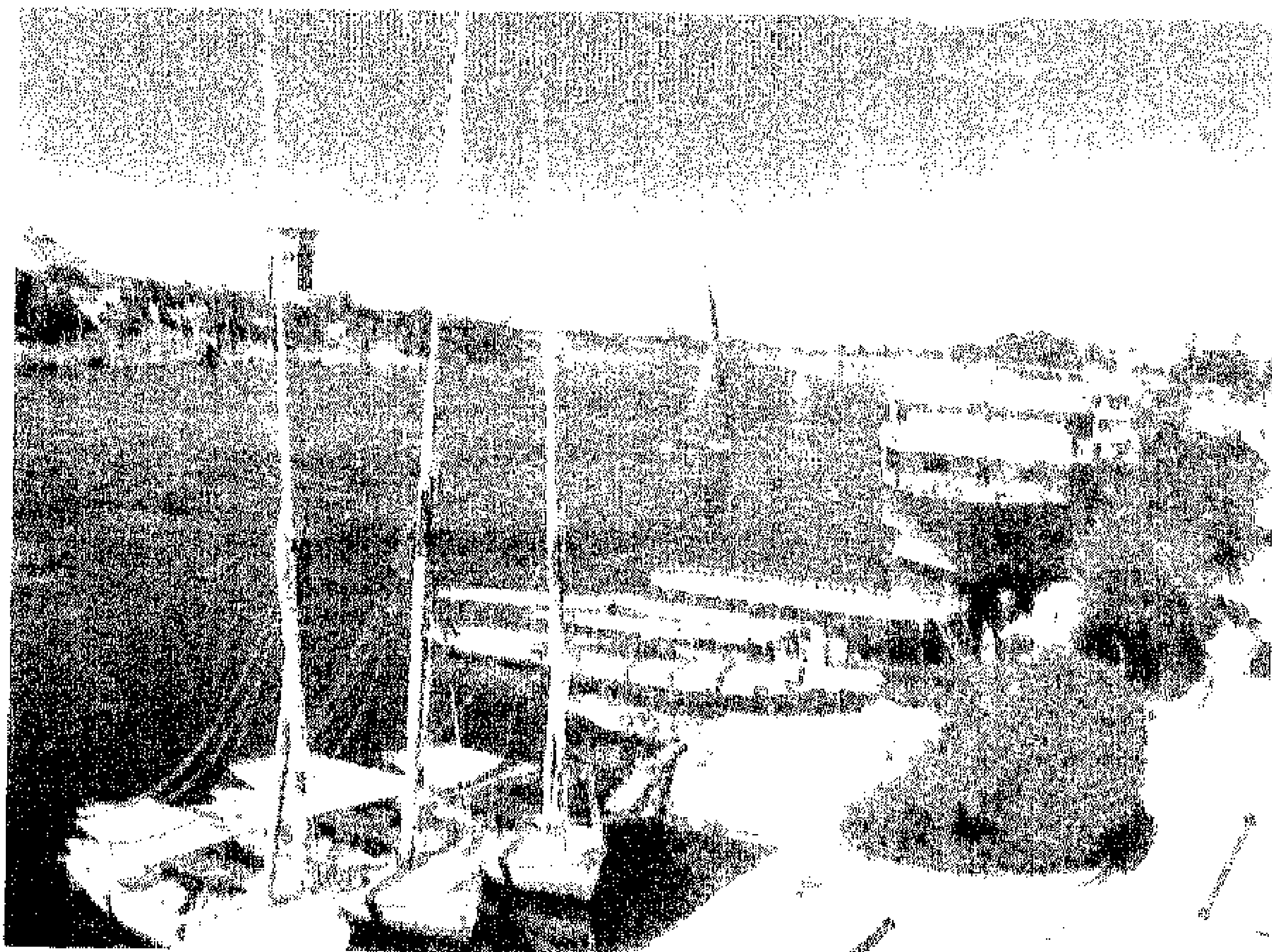
مطار القاهرة .. حركة دائبة على مدار الأربع والعشرين ساعة



شرق التفريعة إضافة جديدة لتسهيل حركة النقل فى قناة السويس



محطة ركاب بحرية



سفن نيلية في أسوان

ثانياً : الكهرباء والطاقة

١ ـ نظرة عامة :

ـ إن دول المنطقة تواجه تحديات فى مواجهة تحديات المتطلبات والحاجات المتزايدة للطاقة الكهربائية اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ـ وقد نمت طاقة مصر من الكهرباء بالتوازى مع احتياجاتها من هذه الطاقة، وفى نفس الوقت أتاحت لنظام الطاقة أن يتصل بالنظم الأخرى إقليمياً.

ـ ومنذ عام ١٩٨١ أخذ نظام توليد الكهرباء فى مصر ينمو بسرعة فزاد من 18 TWH عام ١٩٨١. إلىTWH 78 عام ١٩٩٤.

ـ وقد انخفض الاعتماد على الـ Hydro - Power حيث ساهمت فى السبعينيات بإنتاج حوالى ٧٥٪، وانخفضت مساهمتها تدريجياً إلى ٢٠٪ من الإنتاج الكهربى.

- وقد اهتمت مصر بإنشاءات تتيح الربط الكهربى الذى يقدم مزايا عديدة أبرزها:

- الوفر فى التكاليف الإنشائية والتشغيل.
- إعلاء إمكانية الاستجابة للطلب على الطاقة.
- تنوع استخدام الوقود.
- وهناك ستة مشروعات للربط الكهربائى الإقليمى قدمتها مصر تفصيلياً.

مشروعات الربط الكهربائى الإقليمى

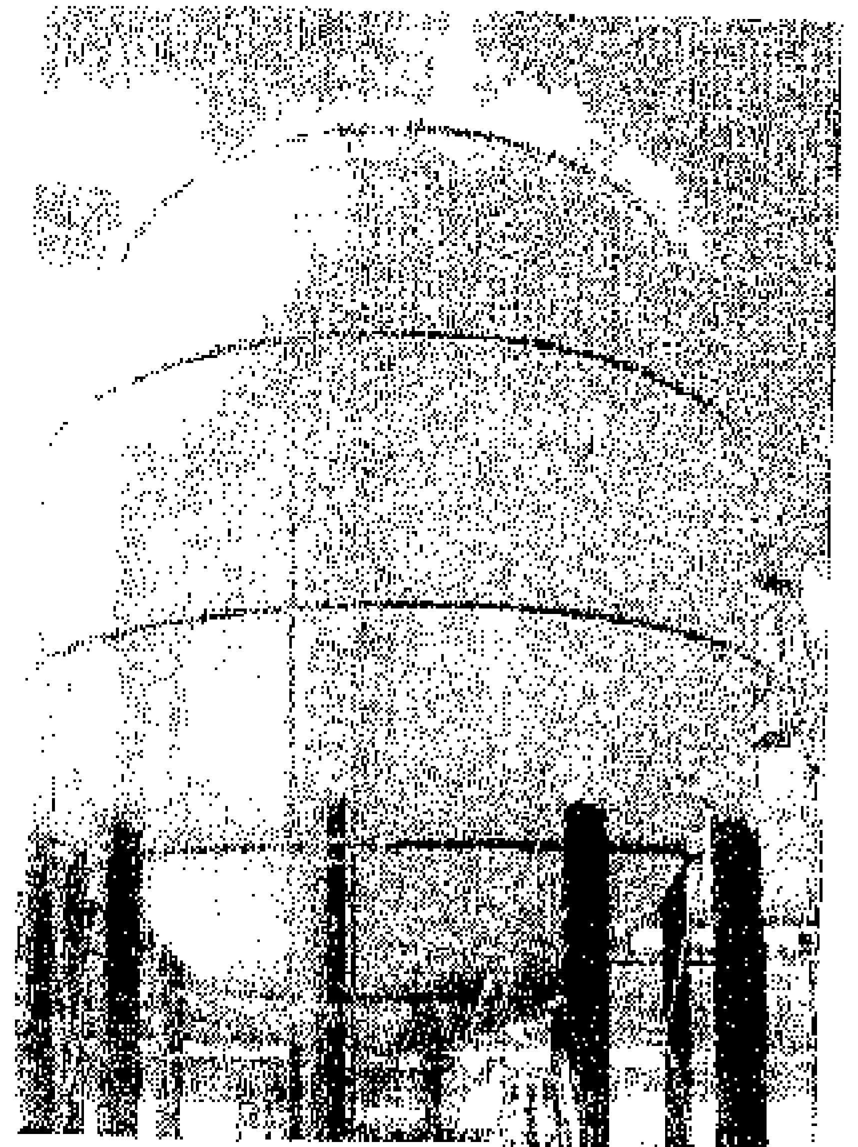
م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	مدة المشروع	التكلفة التقديرية بالمليون دولارالامريكى
١	● الربط الكهربائى المصرى الأردنى : - كابل أرضى ٤٠ كم من السويس إلى محطة عيون موسى. - كابل أرضى ٢٥٠ كم من عيون موسى إلى طابا (يتحمل الجانب المصرى التكلفة) - كابل ١٣ كم تحت مياه خليج العقبة إلى الأردن (تكاليف مناصفة بين مصر والأردن) - كابل ١٠ كم من خليج العقبة إلى محطة العقبة (الأردن تتحمل التكلفة) - محطة فرعية بالعقبة (الأردن وسوريا وتركيا)	يتيح المشروع نقل الطاقة فى الاتجاهين.. يقلل من تكلفة التوليد على الجانبين.. الإسهام فى تنمية سيناء بإتاحة الطاقة للإنتاج والسياحة. - خلق فرص عمل جديدة. - والمنتفعون بالمشروع مصر - والأردن.	بدأ الإنشاء وينتهى عام ١٩٩٧	١٥٠
٢	● الربط بين الدول الخمس : - خط الربط المصرى الأردنى يشكل المرحلة الأولى للربط بين مصر والعراق والأردن وسوريا وتركيا. - وخط بين السويس والعقبة وحلب فى سوريا وبيرسك فى تركيا. - وسيزرى فى تركيا إلى كسك بالعراق. - وقائم بالعراق إلى دير الزور فى سوريا.	- توفير الطاقة الاحتياطية. - إقلال هامش الاحتياطى فى كل بلد. - إقلال تكاليف الصيانة والتشغيل.	المرحلة الأولى ١٩٩٧ المرحلة الثانية ٢٠٠٢	٣٠٠، وكل دولة تتحمل تكلفة ما يخصها
٣	● الربط فى المشرق العربى (١٠ دول) . يضم دول: مصر والبحرين والأردن ولبنان وعمان وقطر والسعوديه وسوريا، والإمارات واليمن - يقوم على تنوع الوقود المستخدم.	- الاعتماد المتبادل على الطاقة يقلل الفاقد - ويقلل هامش الاحتياطى. - يوفر دعماً فى حالات الطوارئ لكل الأنظمة.	التشغيل بعد عام ٢٠٠٠	٢٥٠٠
٤	● الربط فى المغرب العربى: - ربط الأنظمه الكهربائية بين مصر وليبيا كمرحلة أولى. - وتضم المرحله الثانية مصر وليبيا والجزائر وتونس ومراكش.	تنمية ساحل شمال افريقيا بما فى ذلك السياحة ليبيا - مصر دعم طوارئ فى حالة انخفاض القوى بين البلدين مصر وليبيا). يلاحظ أننا نشير إلى المرحلة الاولى.	١٩٩٧	٢٩٥ على مرحلتين

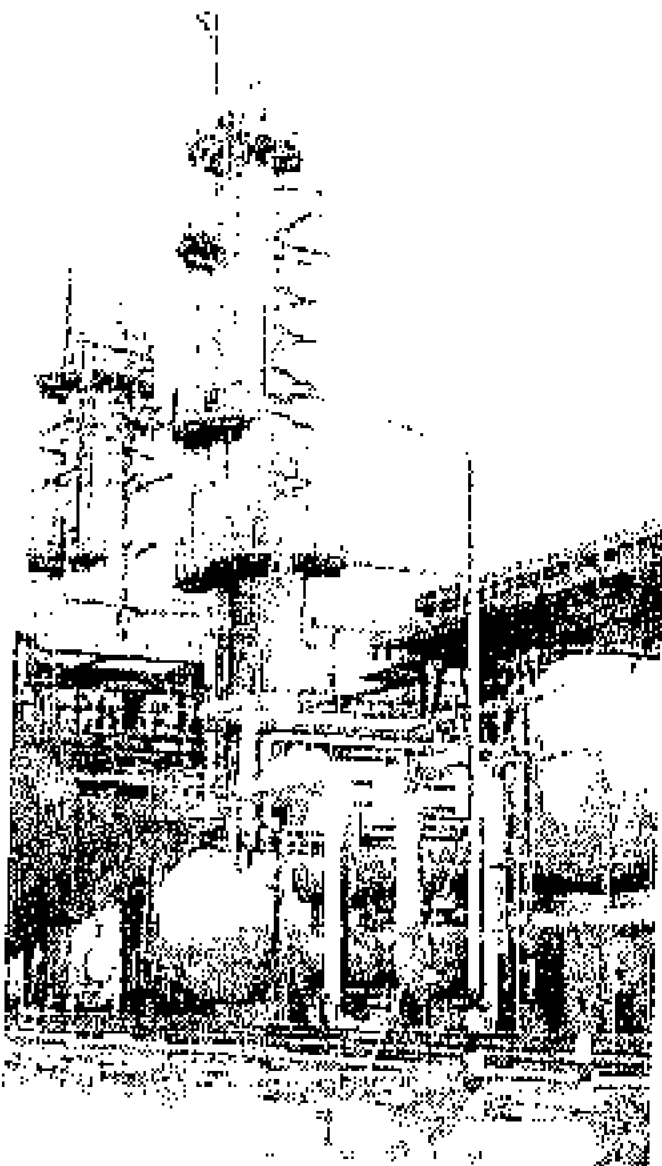
(تابع) مشروعات الربط الكهربائى الإقليمى

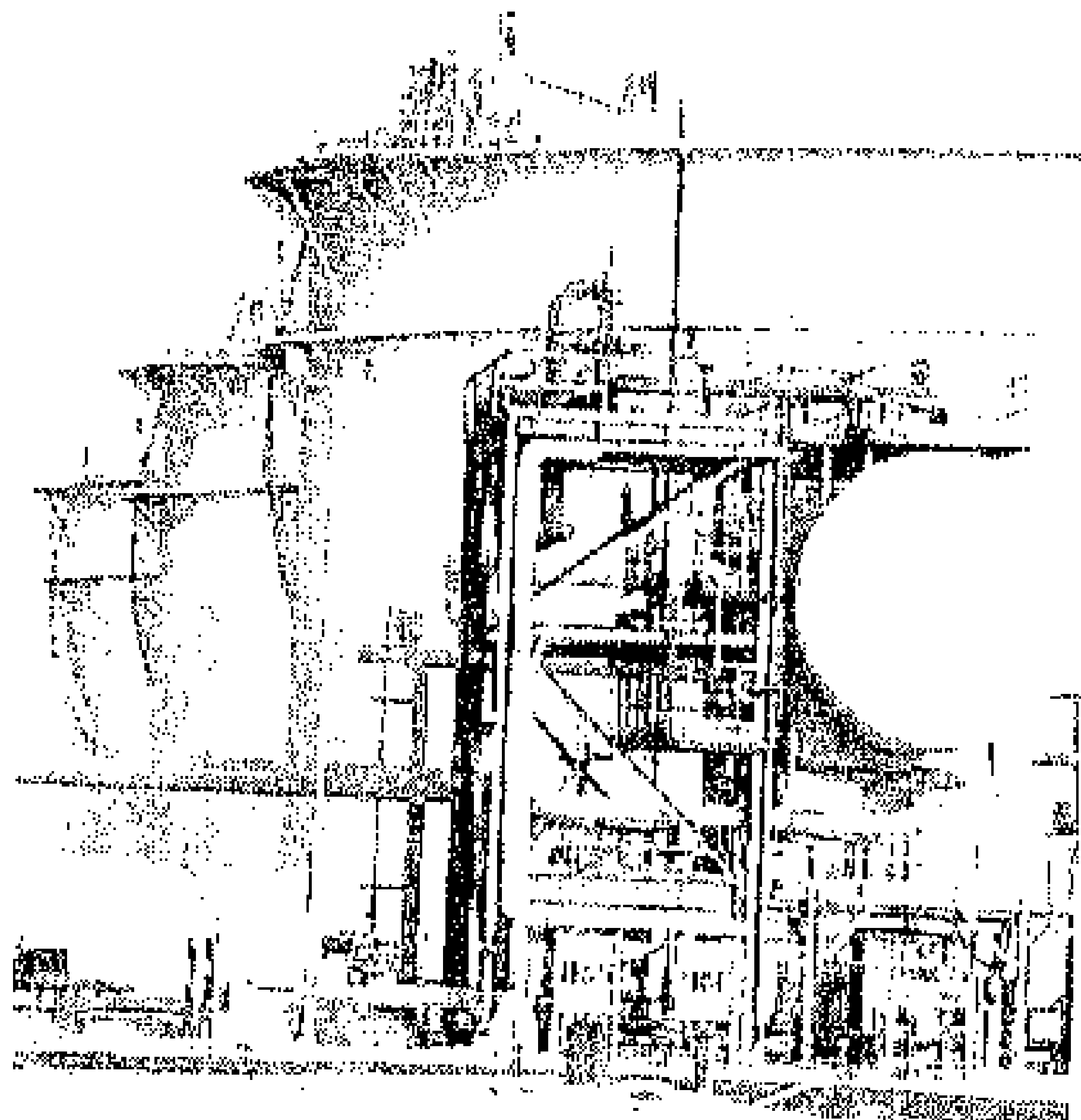
م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	مدة المشروع	التكلفة التقديرية بالمليون دولار الأمريكي
٥	• **تجمع (POOL) الطاقة فى المتوسط :** - الربط (المشروع السابق) بين مصر والأردن وسوريا وتركيا، ومشروع ربط المغرب العربى يمثلان مرحلة هامة من هذا التجمع المتوسط - ويتم الربط من المشروع الأول من تركيا إلى أوروبا والمشروع الثانى (فى المغرب) ومن مراكش إلى أسبانيا ومن تونس إلى صقلية فى إيطاليا.	- تربط آسيا بأوروبا. - وإفريقيا بأوروبا. - مع المزايا الأخرى المشار إليها فى المشاريع السابقة.		١٥٠
٦	• **ربط شبكات الكهرباء فى الشرق الأوسط :** - ربط الشبكات فى كل من مصر والأردن وإسرائيل والسلطة الفلسطينية.	دعم السلام والتنمية فى الشرق الأوسط - تحقيق الفوائد التى تغلها مثل هذه المشروعات من حيث إقلال التكلفة ودعم احتياطى الطوارئ.	تحت الدراسة	



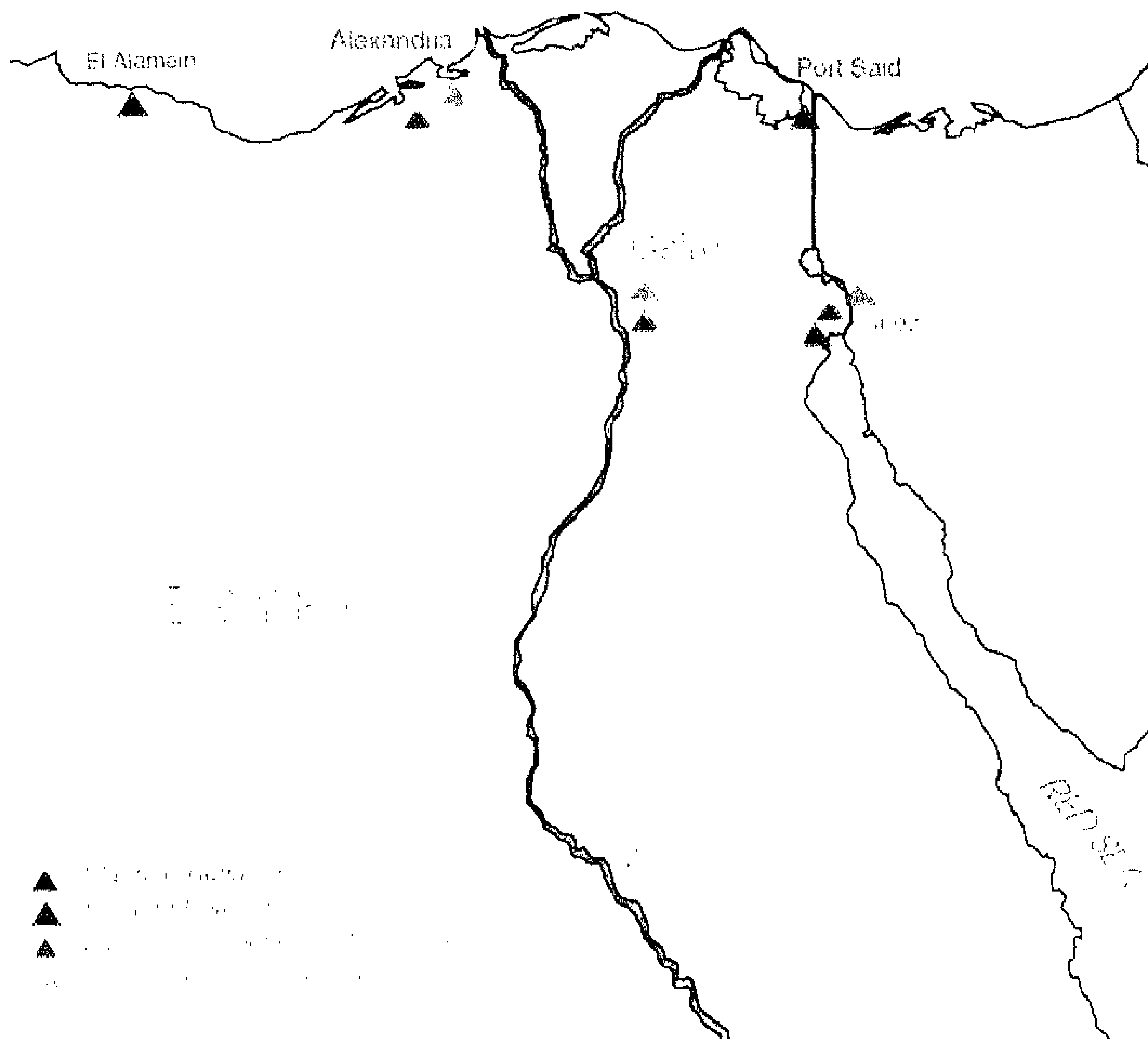


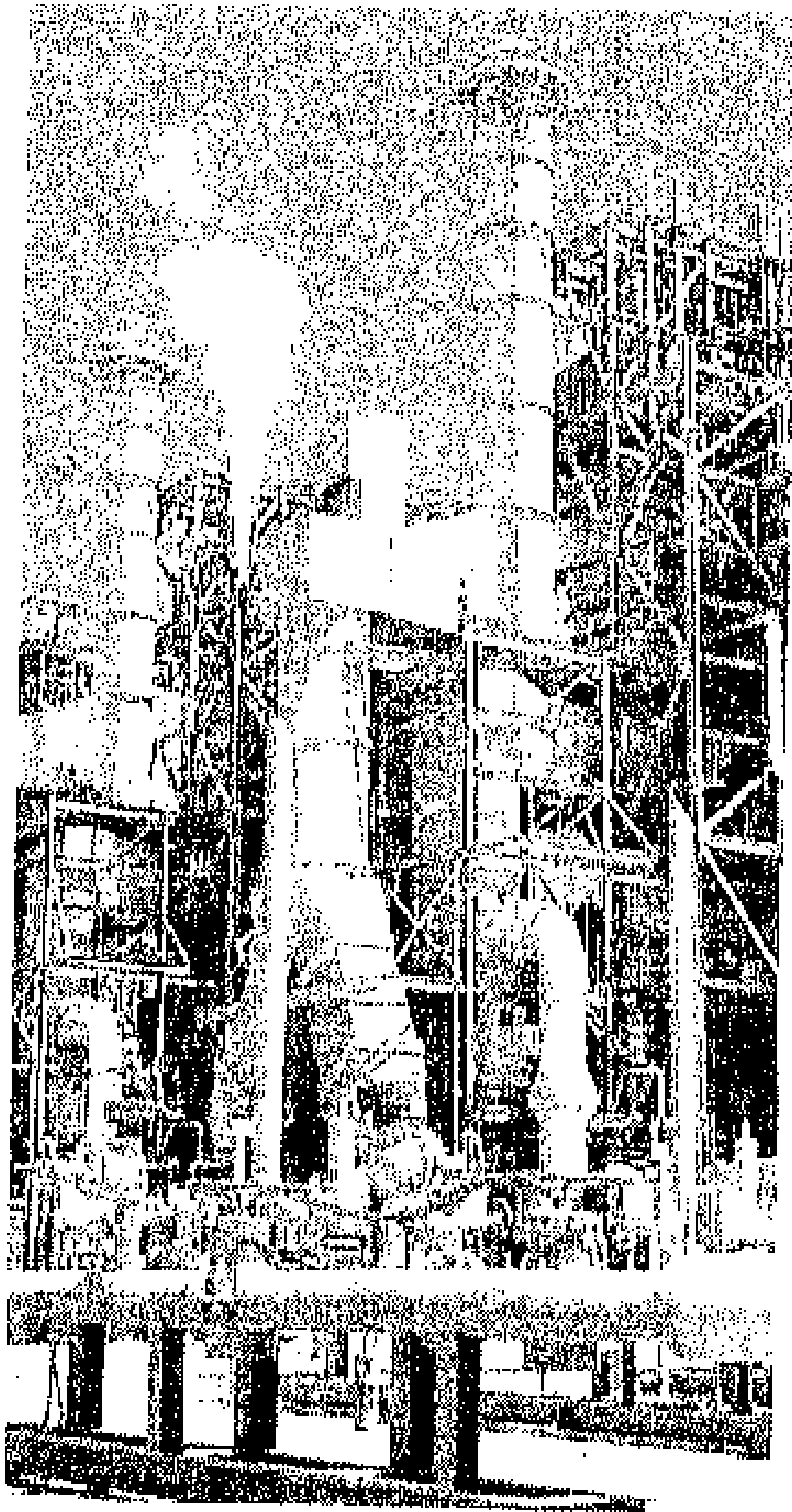




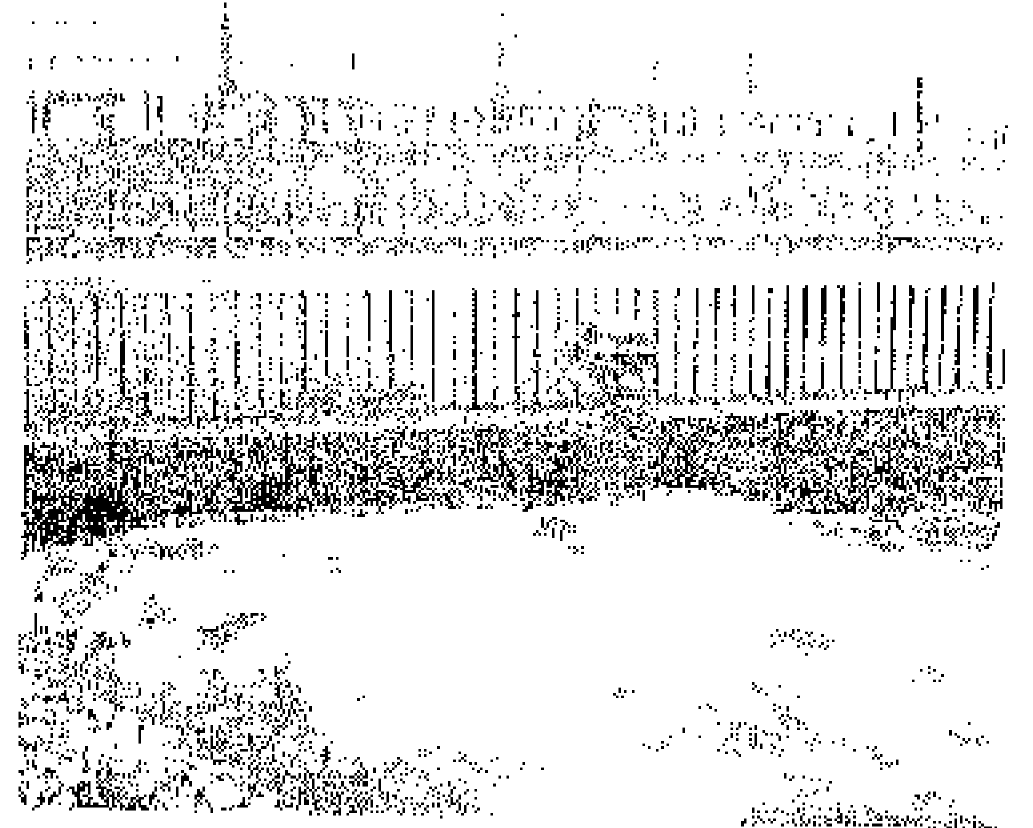


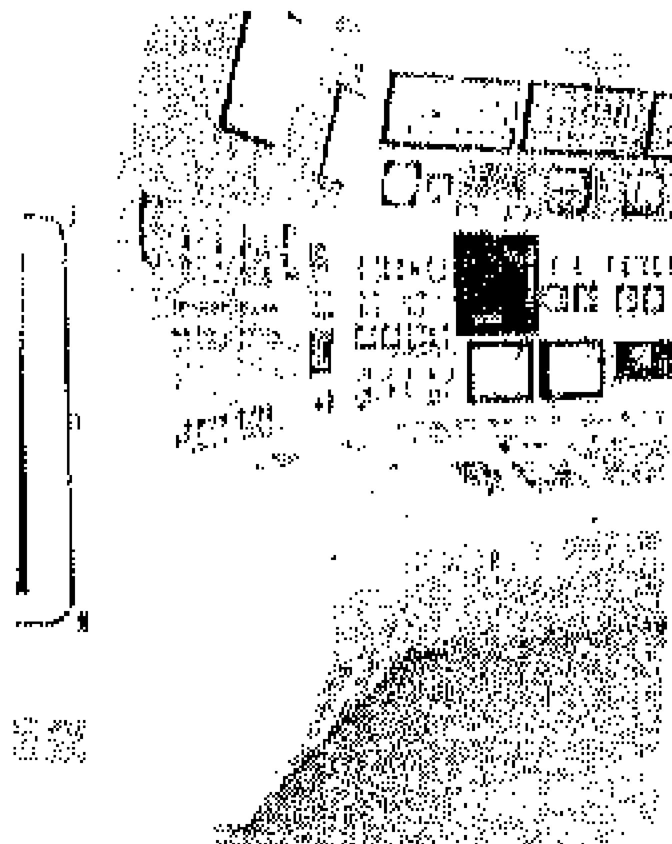


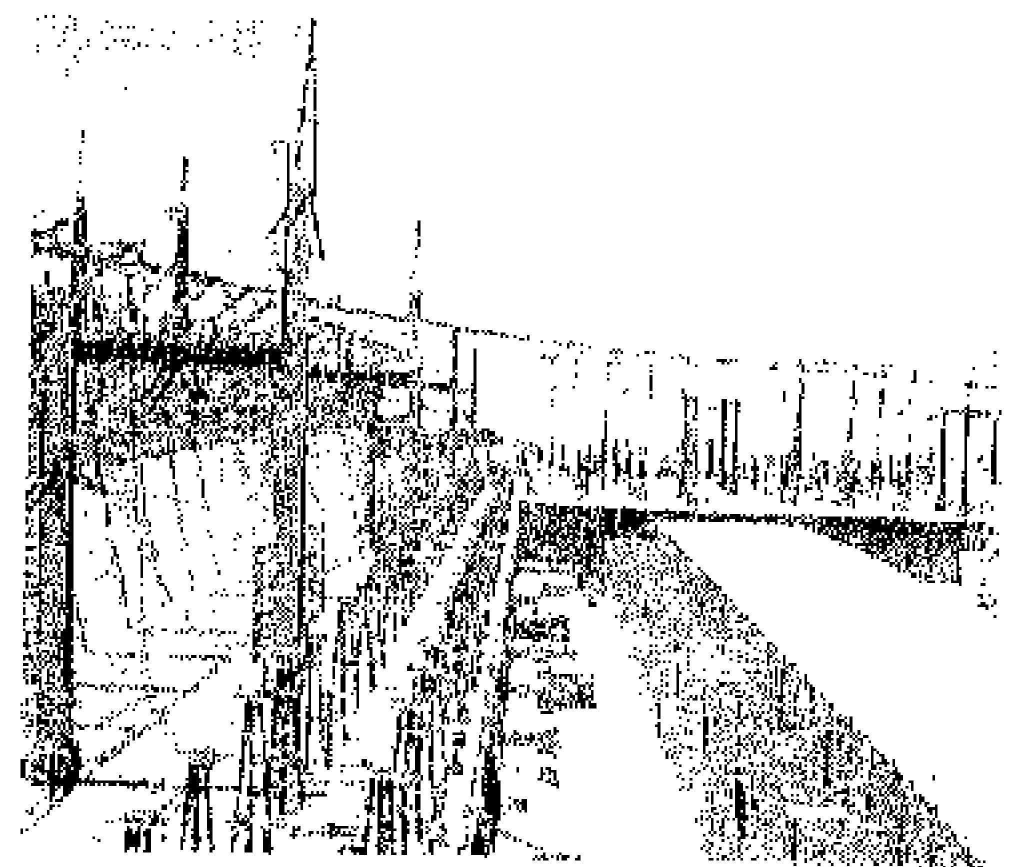

MEDITERRANEAN SEA
El Alamein
Alexandria
Port Said
RED SEA

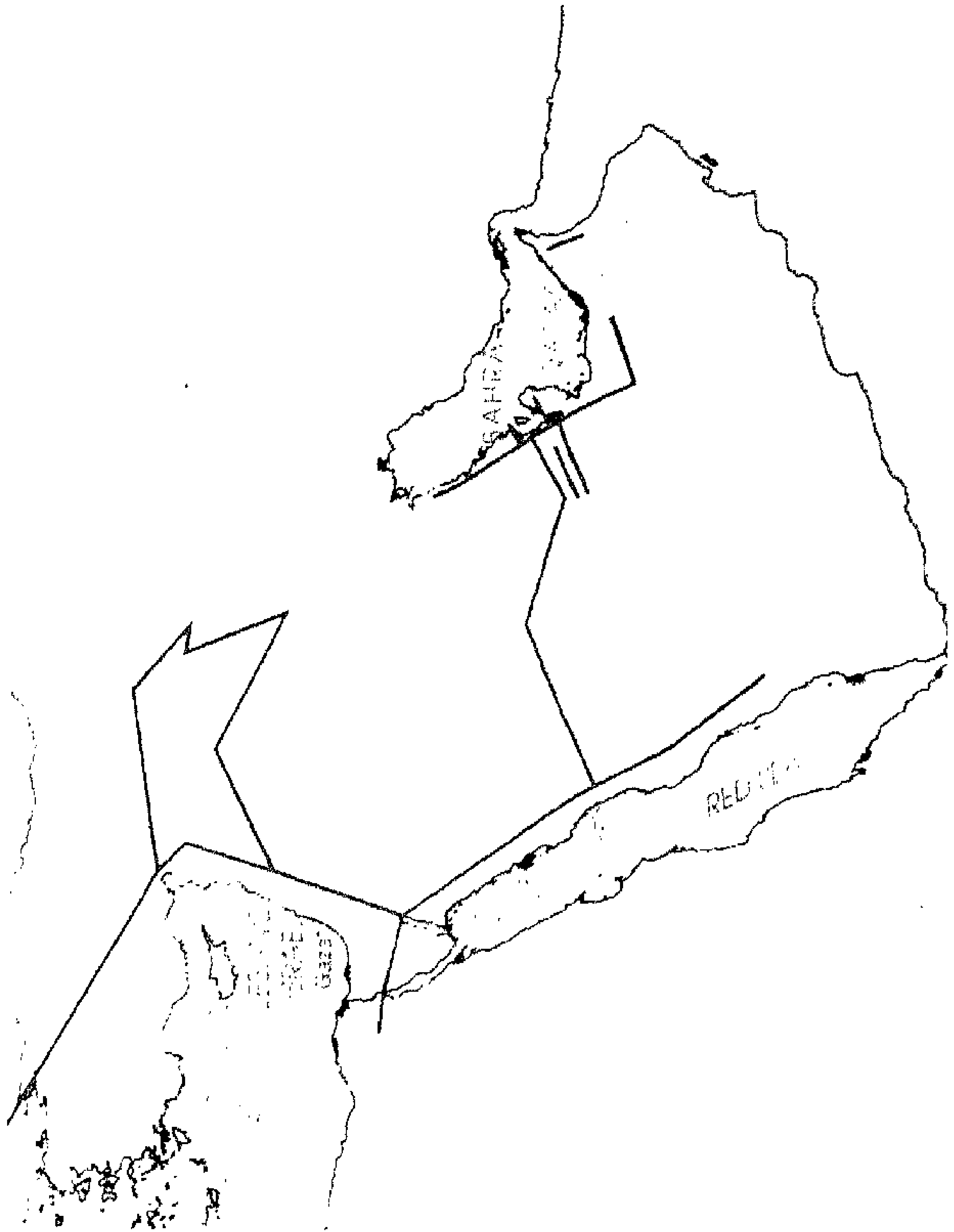


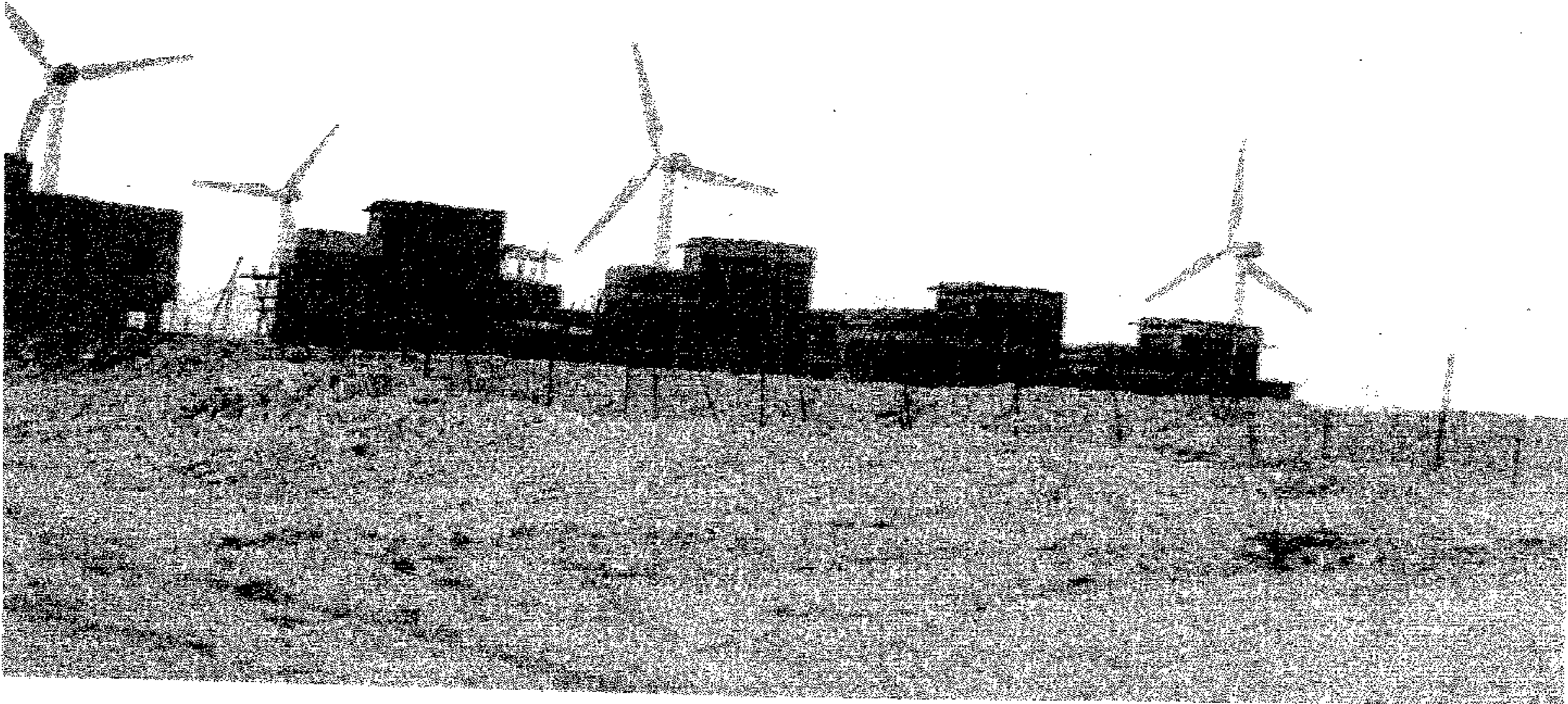




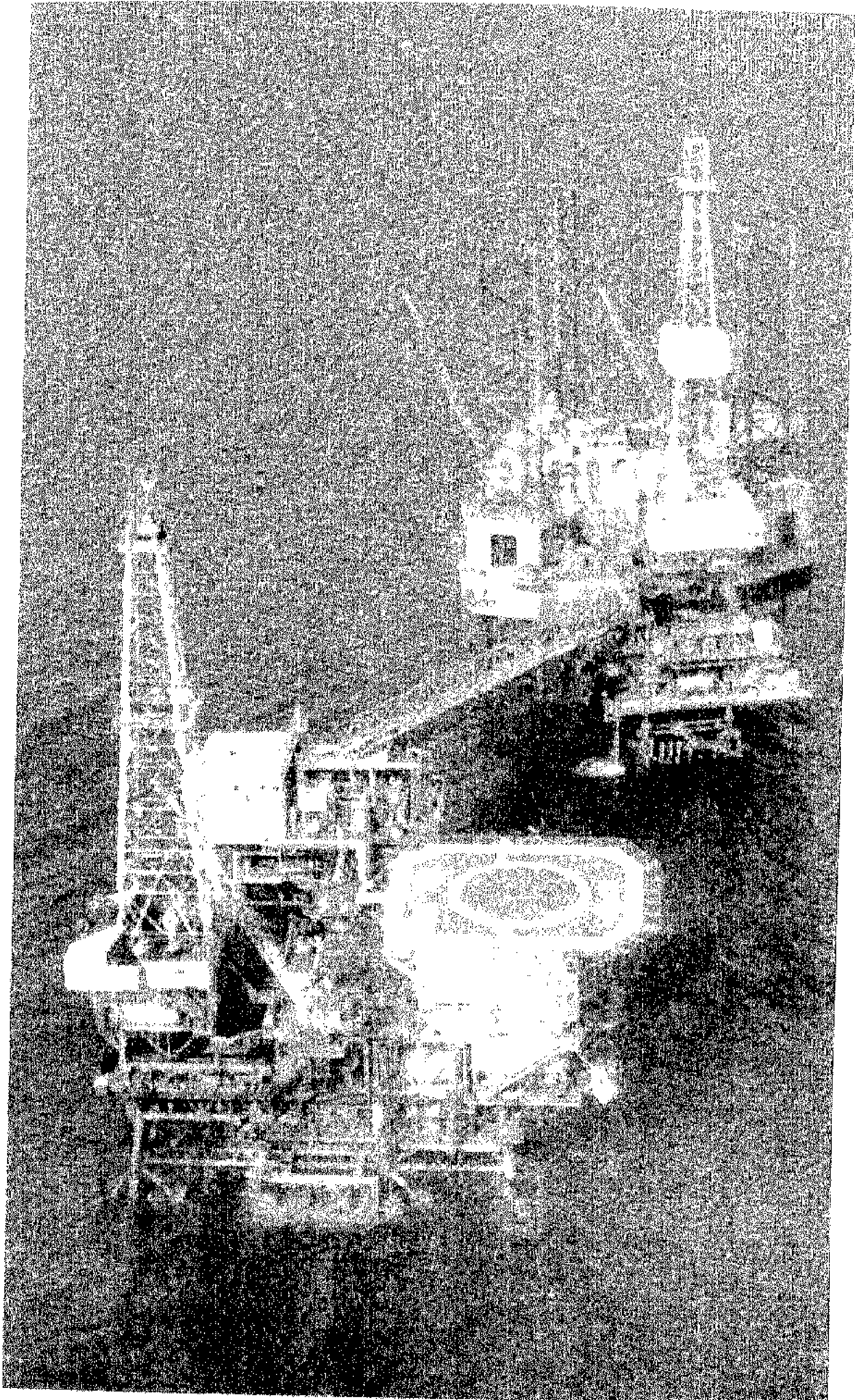








الطاقة النظيفة من الرياح



محطة بترول فى البحر الأحمر



أحد المناجم في عمق الصحراء المصرية

١٣٩٠

ثالثاً : البترول

١ - نظرة عامة :

(أ) يختص الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ٧٠٪ من احتياطي البترول في العالم، ومع ذلك فإن بعض دول المنطقة تعاني من ندرة الخام أو من انخفاض الموارد البترولية، والتعاون في مجال البترول مهم للمنطقة كلها.

(ب) وهناك بعض مشروعات التعاون في هذا المجال بين مصر ودول المنطقة، ومن ذلك مشروع مصفاة النفط في «ميدور»، وأهمية هذه المشروعات تعود إلى عدة عوامل أبرزها:

- أهمية خام البترول في الوقت الحاضر.
- تواجد الخام في مصر والمنطقة.
- اتساع سوق الطلب على البترول.
- انخفاض تكلفة نقل الخام.

●● الحوافز الإيجابية التى قدمتها مصر للاستثمار فى البترول.

●● إن مشروعات البترول تجذب اهتمام القطاع الخاص.

٢ ـ المشروعات :

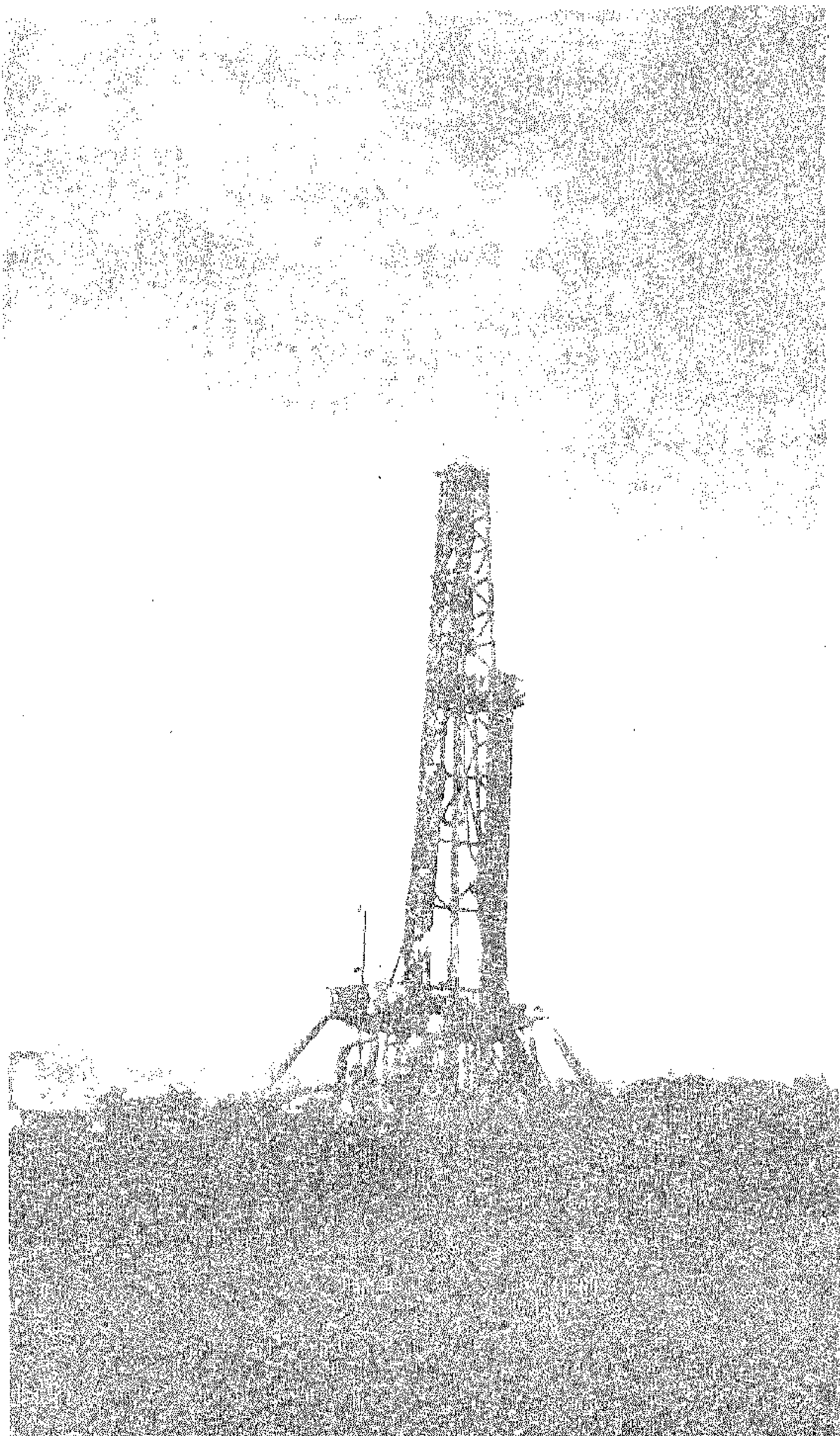
وهناك ستة مشروعات قدمتها مصر عام ١٩٥٥ لدعم التعاون فى الشرق الأوسط.

مشروعات البترول

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المدة
١	● **مصفاة شمال خليج السويس:** طاقة المصفاة ١٠٠ ألف برميل يومياً. يتم الإمداد بالخام من السويس ومن سيناء. إنتاج كل المنتجات الرئيسة البترولية.	● سهولة تسويق الخام ومنتجاته ● دعم التعاون الإقليمي	١٢٠٠ مليون دولار أمريكي	٤ سنوات
٢	● **مصفاة النفط فى بورسعيد:** طاقة المصفاة ٨٠ ألف برميل يومياً. إمداد الخام سيتم من خليج السويس ومن سيناء. وبتاج كل المنتجات الرئيسية للخام.	نفس أهداف المشروع الأول	١٠٠٠ مليون دولار أمريكي	٤ سنوات
٣	● **وحدات تكسير البترول:** (التكسير إلى مركبات أبسط بالتسخين أو الضغط) توجد الوحدات فى منطقة السويس والقاهرة والإسكندرية. طاقة المشروع من ٣٠ ألف إلى ٤٠ ألف برميل يومياً لكل وحدة وإنتاج مواد فائقة الجودة من الغاز الطبيعي ووقود النفاثات والكيروسين.		٥٠٠٠ مليون دولار أمريكي	٣ سنوات
٤	● **وحدات زيادة نقاء الجازولين (الخالى من الرصاص):** - أماكن الوحدات فى السويس والقاهرة والإسكندرية طاقة الوحدة من ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ برميل يوميا الإمداد من المناطق الثلاثة.	- للوفاء بحاجة السوق المحلية من هذه النوعية من الجازولين. - تصدير الفائض للدول المجاورة - حماية البيئة ومنع التلوث.	١٠٠٠ مليون دولار أمريكي لكل وحدة	[illegible]
٥	● **مجمع شرق العلمين للبتروكيماويات (على شاطىء المتوسط):** - طاقة الإنتاجية ٣٠٠ ألف طن سنوياً من الإثيلين.	- إنتاج كل أنواع البتروكيماويات مثل [illegible] والبوليثلين.	٢٠٠٠ مليون دولار أمريكي	٤ سنوات

(تابع) مشروعات البترول

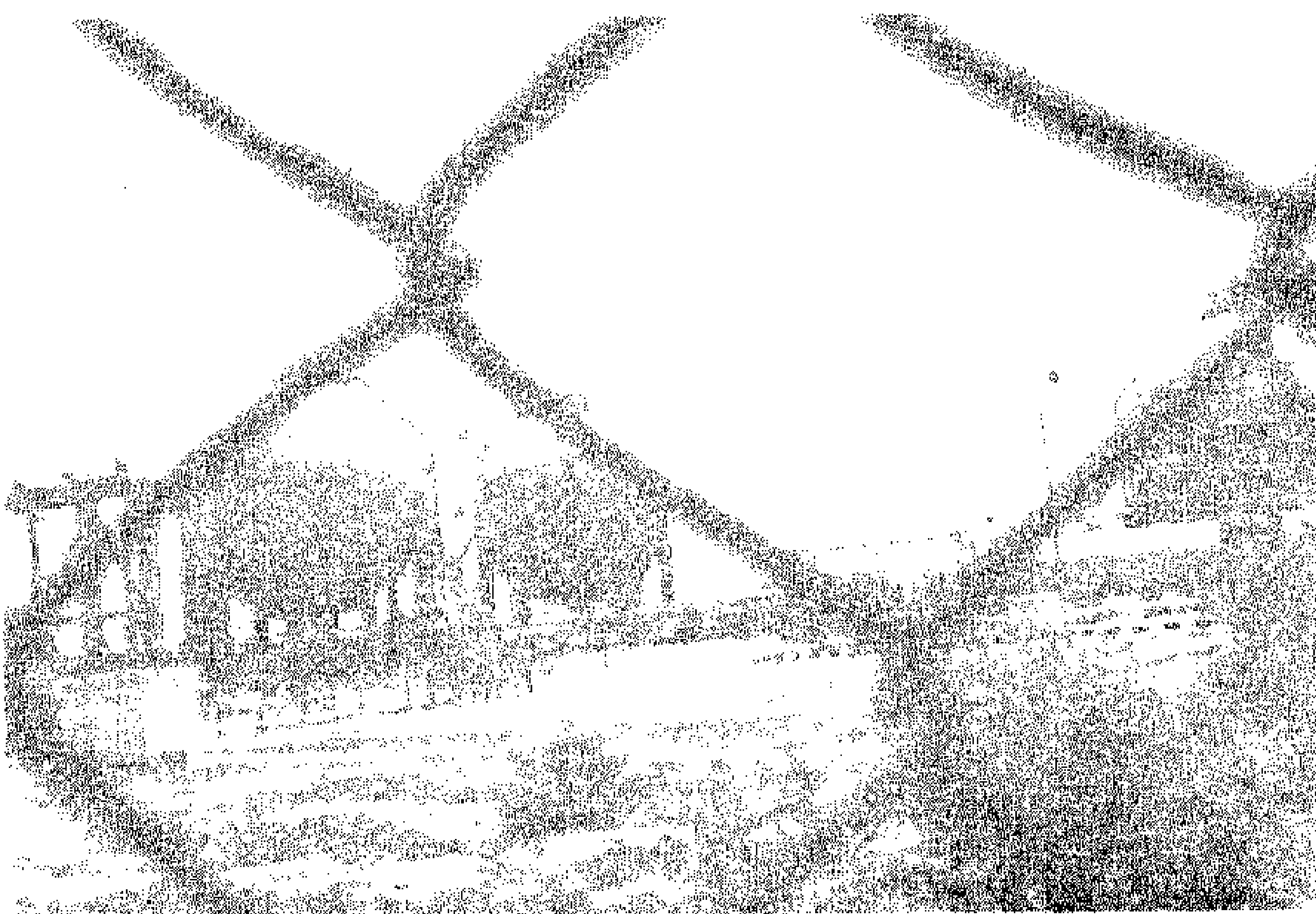
م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المدة
	وتوسع لتصل إلى ٣٢٠ ألف طن سنوياً من الأثلين.	والبولي بروفيلين والأثلين والجليكول والبوليسترين وبوتادين والمطاط والبوتانو والإكتانول		
٦	● مصفاة نفط الشرق الأوسط (ميدور) الحكاى الإسكندرية. ينتج أعلى أنواع المنتجات البترولية. بطاقة ٥ مليون طن سنوياً.		١٠٠٠ مليون دولار أمريكى	تحت الإنشاء

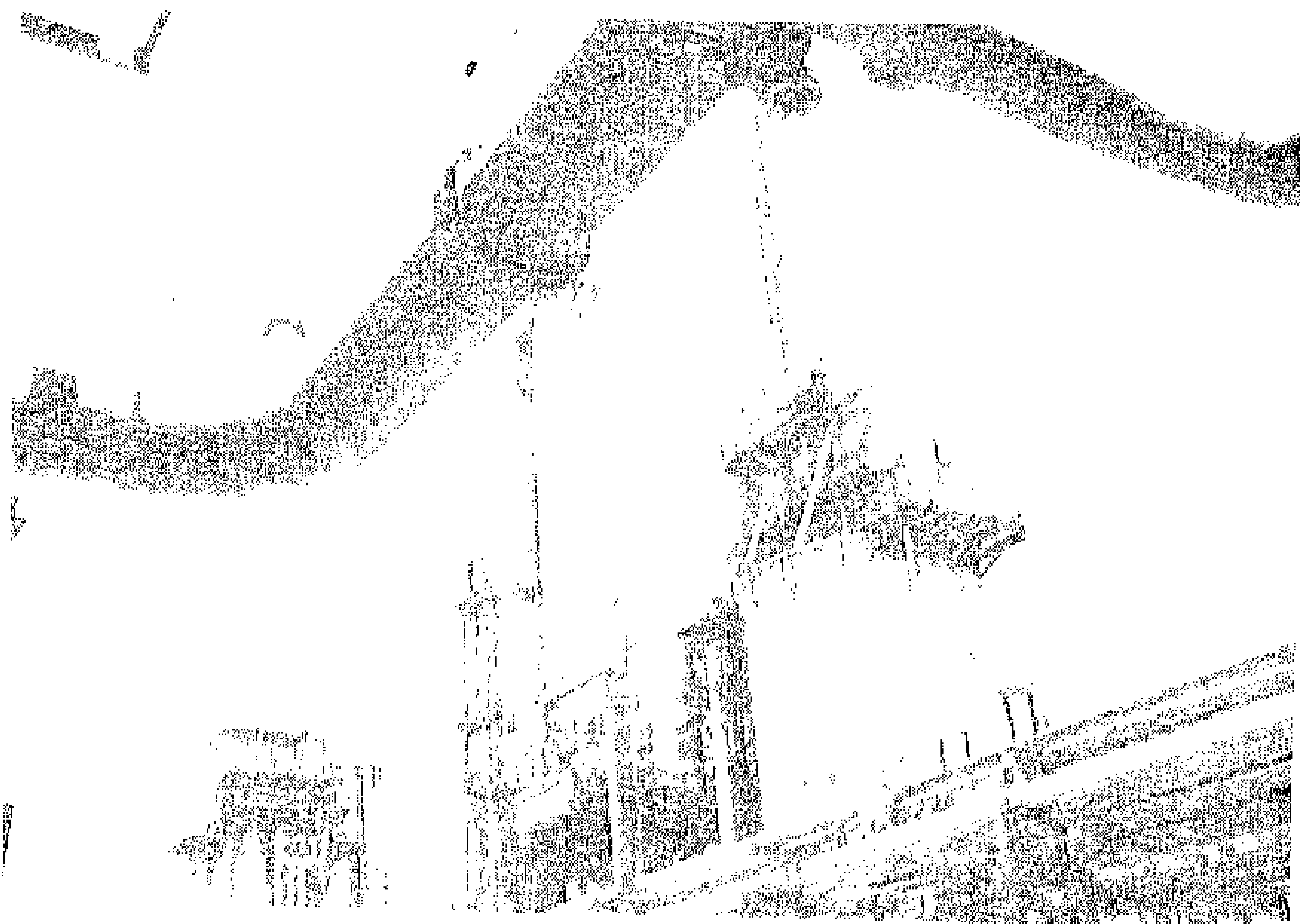


حفار عملاق ينقب عن البترول فى صحراء مصر

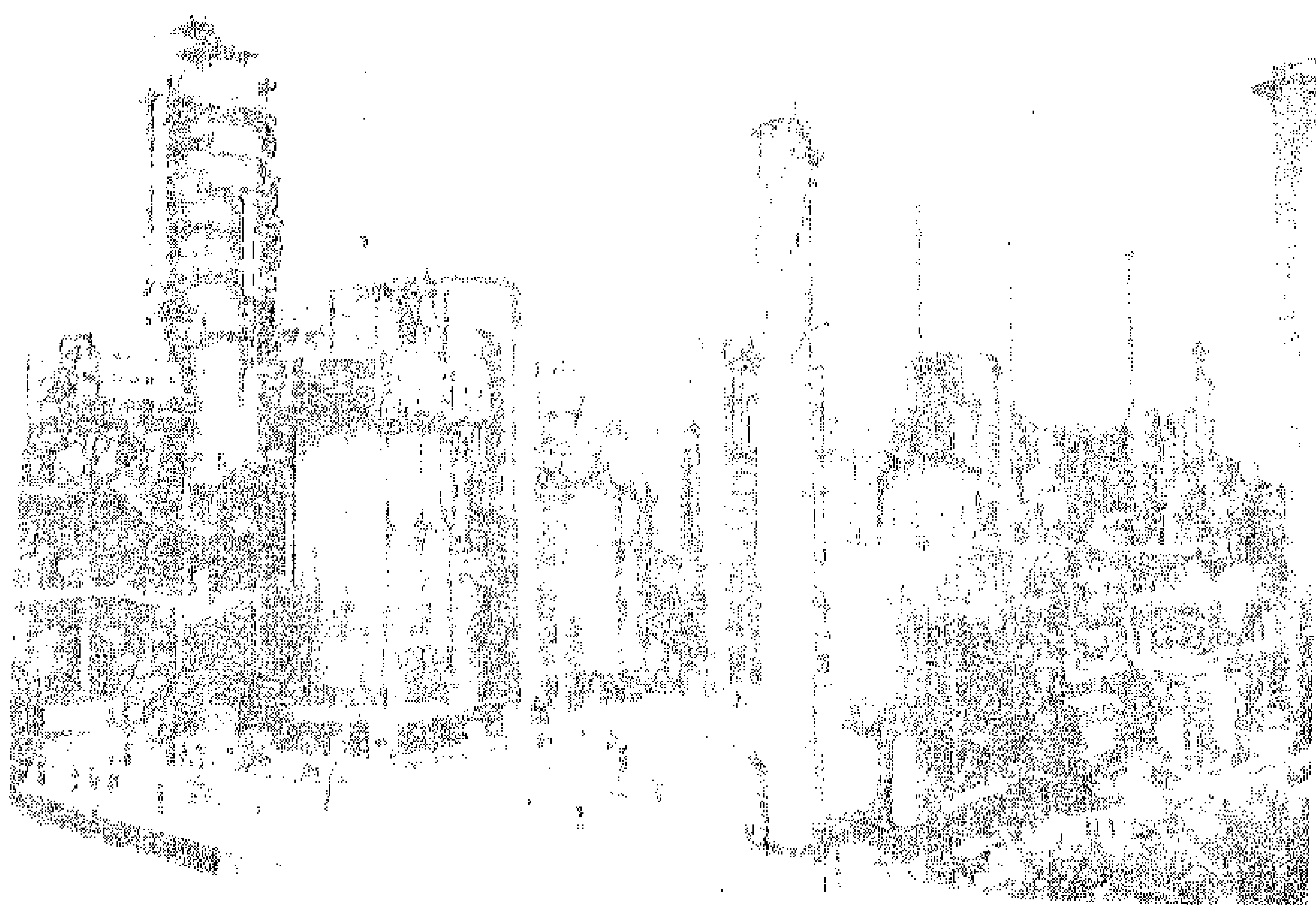


خزانات ضخمة للبترول والغاز الطبيعى .. أمن وأمان



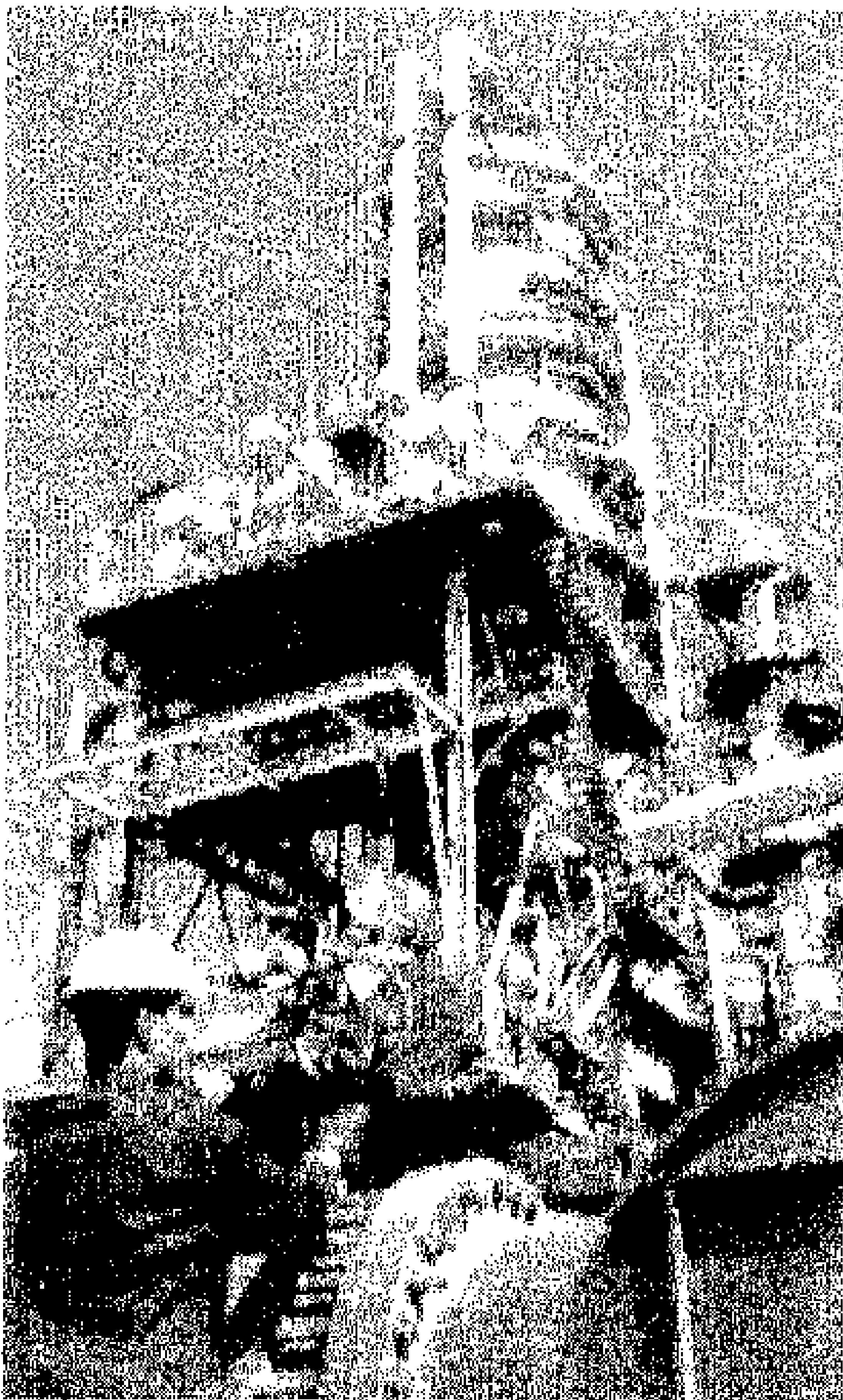


معمل تكرير البترول على أحدث النظم الحديثة





مفاعل مصر البحثى الثانى للاستخدامات السلمية



السواعد الشابة فى مواقع انتاج الطاقة

رابعًا : الزراعة

١ ـ نظرة عامة :

(أ) فى عام ٢٠٣٠ ينتظر أن يصل عدد سكان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى حوالى ٤٥٥ مليون نسمة.

(ب) إلا أن متطلبات المياه ومنها الزراعة ليست كافية لمواجهة حاجات السكان المتزايدة، وهو أمر يستدعى استخدام طرق تكنولوچية خاصة لتحلية مياه البحر وإنتاج حاصلات زراعية ذات عائد مرتفع.

(جـ) وهناك ميزة الموقع الذى تتمتع به المنطقة، فلها اتصال بالمحيطات والبحار (الأطلنطى والمتوسط والأحمر والهندى) وهو مايتيح الاتصال بمختلف الأسواق لتصريف المنتجات الزراعية.

(د) ويمكن للتعاون الإقليمى أن يستفيد من عدة عوامل أبرزها:

- توافر الموارد الطبيعية.
- توافرالتكنولوچيا الزراعية.
- وتوافر الخبرة الإدارية التسويقية.

٢ ـ المشروعات :

وهناك ستة مشروعات قدمتها مصر عام ١٩٥٥ لدعم التعاون في الشرق الأوسط.

(هـ) وأبرز مجالات التعاون هي:

- إنشاء بنك الجينات الزراعية.
- تقنية زراعة الأراضي القاحلة في مصر.
- معالجة واستخدام مياه الصرف.
- إقامة مناطق حرة للتسويق الزراعي، ومراكز متخصصة في النقل والتعبئة والتسويق وغيرها من الخدمات.

٢ ـ المشروعات :

وهناك ستة مشروعات قدمتها مصر في هذا الصدد.

مشروعات الزراعة

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	التكلفة التقديرية بالمليون دولار الأمريكي
١	● مشروع بنك الجينات الوطني في مصر (الحفظ والمعامل) : - مقر المشروع البحوث الزراعية وزارة الزراعة القاهرة. - استنباط محاصيل جديدة ذات إنتاجية عالية. - ولإيقاف فقد مواد جينيه هامة/ - الحفاظ على النباتات البرية.	- رفع كفاءة المحاصيل القائمة والجديدة. - الحفاظ على الجينات الموجودة. - التنسيق بين مراكز البحث الوطنية والمراكز الدولية.	٣ مليون دولار أمريكي بخلاف المزارع	٣ سنوات
٢	● جمع الجيرمبلازم (بغرض الحفاظ والاستخدام) : جمع الجيرمبلازم Germplasm للنباتات منها الخضروات والحبوب والبصل والثوم وغيرها. وهذا الجمع يخدم عملية الزراعة في الأراضي المالحة والشحيحة المياه والتي تزرع على المطر أو تتعرض لحرارة عالية.	جمع وتصنيف الجيروموبلازم. - الحفاظ على هذه الجينات الموجودة. - تبادل المعلومات مع المراكز الإقليمية والدولية.	- -	
٣	● معالجة مياه الصرف : - يقوم المشروع على الاستخدام الآمن للمخلفات. - ويدرس المشروع تأثير المخلفات المعدنية على التربة وعلى التأثير على النبات وعلى دورة الطعام. - والمشروع لايزال قيد البحث.	- زراعة بعض الأشجار في مناطق البدو وعلى طول المناطق الصحراوية على ساحل المتوسط. - اعتماد المناطق القاحلة على النبات في الزراعة والتغذية.	حوالي نصف مليون دولار أمريكي	٣ سنوات
٤	● تأثير التصحر على المناطق المزروعة في مصر: أولا. التصحر يعني استبعاد بعض الأراضي من الإنتاج الزراعي بسبب الملوحة الزائدة في الأرض والتجويف أو بسبب الرياح أو الرمال أو البناء الإسكاني. - وكل ما سبق هو تحت الدراسة في إطار هذا المشروع	- حسن إدارة الأراضي والمياه لمكافحة التصحر في مناطق الري والأمطار في مصر. - دراسة مختلف أسباب التصحر وتأثيرها على الأراضي الزراعية.	٣ مليون دولار أمريكي	٤ سنوات

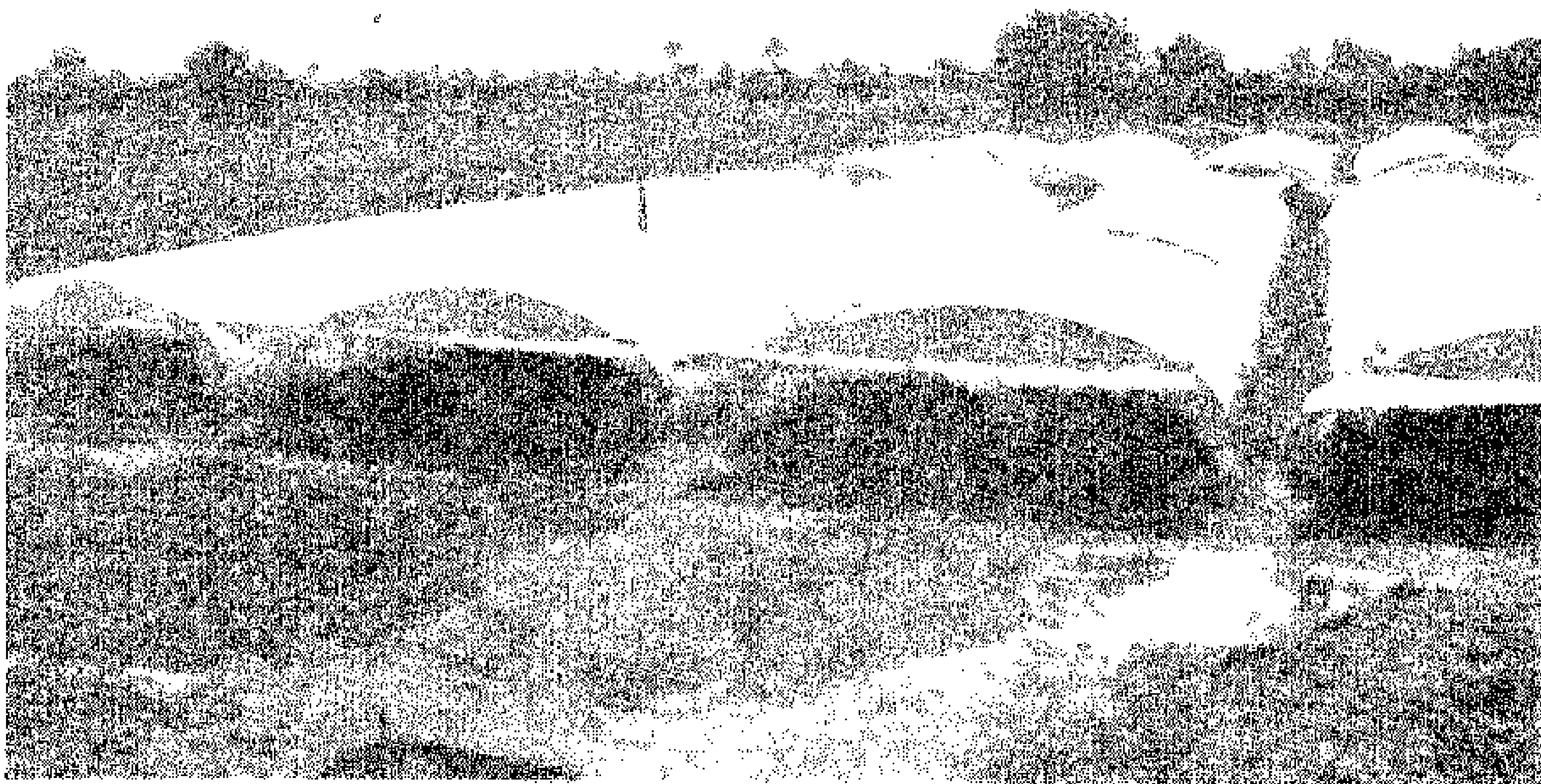
(تابع) مشروعات الزراعة

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المدة
٥	● التنمية الزراعية فى شرق العوينات : - تشغل منطقة شرق العوينات الجزء الجنوبى من الصحراء المصرية على بعد ٣٥٠ كم من بحيرة ناصر ٤٠٠ كم جنوب واحة الداخلة. - والإنتاج الزراعى فى شرق العوينات يمثل مفتاح التنمية والاستقرار فى المنطقة وتعتمد على مصادر المياه من الآبار الجوفية بكثرة فى المنطقة من الصخور الحاملة للمياه. - والسطح العلمى بين إمكانية زراعة أربعة عشر مليون فدان تمثل مستقبلاً واعداً للتنمية والانطلاق.	- ومن سمات المنطقة بعدها عن الوادى وبهذا يمكن زراعتها بأصناف متحددة وحماية نقائها وحمايتها من الآفات. - كما أن الظروف المناخية تسهل الزراعة من أجل التصدير. - وتتيح المنطقة إقامة حديقة حيوانات طبيعية (محمية) هامة لأغراض السياحة.	تم صرف ٣٠ مليون دولار أمريكى على البنية الأساسية والباقى يغطيه المستثمرون	بدأت مزراعة عام ١٩٧٨ ومسروع عام ١٩٨٨ ومسروع عام ١٩٩٣
٦	● مراكز التسويق الزراعى : - تحسين التسويق الزراعى لزيادة إسهام الزراعة فى الناتج المحلى الإجمالى ورفع مستوى التسويق ومعلومات السوق الخارجى وتحسين وسائل النقل والتغليف والتخزين.	- تدريب الأفراد على التسويق الخارجى - بناء قاعدة معلومات عن السوق	١٠ مليون دولار أمريكى	

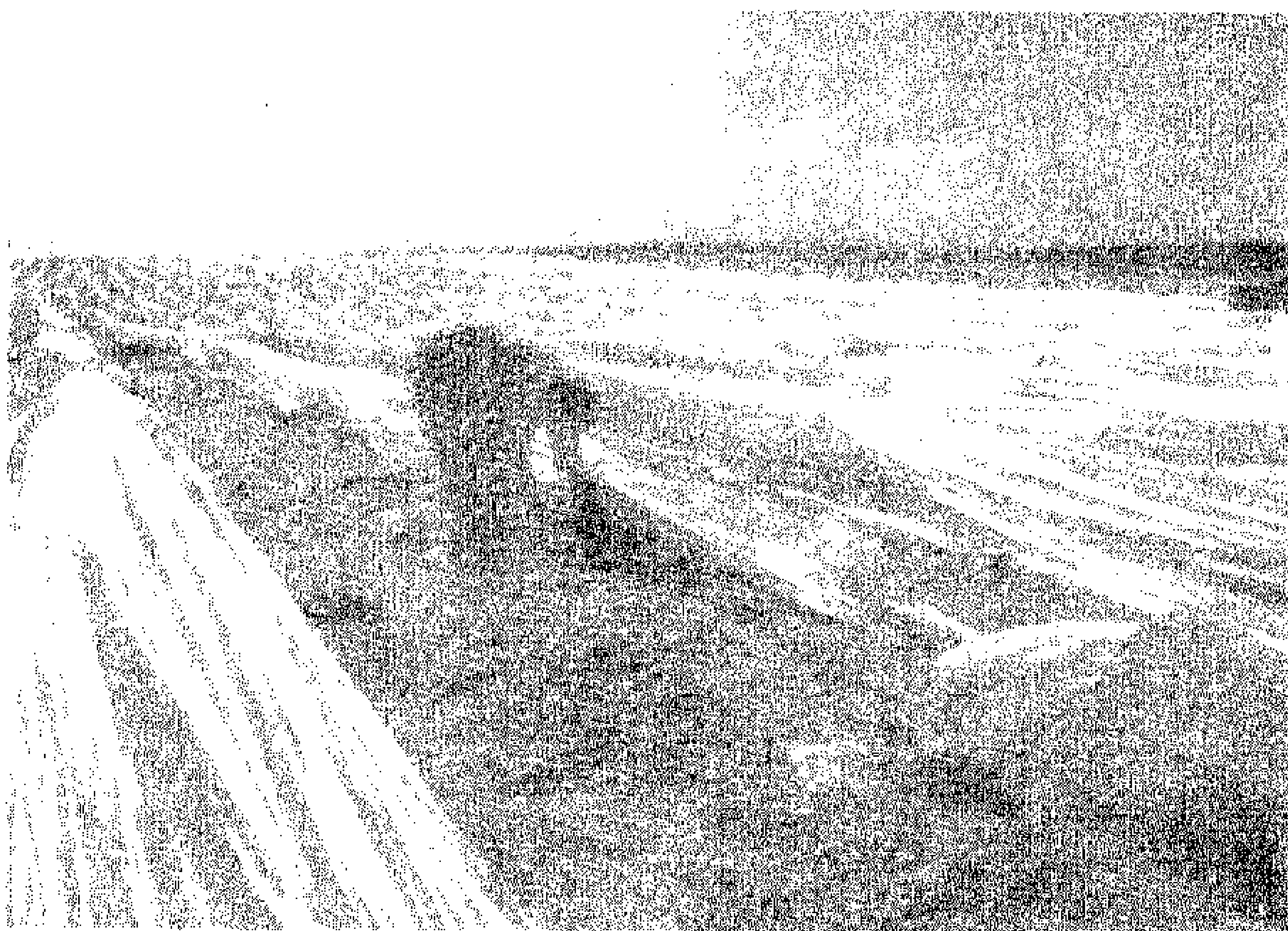


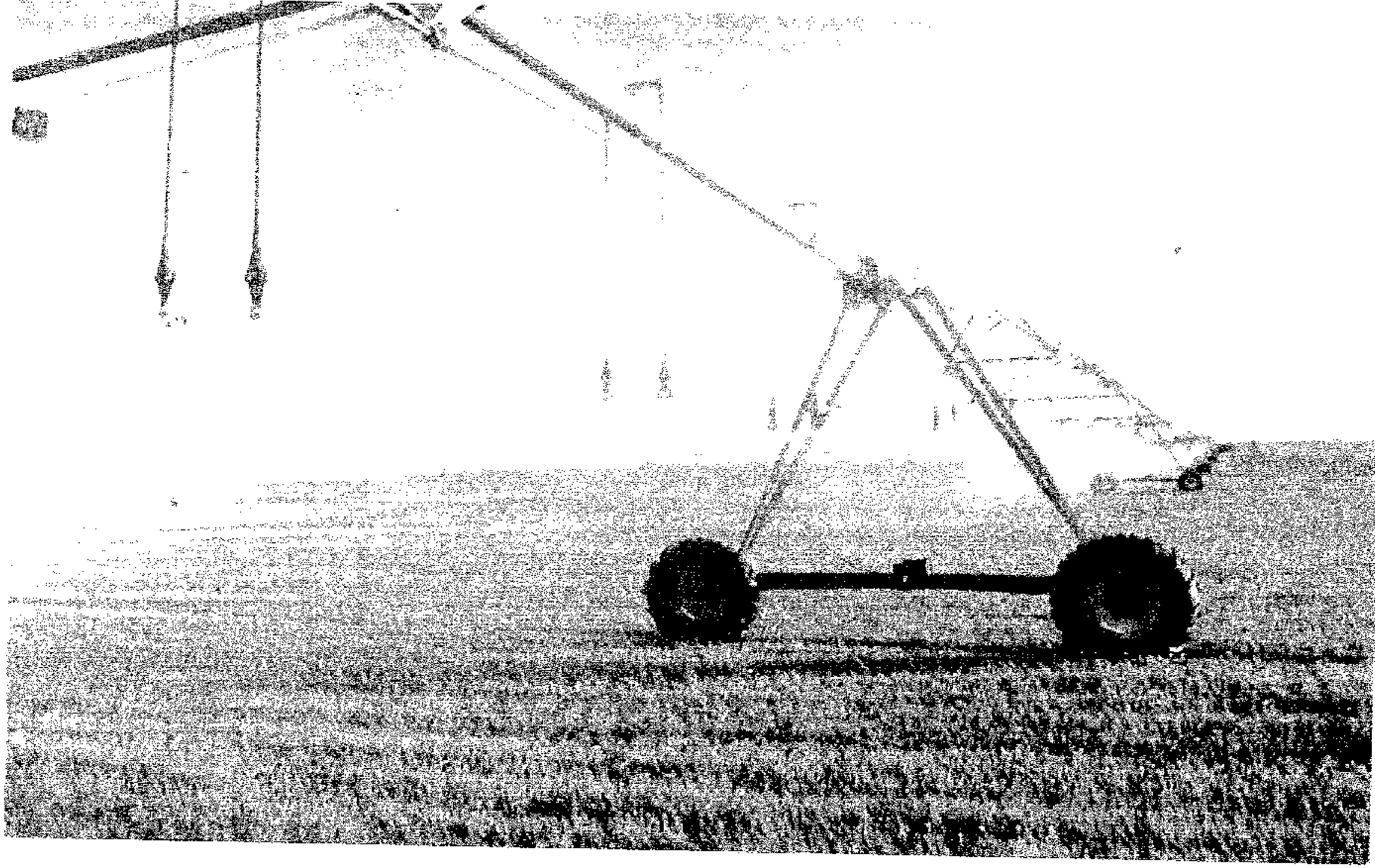
الرئيس مبارك يتابع بنفسه المناطق الزراعية الجديدة فى عمق الصحراء



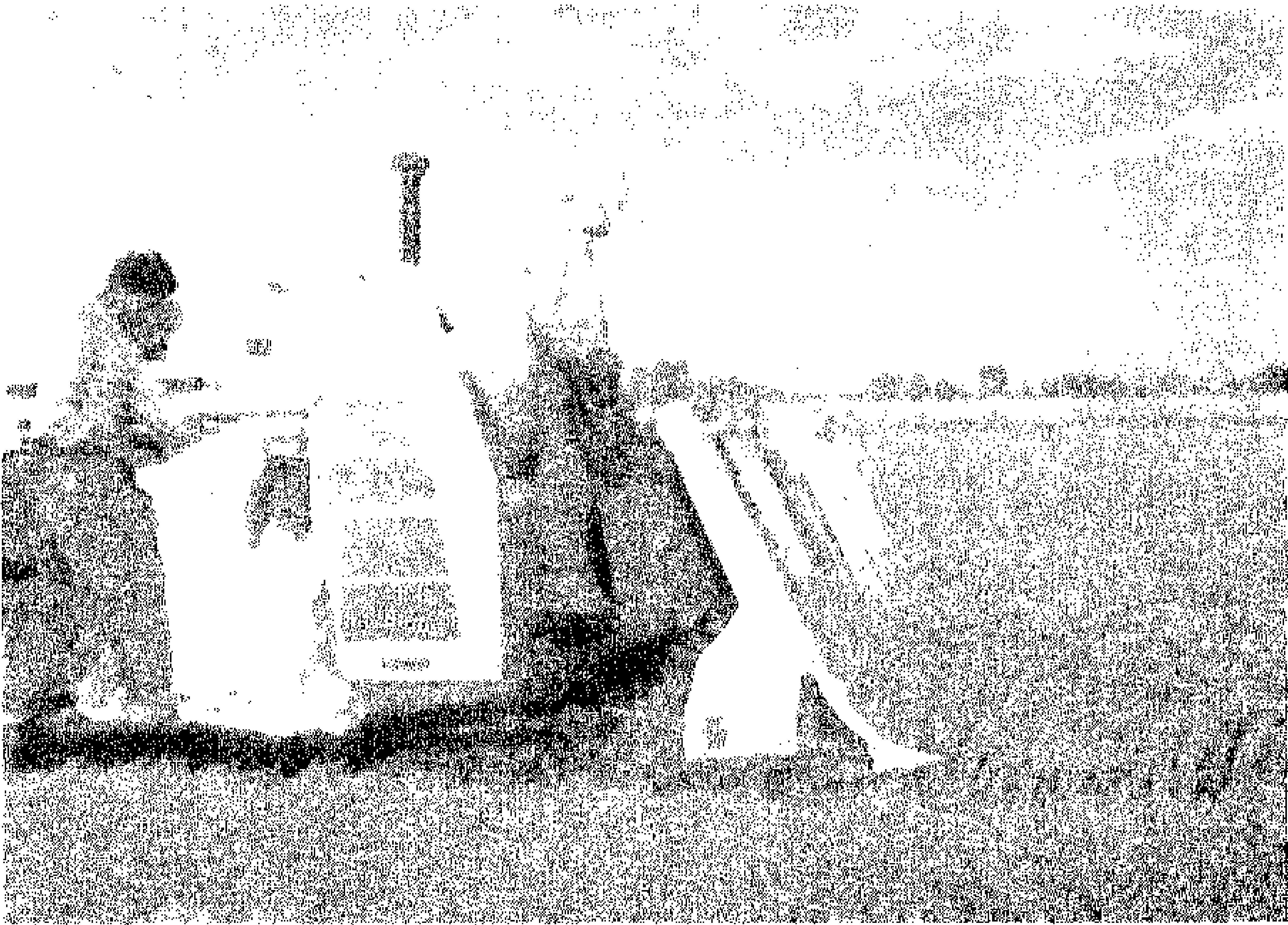


الصوبات الزراعية توفر الخضروات طوال العام



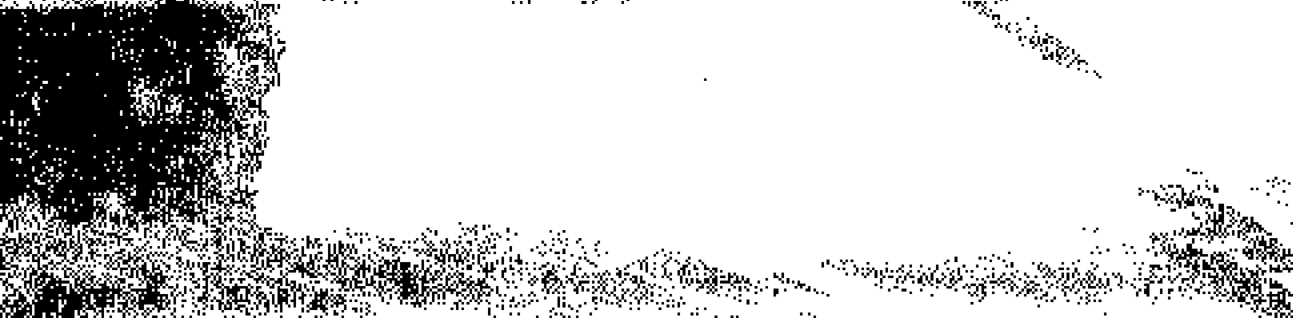


الرى المحورى .. لترشيد استهلاك المياه



الميكنة الزراعية من أجل زيادة الانتاج

القمـــــح
وسيلة الانســـان
لتحقيق الاكتفاء الذاتي



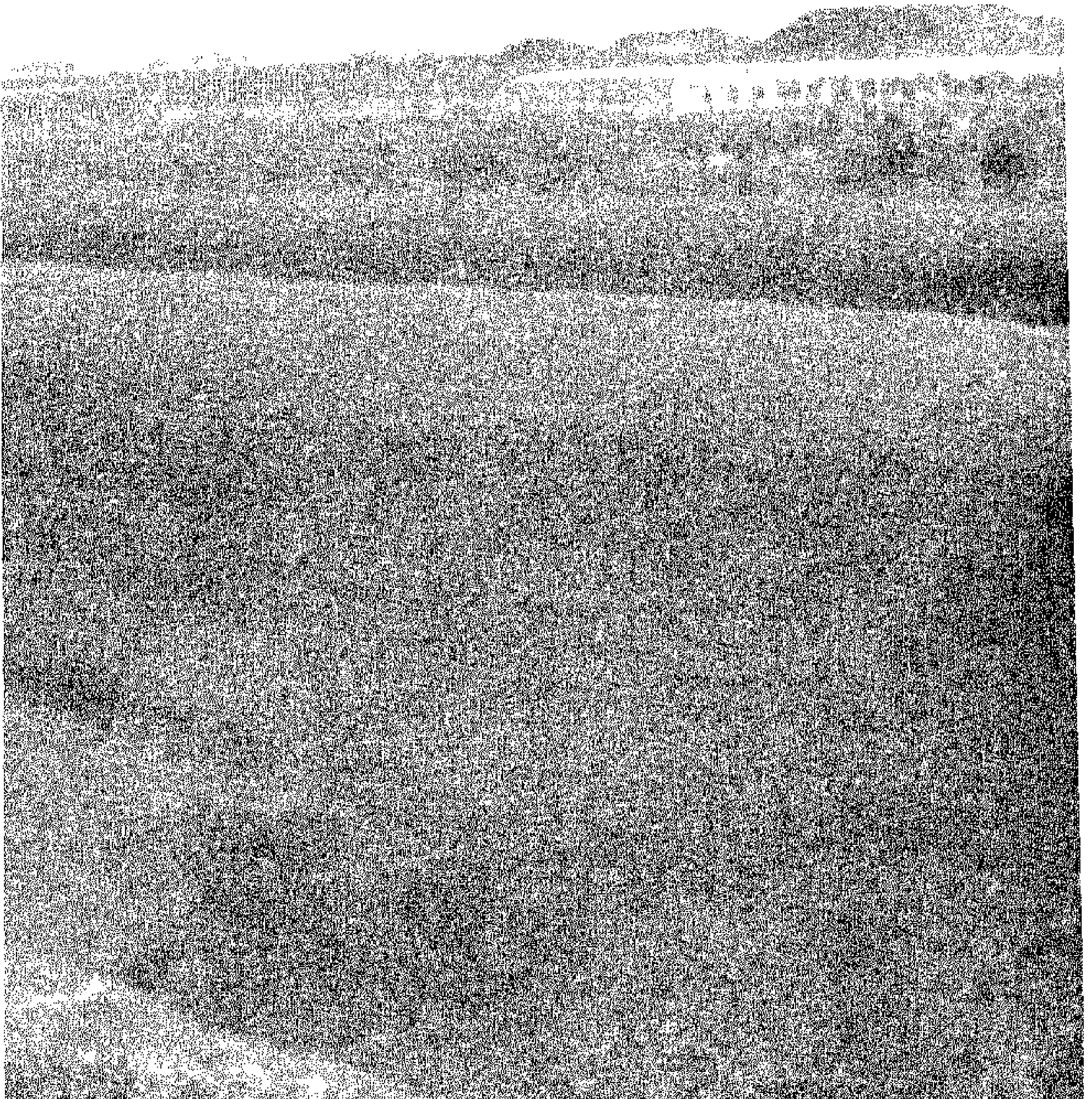


القطن .. ذهب مصر الأبيض



أشجار الزيتون تغزو صحراء مصر





الزراعة الشاطئية فى توشكى



تنوع فى الانتاج الزراعى لتحقيق الأمن الغذائى

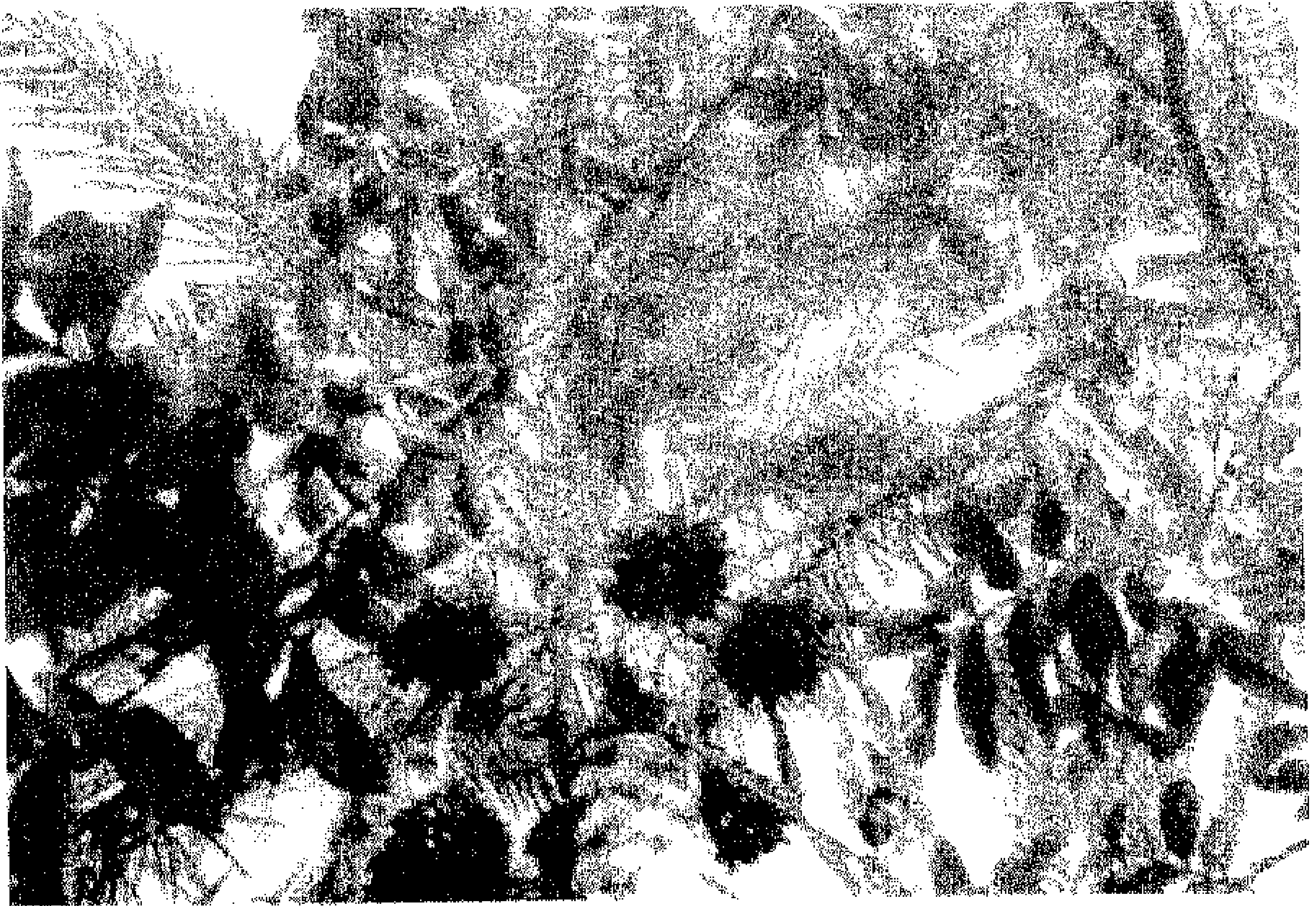




المانجو المصرية .. شهرة عالمية



الفراولة المصرية .. طعم حلو .. ومذاق لذيذ



الجوافة المصرية تتعانق مع ثمار النخيل

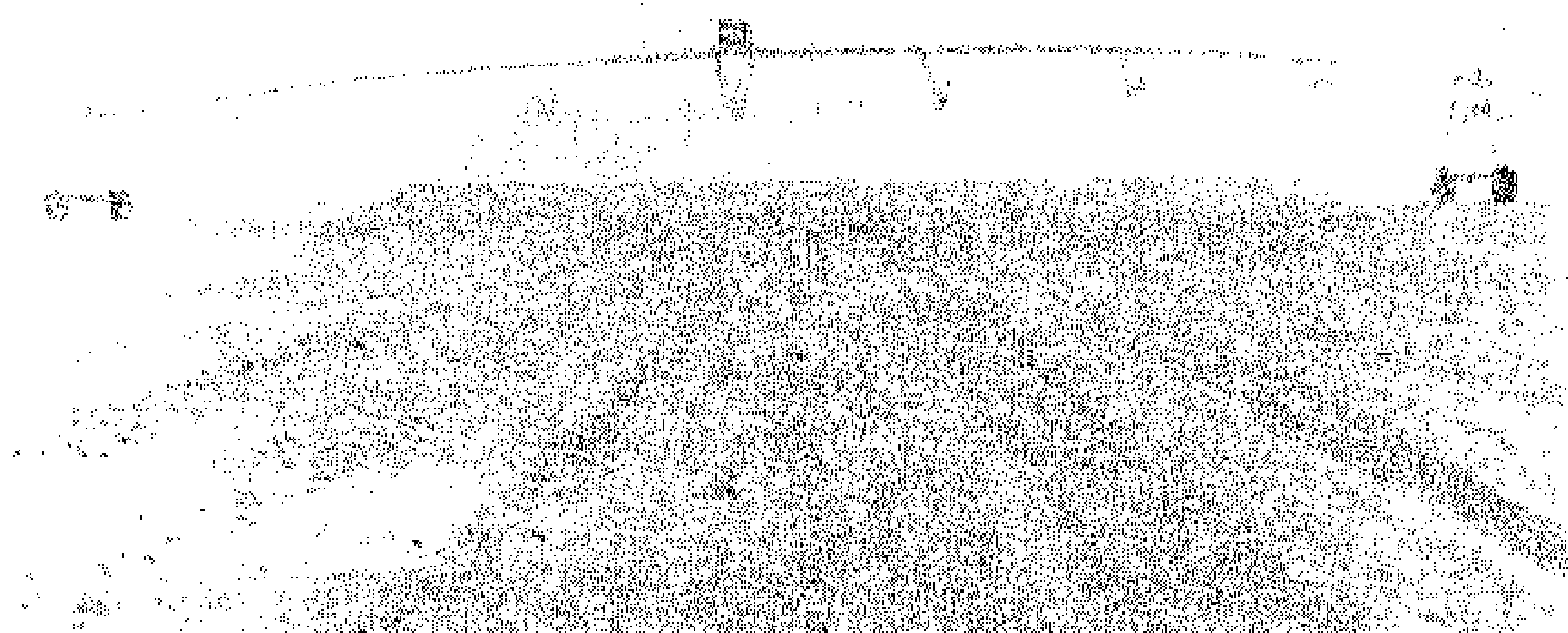


المشمش .. للاستهلاك والتصنيع



التفاح المصرى منافس قوى لمثيله الأجنبى

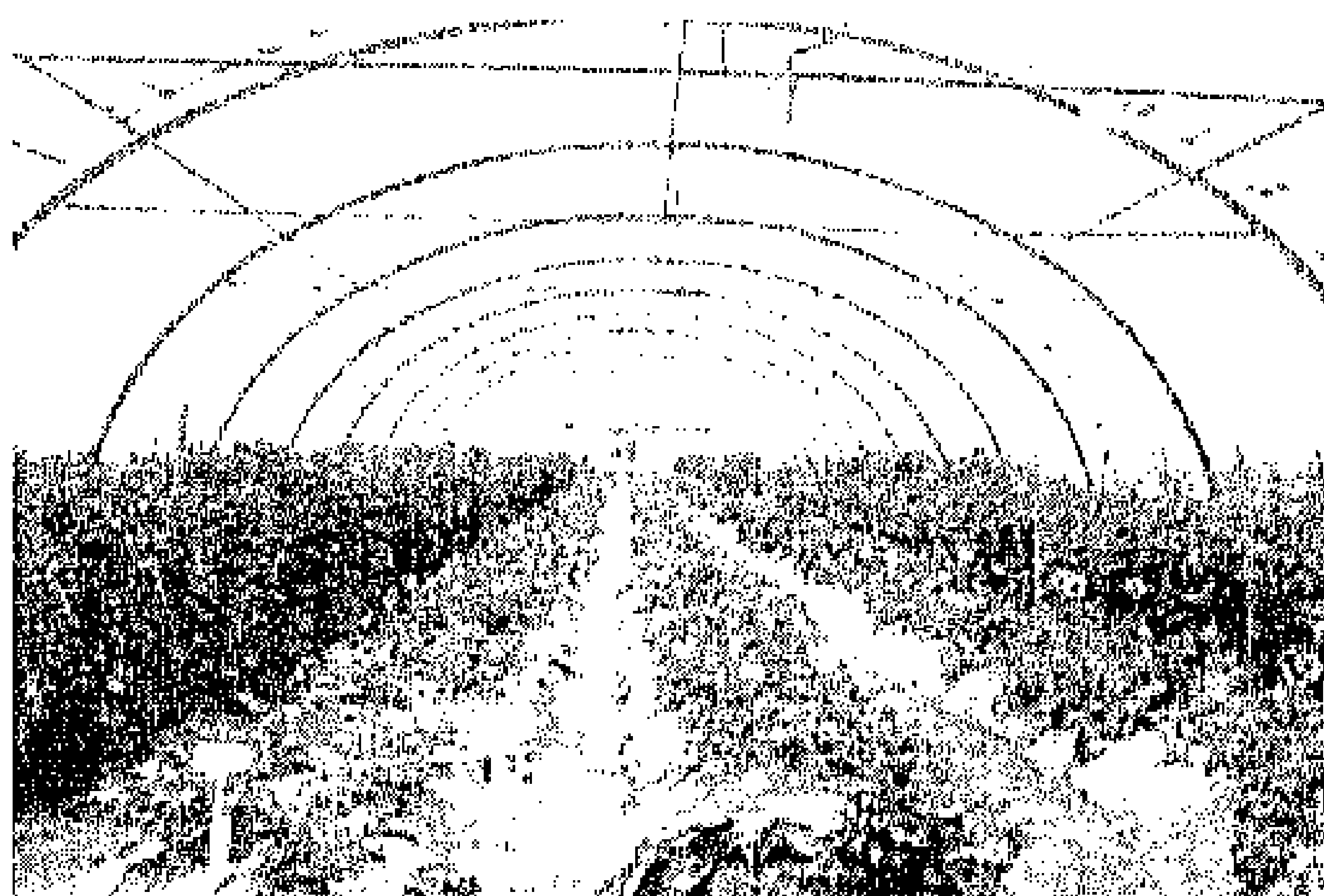






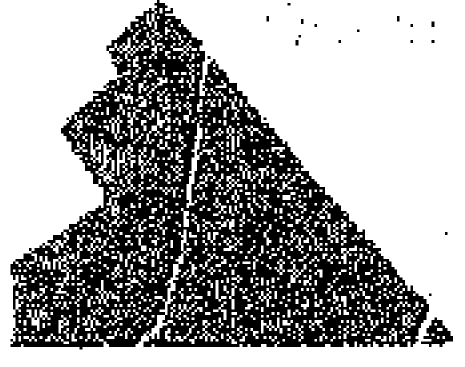












خامسًا : الصناعة والتجارة

١ - نظرة عامة :

(أ) إن الصناعة والتجارة تحدد مستقبل المنطقة وتساعد على إحداث طفرة في التنمية فى هذين المجالين دخول المنطقة إلى عصر السلام والاستقرار.

(ب) ويمكن لمناطق التجارة الحرة أن تقوم بدور هام لدفع التجارة بين دول المنطقة.

(جـ) وفى معظم دول المنطقة فإن الصناعة تسهم بأقل من ٢٠ ٪ من الناتج المحلى الإجمالى وهى نسبة أقل من المطلوب (المطلوب أكثر من ٣٠٪).

(د) والمرغوب أن يركز القطاع الصناعى على الإنتاج التكاملى وعلى الصناعات ذات المردود المرتفع بالدخول بشكل مكثف فى مجال التصدير.

(هـ) ولقد ركز الجانب المصرى مشروعاته عن المنطقة للتنمية فى سيناء والمناطق المتاخمة.

٢ ـ المشروعات :

وهناك تسعة مشروعات تدور حول المجالات التالية:

- ●● إنتاج مواد البناء.
- ●● صناعة تجهيز المواد الغذائية والأسماك.
- ●● الغزل والنسيج والملابس الجاهزة.
- ●● التصنيع الزراعى.
- ●● إنتاج البوليستر والبوليبروفيلين.

مشروعات الصناعة والتجارة

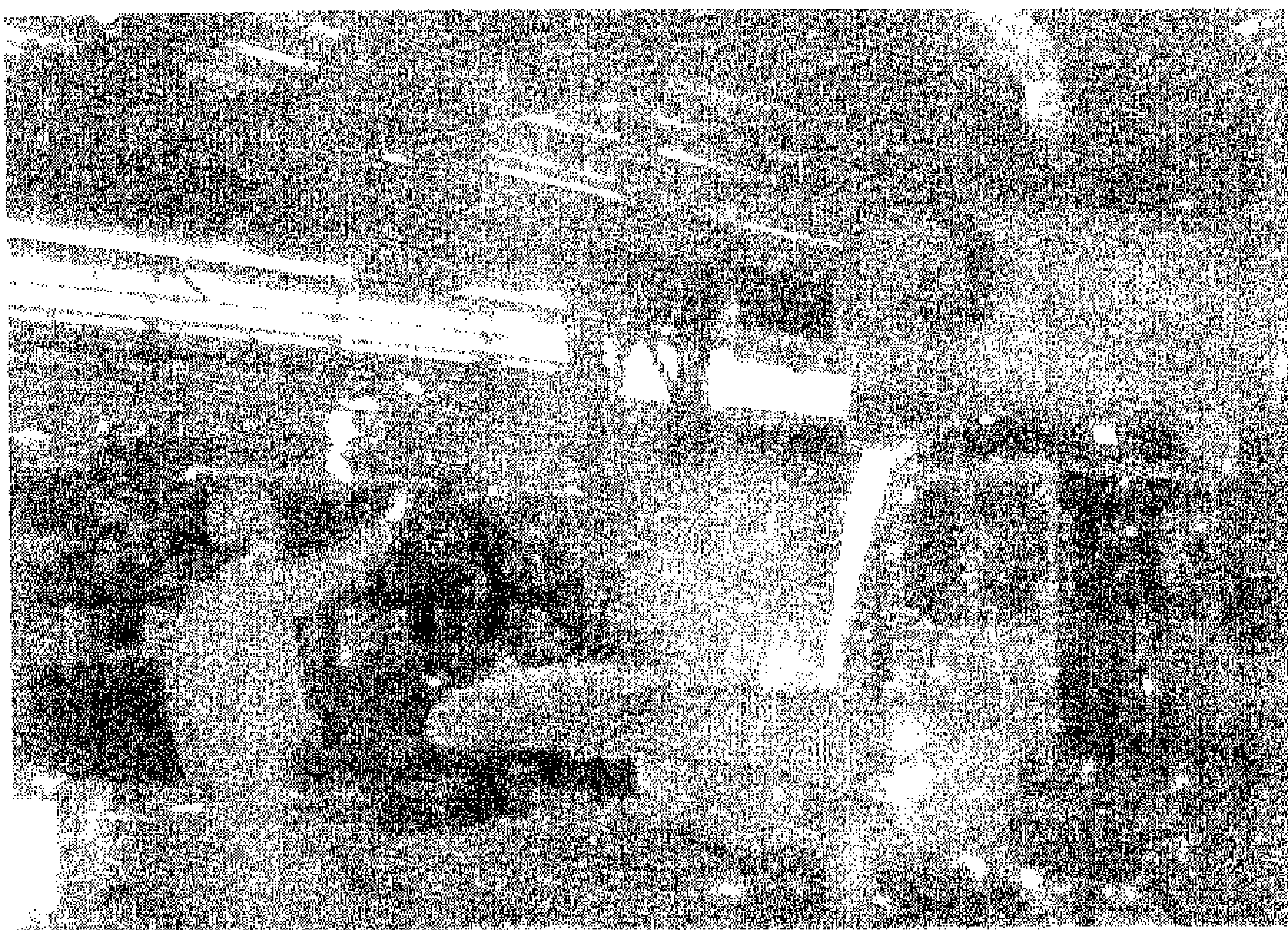
م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	التكلفة التقديرية بالمليون دولار الأمريكي
١	● إقامة المناطق الحرة: - إقامة مناطق حرة في أماكن محددة مختارة تخدم قواعد لانطلاق التحرية بين دول المنطقة. - وستكون هذه المناطق جاذبة للاستثمارات. - وستكون هذه المناطق حرة مقترحة. - منطقة العريش - القنطرة - بير العبد - النقب - رفح - بورسعيد.	- الاستفادة من مزايا مثلث مصر - فلسطين إسرائيل، ومثلث مصر - الأردن - إسرائيل وخاصة لتوافر العمال الزراعيين الرخيصة وتوفر المعلومات والموارد المالية. - زيادة فرص التبادل والاستثمار لدول المنطقة. - تسهيل تبادل السلع والخدمات.		
٢	● تنمية شمال خليج السويس: - إقامة مراكز تسهيلات الإنتاج والخدمات لخدمة الدول المحيطة في مجال التصدير. - العمل همزة وصل بين إفريقيا ودول الخليج العربي من جانب وبين هذه المناطق وبين أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان من جانب آخر. - ومراكز التسهيلات تقام في السويس الجديدة وعتاقة والأدبية وشمال العين السخنة ورأس سدره وشمال عيون موسى	- له مزايا وطنية وإقليمية. - خلق مراكز تنمية إقليمية. - تقديم التسهيلات في النقل والمعلومات والعمالة والتسويق للمستثمرين.		١٠ سنوات للمراحل المختلفة
٣	● إنتاج مواد البناء: - تتميز منطقة المغارة ٧٠ كم جنوب العريش، وهي منطقة غنية بالموارد الطبيعية مثل الفحم والرمال الخاصة والرخام والمياه السطحية والجوفية. - وعمل شبكة لربطها بالإسماعيلية والعريش وغيرها من مناطق سيناء. - كما تتميز بقربها من المنطقة الصناعية في بير العبد.	- مساعدة منطقة سيناء لتصبح معتمدة ذاتيا. - خلق فرص عمل جديدة. - يؤدي إلى قيام صناعات أخرى قريبة.	٧٥٠ مليون دولار أمريكي لأربعة قطاعات إنتاجية	

(تابع) مشروعات الصناعة والتجارة

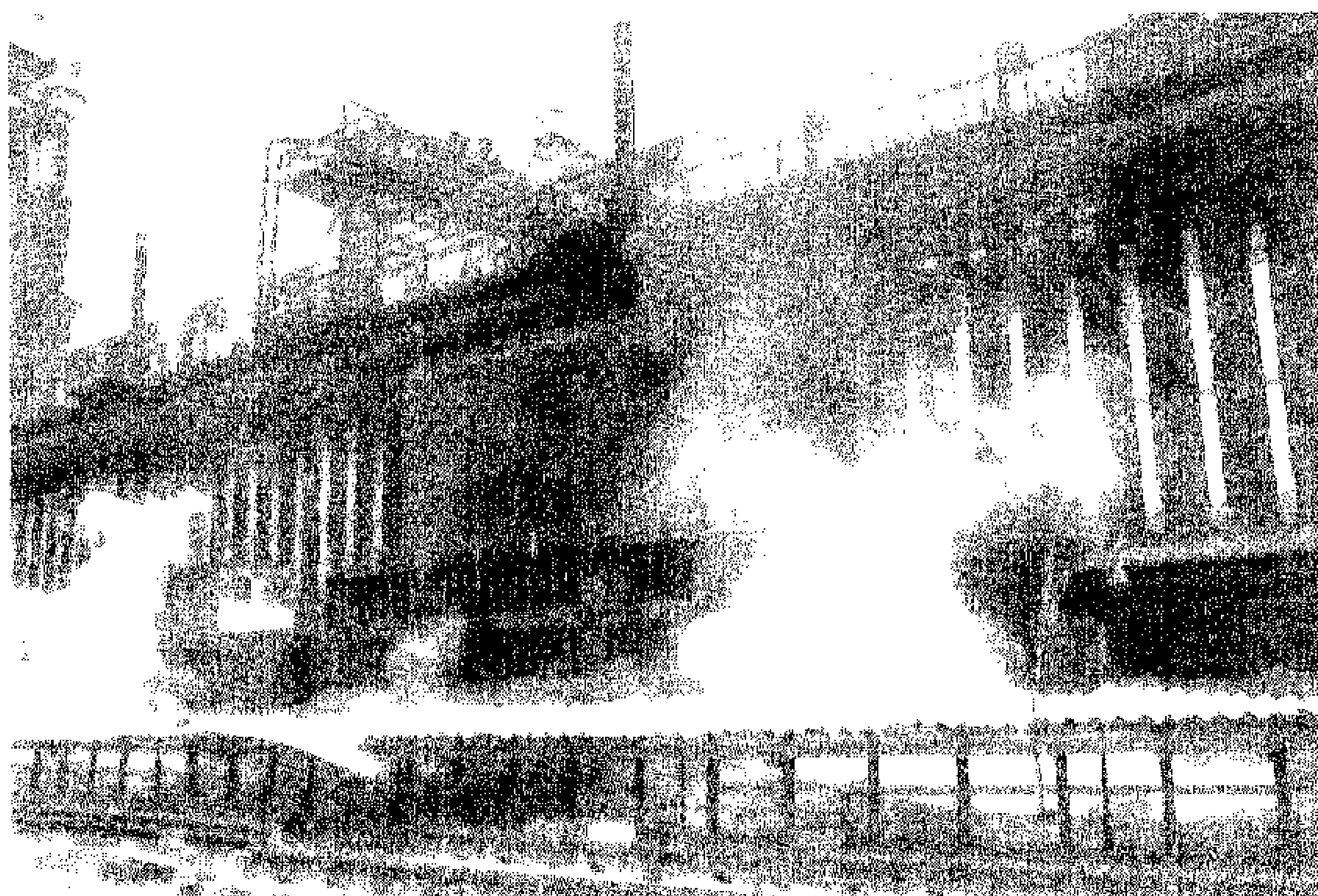
م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	مدة المشروع	التكلفة التقديرية بالمليون دولارالامريكى
٤	● **الصناعة الغذائية والأسماك:** - إعادة رسم خريطة سيناء، مثلاً بوجود ٤٠٠٠٠٠ فدان للزراعة فى سيناء تغل محاصيل نقدية. - وهناك بحيرة البردويل ذات الإنتاج الوفير من الأسماك للتصدير لأوروبا.	- بناء وحدات تصنيعية للسلع الغذائية والأسماك تخصص للتصدير. - إتاحة فرص عمل جديدة فى سيناء.	١٣٠ مليون دولار أمريكى	
٥	● **مجمع غزل ونسيج وملابس جاهزة:** يقع المشروع فى المنطقة الحرة الجديدة على قناة السويس. - مجمع للغزل والنسيج والملابس الجاهزة والجوارب والمناشف وغيرها.		١١٠ مليون دولار أمريكى	
٦	● **مشروع للتصنيع الزراعى (فى مصر):** يشمل استصلاح ٥٠ ألف فدان وتزرع بالخضروات والفواكه وفقا للتقنية الحديثة. - ويشمل المشروع على سبل التعبئة والتبريد والمعالجة وإعداد المنتجات الغذائية. - وهو مشروع موجه للتصدير		٩٥ مليون دولار أمريكى	
٧	● **إنتاج البوليستر:** - يقع المشروع فى المنطقة الحرة الجديدة على قناة السويس. - وينتج البوليستر القطن وبوليستر الصوف - حجم الإنتاج من ١٥٠ - ٢٠٠ طن يوميا - ويوجد سوق كافية محليا وللتصدير.		١١٠ مليون دولار أمريكى	

(تابع) مشروعات الصناعة والتجارة

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	مدة المشروع	التكلفة التقديرية بالمليون دولارالأمريكى
٨	● إنتاج البوليبروبيلين بولمير: Poly propylene Polymers - يقع المشروع فى منطقة العامرية الحرة بالإسكندرية. - طاقة الإنتاج ١٢٠ ألف طن مترى سنويا.		١٣٠ مليون دولار أمريكى	
٩	● مشروع تنمية تكامل المصانع الصغيرة المتوسطة فى سيناء: - يساهم المشروع فى سرعة تنمية سيناء بخلق فرص عمل جديدة وهو أمر يجذب العمالة من مناطق أخرى كثيفة السكان فى مصر. - وكل مشروع فرعى سيحتاج من ٣ - ٥ مليون دولار استثمار. - وأبرز مجالات الاستثمار فى هذا الصدد: * استخراج المعادن. * قطع الرخام. * طحن المعادن. * نقل المعادن والرخام. * ورش الصيانة. * وحدات إنتاج الطعام. * تعليب المواد الغذائية. * مصنع تعبئة المياه المعدنية. * تربية الدواجن حول المراكز السكانية. * مجمعات خدمات. * خدمات السياح. * فنادق صغيرة.	- إتاحة الفرصة للمستثمرين الذين يفضلون المشروعات الصغيرة والمتوسطة. - إتاحة فرص عمل جديدة ونقل السكان من مناطق الكثافة العالية إلى سيناء. - ويستفيد من المشروع حوالى ٥٠٠٠٠٠ شخص	١١٠ مليون دولار أمريكى	٥ سنوات

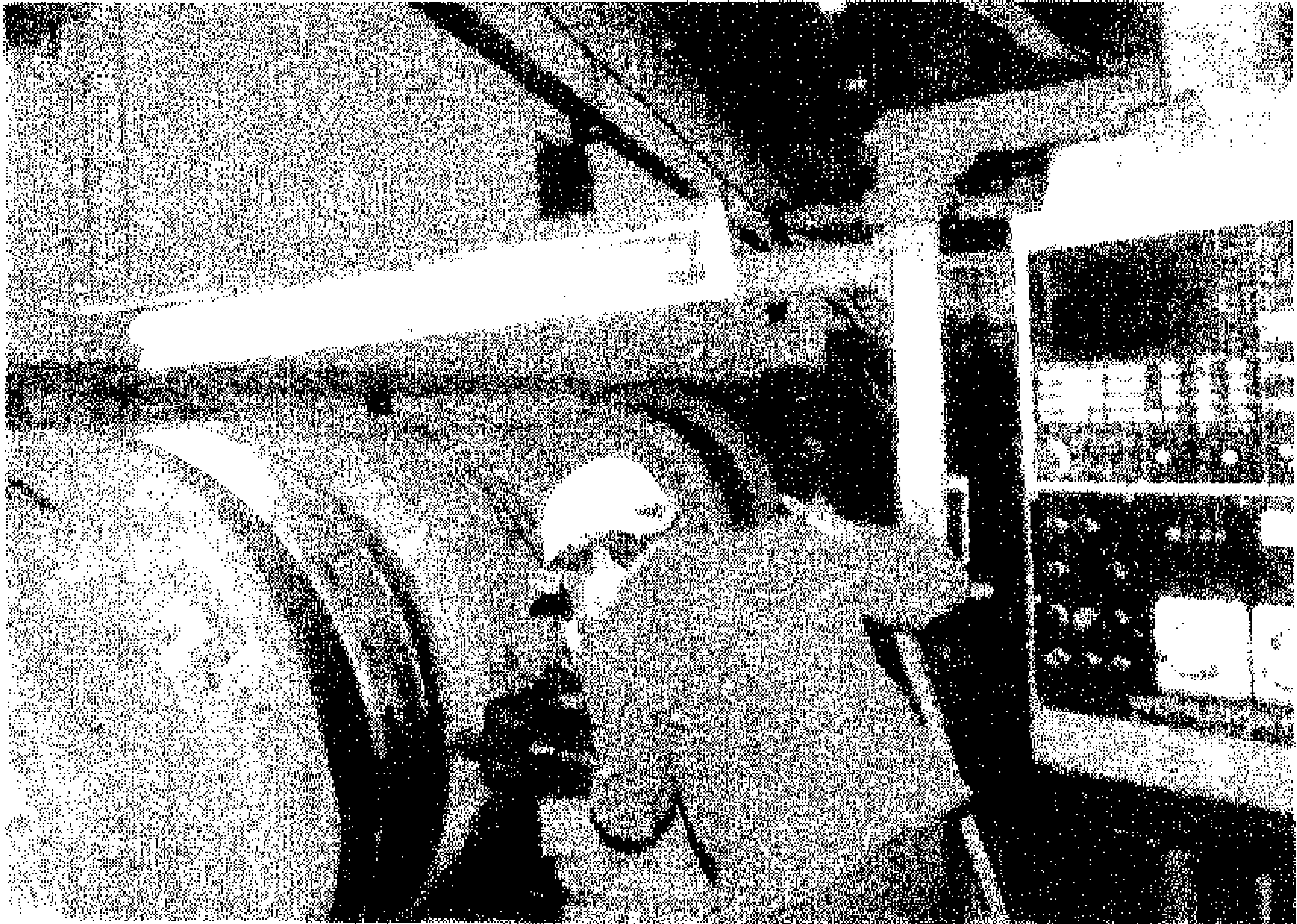


الحديث والصلب .. لتغذية الصناعات الثقيلة

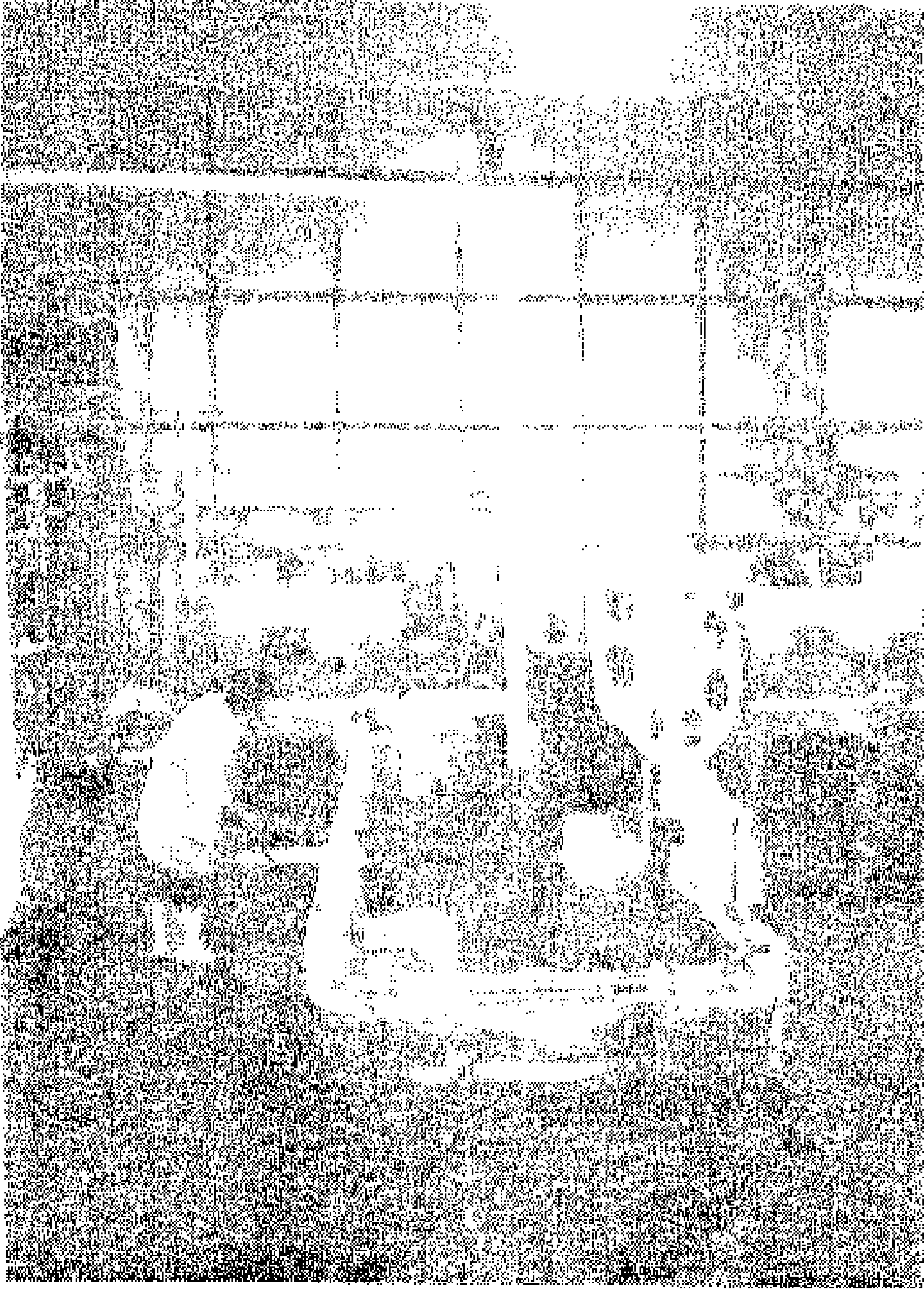




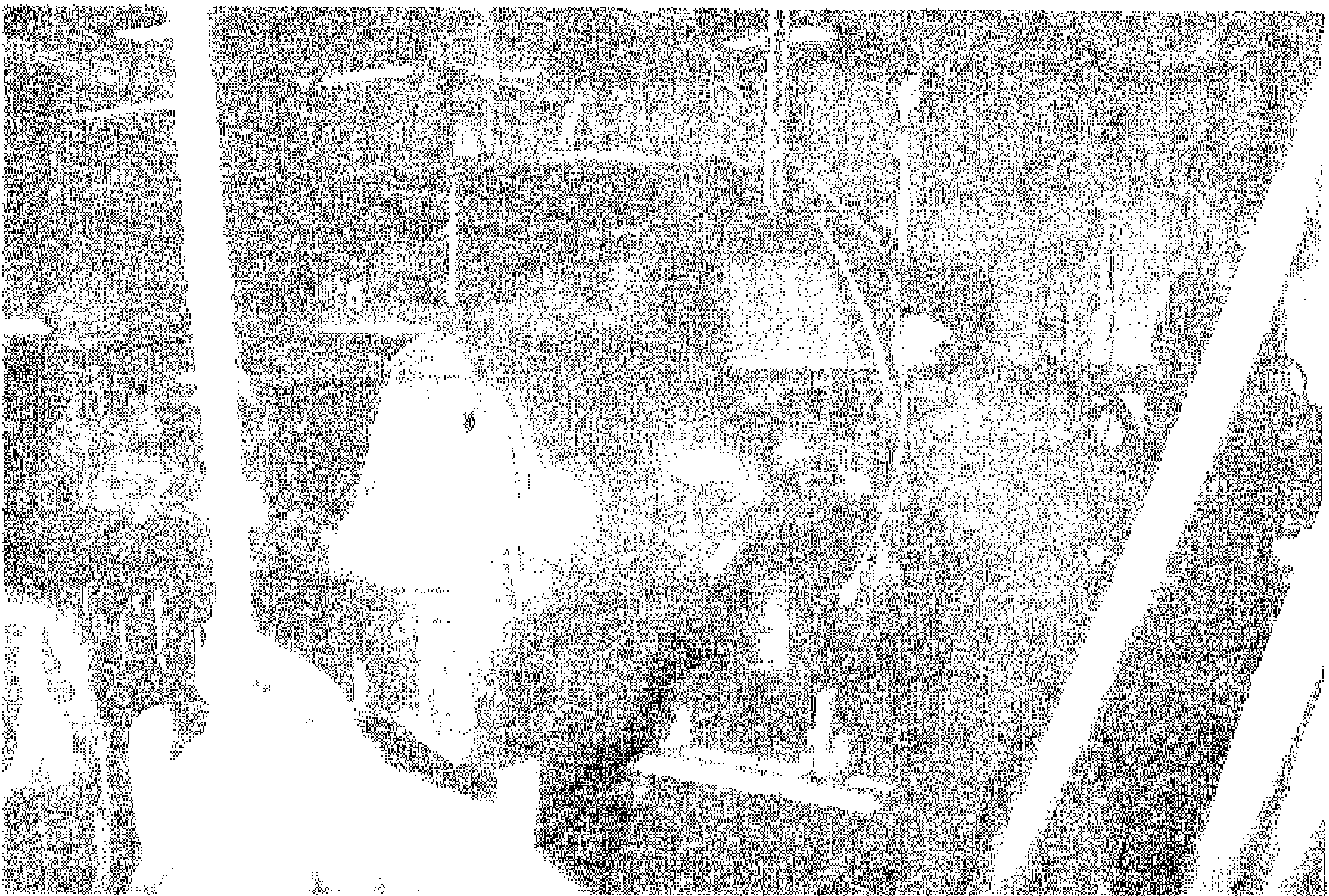
صهر الحديد .. أولى
مراحل التصنيع



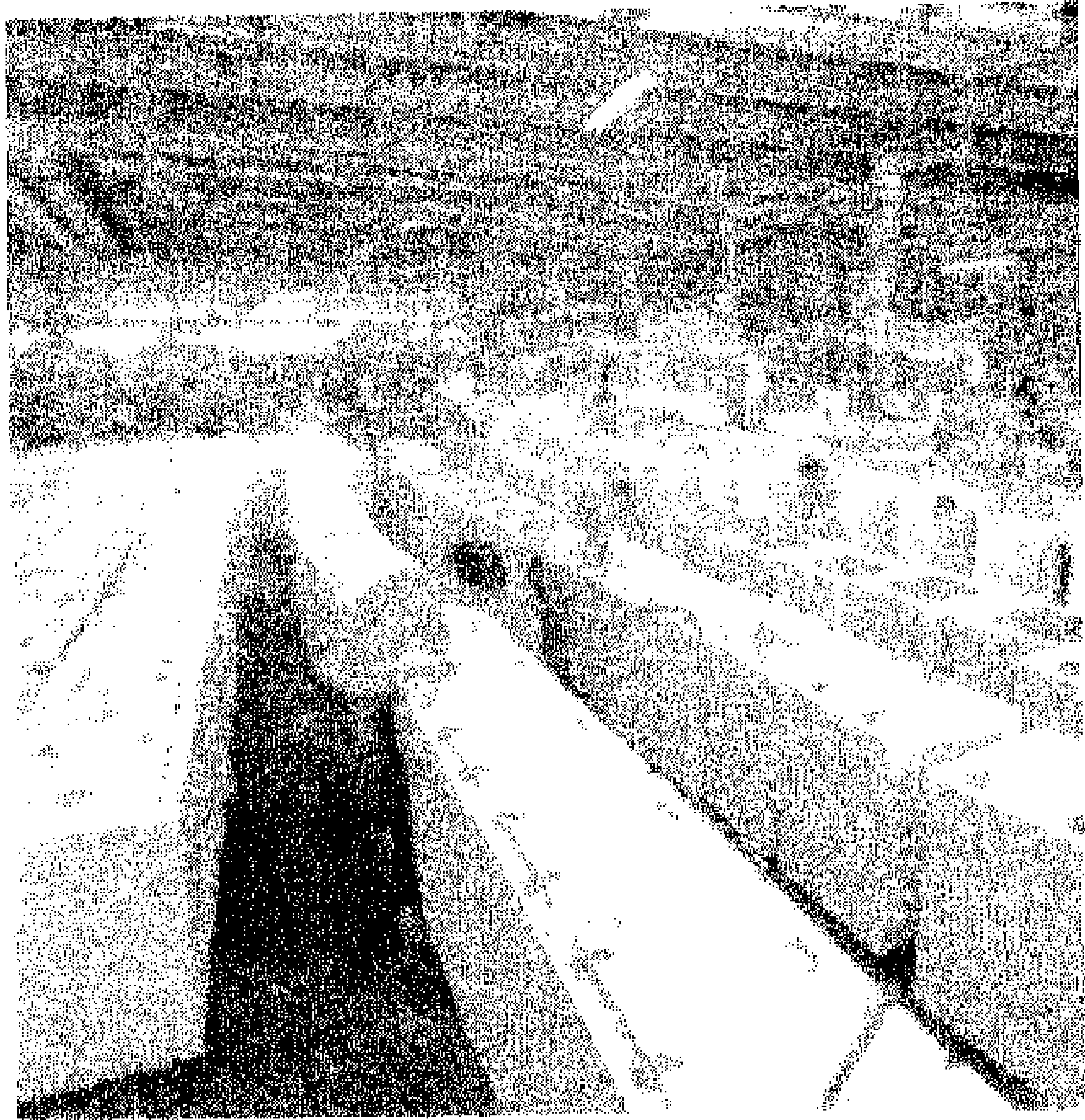
التكنولوجيا الحديثة فى مواقع الانتاج

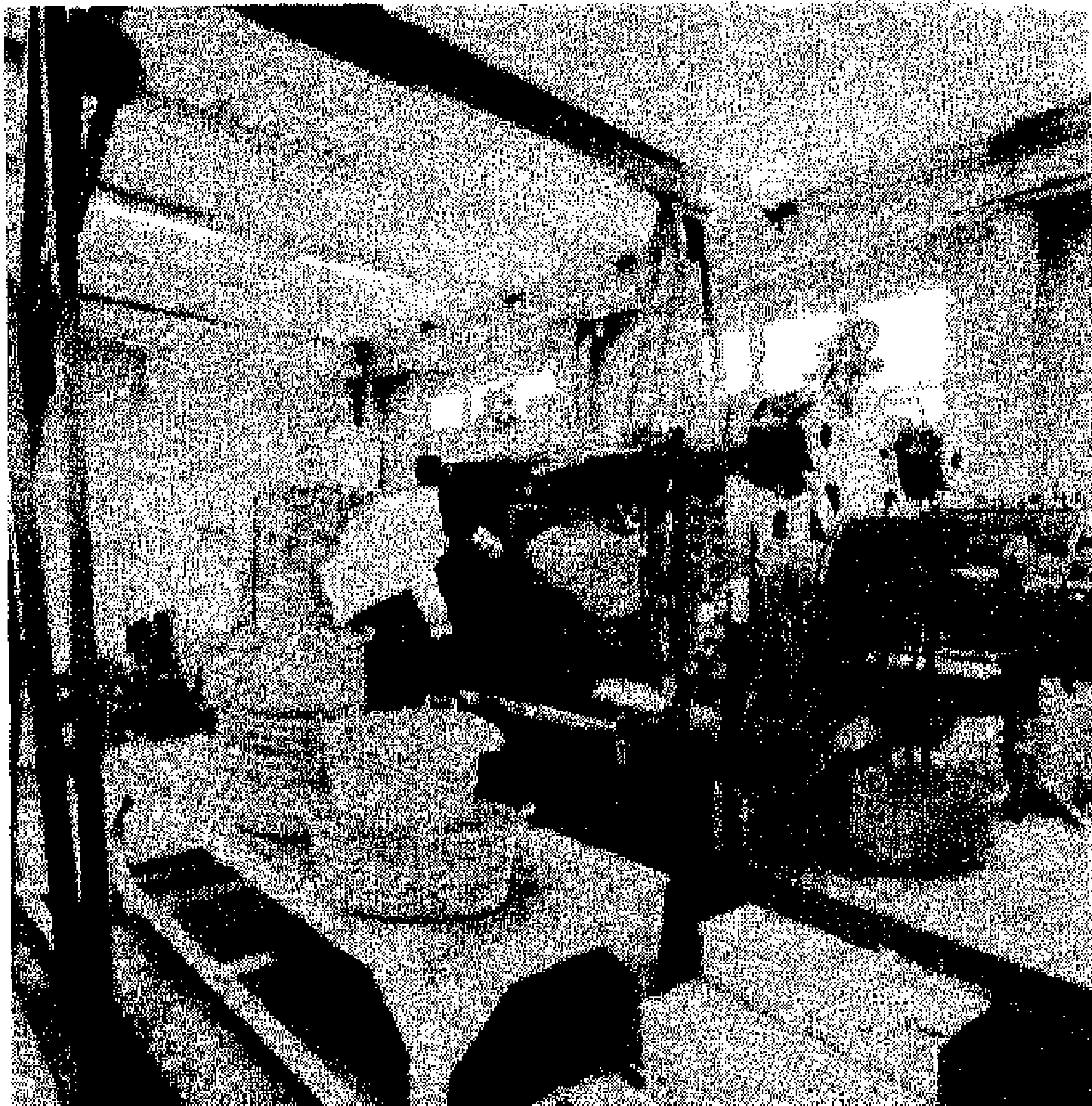


العمالة الماهرة ركيزة
أساسية للانتاج المتميز

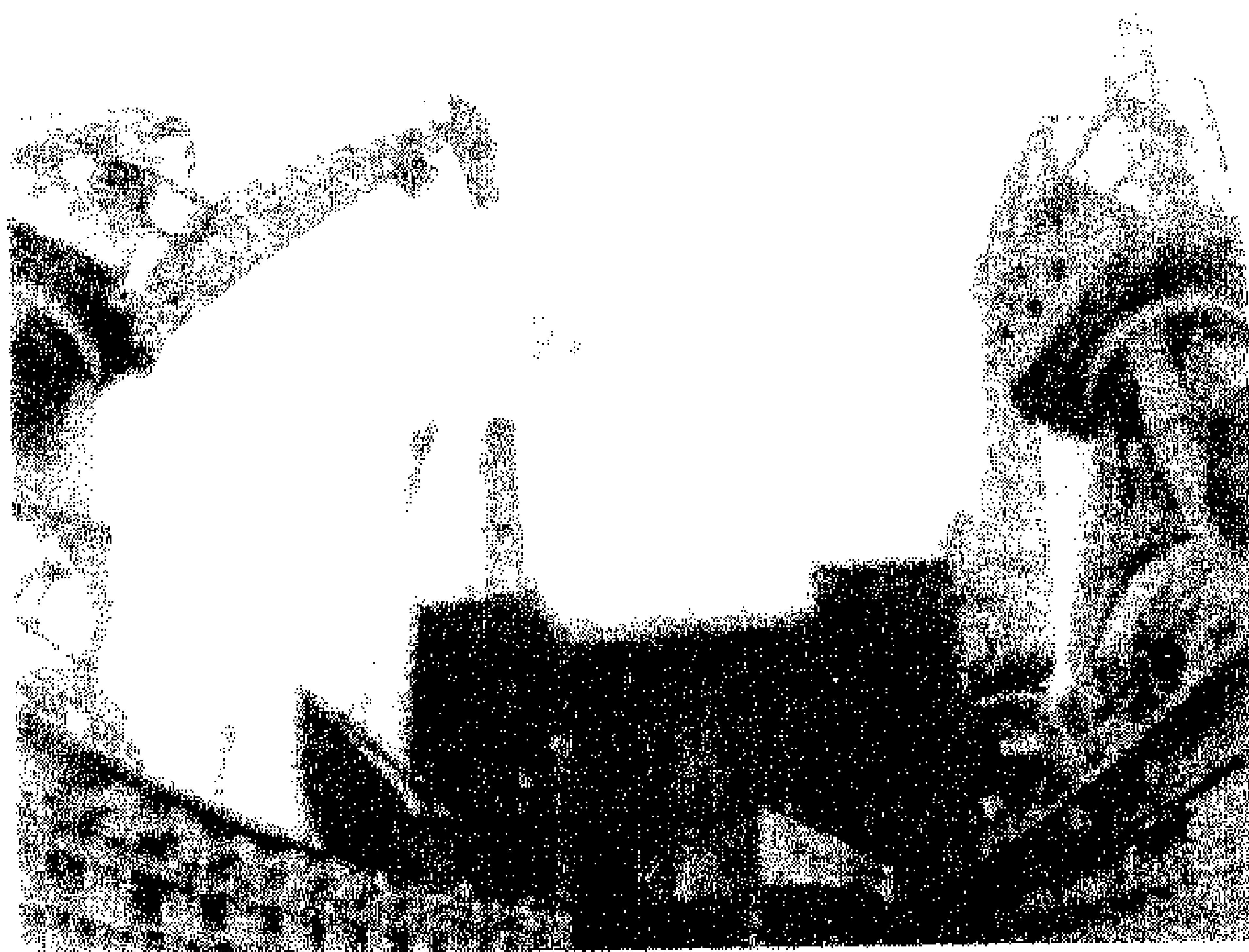


صناعة السيارات فى مصر .. انتاج متنوع ومتميز

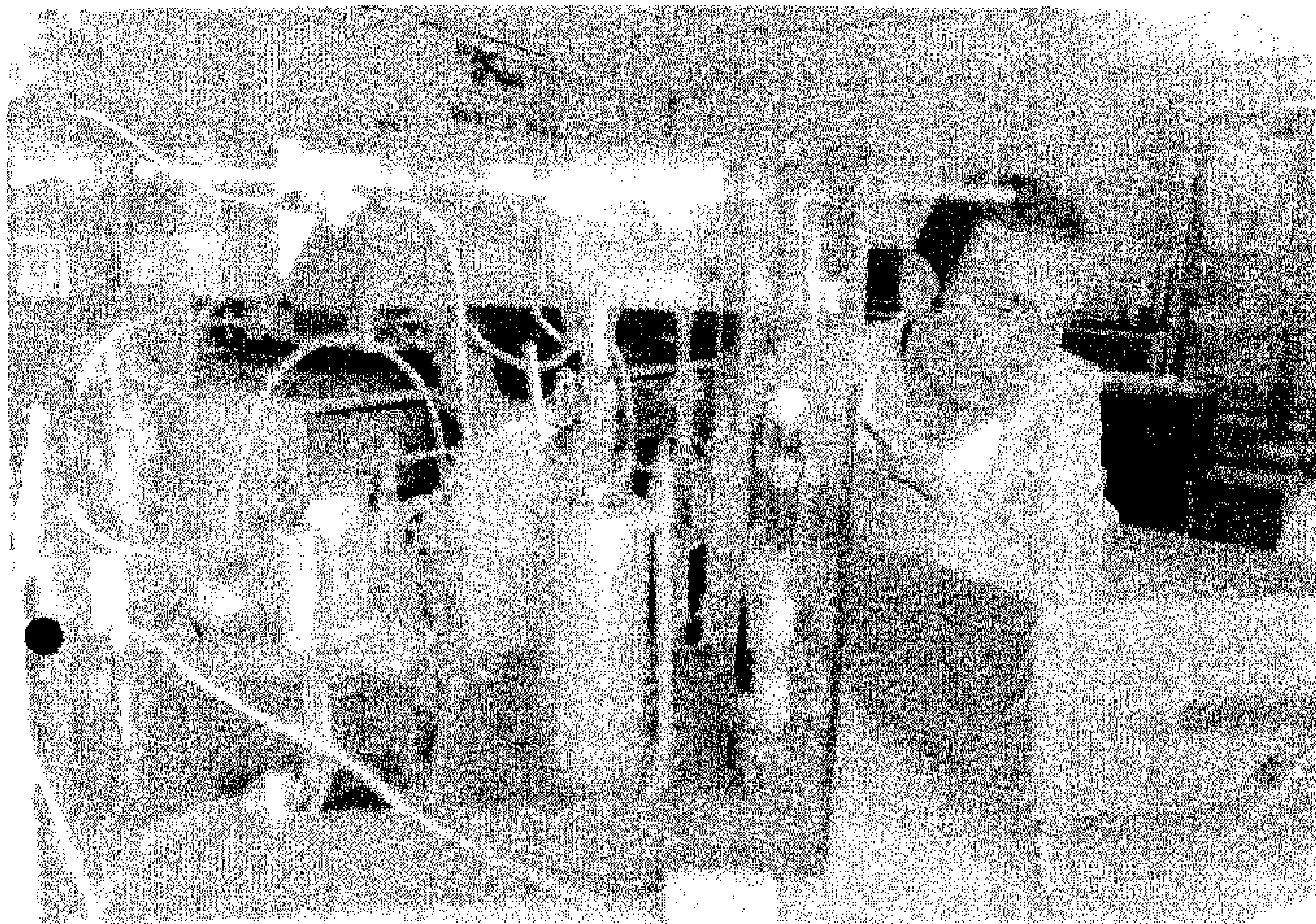


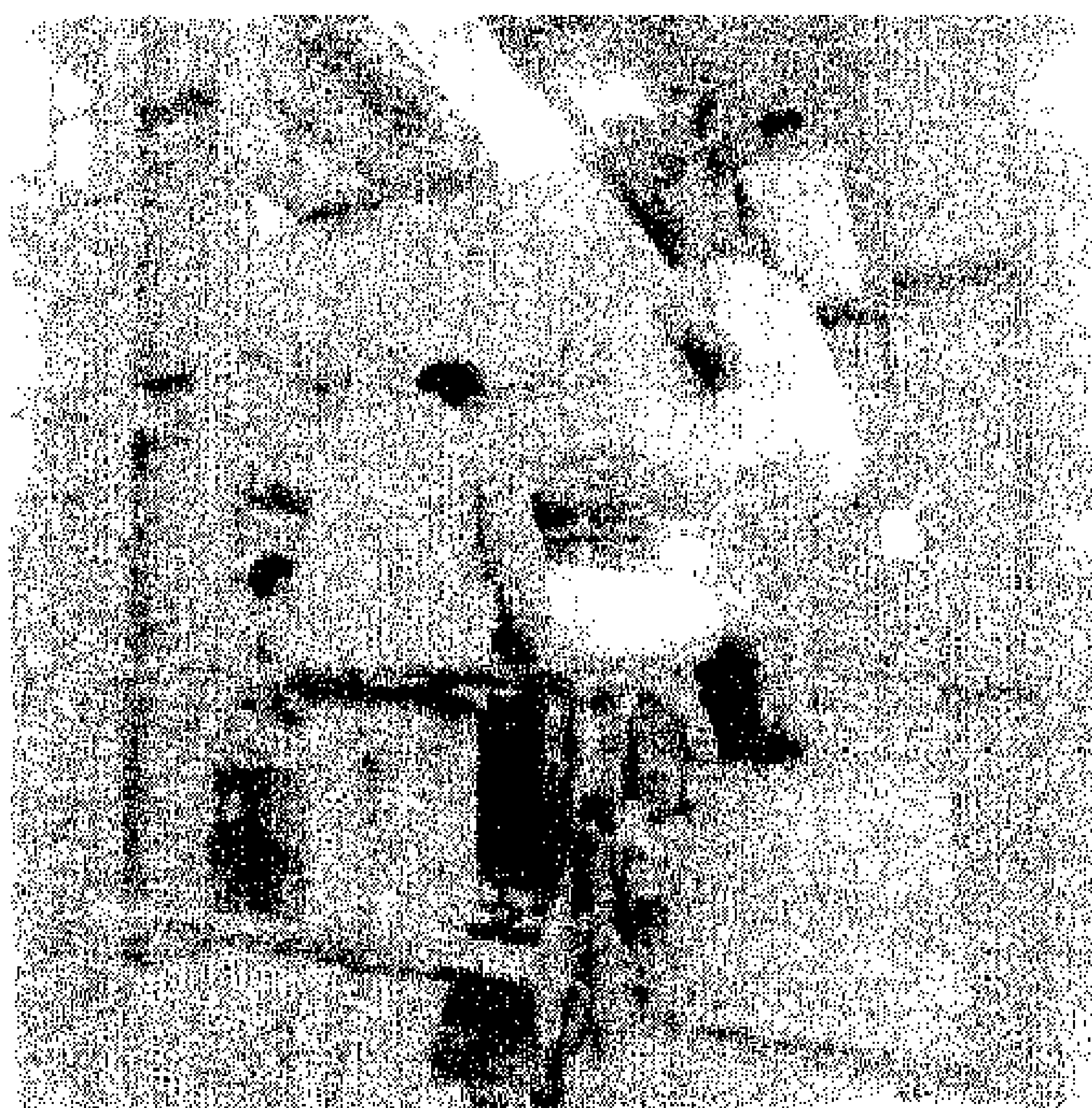


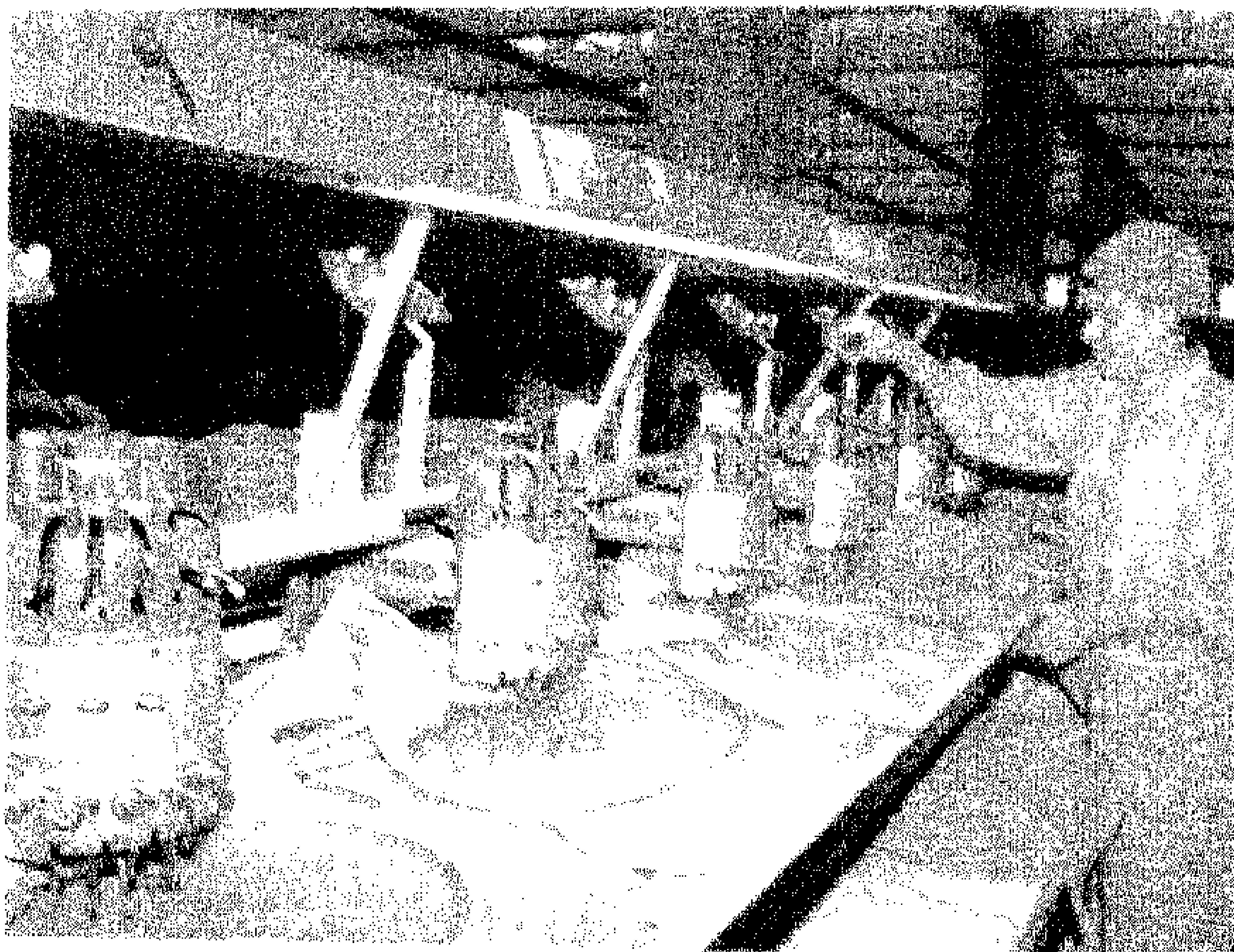




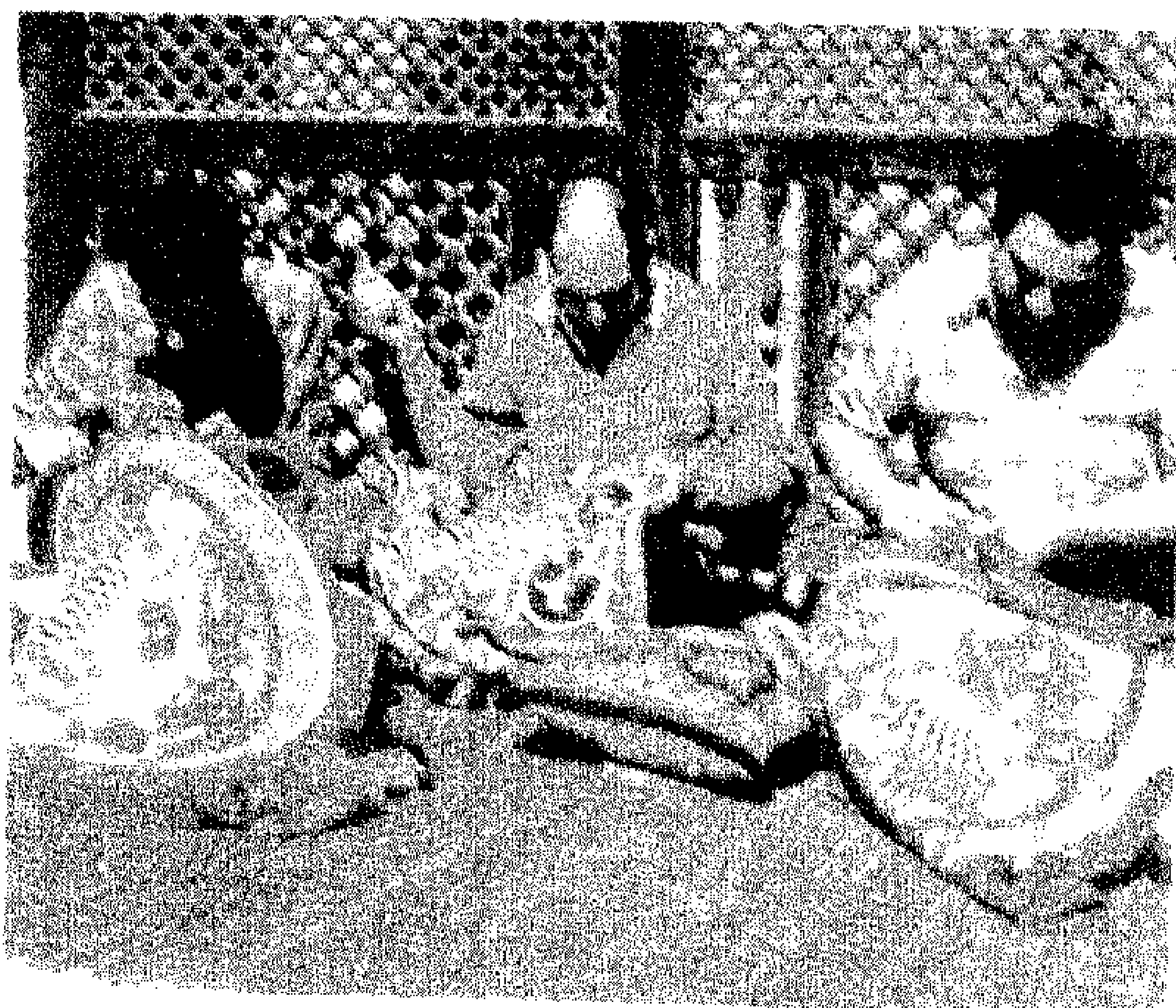








التطريز بالآلات الحديثة .. فن وذوق



الخيامية .. فن مصرى قديم



الغزل والنسيج .. صناعة مصرية متفوقة

سادساً : السـياحة

١ ـ نظرة عامة :

(أ) تعد السياحة مجالاً واعداً فى إطار التعاون الإقليمى، لأن كل دولة فى المنطقة لديها مكانتها السياحية من مواقع تاريخية ومناطق جذب سياحى معروفة، وكان عدد السياح عام ١٩٩٣ فى بعض دول المنطقة على النحو التالى:

مصر	إسرائيل	مراكش	سوريا	
٢,٥	١,٩	٤,١	١,٩	مليون

(ب) ومصر تعمل على تنمية قدراتها السياحية وتهتم لذلك بالحفاظ على بيئة نظيفة ورعاية كنوزها التاريخية.

(جـ) وفى المنتظر أن يبلغ عدد سياح العالم عام ٢٠٠٠، ٦٠٠ مليون سائح، وستقدم صناعة نقل الركاب وأمتعتهم (السياحة) ٧ ترليون دولار أمريكى بمثابة ناتج إجمالى عالمى، ويشتغل بها ٣٠٠ نسمة والتساؤل هو كم ستجنى دول المنطقة من وراء هذه الأنشطة من خلال التعاون بينها.

(د) ولصناعة السياحة فوائد عدة فهى:

●● تحقق عملة صعبة.

●● تخلق فرص عمل جديدة.

●● تسهم فى التنمية الاقتصادية العامة.

●● تتيح مستوى معيشة مرتفع.

●● تحقق تبادلاً فى الأفكار، وتسهم فى نمو التفاهم المشترك لشعوب العالم وتدعم من اتجاهات السلام.

●● وتشجع على مقاومة التلوث البيئى.

٢ ـ المشروعات :

وقد اقترحت مصر ستة مشروعات عن التعاون فى المجال السياحى الإقليمى.

مشروعات السياحة

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة التقديرية	المــدة
١	● ريفيرا البحر الأحمر: (فى خليج العقبة): منطقة البحر الأحمر تتمتع بميزة سياحية كبيرة فالمياه هادئة والرمال نظيفة ناعمة والشمس مشرقة دائماً والصخور (الشعب المرجانية) لا نظير لها، والجبال غير ملوثة. - وقد وضعت خطة تنمية ريفيرا البحر الأحمر وتشمل بناء الطرق والفنادق ومراكز الخدمة ورعاية المناطق ذات الجذب السياحى فى الخليج. - وفى مصر تبدأ المنطقة من جنوب طابا إلى رأس محمد. - وزودت المنطقة (فى الخطة) بمراكز خدمات متنوعة ومتقدمة.	- زيادة عدد قرى وإمكانات القرى السياحية والفنادق فى العقبة، وقد بدأت مصر تشييد الفنادق. - تنمية منطقة مركزية خضراء فى المنطقة الجنوبية من الخليج (٦٤ فدان أرض جولف + ١٠٥ فدان حدائق) - إنشاء مرسى لليخوت تسع ٢٠٠ - ٣٠٠ يخت - التعاون بين دول المنطقة فى رابطة العواصين وإقامة أكاديمية بحرية للأحياء والمرجان، وأجهزة إدارة السياحة وإدارة ملاعب الجولف وإدارة الجذب السياحى من شمال أمريكا وآسيا وأوروبا.		
٢	● مركز وادى الجمل - البحر الأحمر: - يقع وادى الجمل على ساحل البحر الأحمر ويشغل مساحة ٢٧٢ كم وتتميز مسافة ٤٨كم ساحل رملى وامتدادها الأرض منطقة العرقة/شيلاتين ويقع وادى الجمل على مسافة ٥٠كم من مرسى العلم وبها البنية الأساسية المطلوبة.		٢٧٤٣ مليون دولار أمريكى	
٣	● منتجع رأس بنياس (برنيس) ٧٩٥ كم جنوب شرق القاهرة على البحر الأحمر: - مخطط لبرنيس أن تكون منتجعاً دولياً عند رأس بنياس حيث توجد شبه جزيرة الساحل المصرى، ويمتد المنتجع ٤٢كم على البحر الأحمر. ٣٠ على (خليج رأس بناس) ويصلح منتجعاً خلال الفصول الأربعة			

(تابع) مشروعات السياحة

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة التقديرية	المدة
	ويبعد ٣٥٦ جنوب شرق الأقصر، ٢٧٢ كم شرق أسوان، ٤٦٠ كم من جدة، ٤١ كم عبر البحر الأحمر من ينبع بالسعودية.		١٢٠٠ مليون دولار أمريكى	
٤	● مركز الفيوم السياحى ـ شمال بحيرة قارون: ـ يشغل المركز حوالى ٨٠٠٠ فدان منها ٢٣٥ محمية، ويطل المركز على بحيرة قارون ويحظى بشاطئ رملى يمتد لأكثر من ١٣ كم بعرض ما بين ٢ ـ ٣ كم. ـ ويصله بالقاهرة طريق سريع ويشمل على: * موتيلات * فيلات متميزة * إسكان للسياحة * مساحات خضراء * كومبلى فندقى * مراكز خدمات * شواطئ * أنشطة رياضية * متنزهات ترفيهية * بنية أساسية شاملة		١٢٩٨ مليون دولار أمريكي منها ١٢٠٠ للبنية الأساسية	
٥	● تنمية الأنشطة السياحية على جزر النهر: ـ يقع المشروع على جزيرة الزريقات على النيل ١٨ كم جنوب الأقصر. ـ وجزر النيل تتميز بالخضرة الدائمة وتختلف عن المناطق الرملية. ـ وبعد السد العالى واختفاء بعض الجزر توجد عدد ١١ جزيرة بين أسوان وسوهاج وقد تم اختيار الزريقات كأفضل جزيرة. ـ والجزيرة ٢,٥ كم طول وعرض حوالى ٤٢٥ متر مساحتها حوالى ٢٣٠ فدان.			



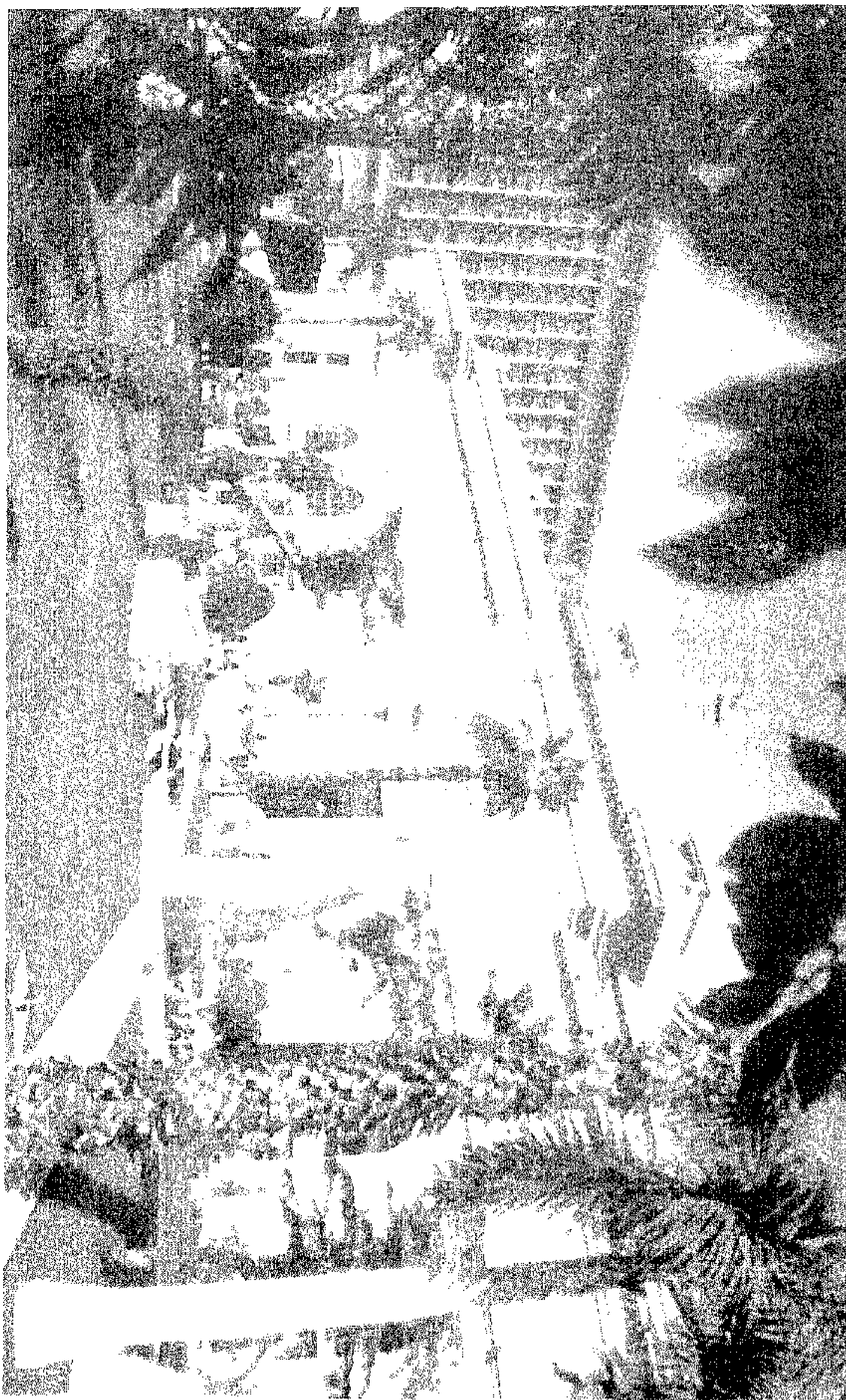
النخيل يناجى النيل عند الغروب



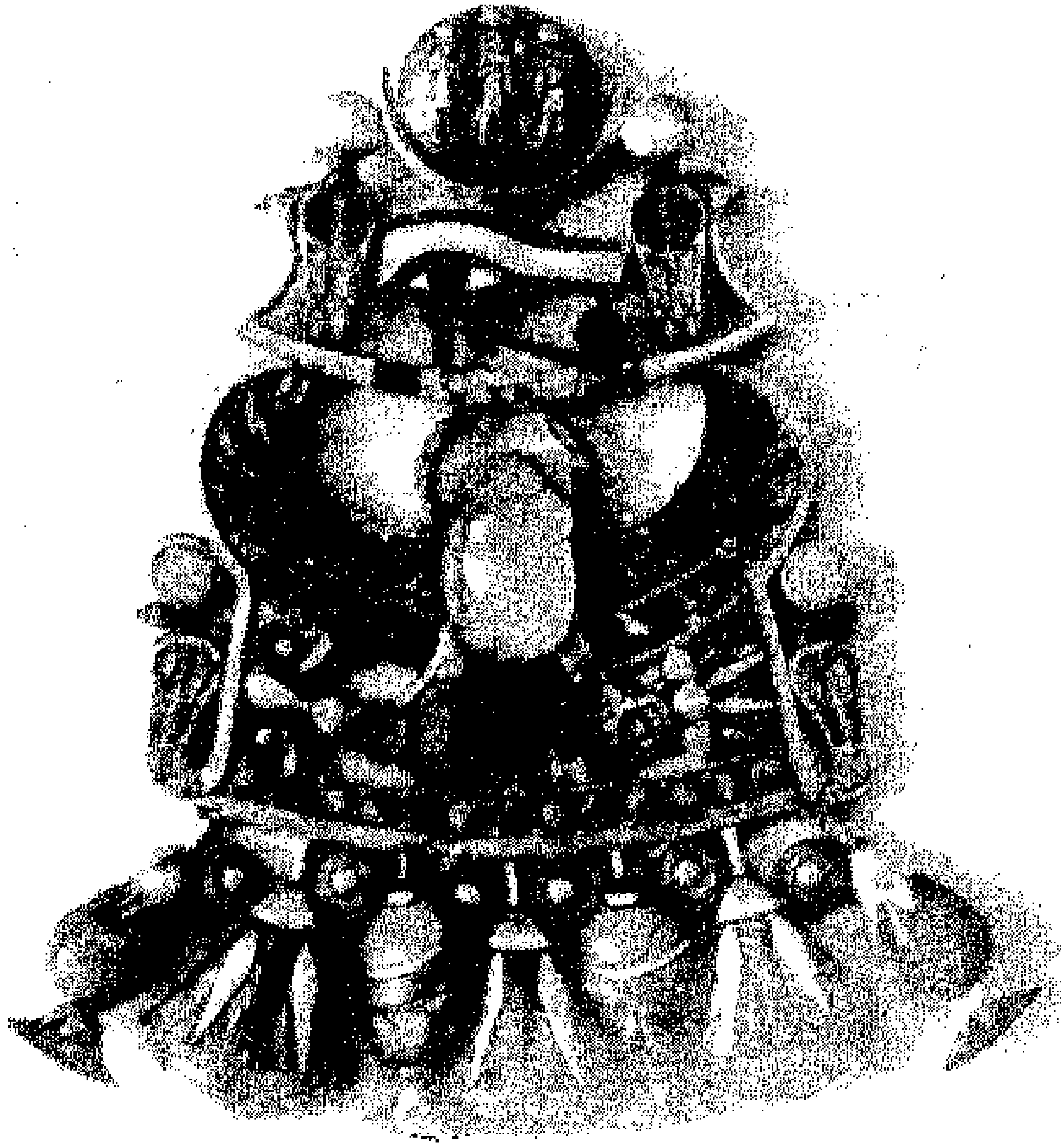
السياحة النيلية .. متعة وترفيه



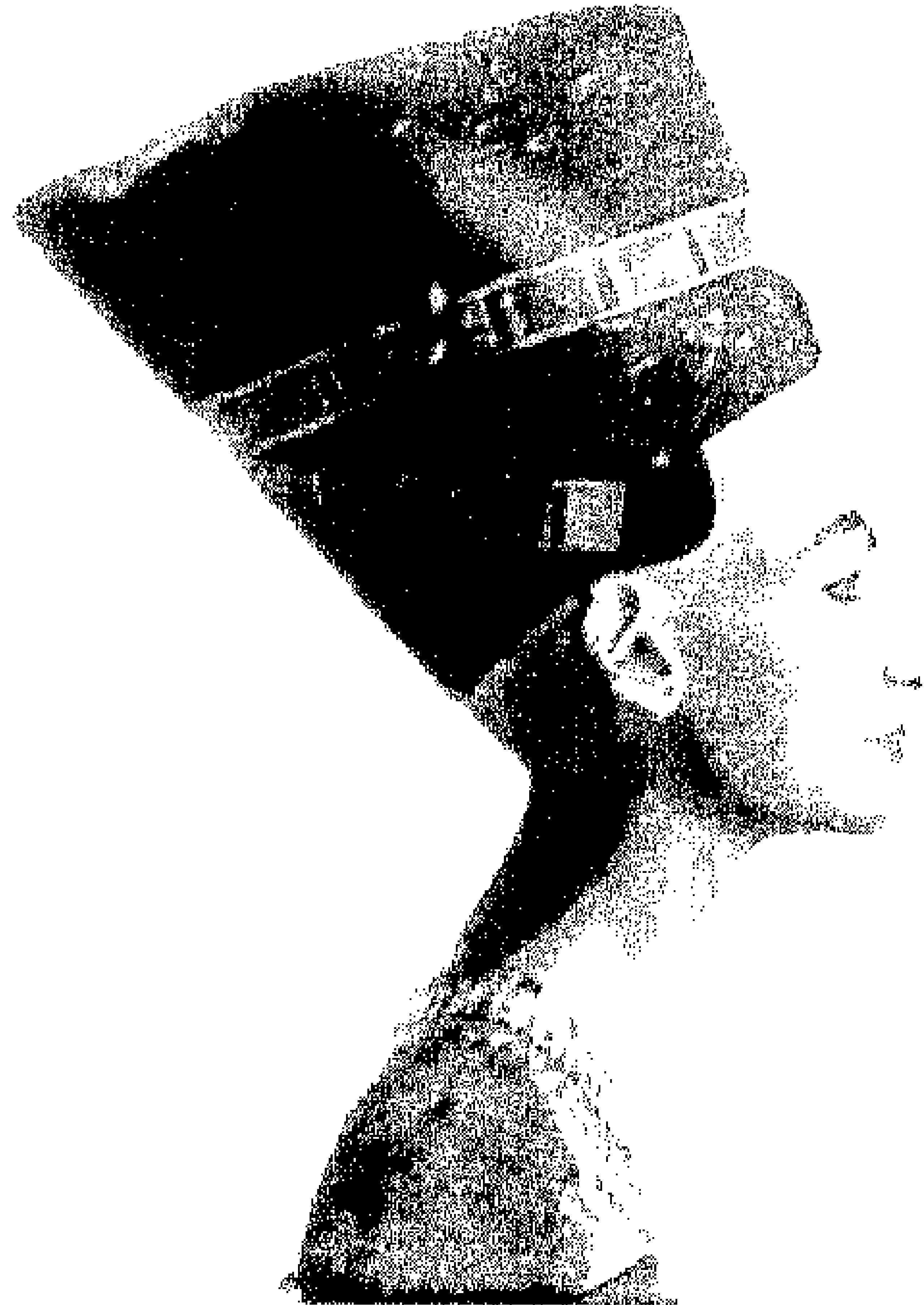
لوحة فنية رائعة من ابداع الخالق



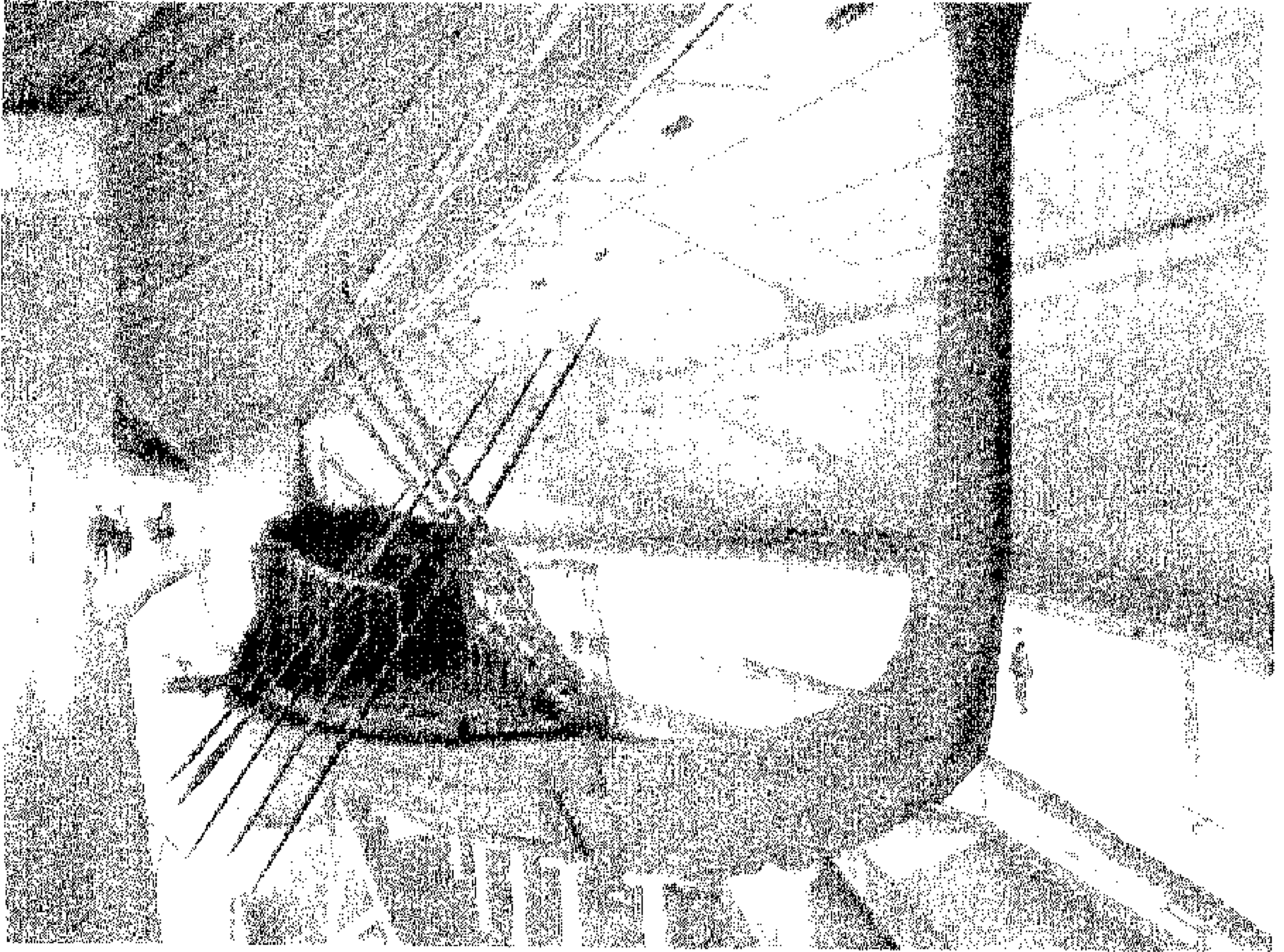
المتحف المصرى .. وكنوز الآثار والحضارة المصرية



مهارة ودقة الفنان المصرى فى قلادة فرعونية



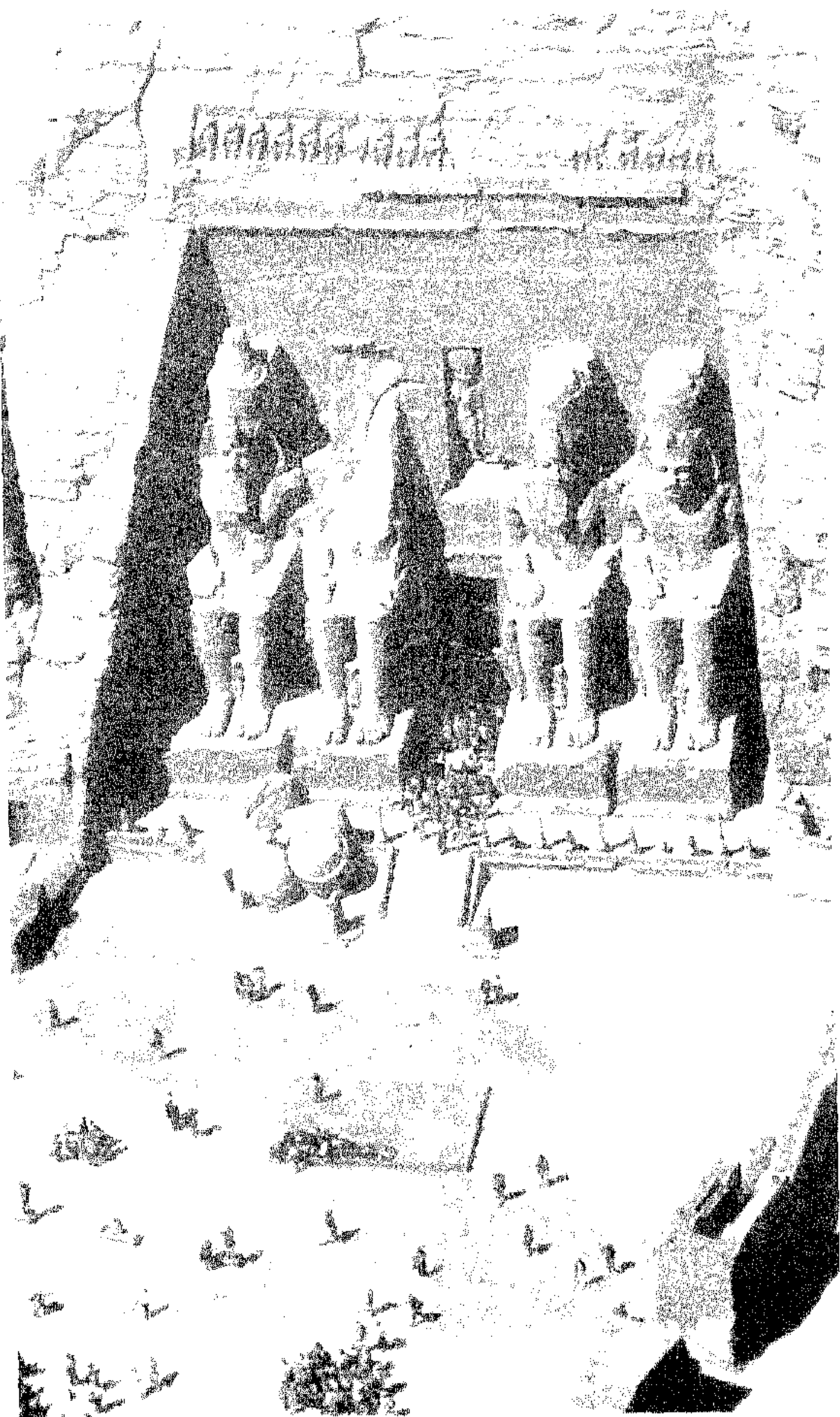
نفرتيتى جميلة الجميلات



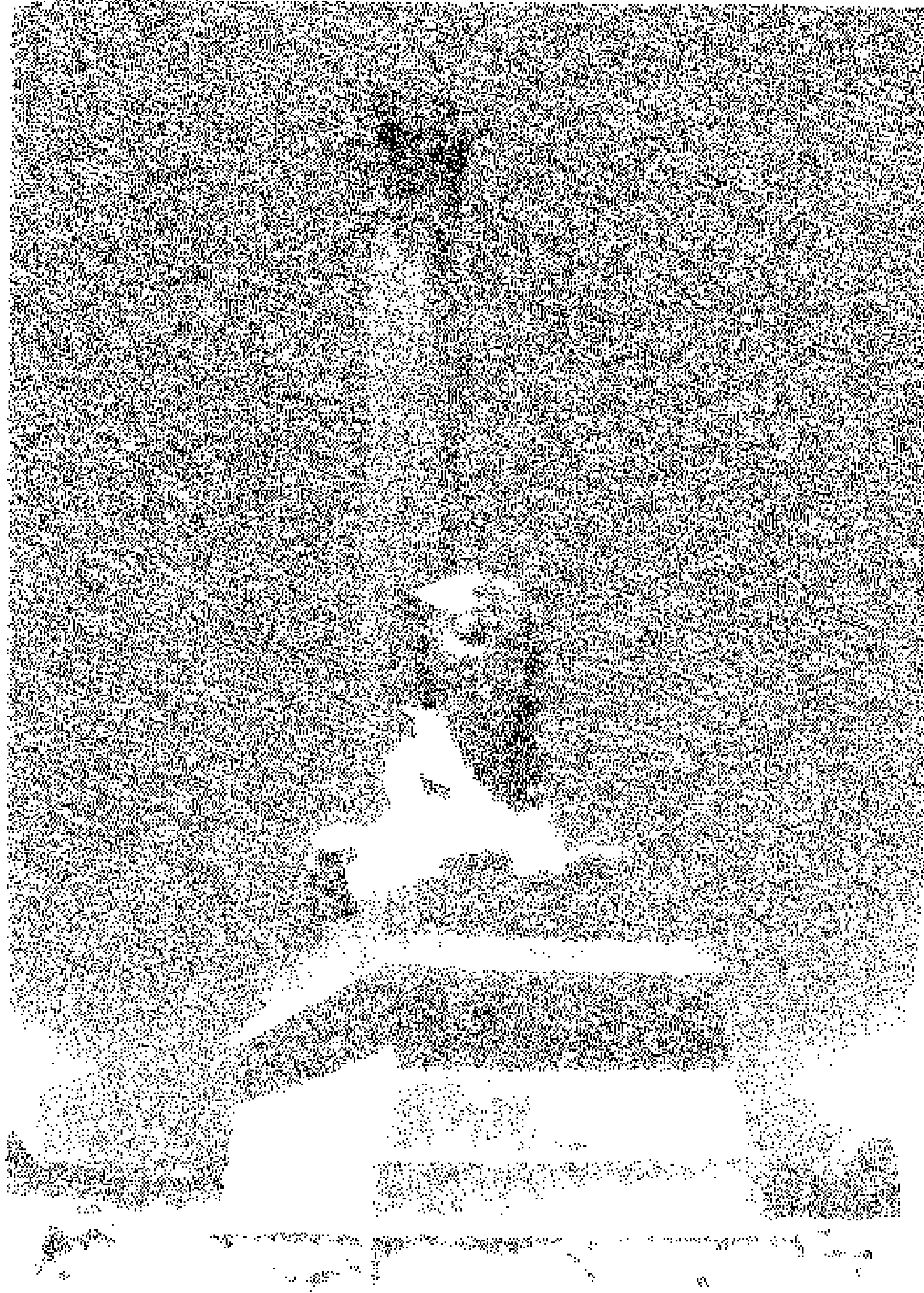
مراكب الشمس .. ورحلة الخلود



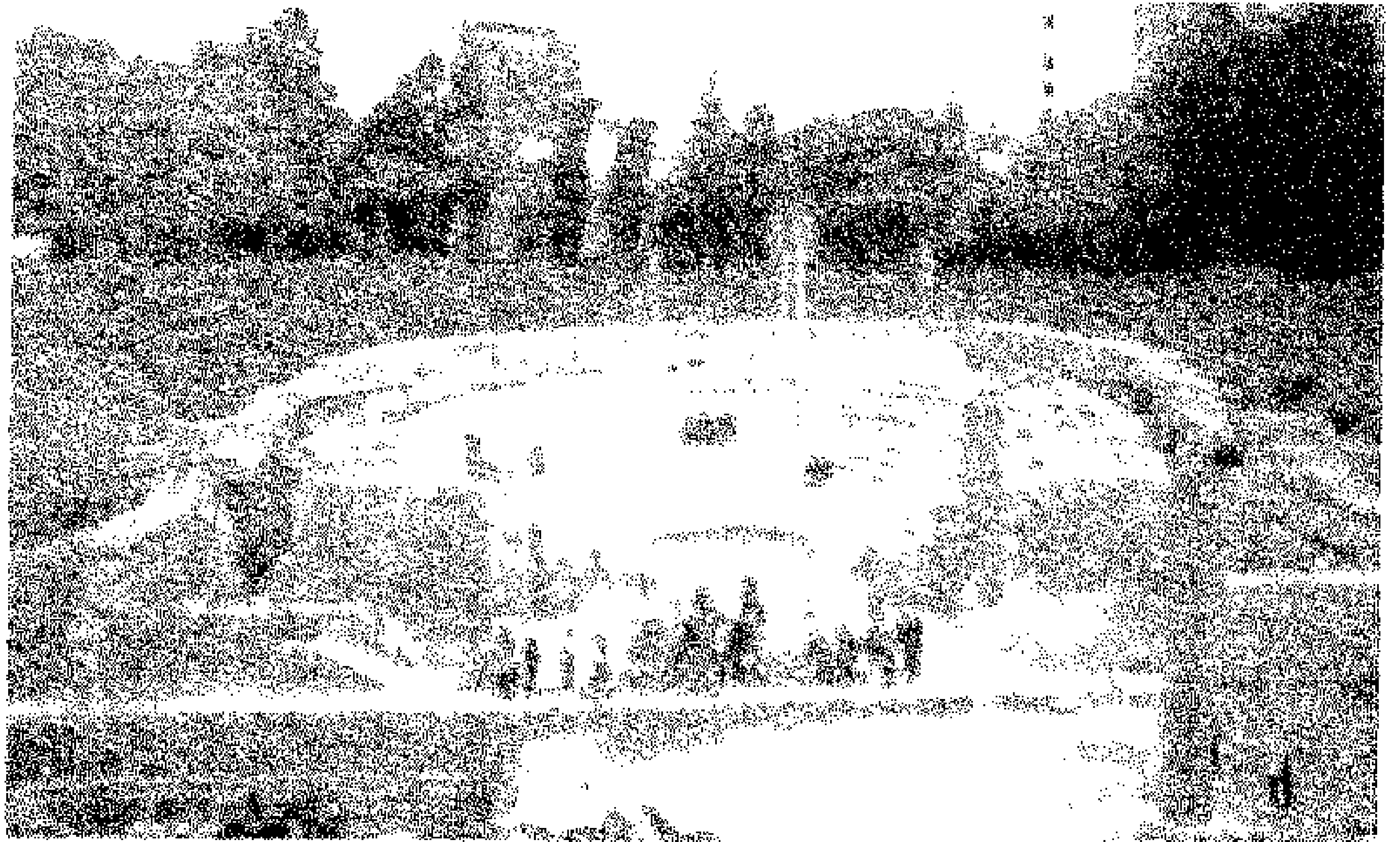
معبد الأقصر

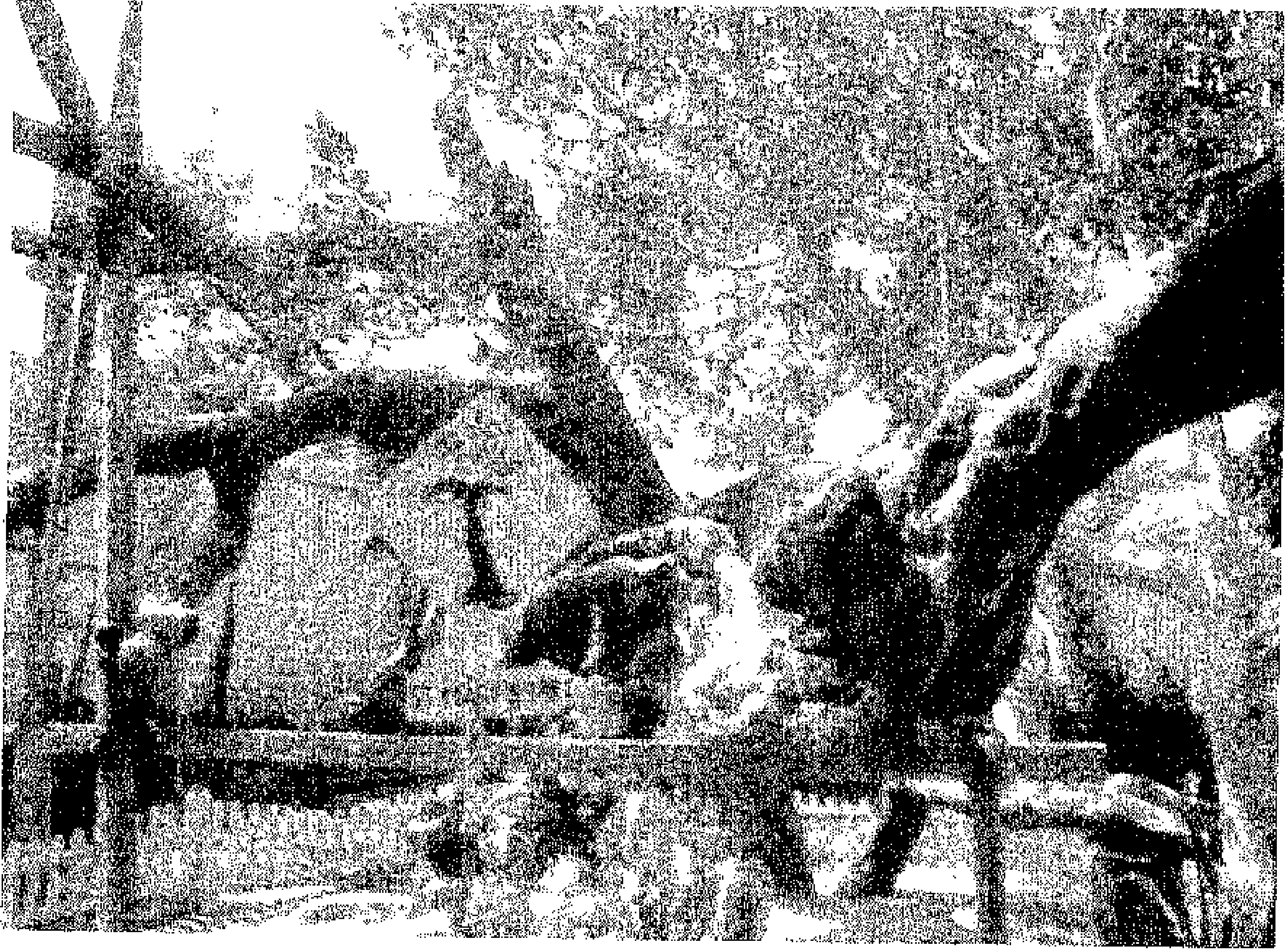


أبوسمبل .. أحد آثار مصر الفرعونية الرائعة

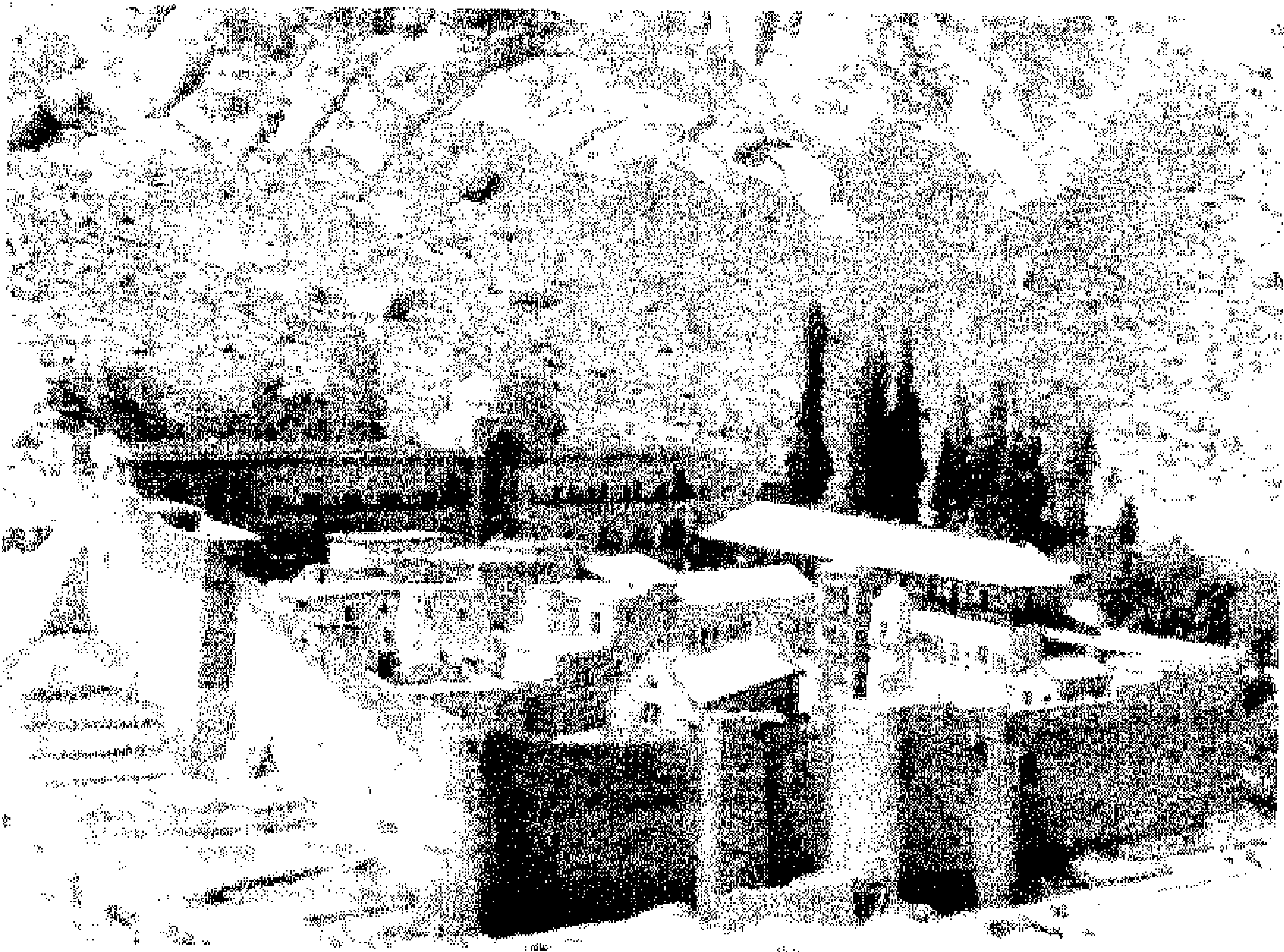


عمود السوارى والمسرح الرومانى من الآثار اليونانية والرومانية بالإسكندرية





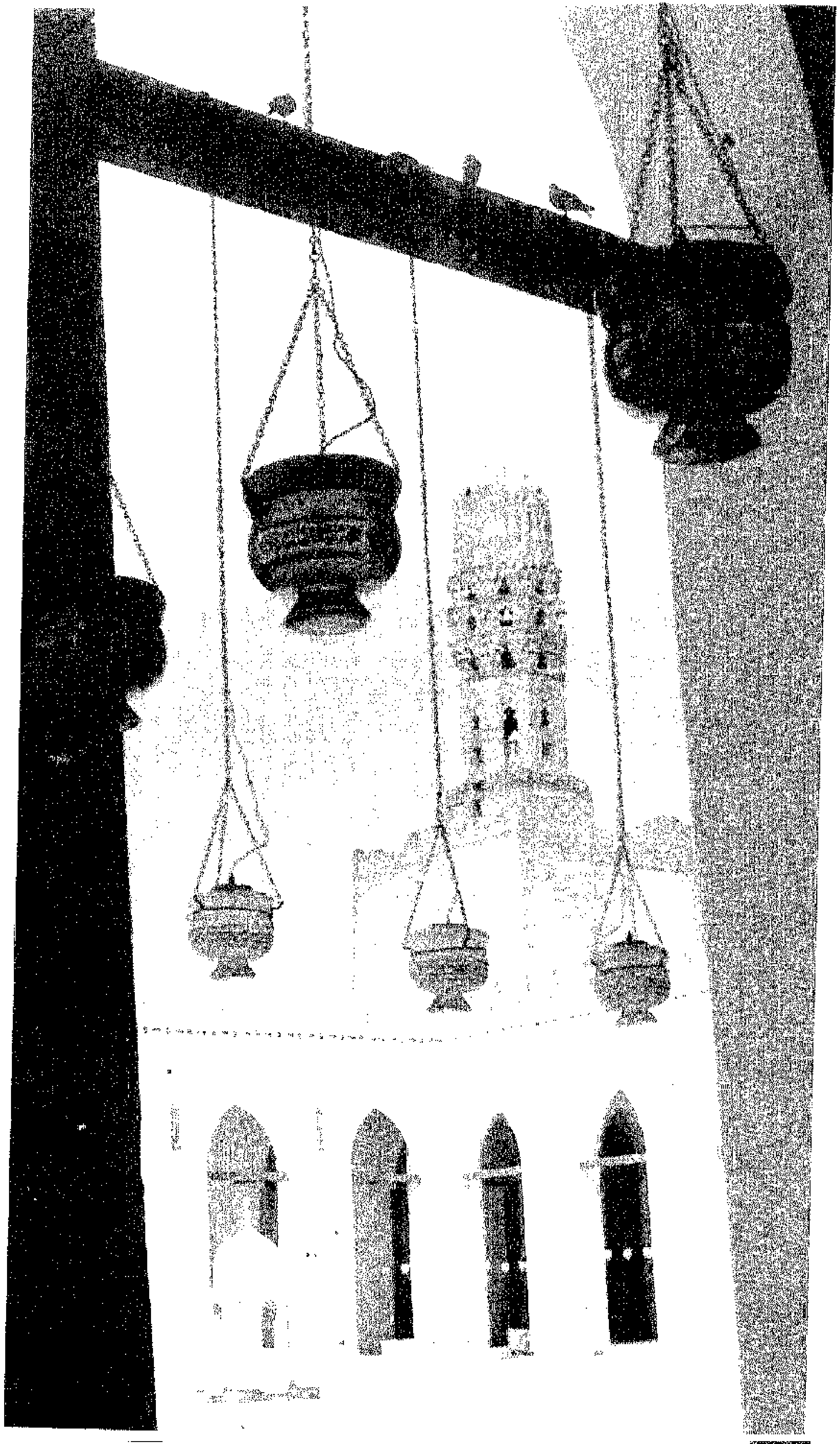
شجرة مريم .. إحدى المحطات فى مسار العائلة المقدسة فى مصر



دير سانت كاترين فى سيناء

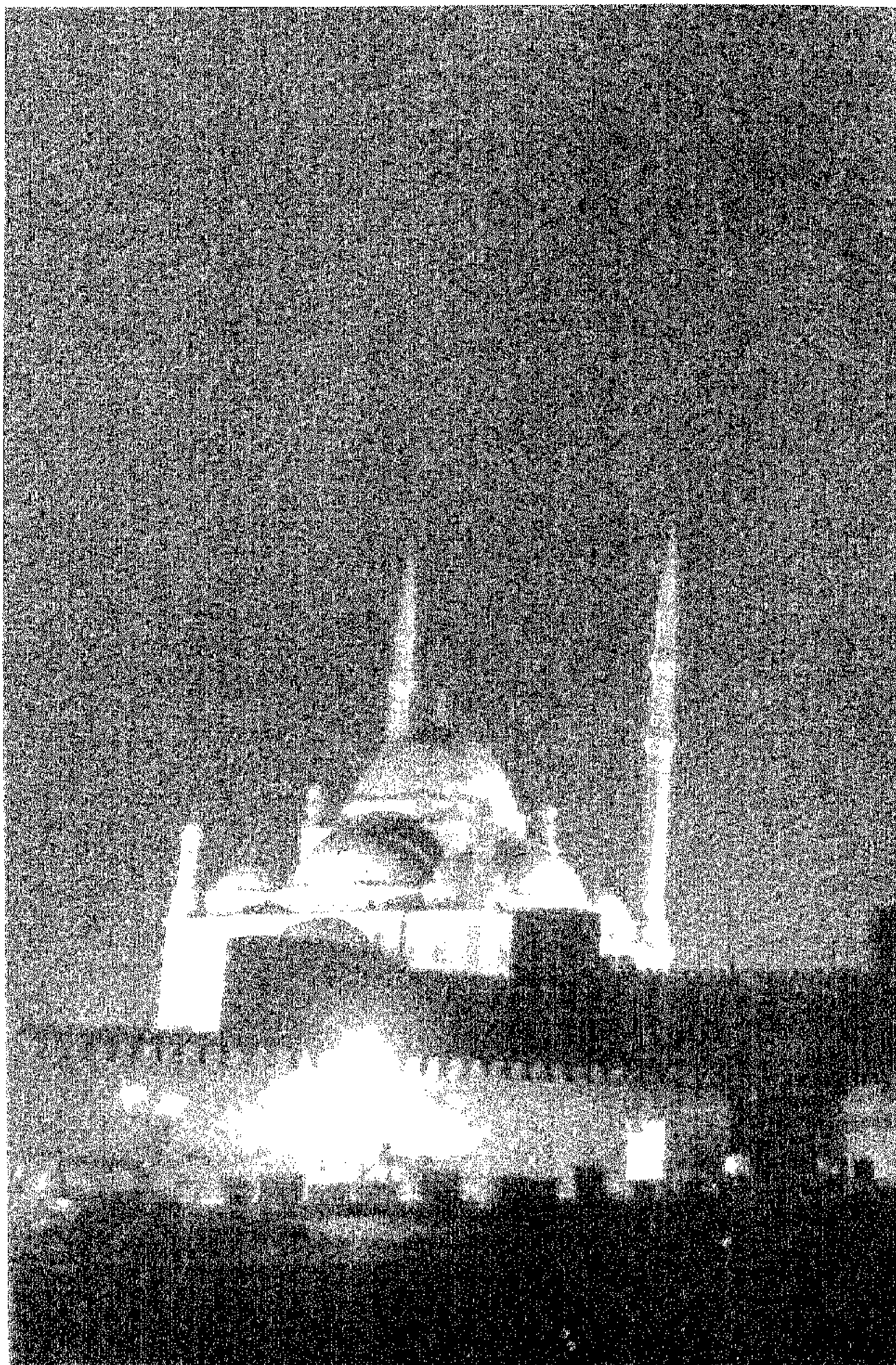


أيقونة تمثل العائلة المقدسة أثناء هروبها إلى مصر

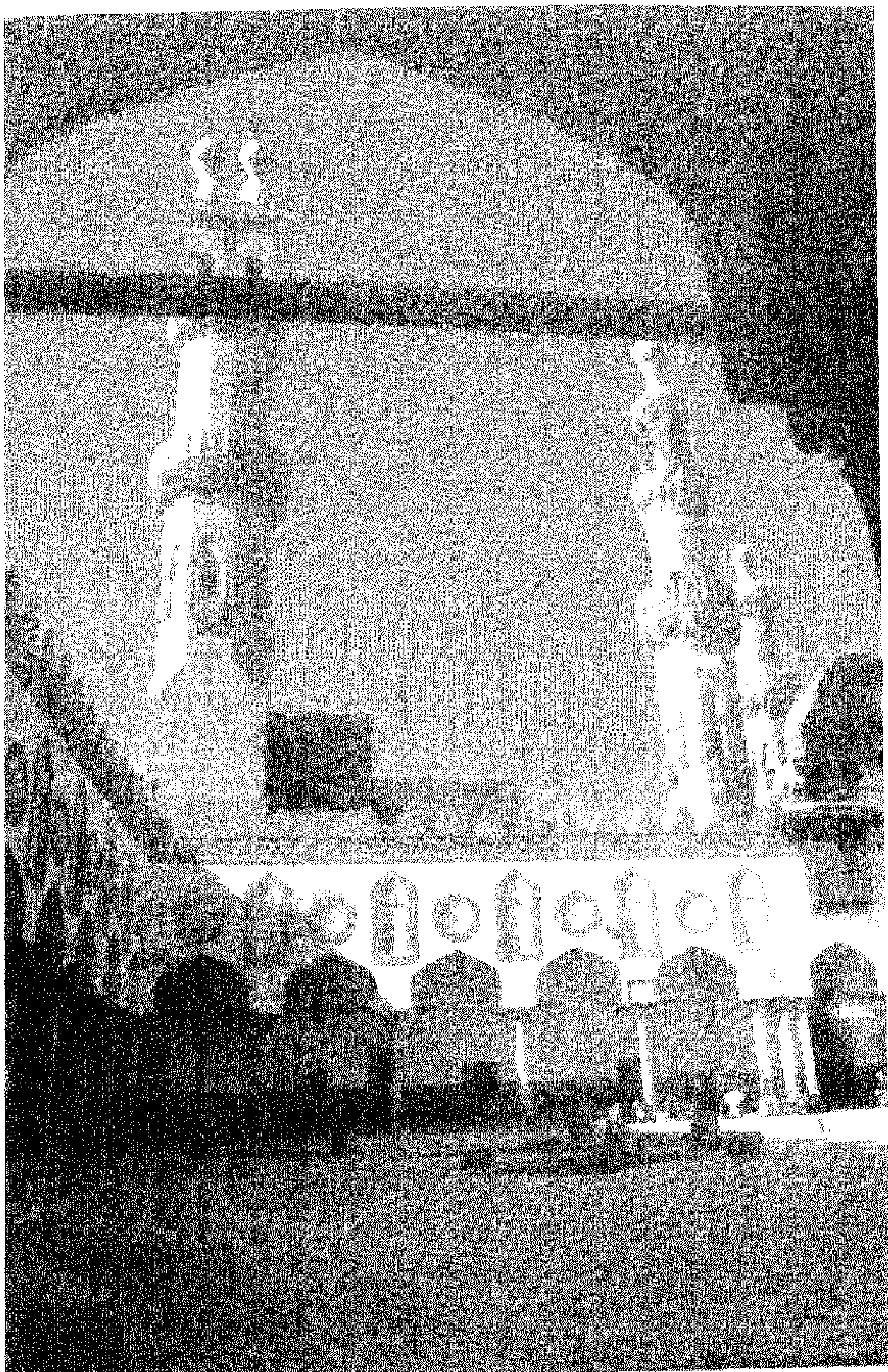


العمارة الاسلامية فى جامع الحاكم بأمر الله بالقاهرة





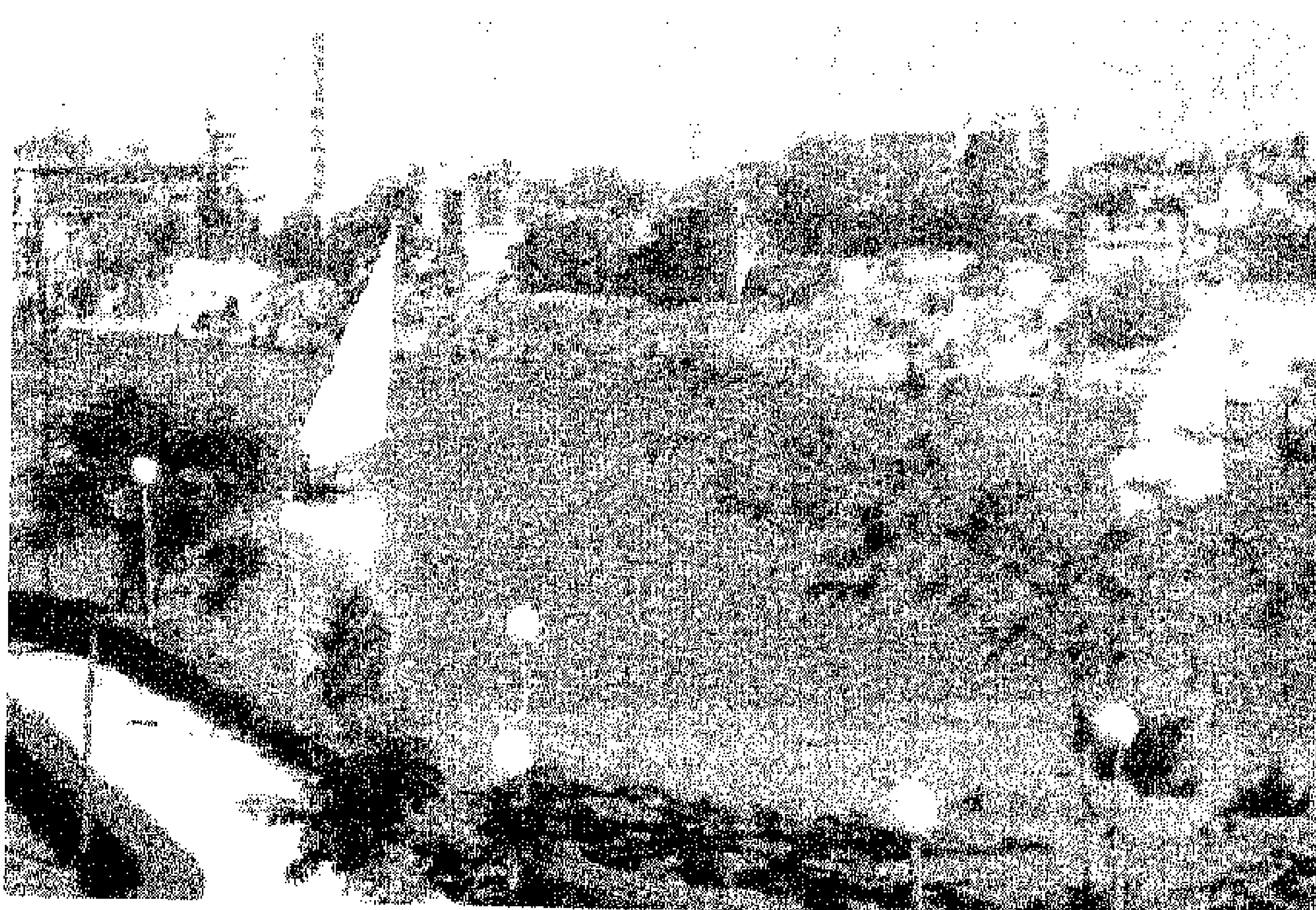
قلعة صلاح الدين بالقاهرة



الأزهر الشريف .. منارة للعلم وللاسلام



أضواء القاهرة تعكس سحر الشرق

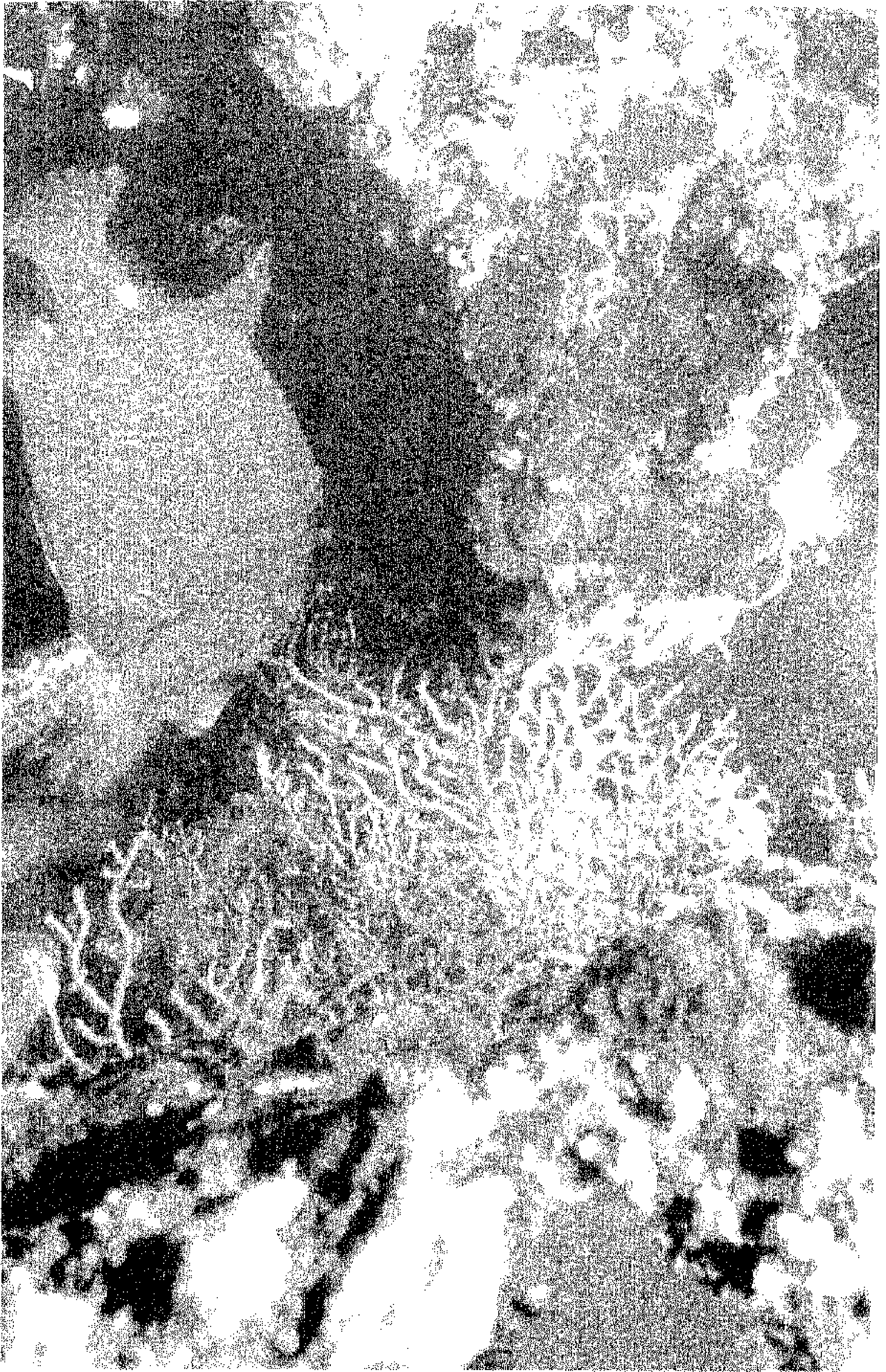


النيل عند أسوان



فن المعمار القديم والحديث فى قلب القاهرة

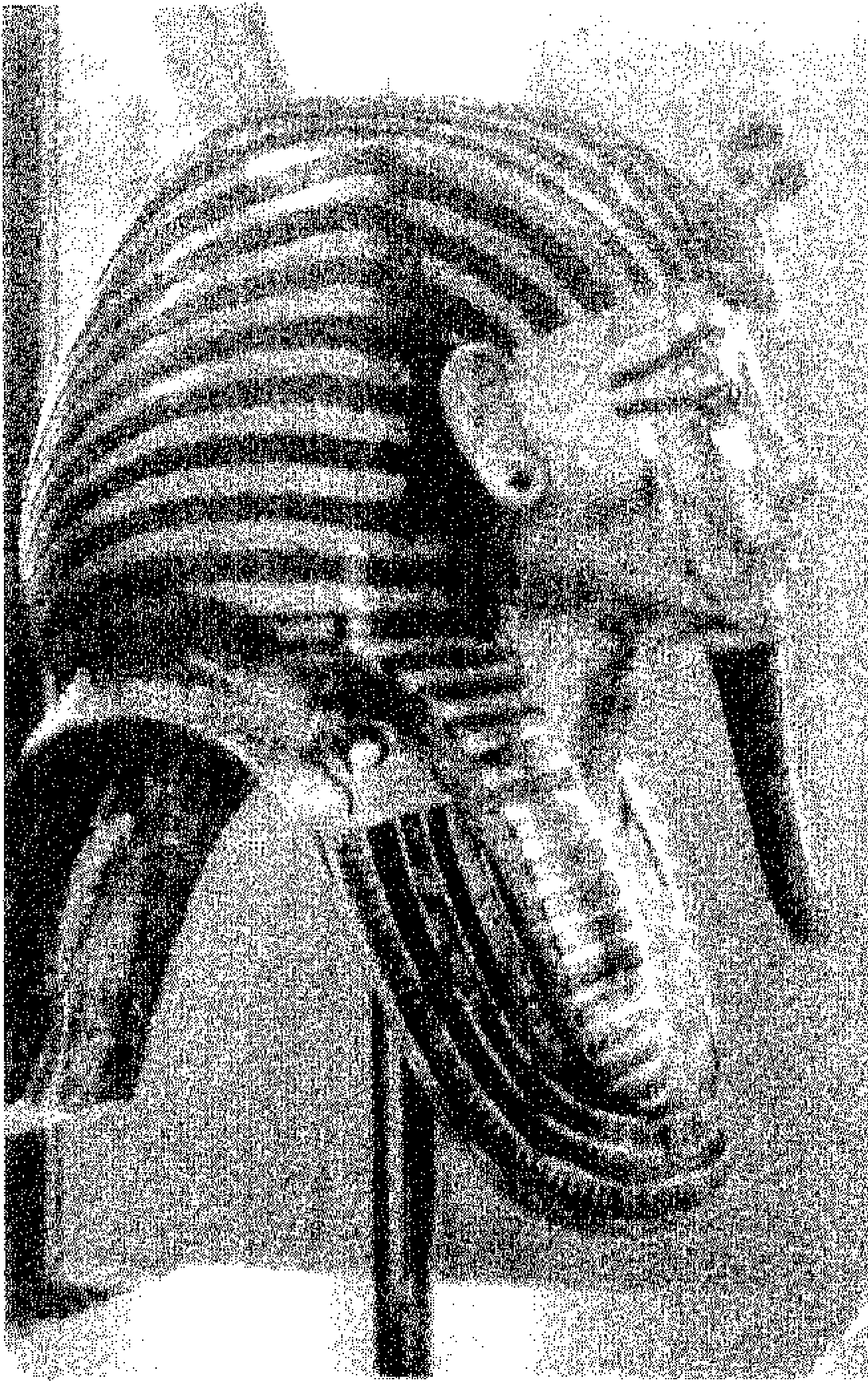
الغروب على صفحة النيل



شعب مرجانية نادرة فى محمية رأس محمد



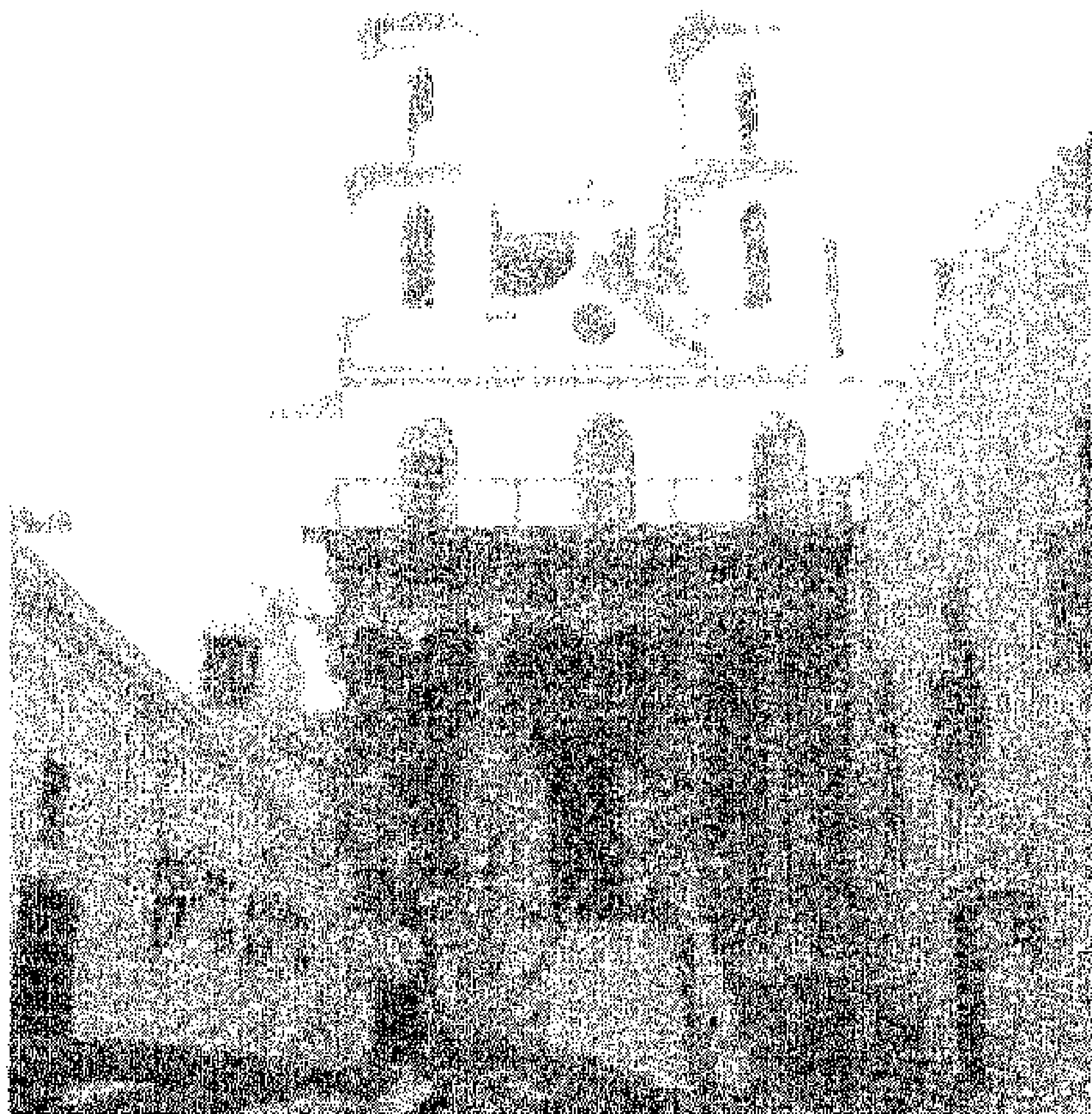
مصر التاريخ والحضارة .. تحتضن ثلثى آثار العالم



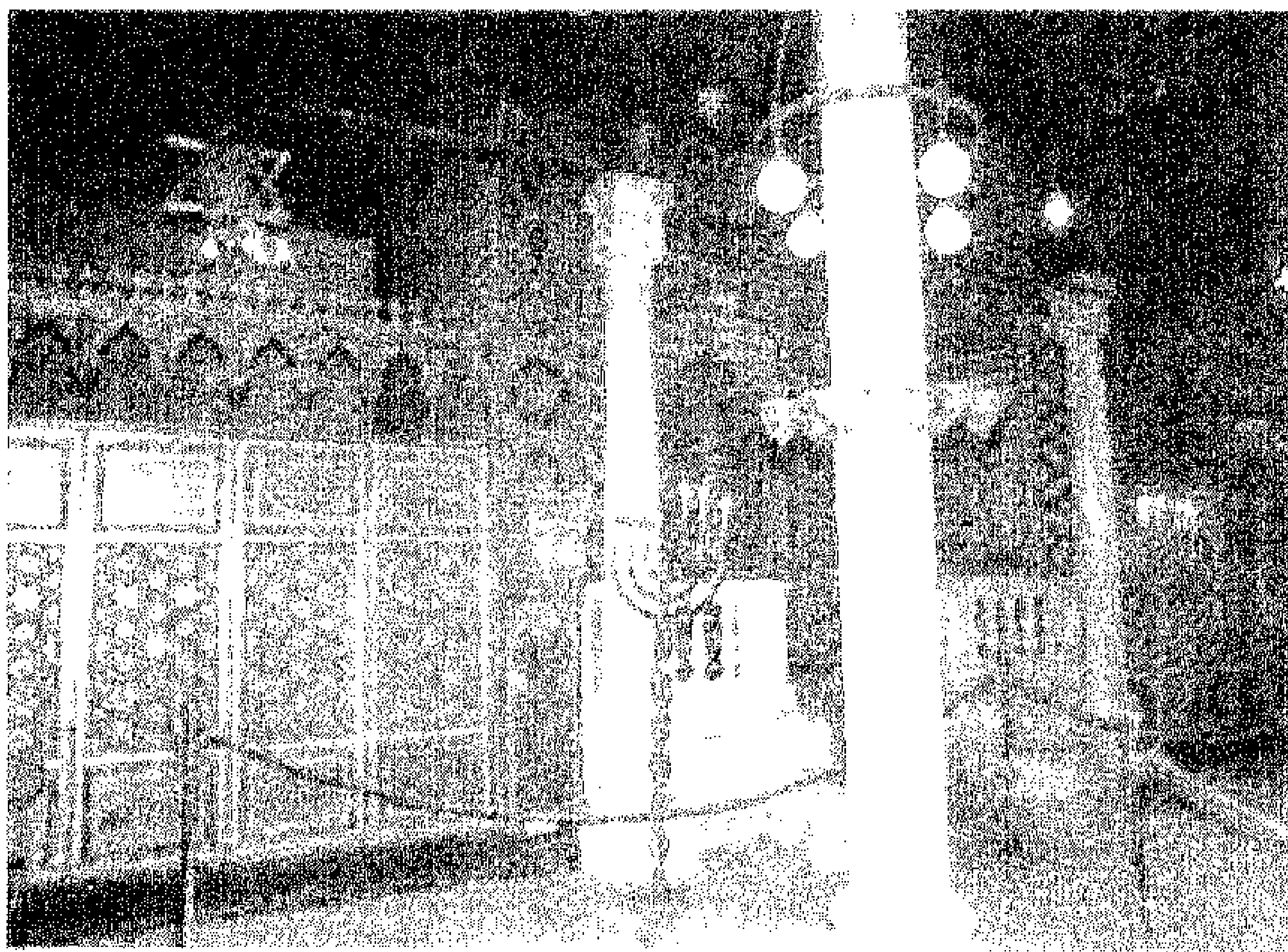
القناع الذهبى لتوت عنخ آمون



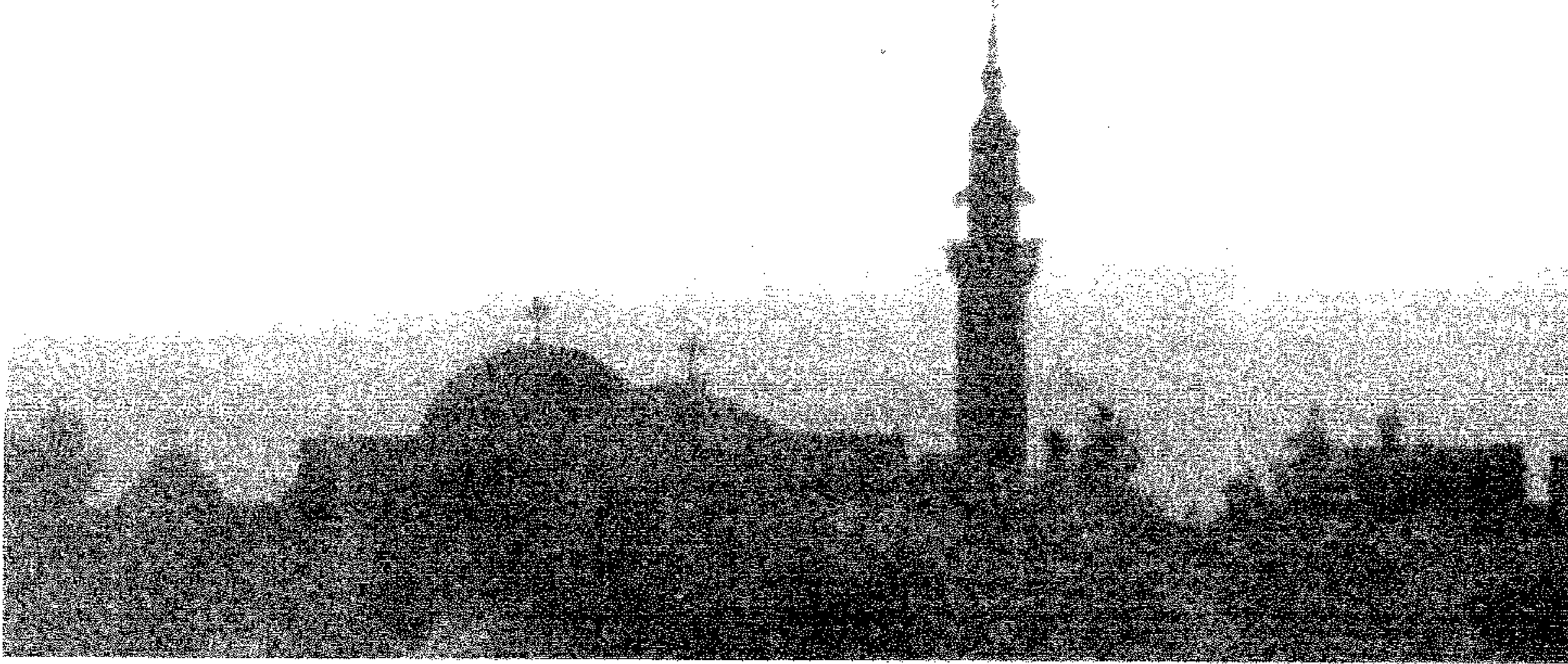
الآثار المصرية تحكى تاريخها بالصوت والضوء



الكنيسة المعلقة



معبد بن عيزرا


عناق تاريخى وأثرى بين المساجد والكنائس

سابعًا : الثقافة وحفظ التراث:

١ ـ نظرة عامة :

(أ) إن التراث الحضارى فى المنطقة غنى ومتنوع، فالمنطقة هى مهد الحضارة بمنجزات بشرية، فى الفن والمعمار والفلك والطب والهندسة والرياضيات والفلسفة وغيرها.

(ب) وحفظ هذا التراث من الأهمية الفائقة ليس وحدها بل أيضاً للعالم أجمع.

٢ ـ المشروعات :

ـ وقد عرضت مصر مقترحات لمواجهة هذا التحدى ومنها:

١ ـ أكبر متحف فى العالم.

٢ ـ مشروع معلومات عن التراث الحضارى.

٣ ـ مركز إقليمى للحفاظ على التراث وإحيائه.

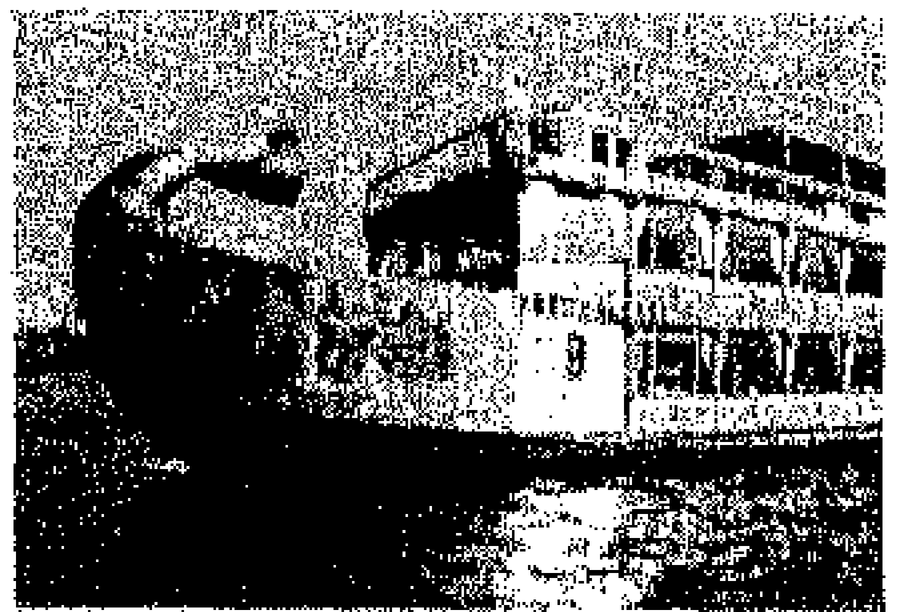
٤ ـ موقع (بانوراما) لمجتمع تراثى حضارى.

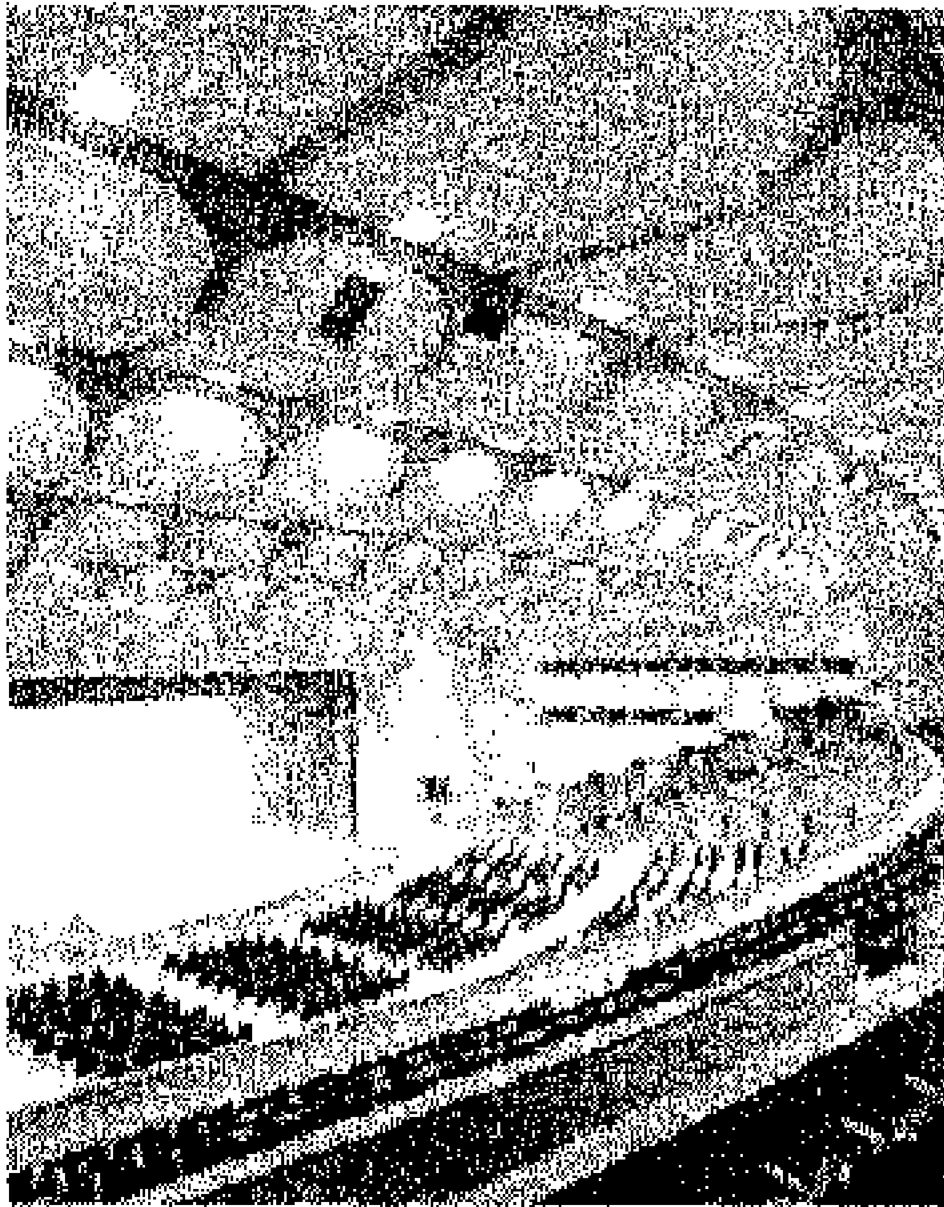
مشروعات الثقافة وحفظ التراث

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المــدة
١	● مشروع وادى الحضارة الإقليمي: (أ) إقامة مجمع متاحف وتسهيلات تغطى كل عصور التاريخ، ويمكن الاستعانة بالتكنولوجيا الحديثة للوصول إلى مستوى عالٍ من الدقة فى بث المعلومات مما يجعل المجمع منبعاً لخبرات ترفيهية وتعليمية للزوار. (ب) وستكون هناك وسيلة اتصال متاحة بين المتاحف على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية وهو أمر يؤدى إلى زيادة عدد زوار المتاحف. (جـ) وسيتم بناء مجمع من عشرين متحفاً وحوله: - مركز للحرف اليدوية. - متحف أطفال. - مركز بحوث حضارى وتعليمى إقليمى. - مركز إعلامى وفنى لإعادة إنتاج نماذج حضارية. - مركز نشر وتوثيق. - شبكة حديثة إعلامية وشبكة اتصالات لاسلكية. - مجمع خدمات يضم مسرح ومكتبة وكافتيريا ومطاعم وفنادق ومتنزهات ومتحف مفتوح (غير مغطى).	- عرض وحفظ التراث المجمع فى المنطقة. - إتاحة منبر التعليم. - جذب مجموعات سياحية لم تكن تعنى من قبل بزيارة المتاحف التقليدية. - تحقيق مشروع تاريخى رمزى يعد مصدر فخر لدول الإقليم. - دعم وتنمية السياحة التقليدية. - خلق مزيد من فرص العمل.	٥ مليون دولار للدولة ٣٥٠مليون دولار للمشروع	
٢ تابع (٢)	● المشروع الاقليمى الإعلامى للتراث الحضارى: (أ) وضع الأساس لحفظ التراث فى الإقليم فى مجالات المعمار والفلك والعلم والدين والفلسفة وغيرها، ويمكن الاستعانة فى هذا الصدد بالإصدارات الإعلامية لدول المنطقة وتبادل المعلومات فى الإقليم. - كما يمكن ترويج استخدامات التكنولوجيا الحديثة مع الحضارة. (ب) ويمكن الوصول إلى هذا الغرض بإقامة: - نظم متاحف المعلومات.	(أ) إتاحة الفرص للهيئات الثقافية فى المنطقة لحسن إدارة المجموعات والكنوز الثقافية. (ب) الاتصال بالمراكز والمتاحف الأخرى فى الإقليم والعالم لنشر وتسلم المعلومات. (جـ) دعم السياحة. (د) دعم الأهداف التعليمية.	٢٠ مليون دولار أمريكى	٥ سنوات

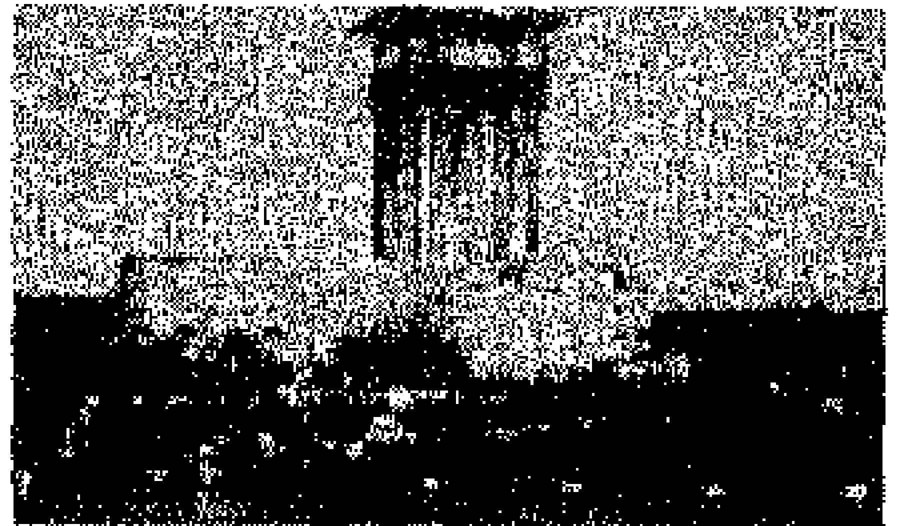
(تابع) مشروعات الثقافة وحفظ التراث

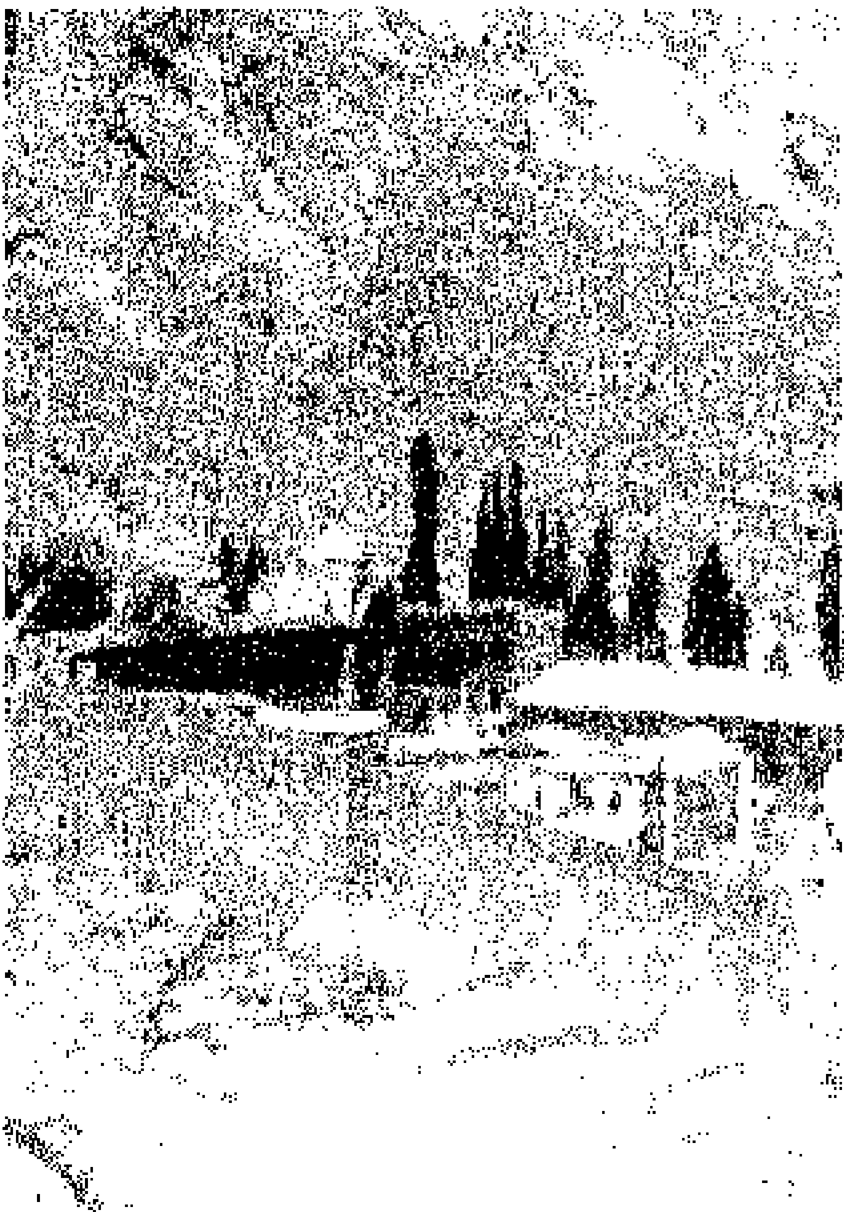
م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المـدة
	ـ نظام النشرات الإقليمي. ـ نظام معلومات عن المواقع الاركيولوجية (الحفائر).			
٣	● المركز الإقليمي للحفظ والأحياء (التراث): (أ) اقامة مركز إقليمي لحفظ واحياء الآثار وكنوز التراث الحضارى لجنوب وشرق المتوسط وذلك بمسح وحرد موارد الإقليم الحضارية. (ب) والمركز سيكون مزوداً بمعدات لإحياء وترميم الآثار. (جـ) ويتضمن ذلك أيضاً تدريب مكثف لهذا الغرض.	(أ) حفظ مواد التراث للإقليم للأجيال القادمة لتكون مفيدة في مجالات السياحة. (ب) دعم قدرة المنطقة على الحفاظ على التراث وإحيائه. (جـ) إتاحة فهرس (كتالوج) للموارد الحضارية والتراث. (د) ترميم مواقع الآثار.	٣٠ مليون دولار أمريكي	٥ سنوات
٤	● مشروع إدارة موقع مجمع التراث الحضارى: (أ) جمع البيانات عن سمات الموقع. (ب) وعمل مسح ودراسات المخاطر التي يتعرض لها الموقع. (جـ) رسم السياسات العامة للتمويل والإحياء والترميم. (د) تدريب الأفراد لأغراض المشروع. (هـ) الاهتمام بنقاء البيئة حتى لا تضار المواقع التاريخية.	(أ) الحفاظ على موارد التراث الحضارى للمنطقة للأجيال القادمة والاستفادة منها في السياحة وغيرها. (ب) إدارة مجمع لمواقع التراث الحضارى. (جـ) دعم عائدات السياحة.	١٥ مليون دولار أمريكي	٥ سنوات



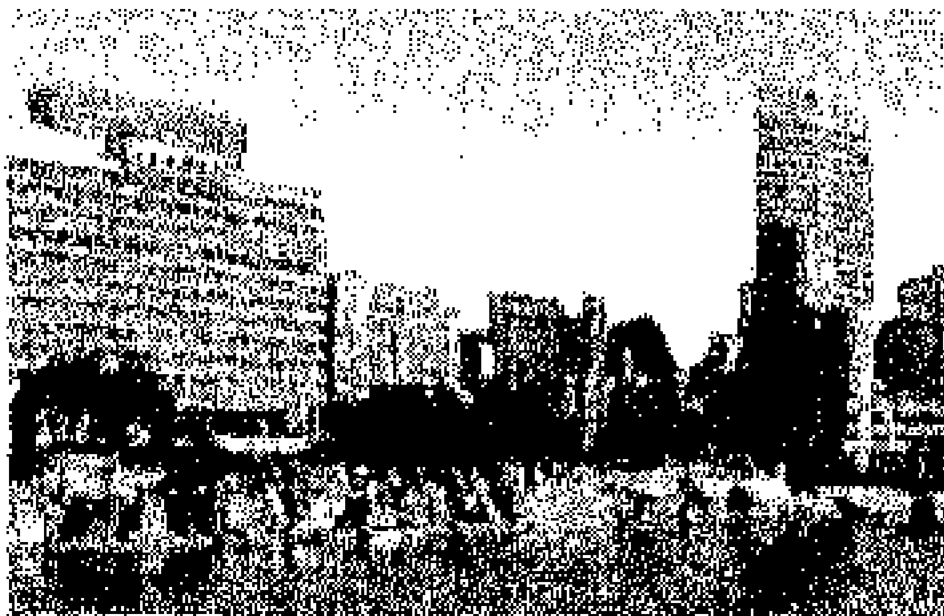




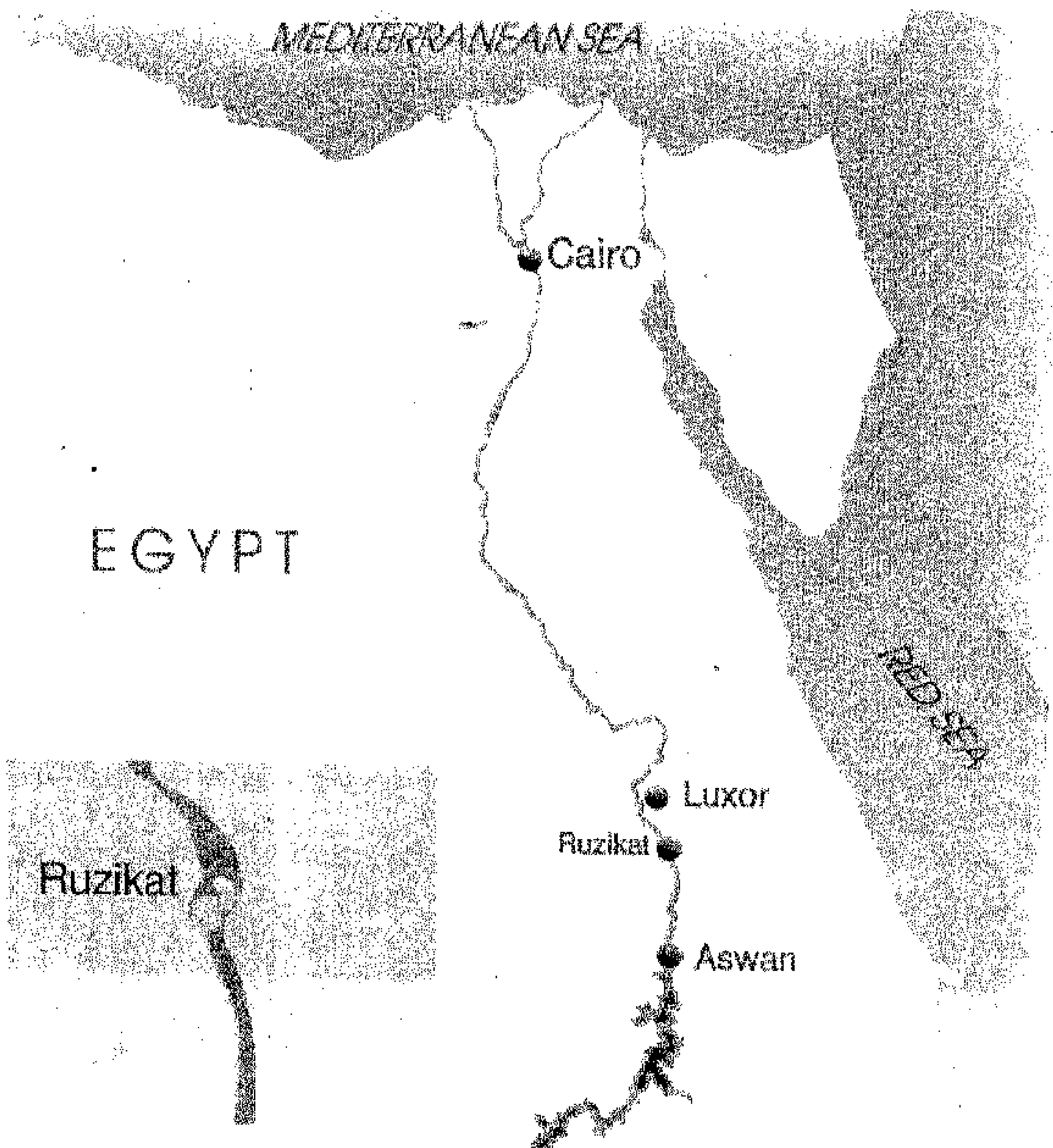


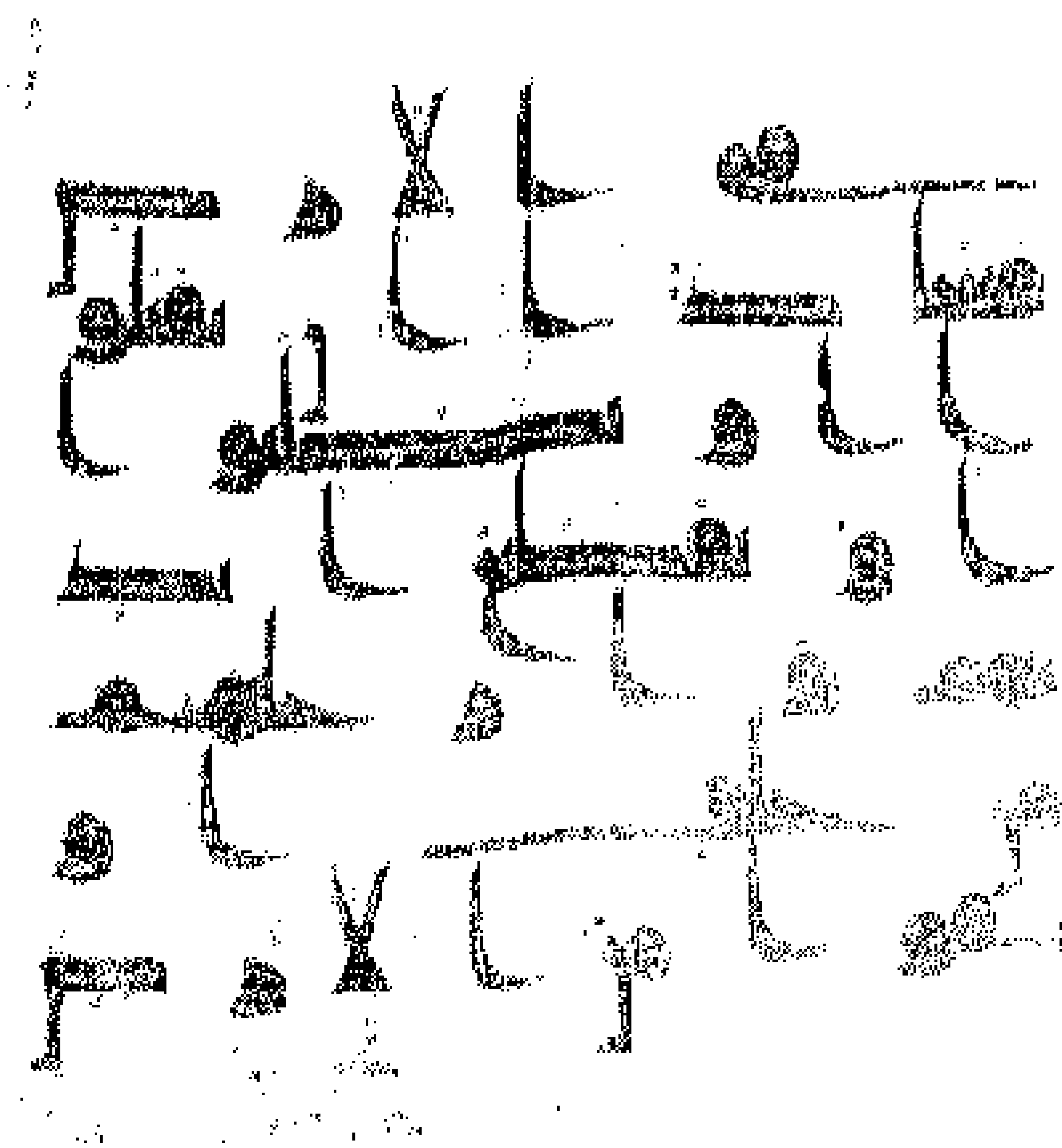
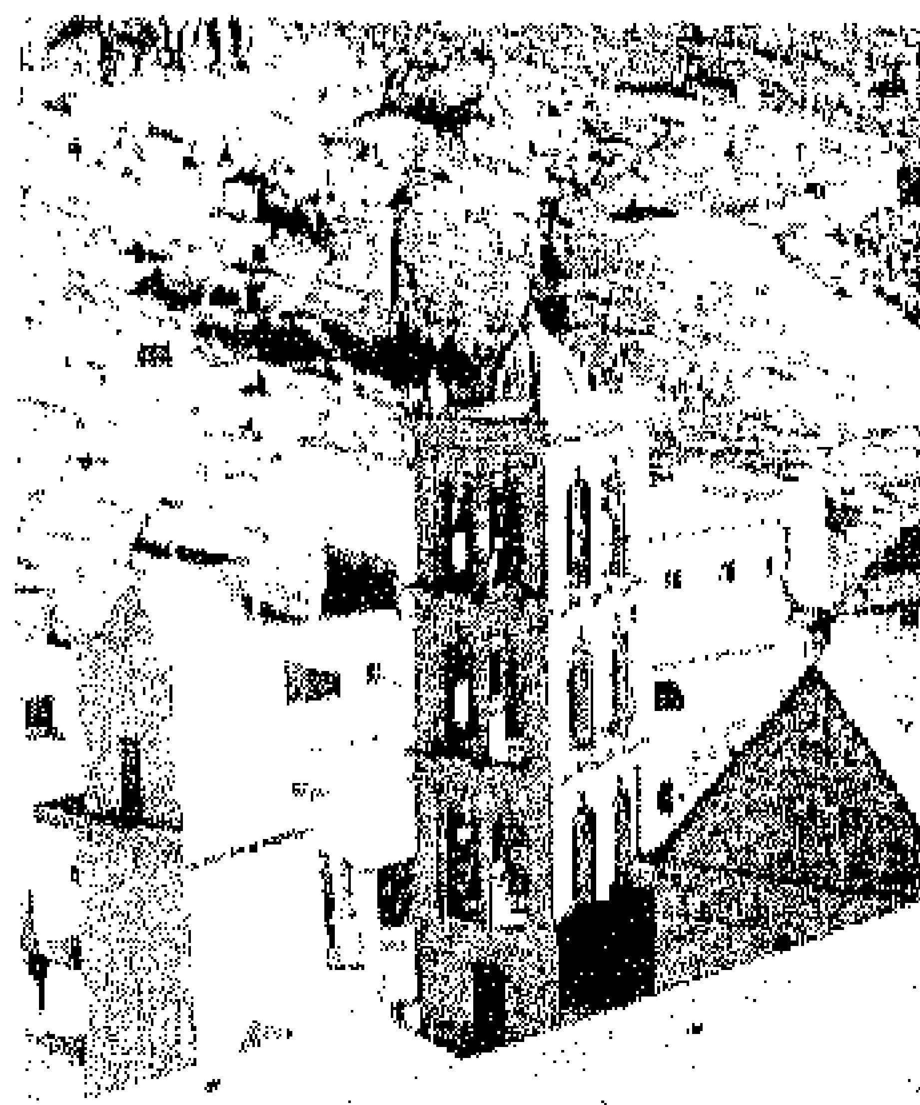
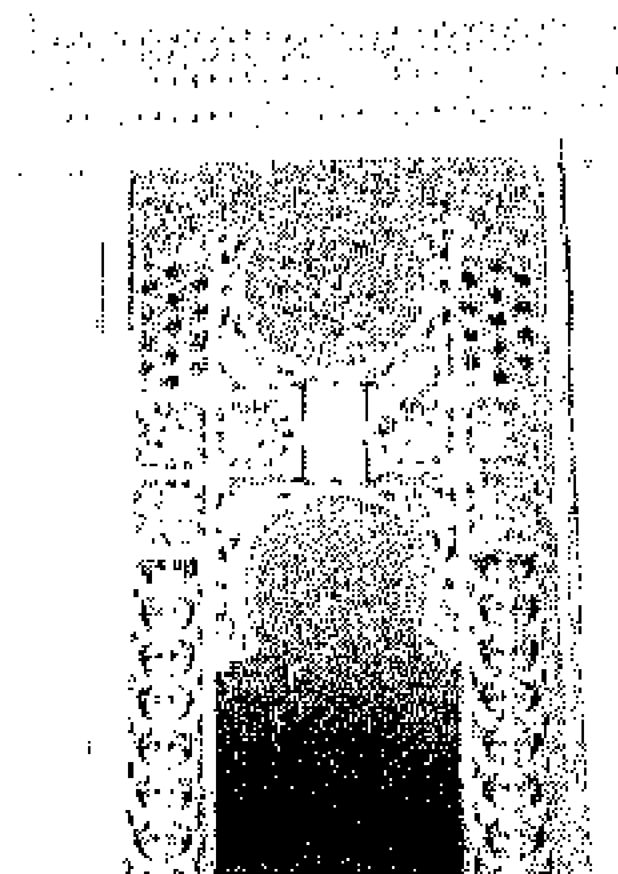




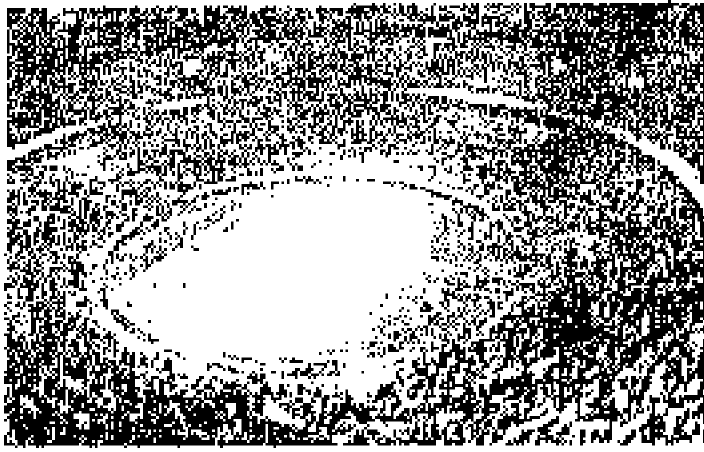
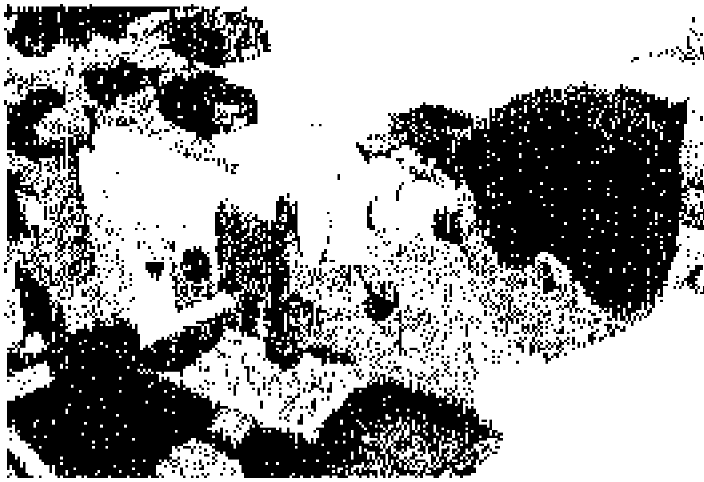


١٤٦٤

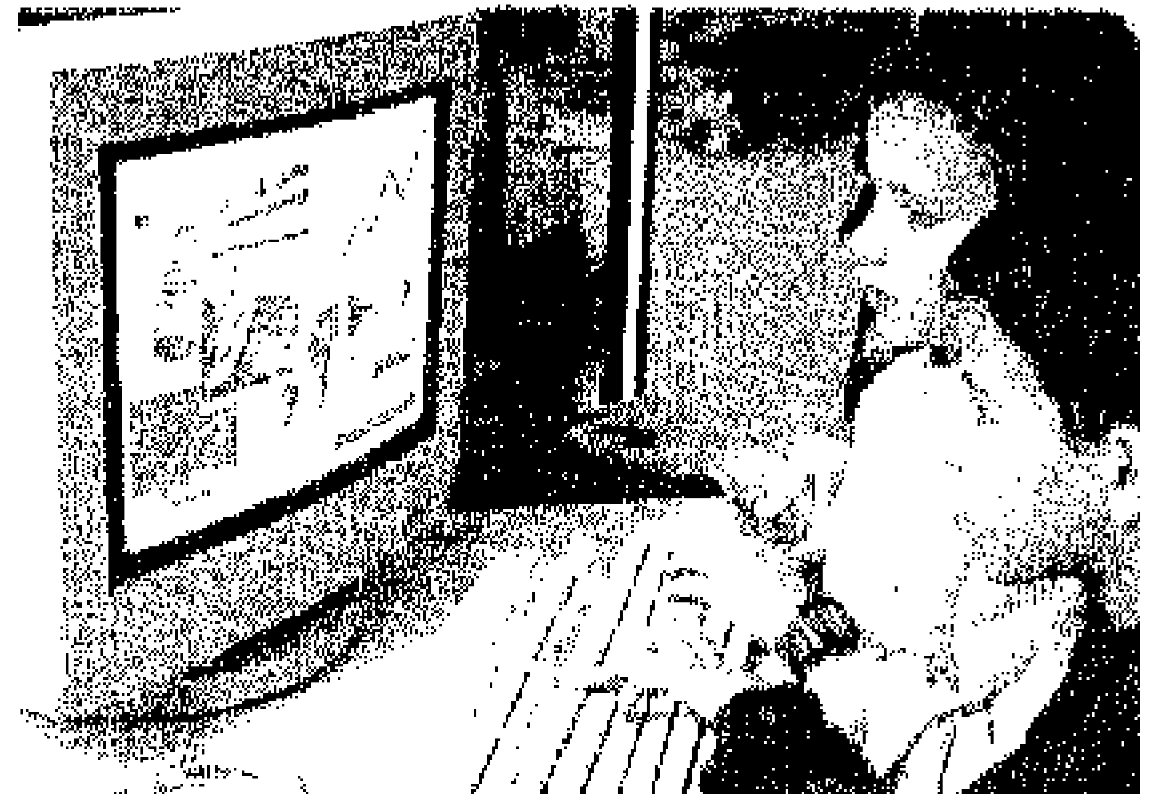

MEDITERRANEAN SEA
Cairo
EGYPT
RED SEA
Luxor
Ruzikat
Aswan
Ruzikat





ثامنًا : تنمية الموارد البشرية :

١ ـ نظرة عامة :

(أ) إن تنمية الموارد البشرية هى مفتاح التنمية الإقليمية والنمو القومى. وللوصول إلى الأهداف المرجوة يجب على مصر ودول الإقليم الأخرى رسم وتنفيذ استراتيجيات التنمية والتى تقوم على التعليم والتنمية المهنية.

(ب) وتقترح مصر برنامجين، ويقوم الأول والثانى باستخدام مراكز التدريب المصرية لتدريب الأفراد من دول المنطقة فى كل المجالات، والبرنامج الثانى بالإضافة إلى ما سبق يستثمر فى مستقبل المنطقة.

(جـ) وتعد مصر واحدة من أغنى البلاد فى المنطقة فى الموارد البشرية بفضل عدد خريجى الجامعة وخريجى المدارس الثانوية والفنية (حاملى الدبلومات) والذى يبلغ ١٣,٨ مليون فرد.

رغم هذا العدد الضخم من المتعلمين هناك حاجة إلى الخبرات المهنية

فى قطاعات مختارة من سوق العمالة لإمداد صناعات معينة ومنها التقنية الزراعية الحديثة والتكنولوچيا الحديثة وصيد الأسماك وصباغة النسيج وتصميم الملابس وفن البيع والتسويق وتنمية الصناعات الحرفية وصناعة البناء والتشييد.

(د) ونظراً لزيادة الاستثمارات فى هذه المجالات فإن المنطقة تحتاج إلى عمالة فنية عالية التدريب..

وبسبب حجم السكان وأعداد الخريجين فإن مصر تشعر أن الاستثمار المكثف فى مجال تنمية الموارد البشرية من خلال إنشاء مراكز التدريب الإقليمية سيكون له مردود كبير ويسهم فى دعم الرخاء والسلام فى المنطقة.

٢ - المشروعات:

وهناك العديد من المشروعات فى هذا الصدد أهمها المشروع موضع الإشارة هنا عن تطوير ودفع مراكز التدريب المهنى القائمة فى مصر.

تاسعًا : التكنولوچيا العالية :

١ ـ نظرة عامة :

(أ) التكنولوجيا العالية High Tech هو مصطلح يعنى عدداً من الأنشطة التكنولوچية مثل: الألكترونيات، وصناعة معدات وبرامج الكمبيوتر، وصناعة الروبوت، والتصميم والصناعة بالاستعانة بالكمبيوتر، والمعدات البصرية، ومعدات الاتصالات، وتقنية الجينات الحيوية وغيرها من المستحدثات.

(ب) والتكنولوچيا العالية يمكن أن تخدم الإسراع بالتنتمية الاقتصادية ـ الاجتماعية فى الأقاليم.

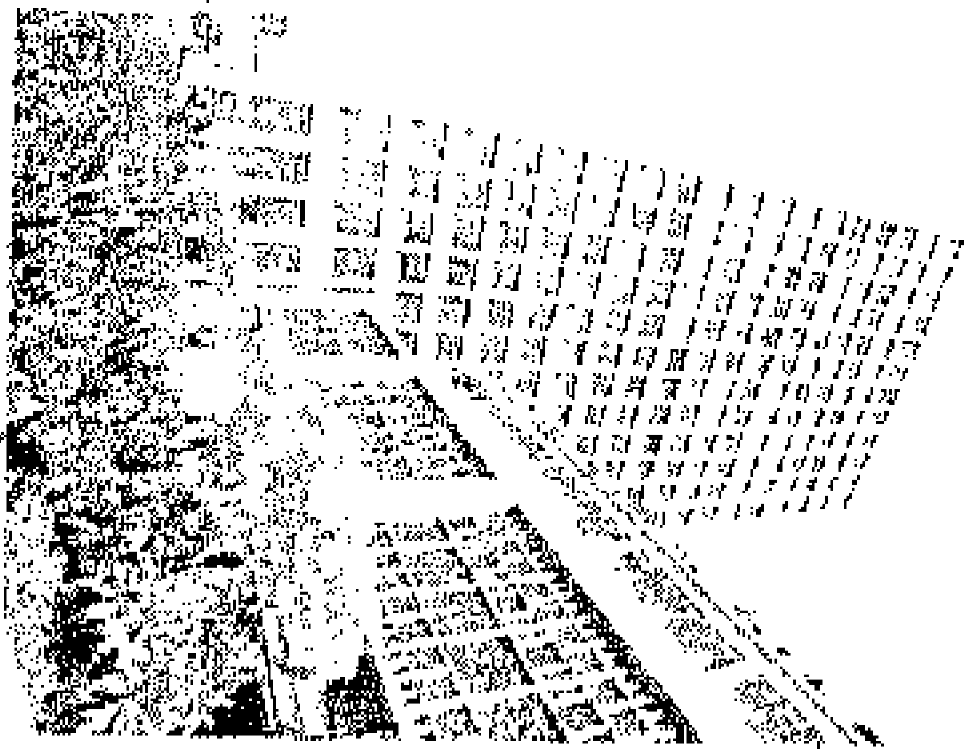
(جـ) وتقترح مصر تخطى بعض المراحل والقفز للحاق بالتقدم التكنولوچى والتنافس، بمعنى تضييق الفجوة التى تفصل دول المنطقة بالعالم المتقدم.

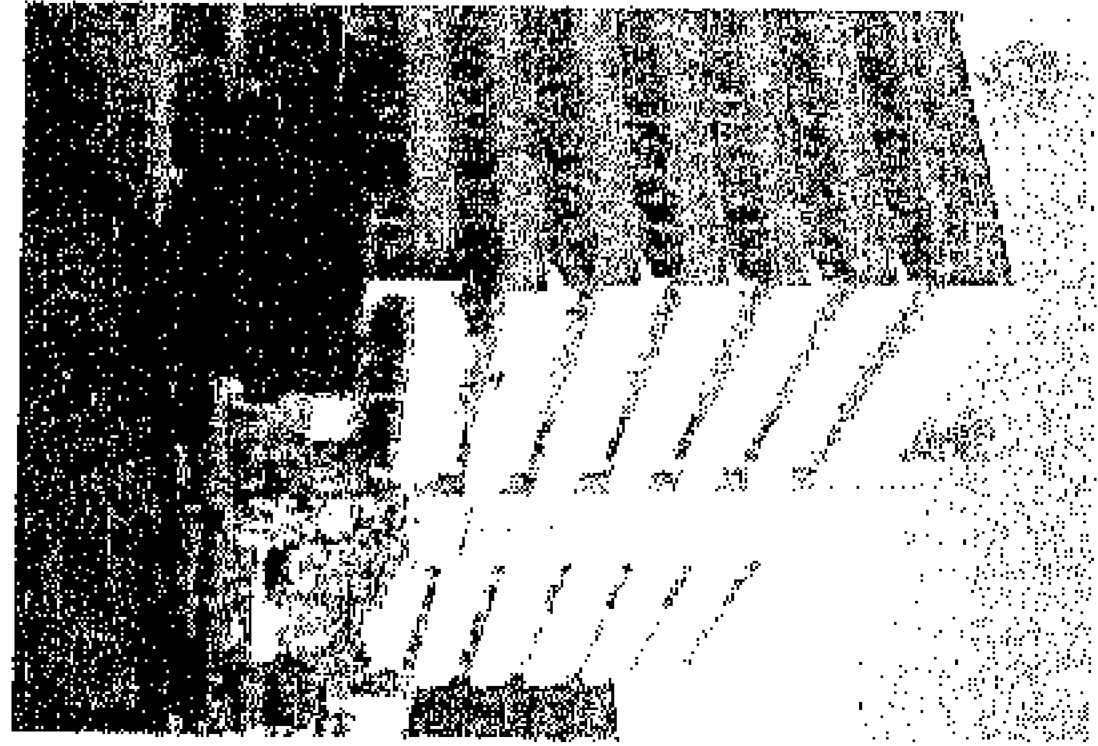
٢ ـ المشروعات:

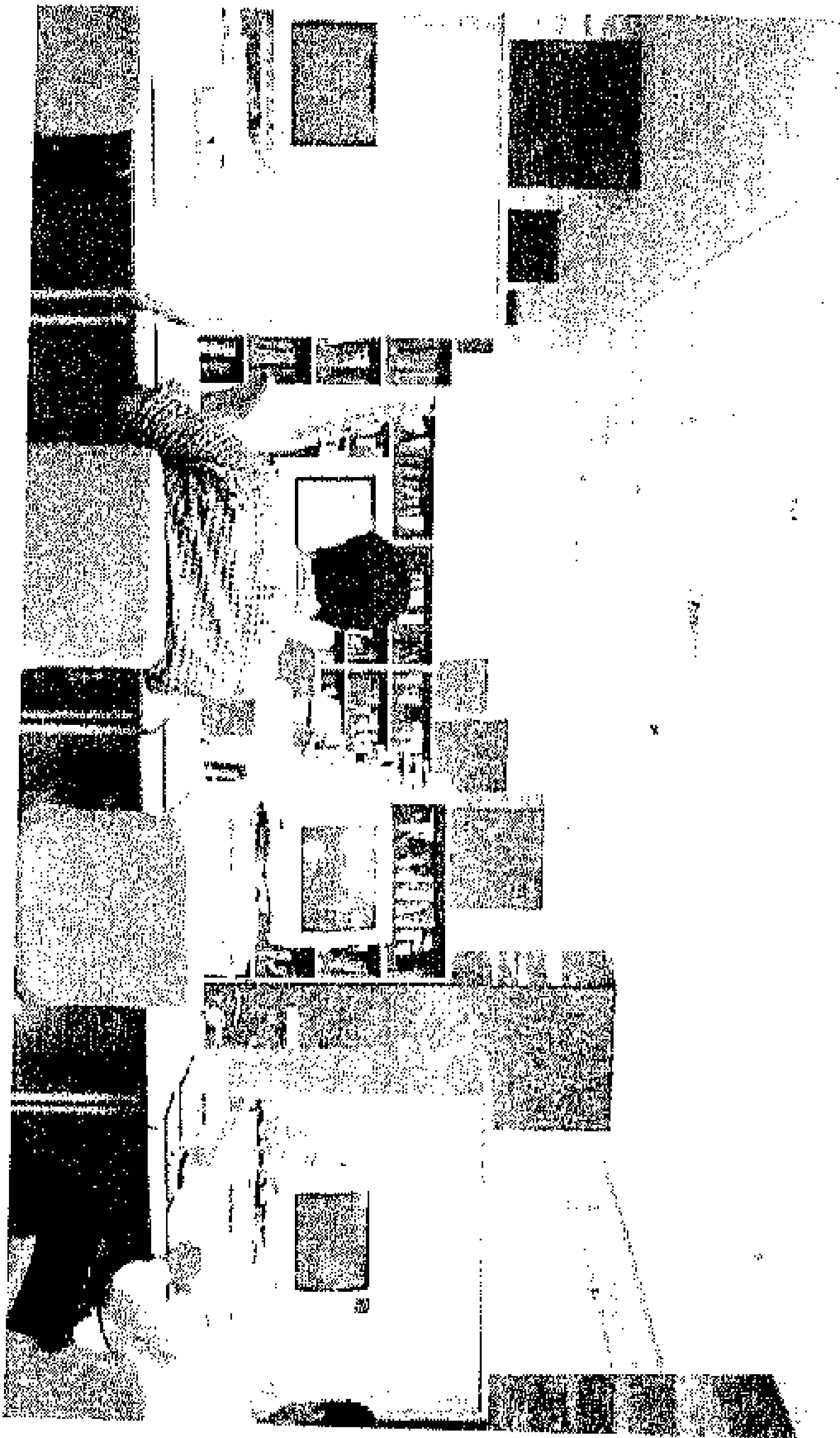
قدمت مصر مشروعا فى هذا الصدد بالقرب من الإسماعيلية.

مشروعات التكنولوجيا العالية

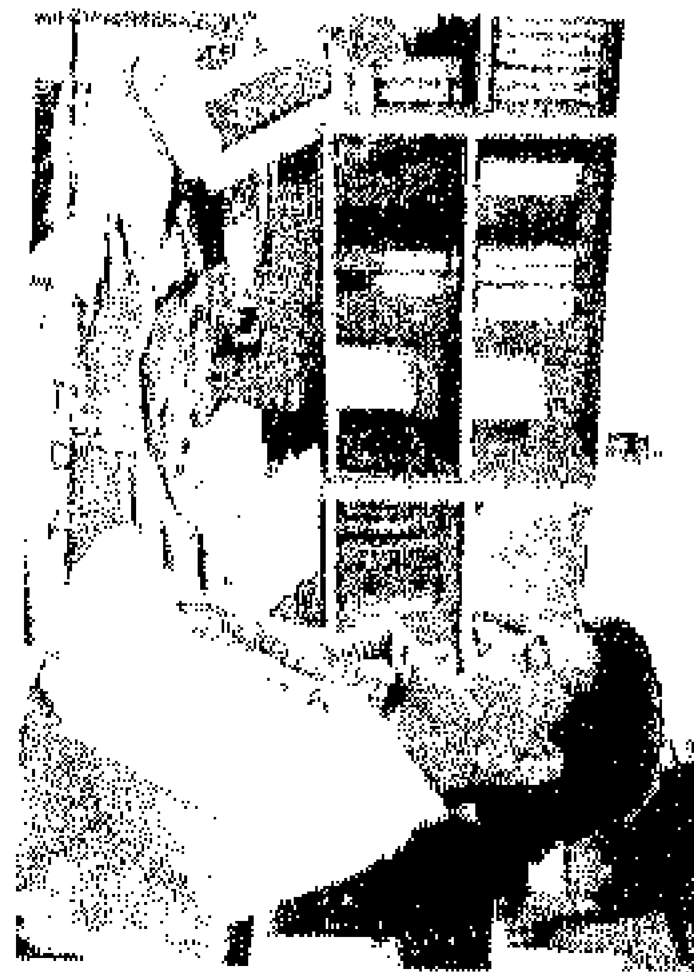
م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المـــدة
١	● مشروع وادى التكنولوجيا فى سيناء بالإسماعيلية : (أ) قدمت مصر حوافز استثمارية تتلخص فيما يلى: ١ ـ إعفاءات من الضرائب والرسوم. ٢ ـ تقديم البنية الأساسية الخاصة بالاتصالات اللاسلكية والطاقة والمياه. ٣ ـ تسهيلات استثمارية مثل أراضٍ مجانية وتسهيل إجراءات الترخيص. ٤ ـ تقديم التسهيلات الفنية والعالمية من خلال الجامعات ومراكز البحوث. ٥ ـ تقديم التسهيلات فى مجالات التدريب الفنى. ٦ ـ تقديم التسهيلات التجارية قرب الموقع من القاهرة وميناءى بورسعيد والسويس وعلى الطريق السريع للشرق الأوسط. ٧ ـ وتقديم مركز دولى للمؤتمرات واتصالات بالأقمار الصناعية ومعارض دولية وتسهيلات تخزين. ٨ ـ كما قدمت تسهيلات فى مجالات البيئة بتوفير مناطق خضراء حول المشروع المقترح وأراضى للمساكن والملاعب والمدارس والفنادق والمستشفيات. (ب) ويغطى المشروع المجالات السابق سردها فى نظرة عامة. (جـ) وقد بدأت الأعمال فى المشروع فعلاً عام ١٩٩٥ .	(أ) تسهيل قيام صناعات قائمة على التكنولوجيا العالية لدفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى دول المنطقة. (ب) تحقيق عائد للإقليم حوالى ١٠.٥ بليون دولار أمريكى (١٠٥٠٠ مليون) يكون نصيب مصر منها ٢٥٠٠ مليون دولار (أى حوالى الربع). (جـ) تحقيق تنمية تكنولوجية مشتركة فى المنطقة بالاستعانة بالقاعدة التكنولوجية الموجودة بالمنطقة والاستثمارات الأجنبية والكفاءات الماهرة فى الإقليم. (د) تطوير قاعدة التدريب العالى والخدمات المرتكزة على أسس تكنولوجية عالية. (هـ) تحقيق أفضل النتائج بالتزاوج بين: * الصناعة والأعمال. * مراكز البحوث. * الجامعات.	٢٠٠ مليون دولار	٤ سنوات

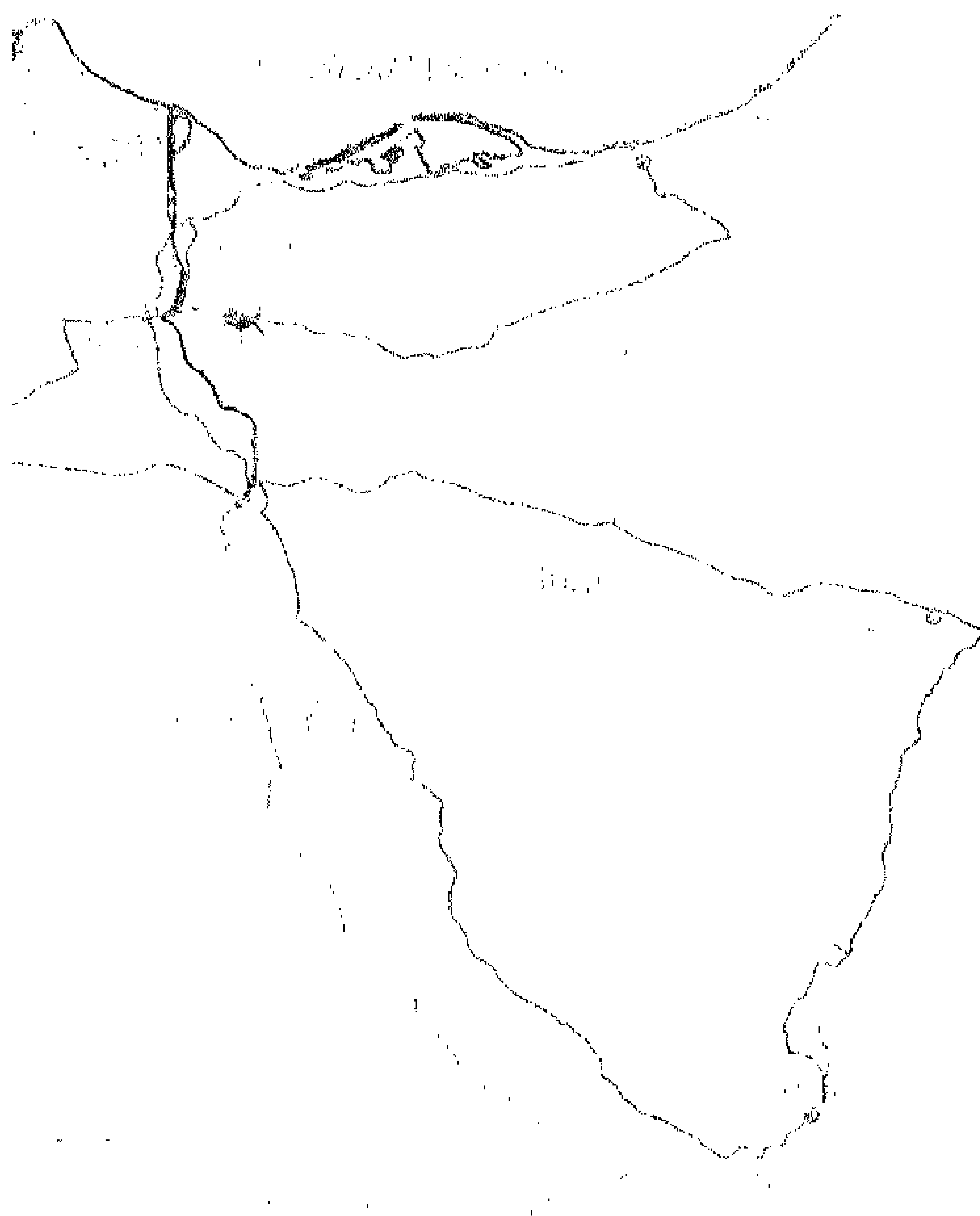




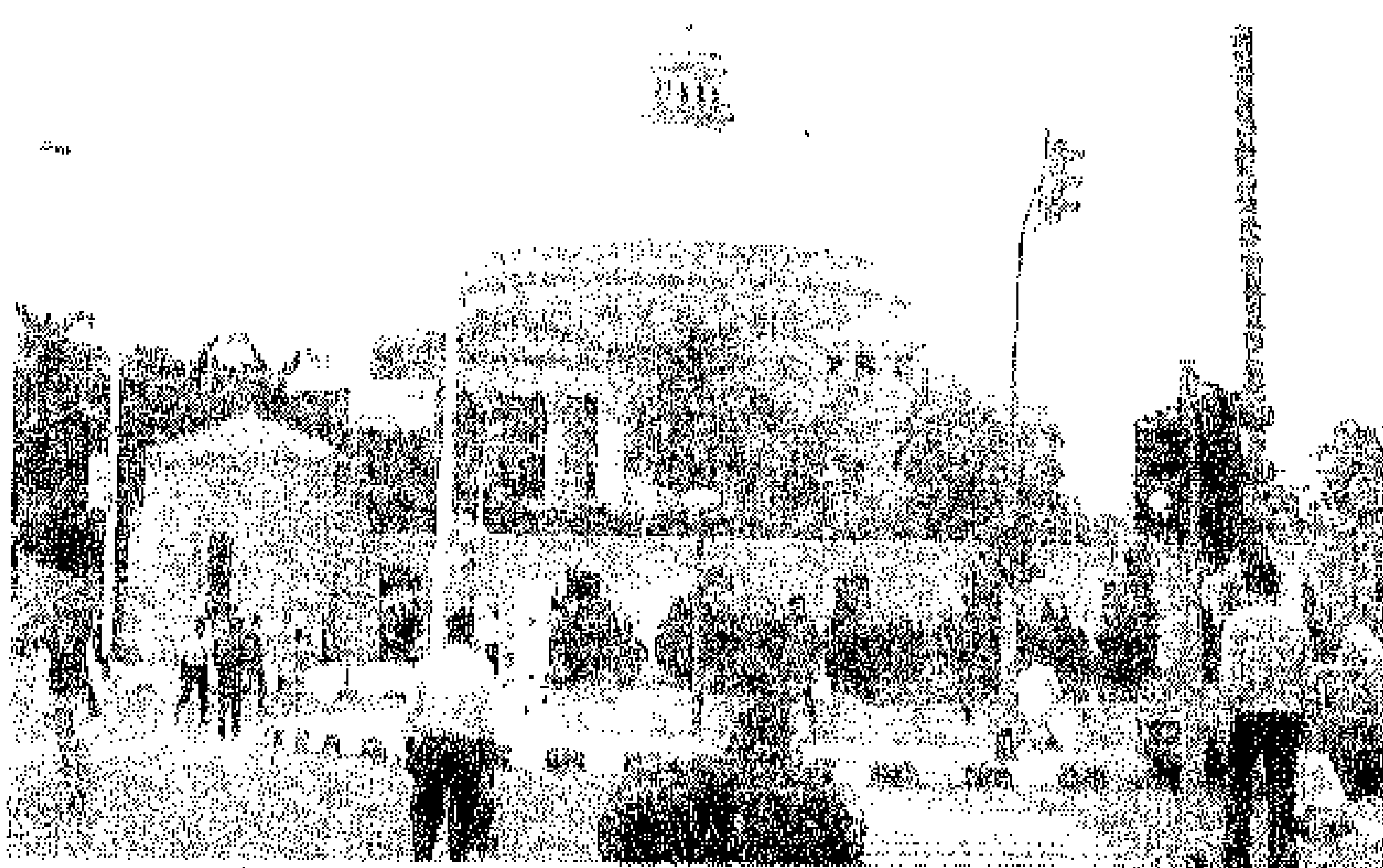




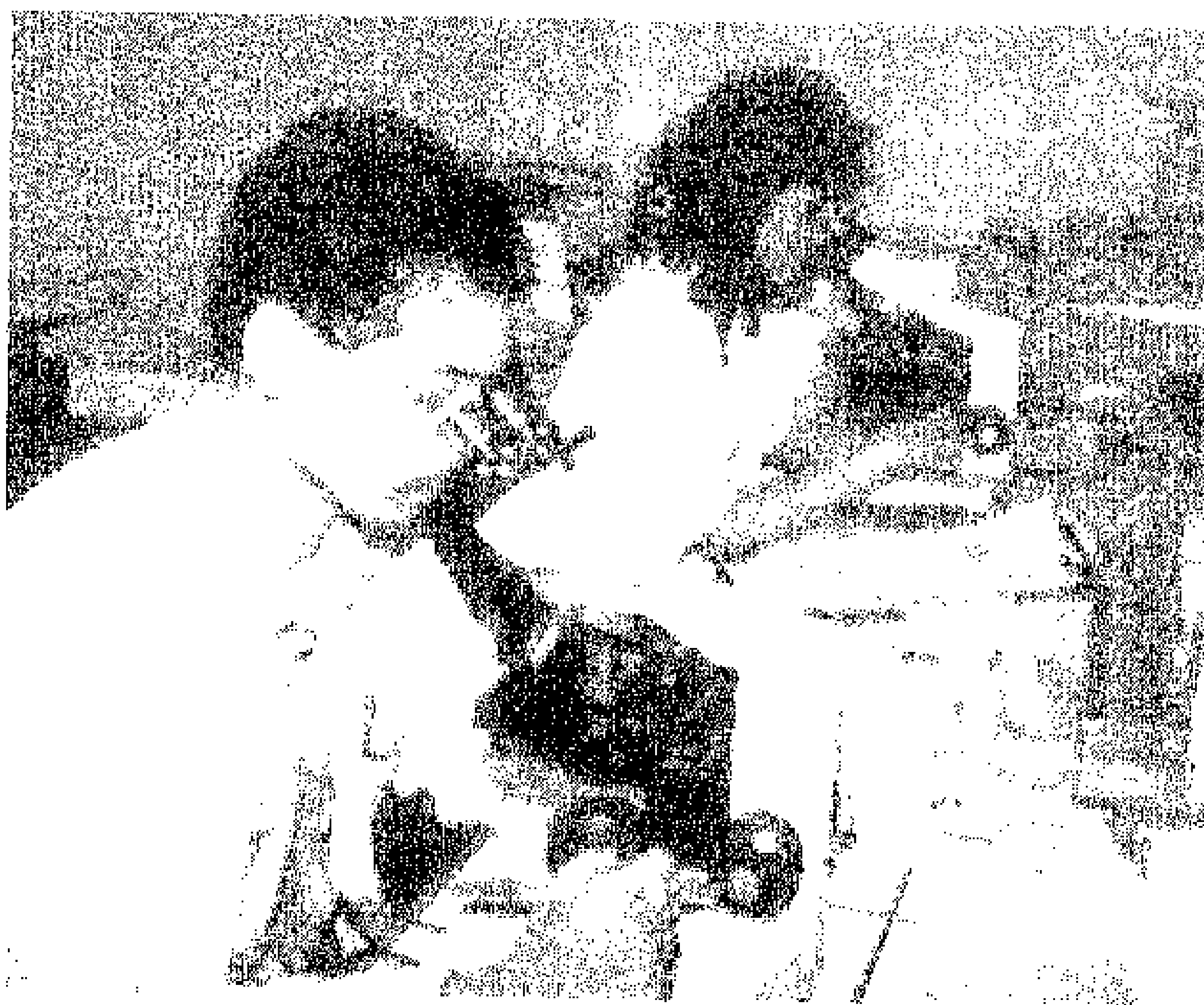


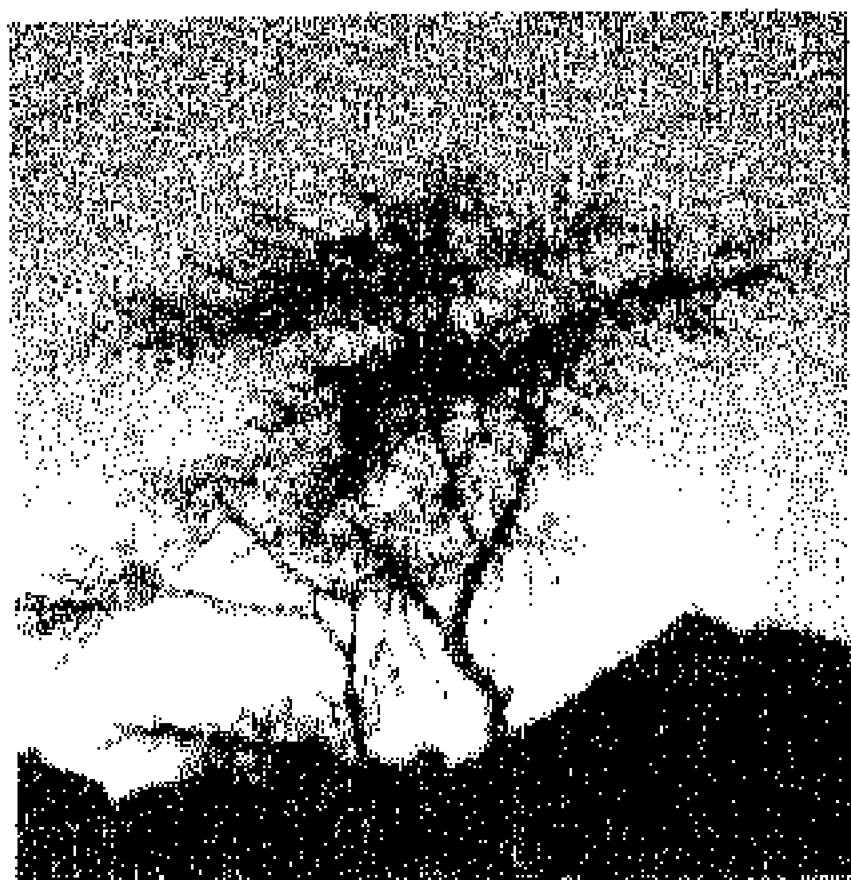








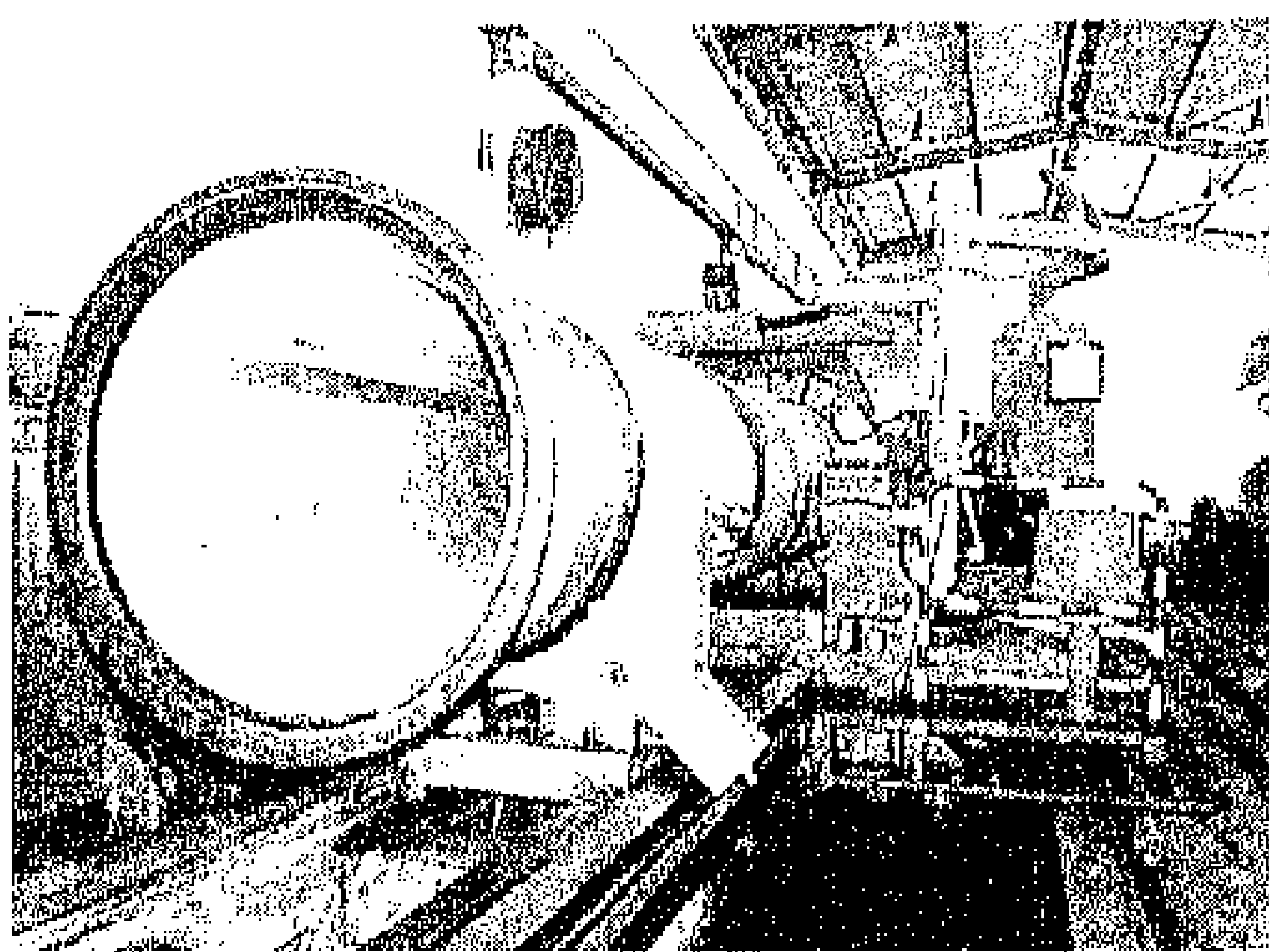
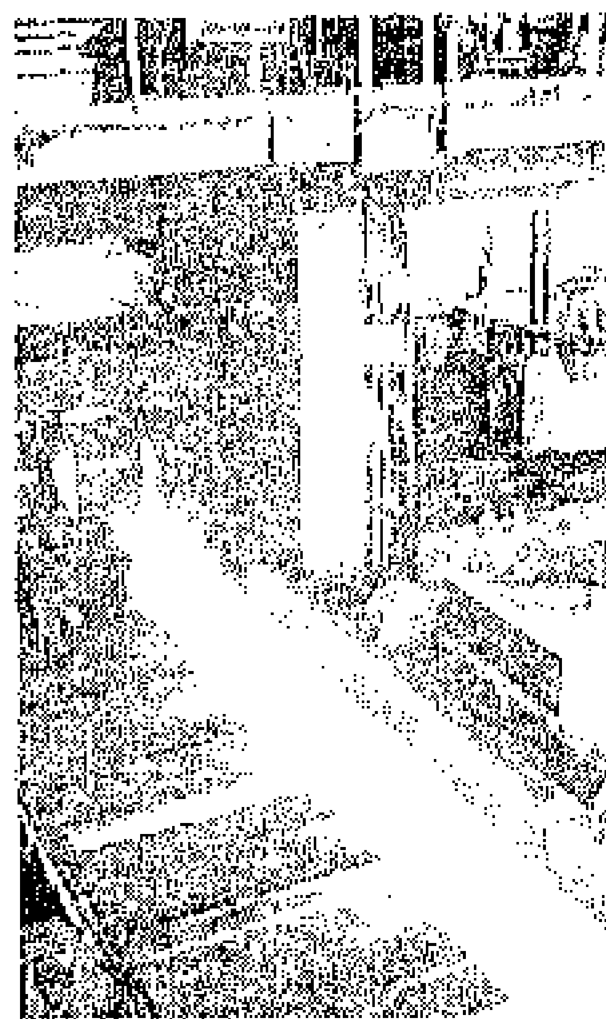
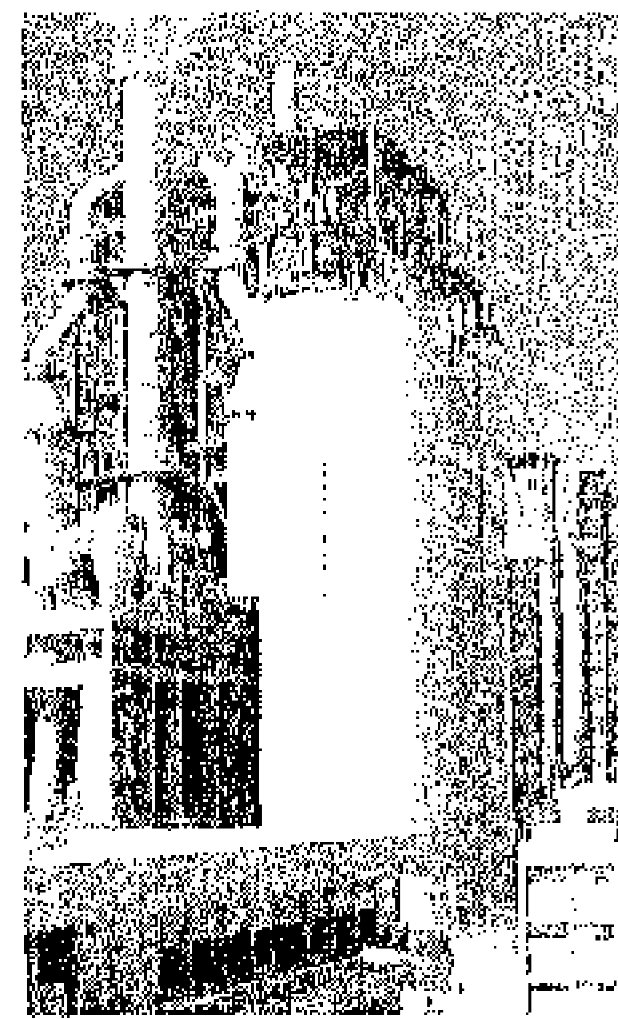
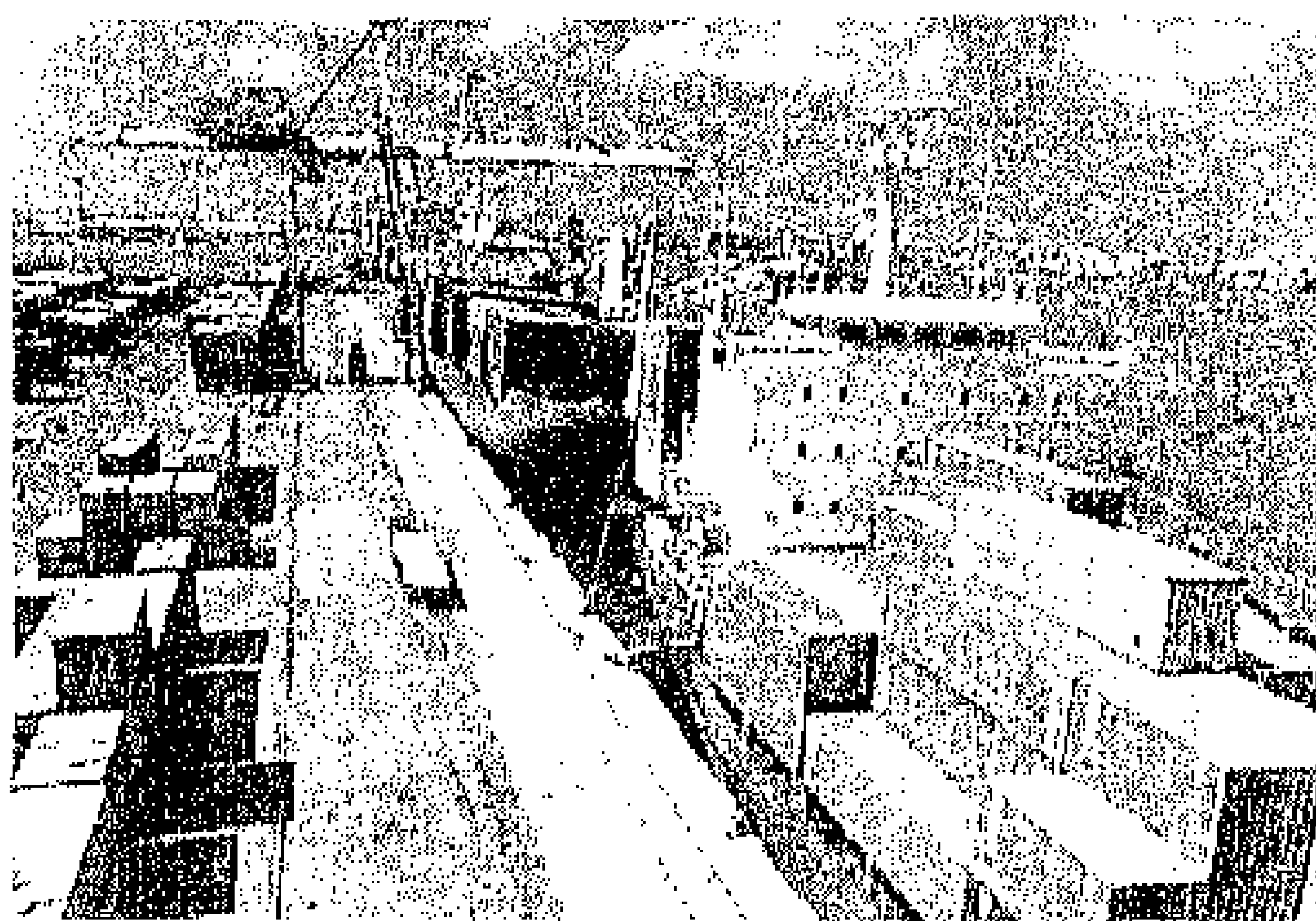
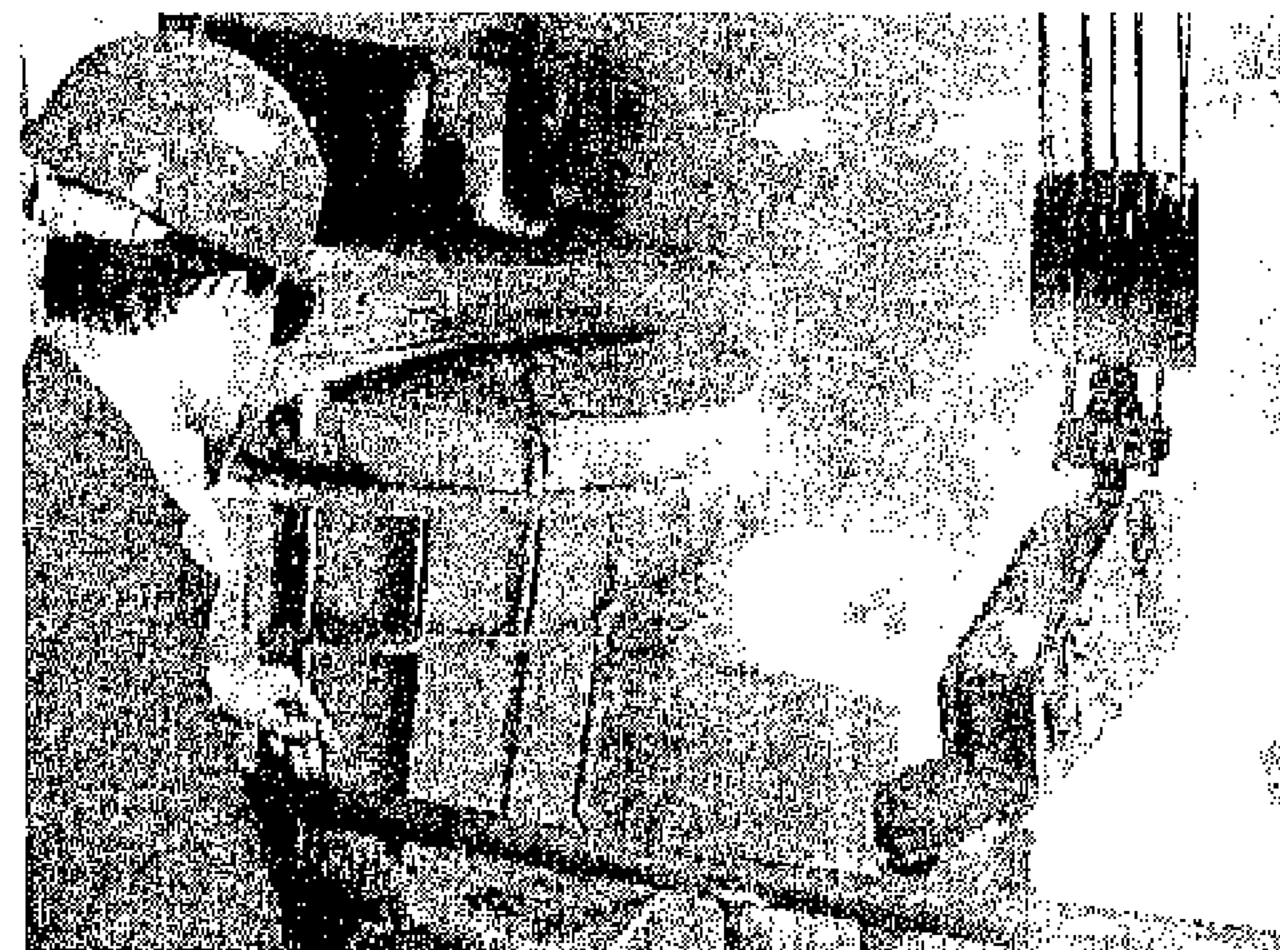


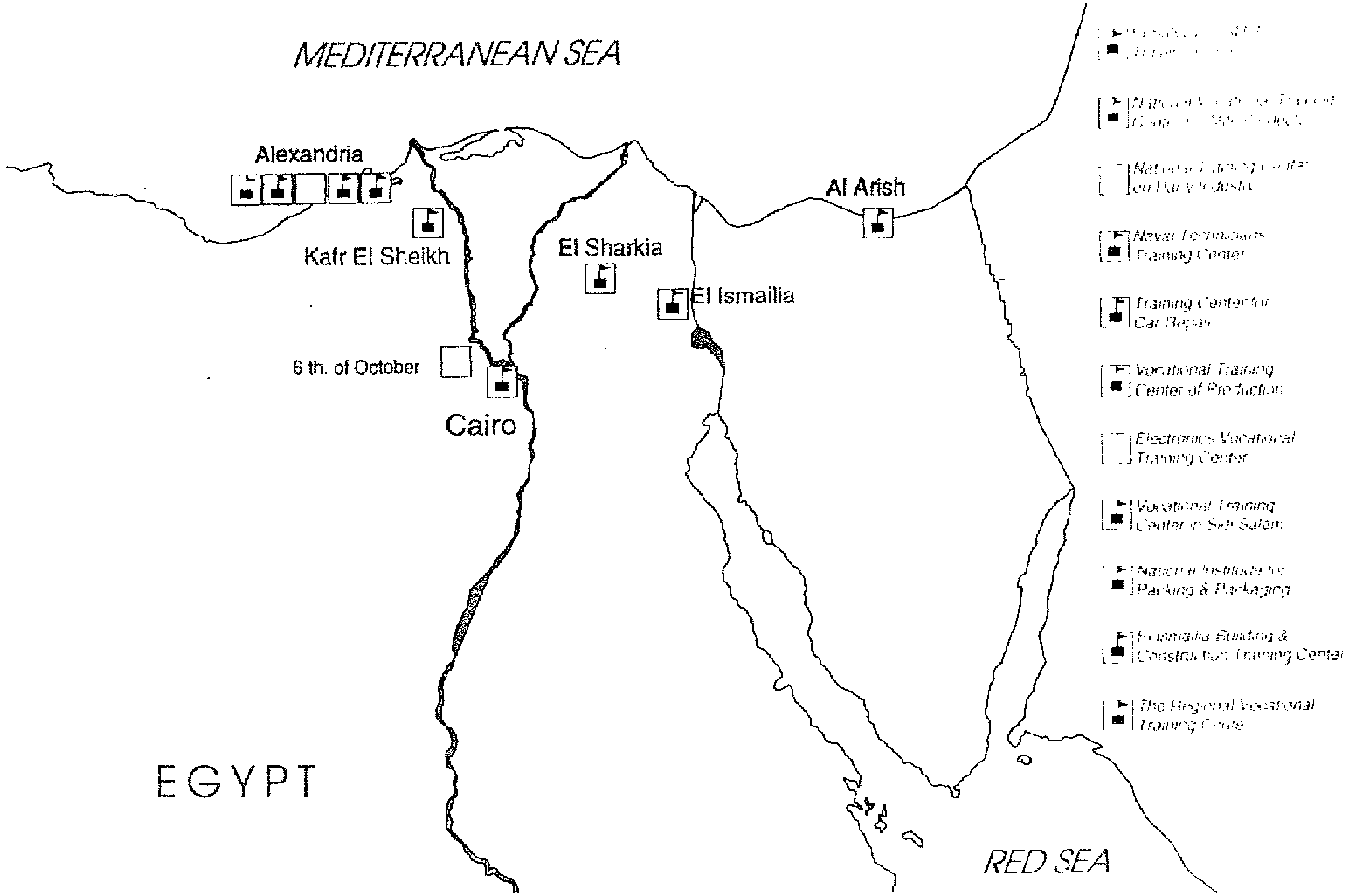









MEDITERRANEAN SEA
Alexandria
Kafr El Sheikh
6 th. of October
Cairo
El Sharkia
El Ismailia
Al Arish
EGYPT
RED SEA
Naval Technicians Training Center
Training Center for Car Repair
Vocational Training Center of Production
Electronics Vocational Training Center
Vocational Training Center in Sidi Salam
National Institute for Packing & Packaging
The Regional Vocational

عاشراً : المعلومات (قناة المعلومات الإقليمية) :

١ ـ نظرة عامة :

(أ) تعتبر نظم الاتصالات اللاسلكية الرقمية المتاحة والخدمات الإعلامية من أسس النمو الاقتصادى الإقليمى.

ـ ومن الأهمية للمنطقة أيضاً أن يتم تشييد البنية الأساسية والقدرة الاقتصادية، ووضع استراتيجية تشييد البنية الأساسية اللازمة لنظام معلومات إقليمى.

ـ وقناة المعلومات الإقليمية تشتمل على برامج ومشروعات تمكن الإقليم من القفز إلى عصر المعلومات، وتمكن دول المنطقة من مزاياها التنافسية والخاصة.

ـ وقناة المعلومات الإقليمية تتيح مايلى:

●● تجميع دول المنطقة (التقريب بينها).

●● وتجميع منظمات المنطقة معا.

●● وتجميع القيمة المضافة لشعوب ومشروعات المنطقة.

(ب) وقد سارت مصر شوطاً لإقامة قناة معلوماتها الوطنية بالاهتمام بالبنية الأساسية وبنية المعلومات، وفى عام ١٩٩٤ أقامت مصر نظامها الوطنى لقناة المعلومات لدعم نموها الاقتصادى الاجتماعى وتضمن ذلك.

- شركة خاصة لشبكة المعلومات.
- شبكة معلومات تجارية.
- وشبكة عمالة.
- وشبكة تعليم.
- وشبكة محافظات.

(جـ) وكانت الخطوة الأولى من أجل تحقيق التكامل والتنسيق والدعم لبرامج تكنولوجيا المعلومات على المستوى الإقليمى، هى إقامة المركز الإقليمى لتكنولوجيا المعلومات ولهدنسة أنظمة التشغيل (RITSEC) فى القاهرة فى يناير ١٩٩٢.

(د) وقد حققت هذه الإنجازات نتائج ملموسة فى مجال البنية الأساسية وبنية المعلومات فى اتجاه إنشاء قناة المعلومات الإقليمية.

٢ ـ المشروعات :

ولدعم إنشاء قناة المعلومات الإقليمية اقترحت مصر برنامجين وتسعة مشروعات، ثلاثة للبرنامج الأول، وستة للثانى.

(أ) البرنامج الأول: قناة الاتصالات الإقليمية، لتحسين وسائل الاتصال وبنيتها الأساسية ويتضمن:

●● تحسين وتطوير البنية الأساسية للإتصالات الإقليمية.

●● إنشاء وحدات ربط (للاتصالات) الإقليمية.

●● إنشاء شبكة خدمات أساسية إقليمية.

(ب) البرنامج الثانى: شبكات القيمة المضافة.

- من أجل تحسين وتنفيذ القيمة المضافة لخدمات المعلومات يشتمل مشروعات البرنامج الثانى إنشاء الشبكات التالية:

●● شبكة معلومات إقليمية تجارية.

●● شبكة معلومات إقليمية تشريعية.

●● شبكة معلومات إقليمية للعلوم والتكنولوچيا.

●● شبكة معلومات إقليمية عن الصحة.

●● شبكة معلومات إقليمية عن السياحة.

مشروعات قناة المعلومات الإقليمية «البرنامج الأول»

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المدة
١	البرنامج الأول: قناة الاتصالات الإقليمية وتشمل ثلاث مشروعات: ● **تطوير بنية أساسية للاتصالات الإقليمية:** طبيعة المشروع: (أ) إقامة بنية أساسية مادية فعالة للاتصالات على المستويين الوطنى والإقليمى (ب) إقامة نظام للتنسيق وتحديد الرسوم والأسعار بالتعاون مع اتحاد الاتصالات الدولية وعربسات وغيرها من الهيئات الوطنية للاتصالات والبث. (جـ) إنشاء نظام وصل حديث (بين الأجهزة المحلية).	(أ) دعم التعاون الإقليمي فى مجال البنية الأساسية للاتصالات. (ب) إتاحة شبكة إتصالات حديثة ويعتمد عليها. (جـ) إقامة بنية أساسية مادية كقاعدة لشبكة الخدمات القائمة على الأسس الفنية والقيمة المضافة.	٨٥ مليون دولار على مرحلتين	٤ سنوات
٢	● **إقامة وصلة إقليمية:** (أ) الانطلاق من نتائج المشروع الأول لإقامة وصلة إقليمية لنقل مواد البث السمعية والمعلوماتية بينت دول الإقليم. (ب) إقامة شبكة اتصالات إقليمية حديثة بما فى ذلك إنشاء وصل (عقد) تقاطع 25 \ X وإطار مناول ISDN ومحولات ITM لتحقيق النقل من الصوت إلى بيانات المعلومات. (جـ) وإقامة مدخل (Gateway) إلى حامل معلومات الاتصالات الدولية مثل تليكوم البريطاني وتليسكوم الفرنسي، وهكذا لنقل بيانات الاتصالات على المستوى الدولى أيضا.	(أ) تقديم خطة خدمات الوصل والتحويل فى المنطقة. (ب) لتقديم نظام اتصال رقمى مباشر بين دول المنطقة. (جـ) إقامة وصلة لازمة بين التليفونات وبين شبكة اتصالات المعلومات فى مختلف دول المنطقة. (د) إتاحة مدخل وتسهيلات عبور بين المنطقة وبين مختلف دول العالم.	٣٥ مليون دولار أمريكى على مرحلتين	٥ سنوات
٣	● **إنشاء تسهيلات (خدمات) الشبكة الأساسية:** (أ) شبكة خدمات أساسية على المستويين المحلي والإقليمي، والإستعانة بالمشروعين السابقين من أجل بث اتصالات المعلومات وأعواد السمعية والبصرية وتقديم خدمات الدخول إلى الشبكات المتعددة. (ب) كما يتضمن إنشاء الخدمات الإقليمية الأساسية مثل البريد الألكتروني ونظم تسليم الرسائل وخدمات الدليل وغيرها.	(أ) تجميع دول المنطقة ألكترونياً. (ب) تقديم مدخل إلى الشبكات الدولية.	٤ مليون دولار أمريكي لكل دولة، ٢٠ مليون دولار للتسهيلات الاقليمية	٣ سنوات

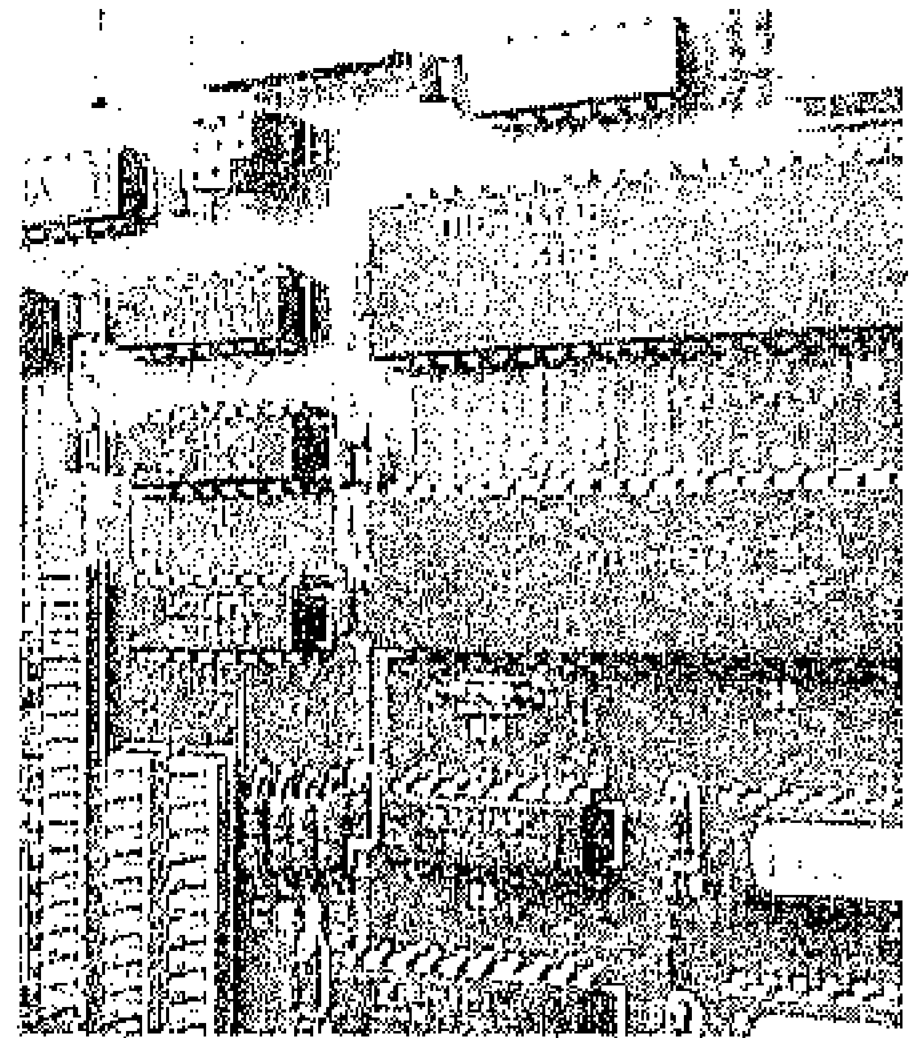
مشروعات قناة المعلومات الاقليمية «البرنامج الثانى»

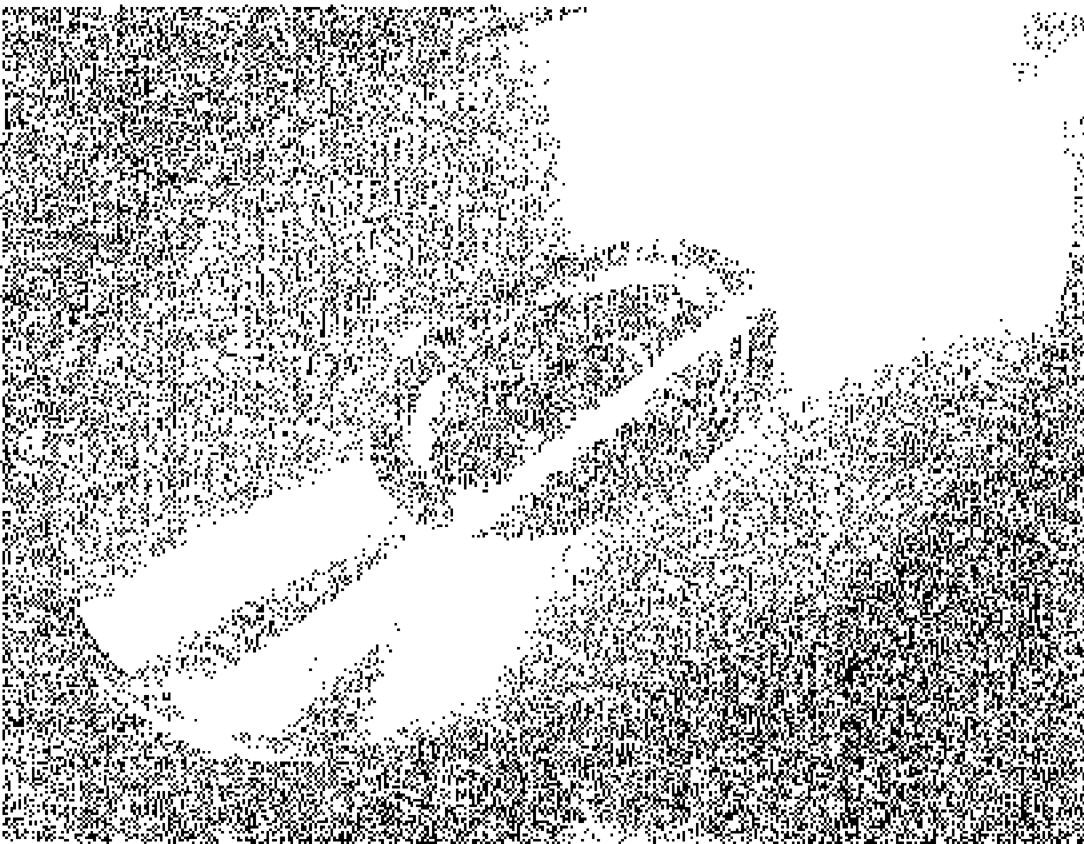
م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المـدة
١	البرنامج الثانى: شبكات القيمة المضافة، ويشتمل على ست مشروعات: ● شبكة المعلومات التجارية الإقليمية: (أ) تقديم خدمات شبكة معلومات للقيمة المضافة لرجال الأعمال والمنظمات من أجل دفع قدرة الإقليم التنافسية فى مجالى التجارة والاستثمار. (ب) إتاحة معلومات حديثة ودقيقة لمجتمع الإقليم عن: * فرص التجارة * فرص الاستثمار * الأسواق والسلع * اللوائح والإجراءات * تحليل المخاطر * المؤشرات الاقتصادية * المؤشرات المالية	(أ) دفع عملية التجارة والاستثمار (ب) تشكيل مجموعة اقتصادية إقليمية قادرة على فتح آفاق للإقليم فى مجال الأعمال والتجارة الدولية. (جـ) استفادة كل دولة من خدمات المشروع.	٢٠ مليون دولار أمريكى	٣٠ شهر
٢	● شبكة المعلومات التشريعية الإقليمية: (أ) لدعم التنسيق والتعاون وتنميط الإجراءات والتشريعات إقليميا عن طريق تبادل وفتح ونشر وتبادل المعلومات عن التشريعات والإجراءات. (ب) وينشئ المشروع وصلات للشبكة فى الدول المشتركة لخدمة القطاع الخاص ومصالح الحكومة والمحامين والهيئات التشريعية وهيئات التعاون الإقليمى.	(أ) دعم التنسيق والتعاون الإقليمى. (ب) خلق وتطوير نظام معلومات تشريعى وطنى. (جـ) تلافى الازدواجية فى الجهود.	٣٤ مليون دولار أمريكى	٣ سنوات
٣	● شبكة المعلومات العلمية والتكنولوجية الإقليمية: (أ) يعمل أداة لتجميع الموارد البشرية والفكرية الإقليمية للإسهام فى جهود البحوث والتنمية فى الإقليم. (ب) إتاحة مجال للعلماء والباحثين للعمل وتبادل الآراء عبر تسهيلات حديثة باستخدام الخدمات الأساسية للشبكة.	(أ) الجمع بين فرق البحوث فى الإقليم. (ب) إتاحة منبر تكنولوجى لاستخدام المعلومات المجمعة والبحوث وتطبيقاتها. (جـ) إنشاء ذاكرة إقليمية.	١٠ مليون دولار أمريكى	٣ سنوات

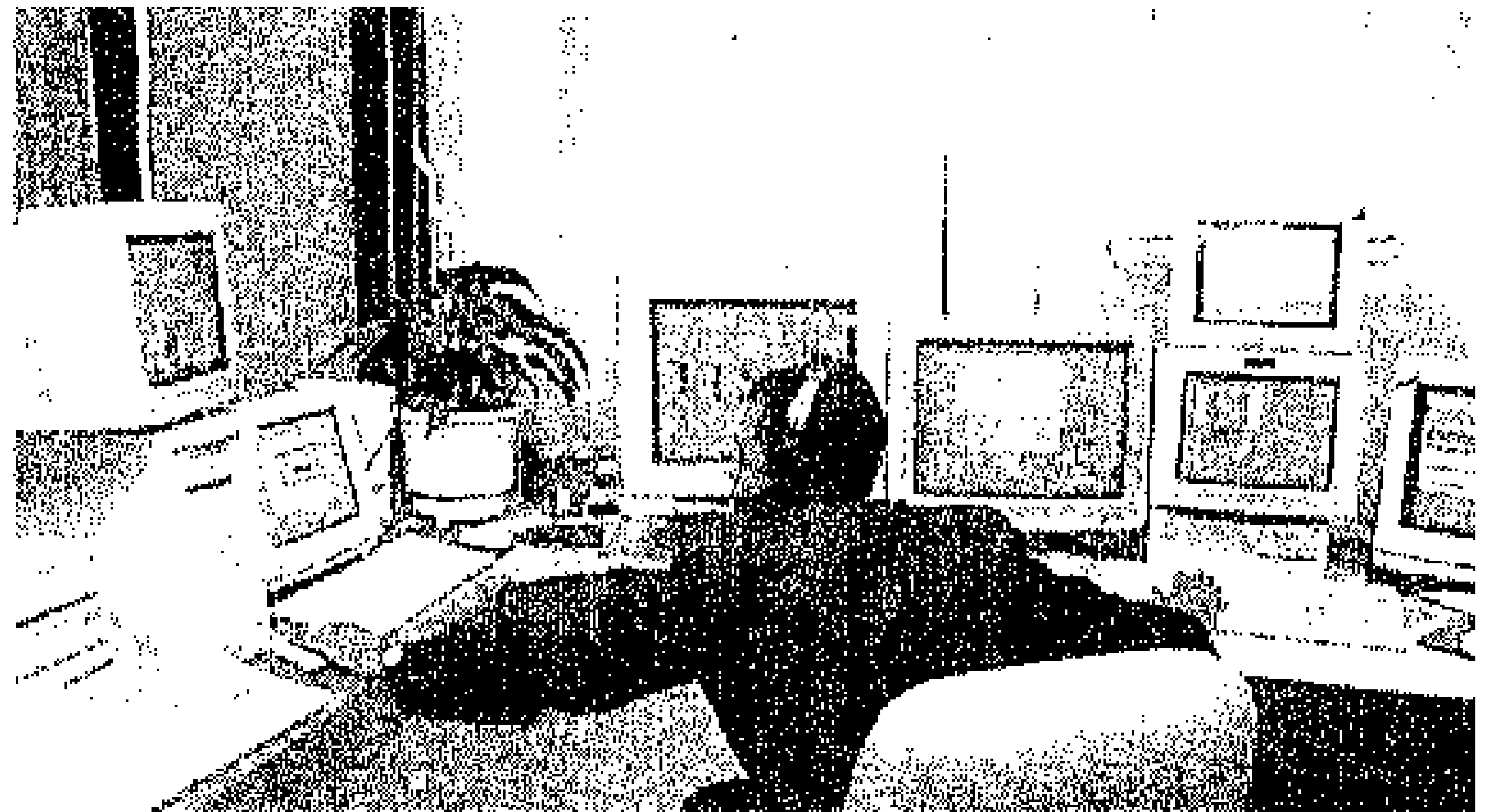
(تابع) مشروعات قناة المعلومات الاقليمية «البرنامج الثانى»

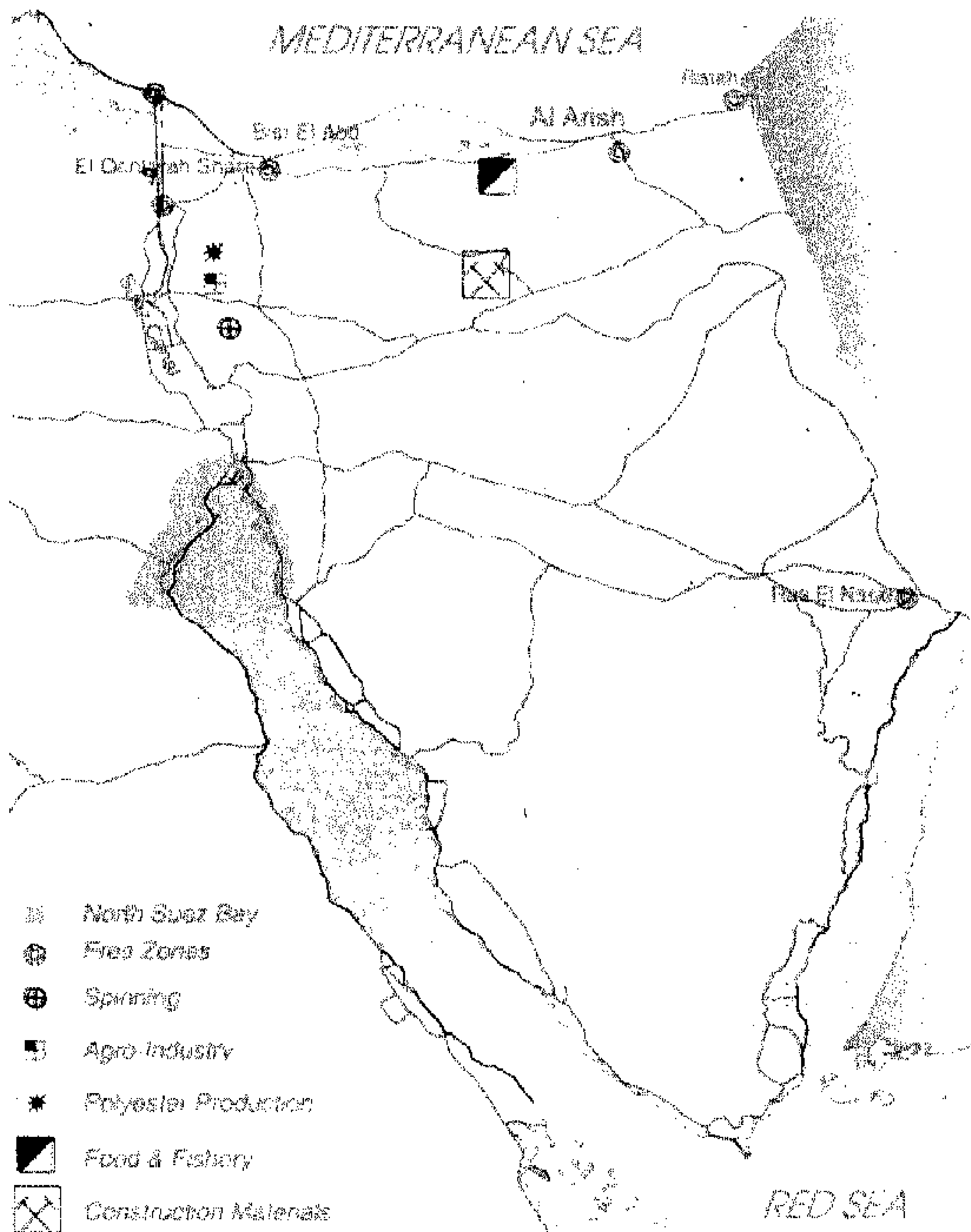
م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المـدة
٤	● شبكة المعلومات البيئية الإقليمية: (أ) إتاحة البنية المعلوماتية الأساسية لإدارة وتنسيق شئون البيئة. (ب) تقدم وصلات بالشبكات المحلية يستفاد منها إقليمياً عن المعلومات الجغرافية أو البيئية ومركز توثيق. (جـ) تقديم معلومات عن المياه والهواء والضوضاء ومصادر التلوث.	(أ) تسهيل التنسيق والإدارة وتتبع الاهتمامات البيئية. (ب) دفع وتنشيط المعلومات عن القطاعات الحيوية من أجل التنمية المستمرة فى الإقليم. (جـ) تحسين مستوى الحياة فى الإقليم.	٦ مليون دولار أمريكى لكل دولة	٥ سنوات
٥	● شبكة المعلومات الصحية الإقليمية: (أ) لانجاز مستوى عال من الرعاية الصحية بالاستفادة من تكنولوجيا المعلومات بالشبكة. (ب) خدمة المرضى والأطباء وغيرهم.	(أ) خلق قاعدة معلومات عن المراكز الصحية الخاصة والعامة وعن الأطباء. (ب) ربط الشبكات الوطنية والإقليمية بالشبكات العالمية. (جـ) دعم التعاون عن بعد. (د) تقديم وسائل وطرق جديدة للتعلم والتدريب للأطباء.	٦ مليون دولار أمريكى لكل دولة	٥ سنوات
٦	● شبكة المعلومات السياحية الإقليمية: (أ) إقامة ودفع قاعدة معلومات وتسهيلات وخدمات لدعم السياحة ووكلائها والفنادق وشركات الطيران والنقل. (ب) مساعدة المسافرين والسياح فى خططهم. (جـ) إتاحة مجال لأعمال صناعة السياحة.	(أ) استفادة السياحة الإقليمية. (ب) يستفيد السياح والمسافرون من مرونة وسهولة التخطيط المتاح عبر الشبكة.	٢ مليون دولار أمريكى	٣ سنوات

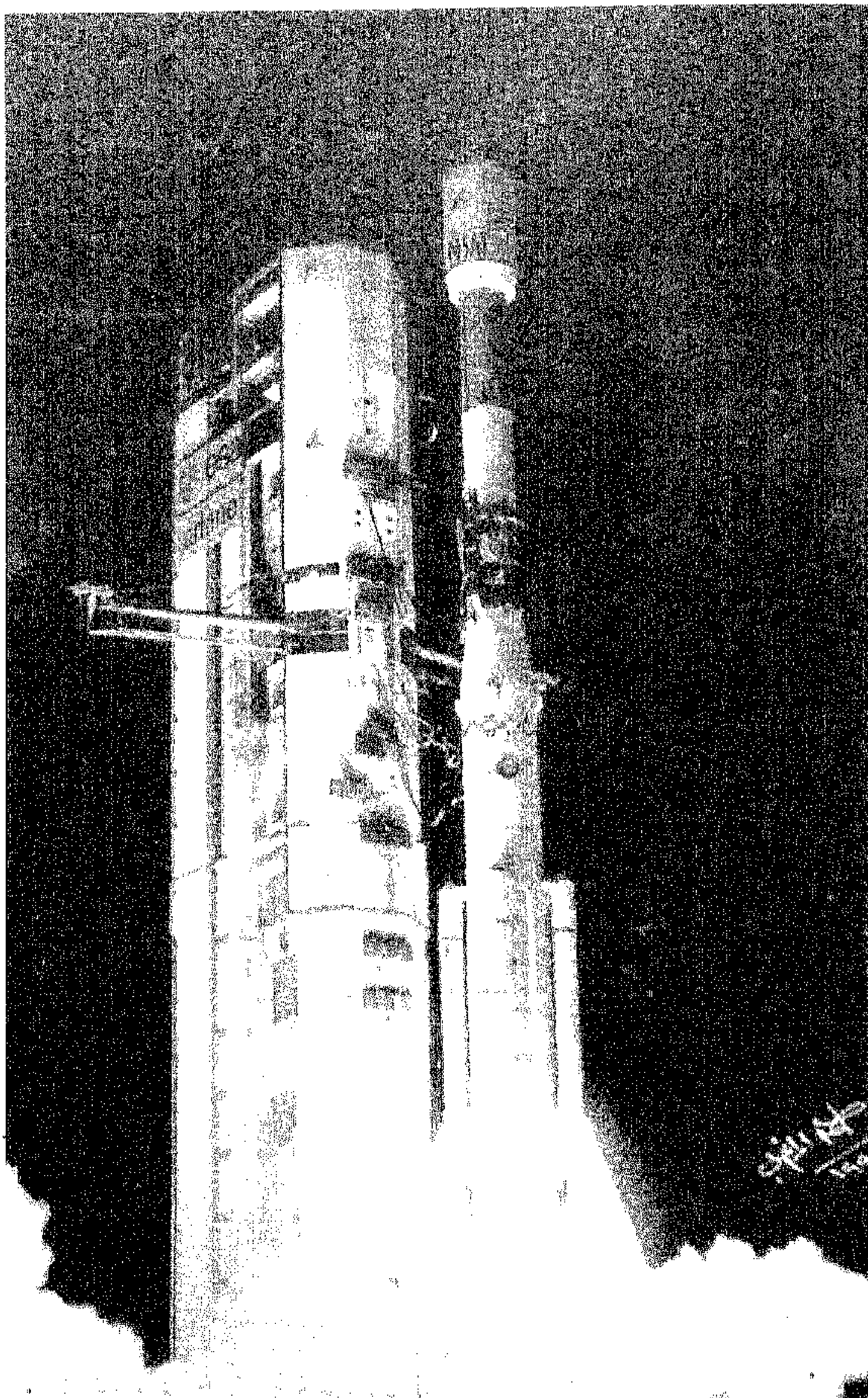




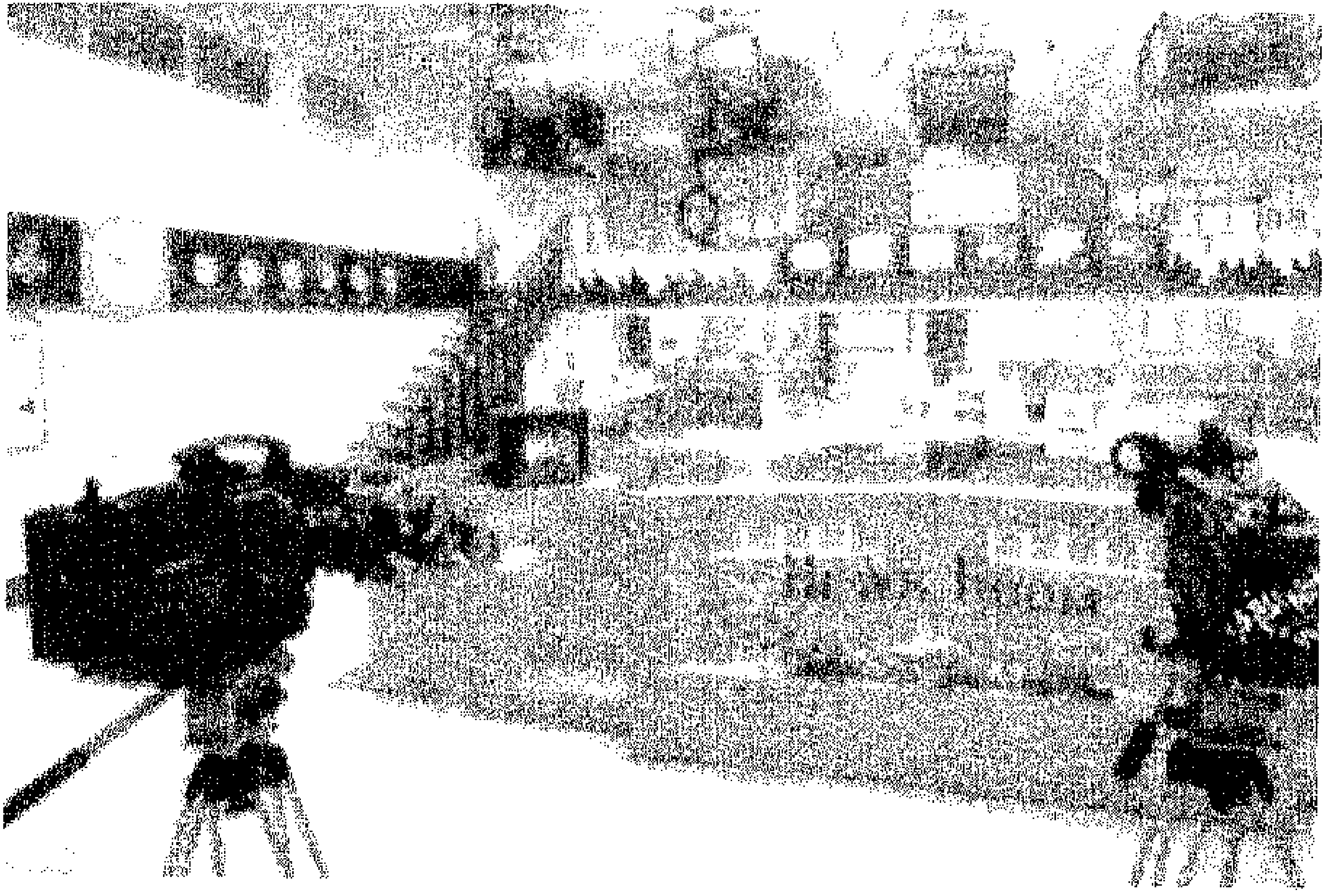




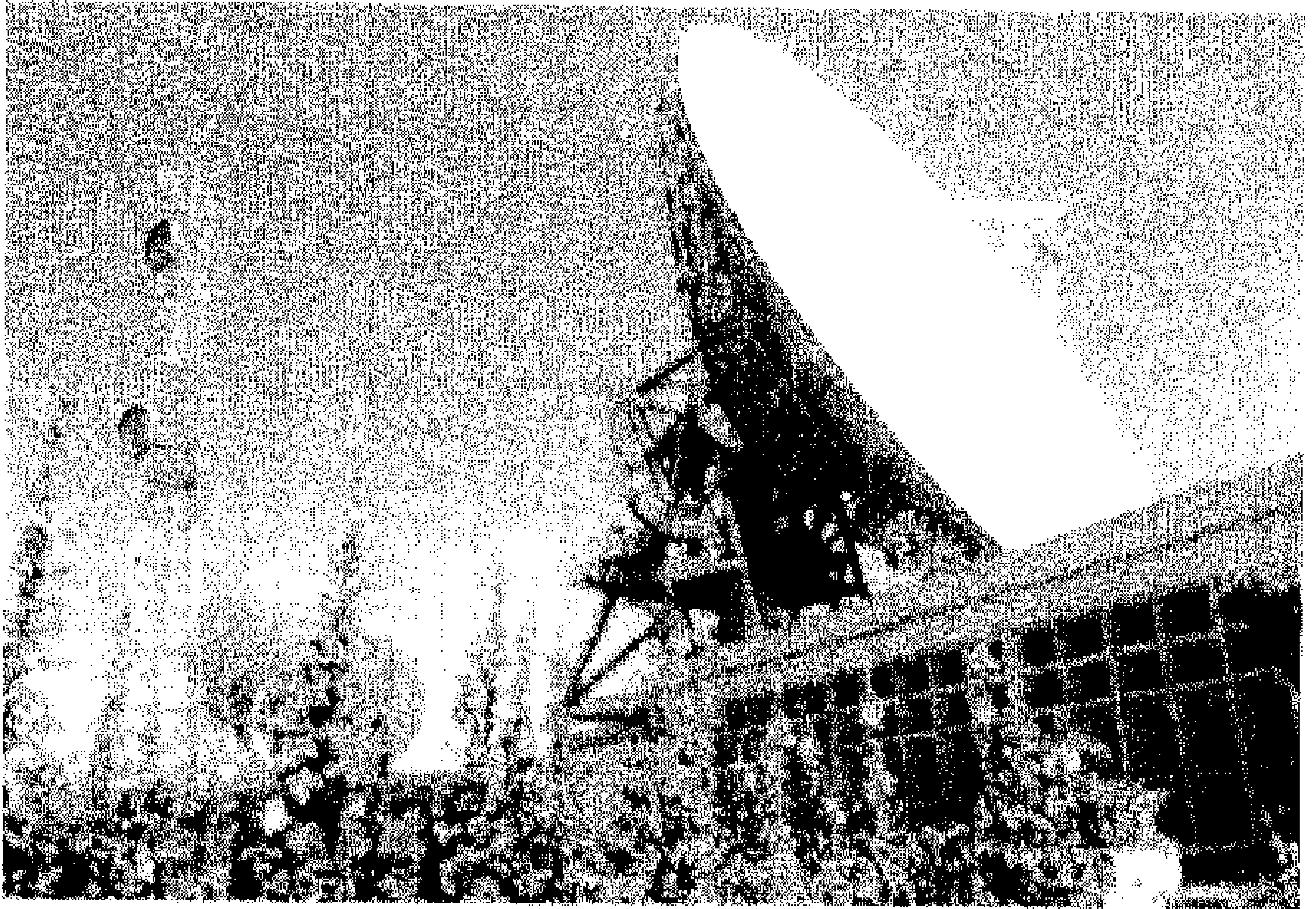

MEDITERRANEAN SEA
Al Arish
RED SEA
North Suez Bay
Free Zones
Spinning
Agro-Industry
Polyester Production
Food & Fishery
Construction Materials



«نايل سات» نقلة حضارية متميزة



صالة تحرير الأخبار بأحدث تكنولوجيا الاتصال

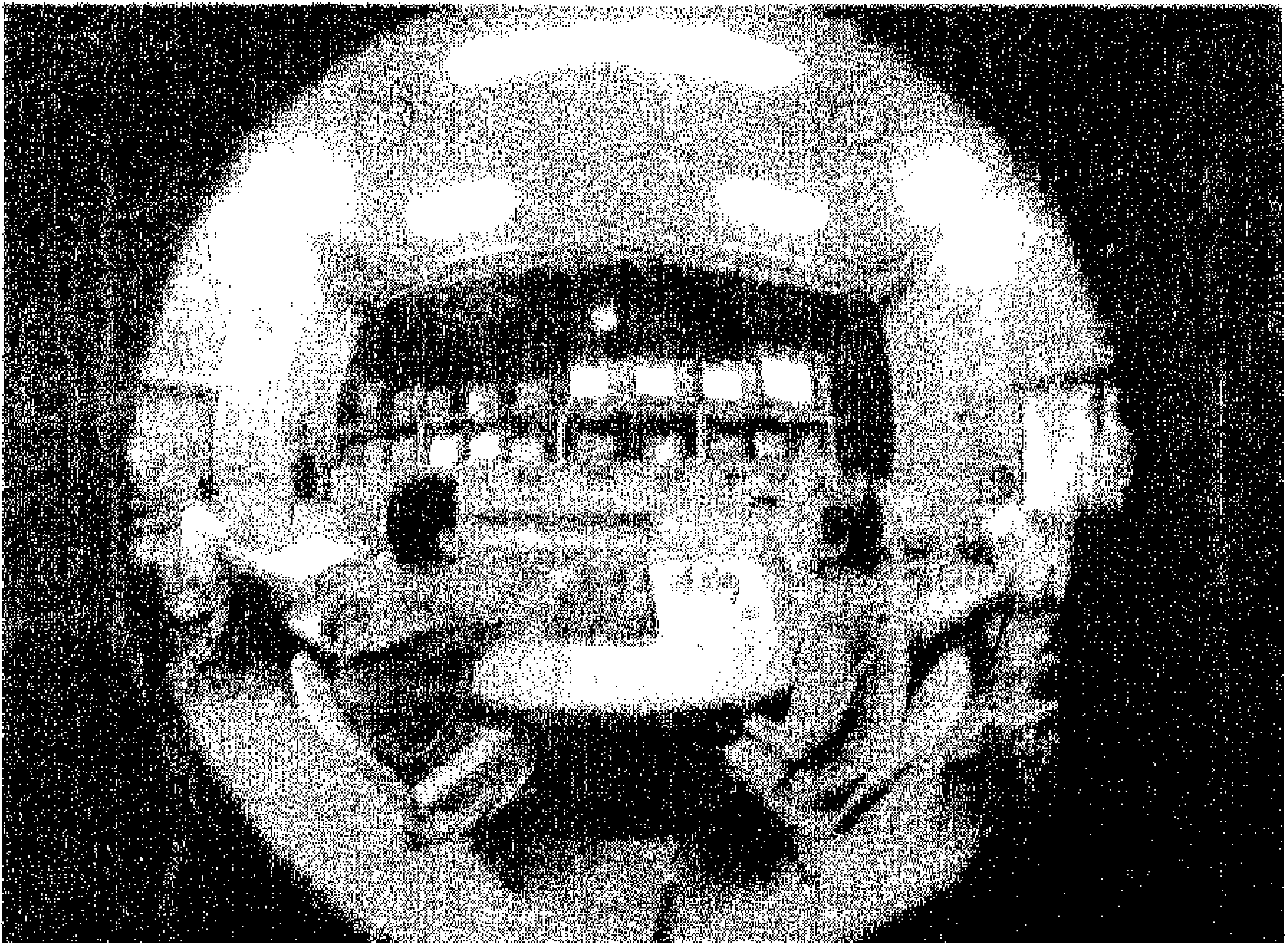


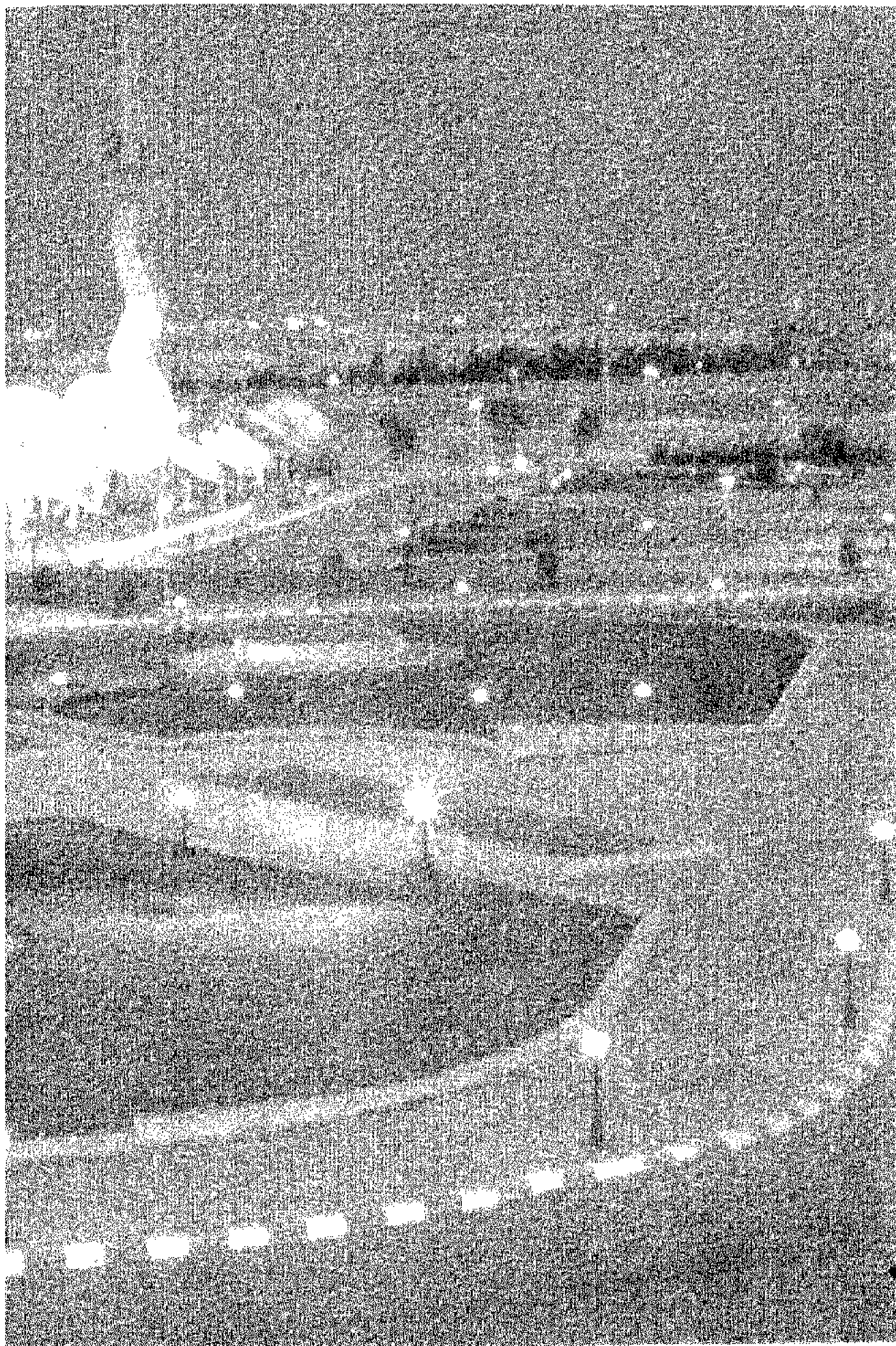
محطة الأقمار الأرضية

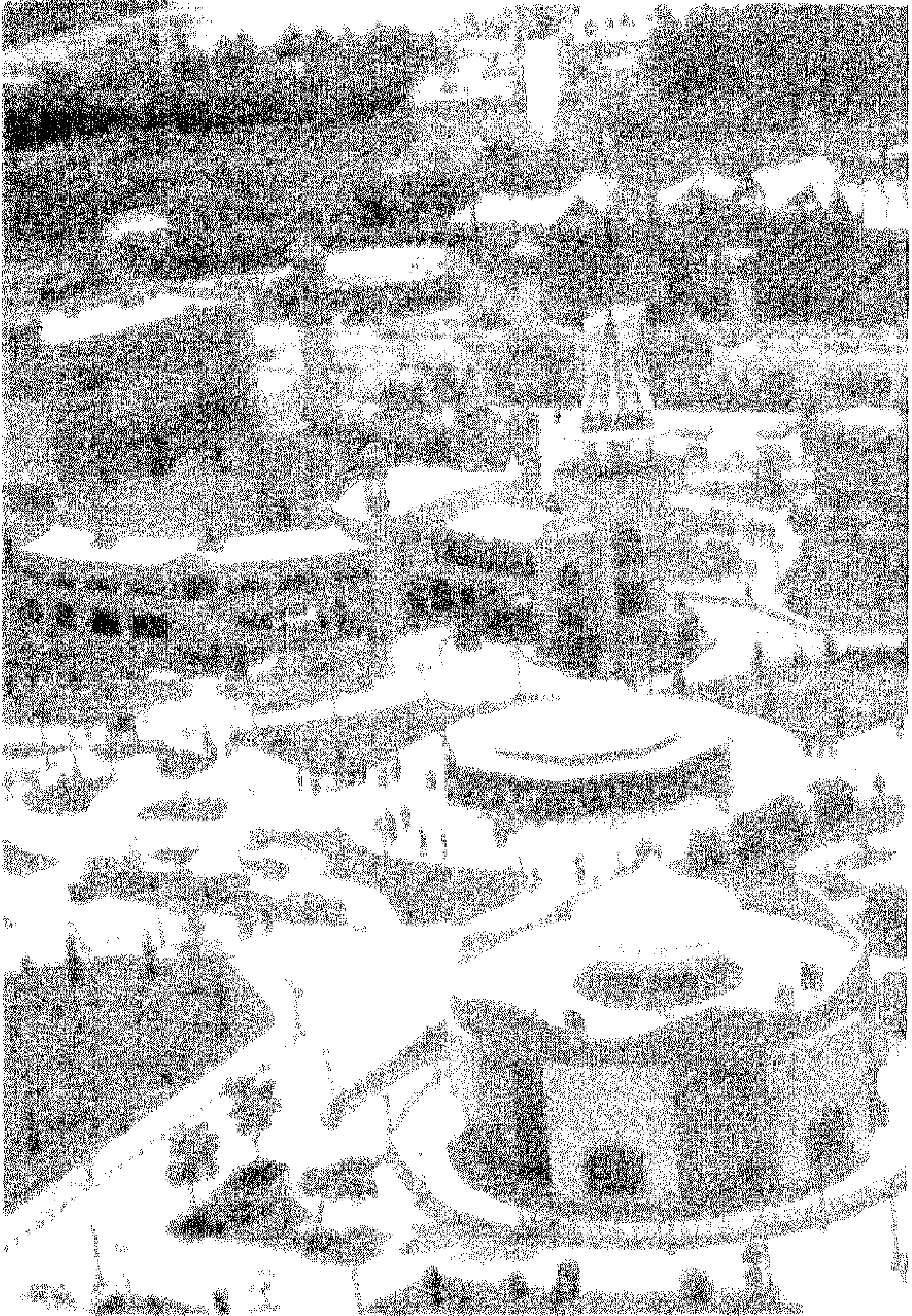


مبنى التليفزيون والاذاعة
مصدر إشعاع للتنوير والترفيه

احدى غرف التحكم
المركزى للارسال التليفزيونى







مدينة الانتاج الاعلامى .. هوليود الشرق

حادى عشر: البيئة:

١ - نظرة عامة :

(أ) إن الأرض تواجه مشاكل كونية ضخمة، وتعنى بذلك أساساً حماية البيئة وهى مشكلة تتطور بسرعة وسرعان ما سيكون لها آثارها الخطيرة.

(ب) إن حماية البيئة قد أصبحت تحدياً رئيسياً لكل دولة فى العالم ولذا يجب حشد كل الطاقات الوطنية والإقليمية لإيجاد حلول لمشاكل البيئة.

(جـ) وقد اهتمت مصر بهذه المشكلة كجزء هام من خططها الوطنية والإقليمية.

(د) وهناك مبادئ أساسية فى هذا الصدد أبرزها:

- الاستخدام الأمثل المستمر لمكونات البيئة..
- مشاركة عادلة فى المنافع.
- رغبة صادقة وتعاون أوثق بين دول المنطقة.
- إدارة فعالة للموارد المتناقضة الإقليمية.

(هـ) وهناك مبدأ أساسى مفاده: أن حماية بيئة الأرض هو اهتمام كل من يعيش فوقها.

٢ ـ المشروعات :

وهناك تسعة مشروعات متقدمة فى هذا الصدد.

مشروعات البيئـــة

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المـــدة
١	● **التصنيع المشترك لمعدات ومكونات معالجة مياه الصرف فى دول جنوب وشرق المتوسط:** (أ) التصنيع المشترك للمعدات والمكونات اللازمة لهذا القطاع والتى لم تقم دول المنطقة بتصنيعها بالاستعانة بتكنولوجيا المنطقة. - وسيتم اختيار دولة أو أكثر من دول المنطقة للإنتاج الكبير لتغطية احتياجات دول المنطقة ولغرض التصدير. (ب) وسيتم الاستعانة بخبرات واستثمارات دول المنطقة.	(أ) توفير كمية كبيرة من العملة الصعبة كانت دول المنطقة تنفقها لاستيراد هذه المعدات والمكونات. (ب) دفع عجلة الصناعة بشكل عام وخاصة باستخدام التكنولوجيا المتقدمة.	من ٤٠ - ١٠٠ مليون دولار أمريكى	٣٠ شهر
٢	● **تطوير وتنفيذ خطة عمل للتنمية المستمرة فى المنطقة الساحلية بالبحر الأبيض المتوسط:** (أ) المناطق الساحلية للمتوسط تتعرض لضغوط مستمرة بسبب زيادة عدد السكان وزيادة معدل التنمية، وهذا هو الوضع فى دولة مثل مصر حيث يزيد عدد سكان الحضر بنسبة ٥ ٪ والزيادة العامة السنوية ٢,٤ ٪. (ب) وخطة العمل تخدم أساساً رسم السياسات وإدارة المناطق الساحلية. (حـ) والمشروع يتصل بشكل وثيق بالمعلومات عن المناطق البحرية والساحلية. (د) ويهتم أساساً برسم وتنفيذ خطة عمل التنمية المستمرة فى المستقبل بالنسبة للمناطق البحرية والساحلية فى المتوسط.	(أ) استفادة المنطقة من المشروع من خلال دفع عجلة خطة العمل وتنفيذها فى اتجاه التنمية المستمرة للمنطقة موضع البحث.	٢ مليون دولار أمريكى للمرحلة الأولى وتكلفة المرحلة الثانية تعتمد على إنجاز الأولى	يمتد على مرحلتين الأولى تستغرق سنة واحدة
٣	● **إقامة نظام معلومات متكامل ورائد للمناطق البحرية والساحلية:** (أ) من أهم عوامل ضبط وإدارة البيئة هو القدرة على تخزين وحصر وتحليل البيانات التى توجد الآن مبعثرة وغير منتظمة. (ب) وفى المقام الأول سيتم تنمية قاعدة معلومات فى كل دولة من الدول الأربعة التى تشتمل على معلومات بشأن الموارد البحرية والساحلية وغيرها من معلومات هامة أمام الرقابة وضبط وإدارة شئون البيئة ومنع التلوث. (حـ) ويشتمل المشروع على تنمية نظام أجهزة التشغيل اللازمة لقاعدة المعلومات والأجهزة المطلوبة مثل الكمبيوتر.	(أ) دفع وتسهيل الوصول إلى المعلومات الفنية المخزنية لاستخدامها بواسطة متخذى القرار والباحثين وغيرهم. (ب) أن يكون المشروع منطلقاً لصالح الدول الأخرى بالمنطقة.	١٢ مليون دولار أمريكى	عامين على مرحلتين

(تابع) مشروعات البيئـــــة

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المـــدة
٤	● **برنامج الشرق الأوسط لتكنولوجيا التحلية:** (أ) الشرق الأوسط يعد أكثر المناطق ندرة فى موارد المياه العذبة وستزداد مشكلة نقص المياه فى المستقبل القريب بسبب عوامل ثلاثة هى: - زيادة عدد السكان يعد من أكثر المناطق ندرة فى موارد المياه العذبة وستزداد مشكلة نقص المياه فى المستقبل القريب بسبب عوامل ثلاثة هى: - تزايد معدل التنمية الاقتصادية. - وعدم تجدد الطبقات الحاملة للمياه. (ب) والاتجاه الحديث لمعالجة هذه المشكلة يتركز فى: - ترشيد استهلاك المياه. - إعادة استخدام المياه (التدوير) - وحصاد المطر. (حـ) ومع ذلك فلازالت المشكلة ملحة، ولذلك يجب بحث الطرق الأخرى التى تحقق موارد إضافية من المياه العذبة مثل المطر الصناعى والتحلية، والمشروع المعروض الآن يركز على التحلية وتدعيم التعاون من أجل هذا الهدف. (د) ويركز المشروع التعاونى بين دول المنطقة على ما يلى: - برنامج بحوث مشترك. - مشروعات تجريبية. - برنامج للتصنيع المشترك للمعدات. - التدريب والمعلومات.	(أ) تخفيض تكلفة وحدة التحلية. (ب) إنهاء الضغط على موارد المياه العذبة فى المنطقة.	٤٠ مليون دولار أمريكى	٥ سنوات على خمس مراحل

(تابع) مشروعات البيئـــة

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المـدة
٥	● برنامج تخضير مناطق المتوسط : (أ) الدول في جنوب وشرق المتوسط تتسم بمعدل ناتج قومي إجمالي منخفض وندرة في مياه الأمطار وأراضي أقل خصوبة ومعدل نمو عال للسكان أكثر من الدول في الشمال، هذا بالإضافة إلى مشاكل تحرك الرمال وتكون كثبانها. (ب) وأهم مايركز عليه المشروع: - استخراج الغابات في المناطق القاحلة: - تثبيت كثبان الرمال بالزراعة .	(أ) حماية الأراضي الزراعية بالأحزمة الخضراء. (ب) اكتساب مزيد من الخبرة في مجالات استخراج المياه واصطياد المطر واستخدام مياه الصرف.	١٠٠ مليون دولار أمريكي	٦ سنوات
٦	● البرنامج الإقليمي للتعامل مع تسرب البترول: (أ) يتعرض البحر الأبيض المتوسط إلى أعلى كثافة للقطران بالمقارنة بالبحار الأخرى. وقد شهد المتوسط عدداً من الحوادث التي خلفت بقعاً للزيت . (ب) وقد اتخذت عدة دول في المنطقة التدابير اللازمة للإقلال أو منع تلوث مياه البحر وخاصة لخدمة السياحة. (حـ) ويرتكز المشروع على: - أهمية المعونة الفنية لمحاربة تسرب البترول وإمكانية تبادل المعلومات والخبرات في هذا الصدد. - والاهتمام بالتدريب على التخطيط والعمل والصيانة لمكونات برنامج المكافحة.. - وتدبير المعدات اللازمة للاتصالات والاستشعار والتحليل.	(أ) وجود برنامج للتعامل مع المشكلة. (ب) توفير الإمكانات الخاصة بمسح واستشعار وتحليل ومكافحة التسرب.	٦٠ مليون دولار أمريكي	٤ سنوات على ثلاث مراحل
٧	● إقامة تسهيلات استقبال العادم البترولي والعادم الصلب في مواني المتوسط : (أ) بعد التصديق على اتفاقية منع التلوث من السفن فإن الدول الموقعة عليها منها الوفاء بعدة التزامات منها توفير تسهيلات استقبال العادم والعادم الصلب من السفن في مواني المتوسط وبدون هذه التسهيلات تعمد السفن إلى إفراغ عوادمها أعلى البحار قبل الدخول إلى المواني. (ب) والمشروع يتضمن إنشاء مستقبلات وتسهيلات لمعالجة العادم بنوعية في مواني المتوسط التي تفتقر حالياً لهذه التسهيلات.	(أ) منع التلوث من عادم السفن ومن منصات البترول في البحر	٦٠ مليون دولار أمريكي	١,٥ سنة على مرحلتين

(تابع) مشروعات البيئـــة

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المـــدة
٨	● **برنامج نقل وتطوير تكنولوچيا معالجة مياه الصرف منخفض التكاليف إلى المناطق الزراعية فى دول المتوسط.** (أ) إقامة مشروعات رائدة فى عديد من المناطق الزراعية فى الدول المطلة على ساحل جنوب وشرق المتوسط لاختيار مايناسبها من حيث التكلفة. (ب) وكل مشروع يغطى مساحة يقطنها من ١٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ مواطن تمثل أغلبية المجتمعات على الساحل.	(أ) قيام وعى فنى واجتماعى واقتصادى فى الدول التسع المستفيدة وخاصة عن المستوى الصحى الجديد فى المناطق الزراعية. (ب) زيادة أعداد المدربين على مثل هذه المشروعات. (جـ) استيعاب عمالة جديدة فى هذه المشروعات.	٣٨,٧ مليون دولار أمريكى على ثلاث مراحل	
٩	● **مشروع رائد (تجريبى) للطاقة المتجددة:** (أ) نظراً لتوسع دول المنطقة فى استهلاك الطاقة من المصدر التقليدى - البترول - فهناك حاجة إلى استخدام مصادر أخرى للطاقة وخاصة المتجددة المتوفرة بالمنطقة وخاصة: - طاقة الرياح. - الطاقة الشمسية. - والبيوجاز •الغاز الحيوى) وتكنولوچيا البيوجاز لها منافع متعددة، توليد الطاقة وإنتاج مخصبات عضوية. (ب) لتزيد استصلاح الصحراء فى مصر تكنولوچيا البيوجاز تصبح مفيدة للتجمعات الاستصلاحية فى الصحراء.	(أ) زيادة قدرة توليد الطاقة من مصادر غير تقليدية. (ب) تزويد القرى النائية بالطاقة (بيوجاز). (جـ) انخفاض تكاليف الطاقة.	لمزرعة الرياح ٨ مليون دولار أمريكى على مرحلتين	

ثانى عشر: البحث والتنمية

١ ـ نظرة عامة :

(أ) البحث والتنمية من المجالات المحتملة للتعاون بين دول المنطقة لأن كل دولة لديها ثروة من الباحثين والعلماء الذين يمكنهم الإسهام فى تنمية وتطور الإقليم.

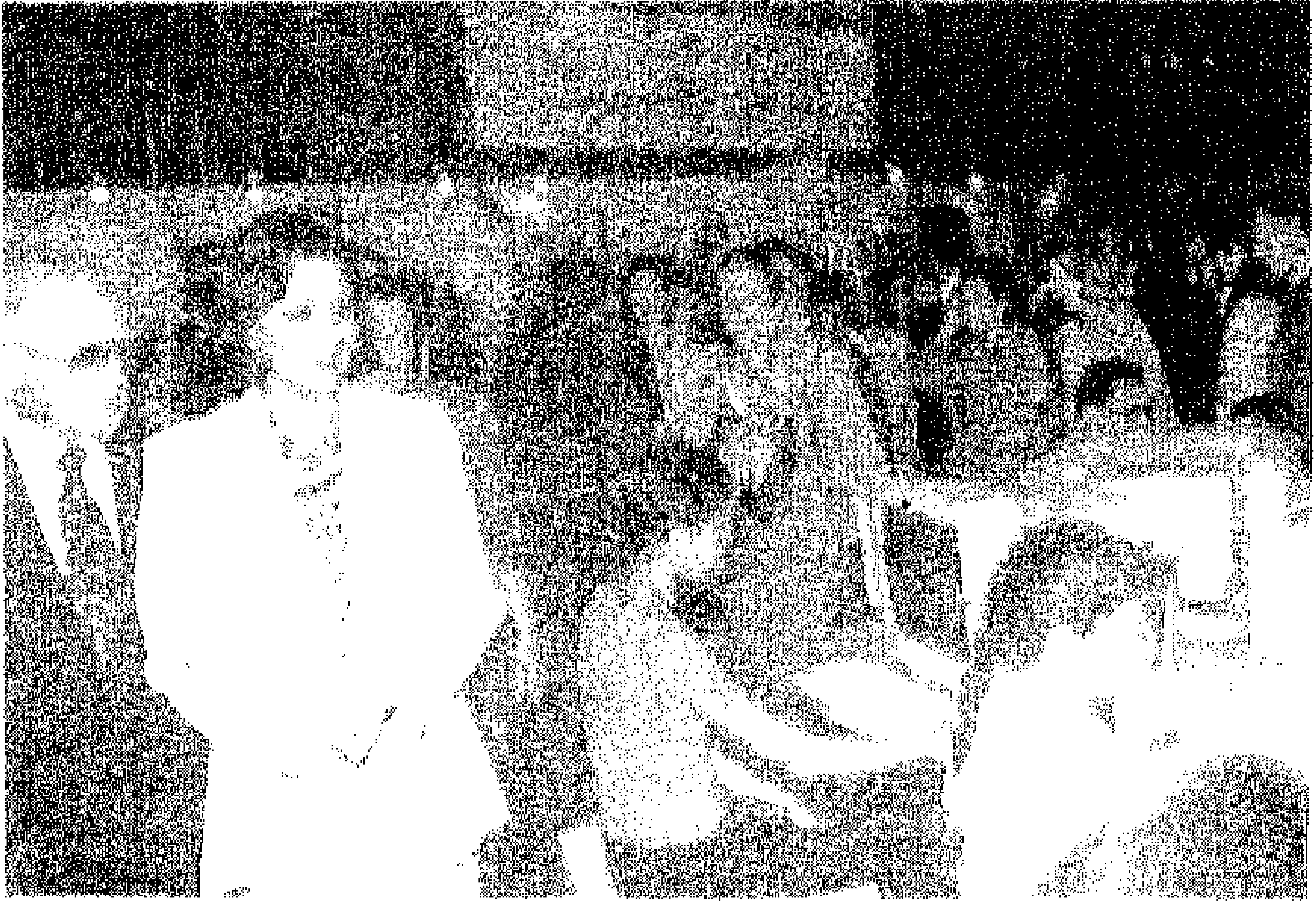
(ب) إن تشجيع الباحثين والبحث العلمى والاستفادة من إمكانات المعاهد القائمة واستكشاف آفاق جديدة للنمو الاقتصادى يشكل أولوية للإقليم.

٢ ـ المشروعات :

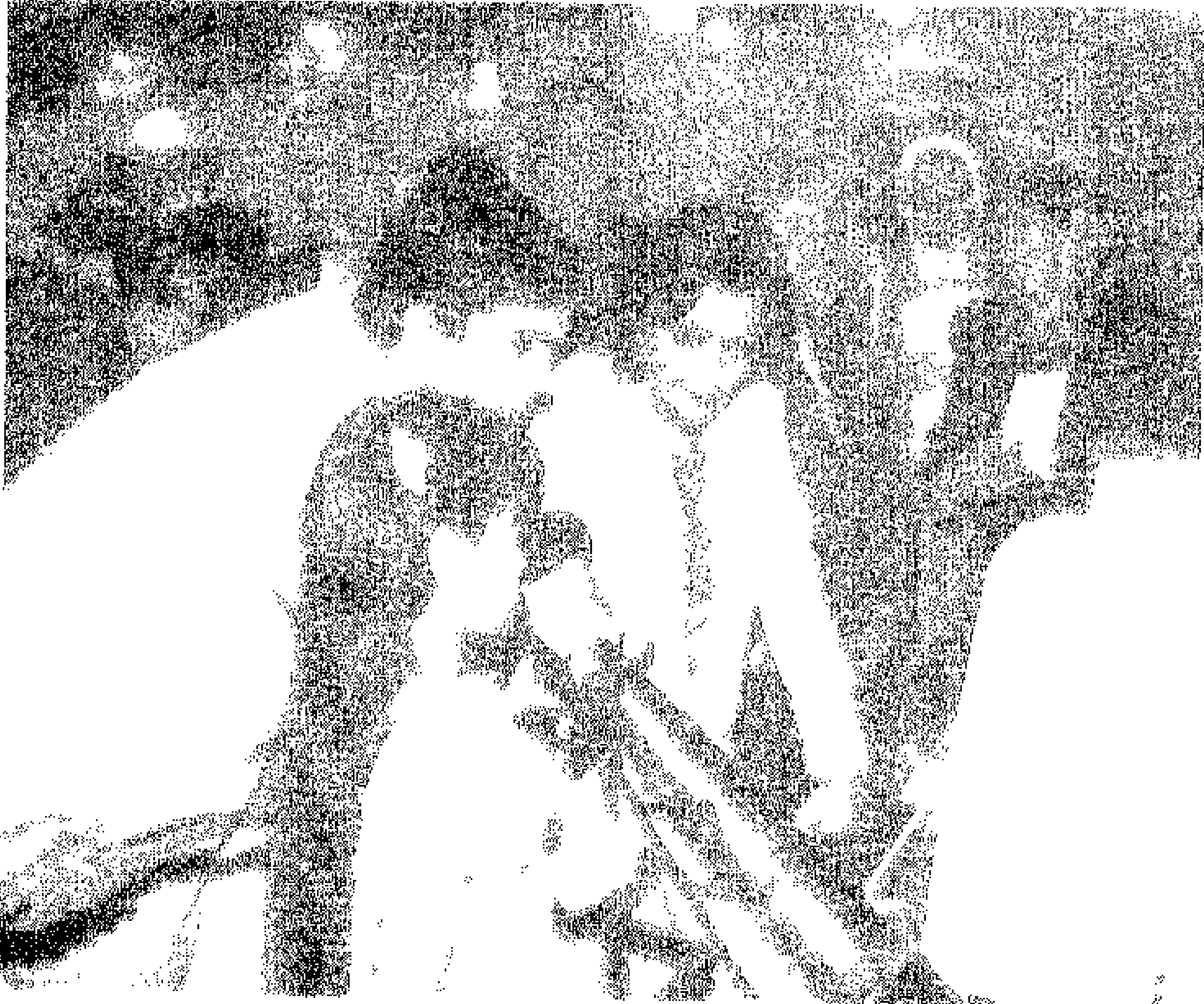
فى هذا الصدد قدمت مصر مشروعين يستهدفان رعاية ودفع عجلة البحث العلمى وتشجيع العلماء واستفادة دول المنطقة من هذا الاتجاه.

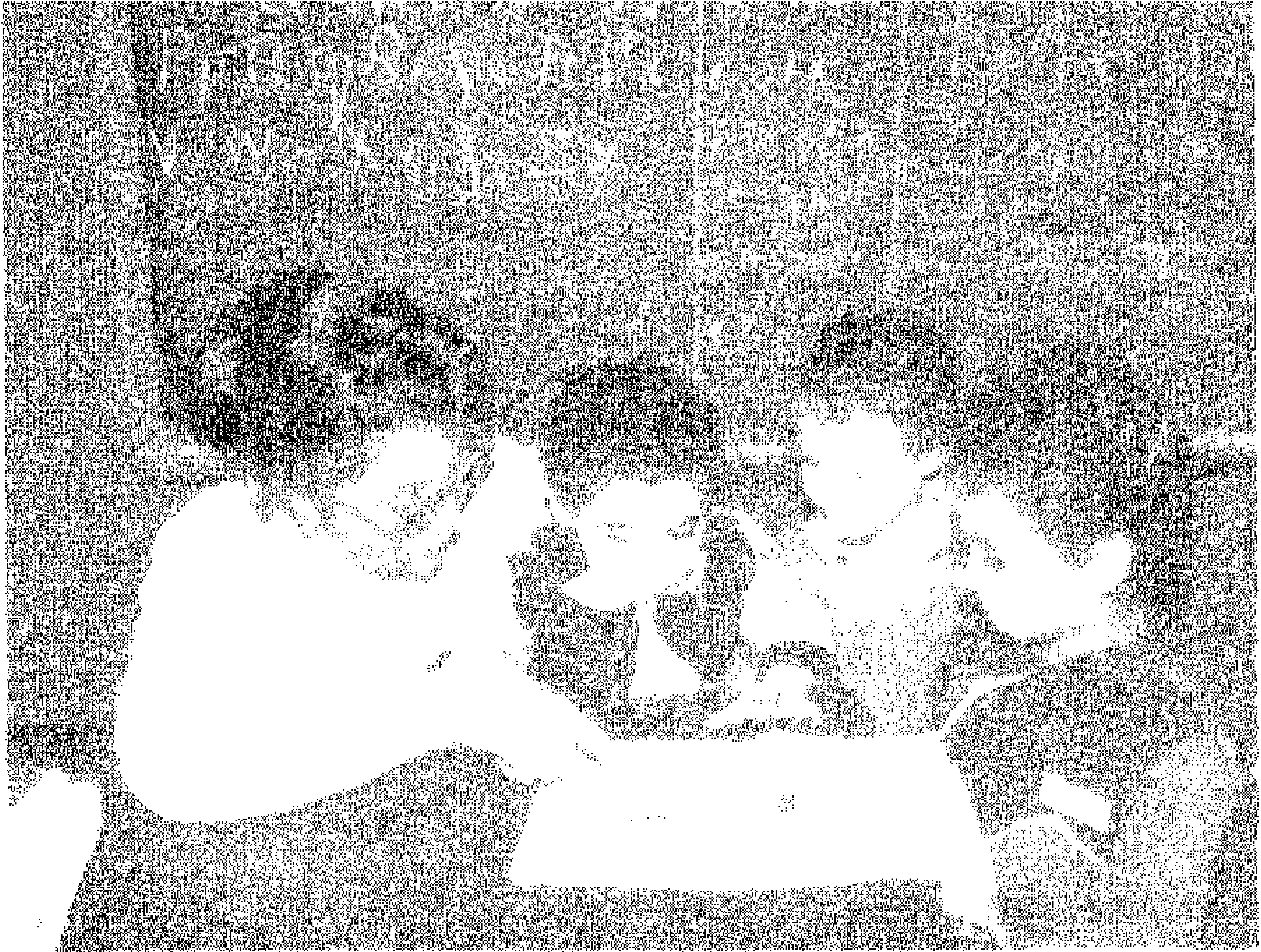
مشروعات البحث والتنمية

م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المـدة
١	● إقامة مركز إقليمي للاستشارة الفنية والاختراعات التكنولوجية: (أ) المركز المقترح يشتمل على مقار رئيسية تتيح الدخول إلى وحدات الشبكة لمختلف الأعضاء وترتبط الشبكة بالمؤسسات الدولية المماثلة. (ب) وسيقوم المركز على نظام كمبيوتر متكامل لحسن ودقة الاستخدام من قبل الدول المشاركة. (جـ) وفي مصر أنشئ الصندوق الفني ـ التكنولوجي ـ الاستشاري للدراسات والبحوث التابع لوزارة البحث العلمي، وفق الخطوط السابق الإشارة إليها ١٩٨٨ وعمل بكفاءة منذ ذلك الوقت وهو ما يمكن اعتباره ركيزة هامة لمشروع موضوع البحث.	(أ) حسن استخدام خبرات العلم والتكنولوجيا محلياً وإقليميا. (ب) تقديم خدمات ودراسات واستشارات ومعلومات فنية وتكنولوجية لمشروعات التطوير والتنمية والدارسين. (جـ) توفير تدريب في هذه المجالات.	٣٠٠٠٠٠ دولار أمريكي	المرحلة الأولى سنة واحدة والمرحلة الثانية تقدر فيما بعد
٢	● جمعية الشرق الأوسط للسرطان: (أ) عقد مجموعة من العلماء والباحثين اجتماعاً على هامش المؤتمر الدولي للسرطان الذي عقد في القاهرة عام ١٩٩٤ بحثوا فيه إمكانية التعاون الإقليمي في هذا الصدد، واشتملت المجموعة على مصريين وإسرائيليين وفلسطينيين، وانضم إلى المجموعة ضيوف من الباحثين الأمريكيين. (ب) واتفقت المجموعة على أن الوقت مناسب للتعاون الإقليمي في مجال مكافحة السرطان واتفق على تسمية المنظمة الجديدة «جمعية الشرق الأوسط للسرطان» وهي مفتوحة لانضمام كل دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. (جـ) وتهتم الجمعية بمكافحة المرض والاتصال بمراكز السرطان الأخرى وبالمنظمات الإقليمية. (د) وسيكون مركز الجمعية المعهد القومي للسرطان بالقاهرة.	(أ) تحسين سبل مكافحة المرض في الإقليم بالتعرف على أنماطه وأسبابه واللجوء إلى كل من الوقاية والعلاج.	٤ مليون دولار أمريكي بواقع ١,٣٣ مليون لكل دولة	٤ سنوات



الكمبيوتر لغة العصر من ماما سوزان لكل أطفال مصر



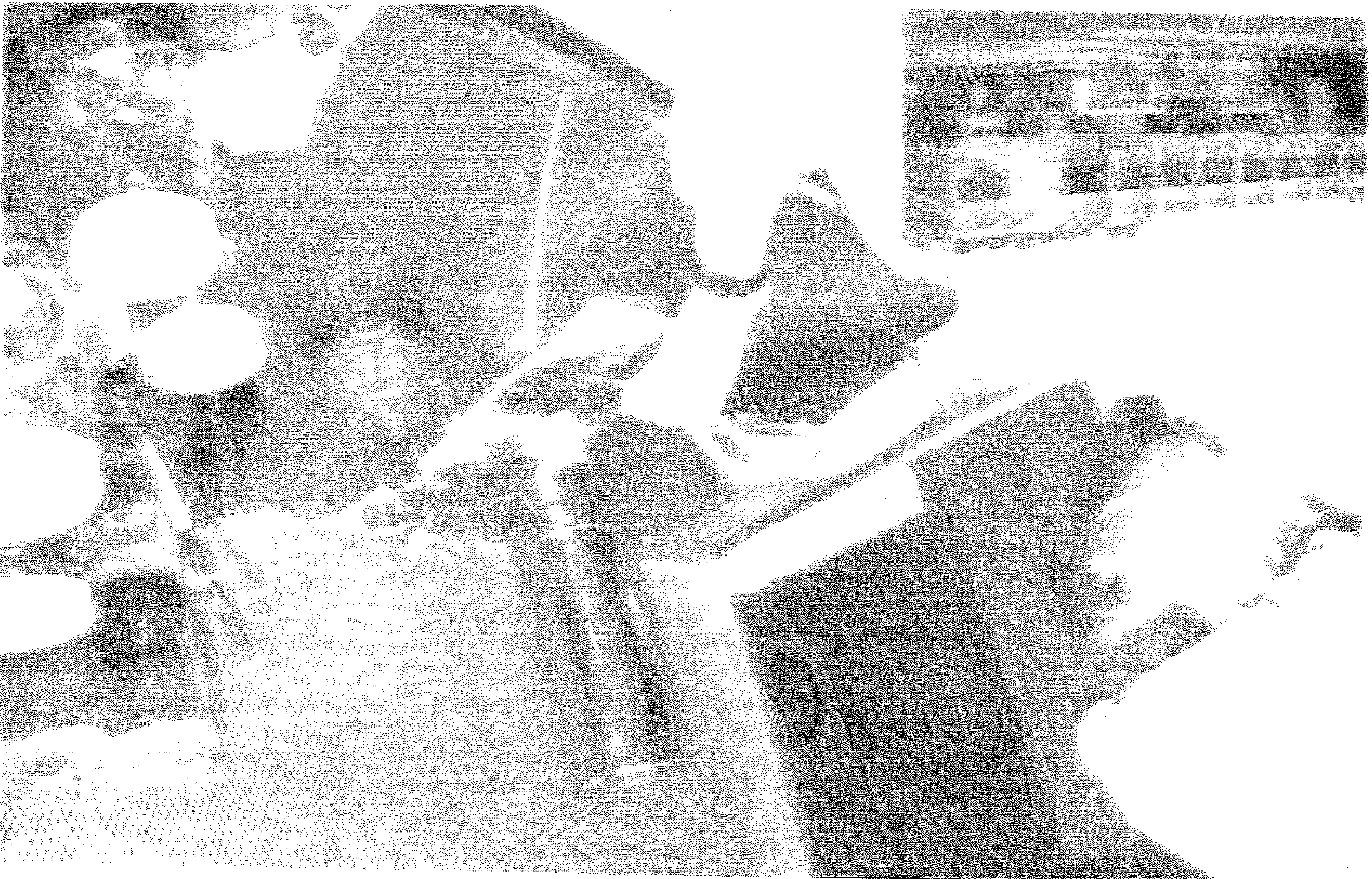


التعليم الحديث .. والاهتمام بتنمية القدرات

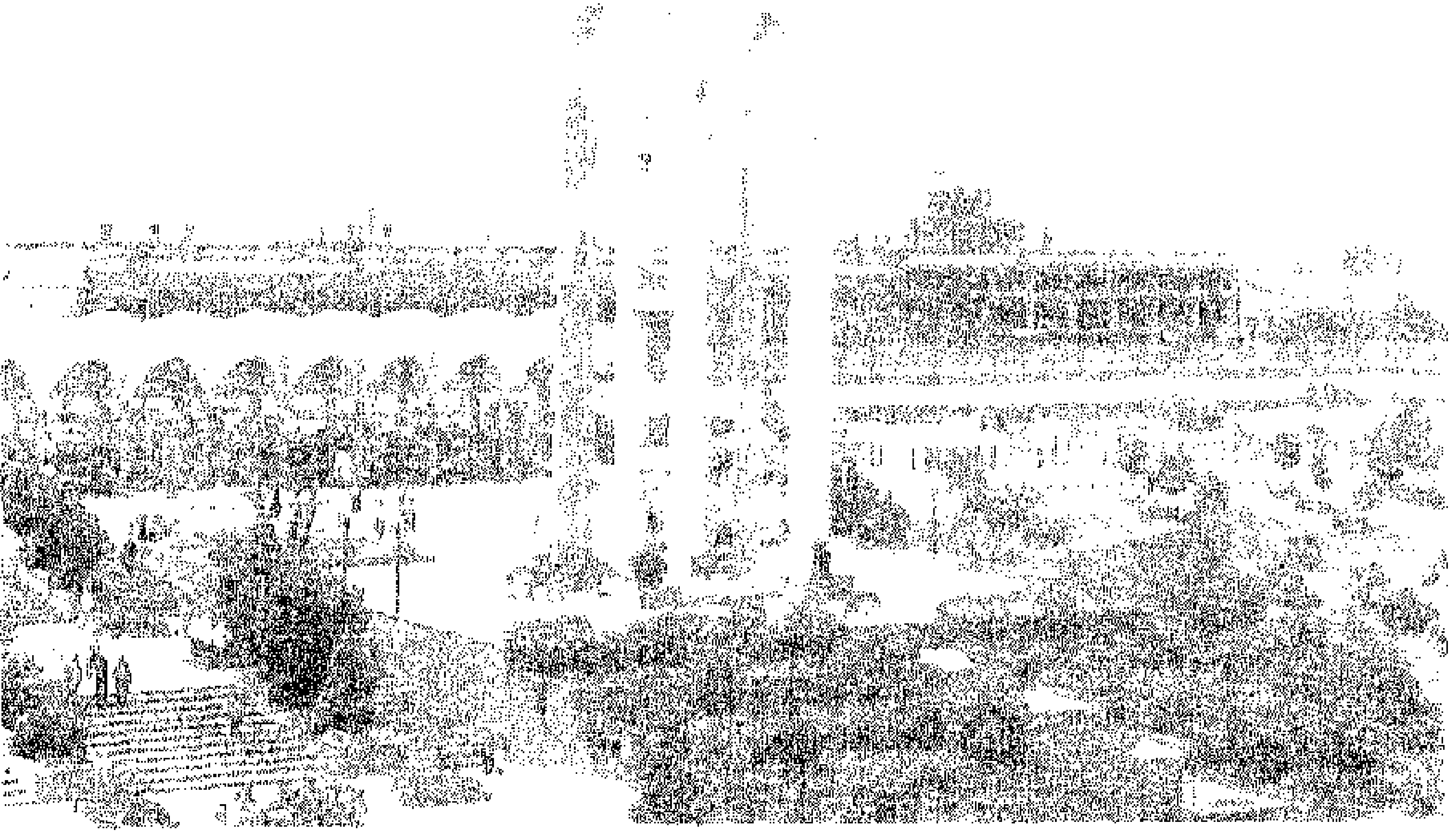




شباب مصر الواعد يشارك فى عمليات البحث العلمى



المعامل لخدمة المجتمع والبيئة



جامعة حلوان .. وخدمة البيئة المحلية



جامعة ٦ أكتوبر .. أحد روافد التعليم العالى والجامعى







شباب مصر الواعدة يشارك فى عمليات البحث العلمى

الثالث عشر: البيئة :

المياه

١ ـ نظرة عامة :

(أ) المياه هى القيمة والمورد الثمين لكل الشعوب.

(ب) وقد اقترحت مصر ثلاثة مجالات للتعاون على المستوى الإقليمى هى:

- تحلية المياه.
- السحب (حصاد السحب)
- البحث والتدريب.

(جـ) وتحلية المياه تعد الخيار الرئيسى كحل طويل الأمد لمواجهة ندرة المياه بالمنطقة وهذا الحل يتطلب وجود مصادر طاقة يعتمد عليها.

(د) وتقترح مصر موقعين لبناء محطات تحلية مياه البحر فى طابا

والعريش، لأن طابا قريبة من ميناثى إيلات والعقبة، والعريش قريبة من غزة.

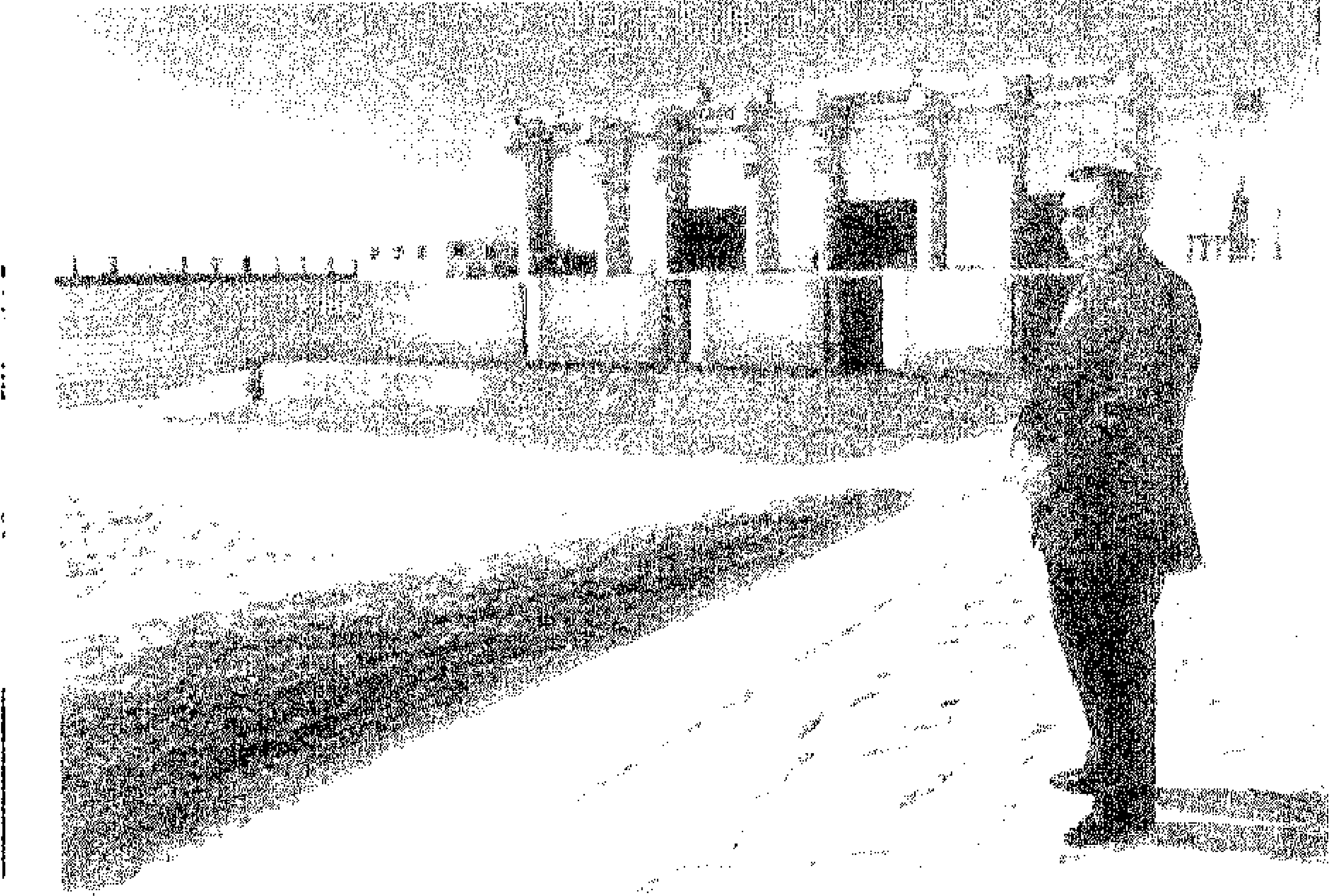
(هـ) مشروع آخر وهو إقامة المركز الإقليمي لبحوث مصادر المياه.

٢ ـ المشروعات :

اقترحت مصر فى هذا الصدد أربعة مشروعات إقليمية.

مشروعات الميـــاه

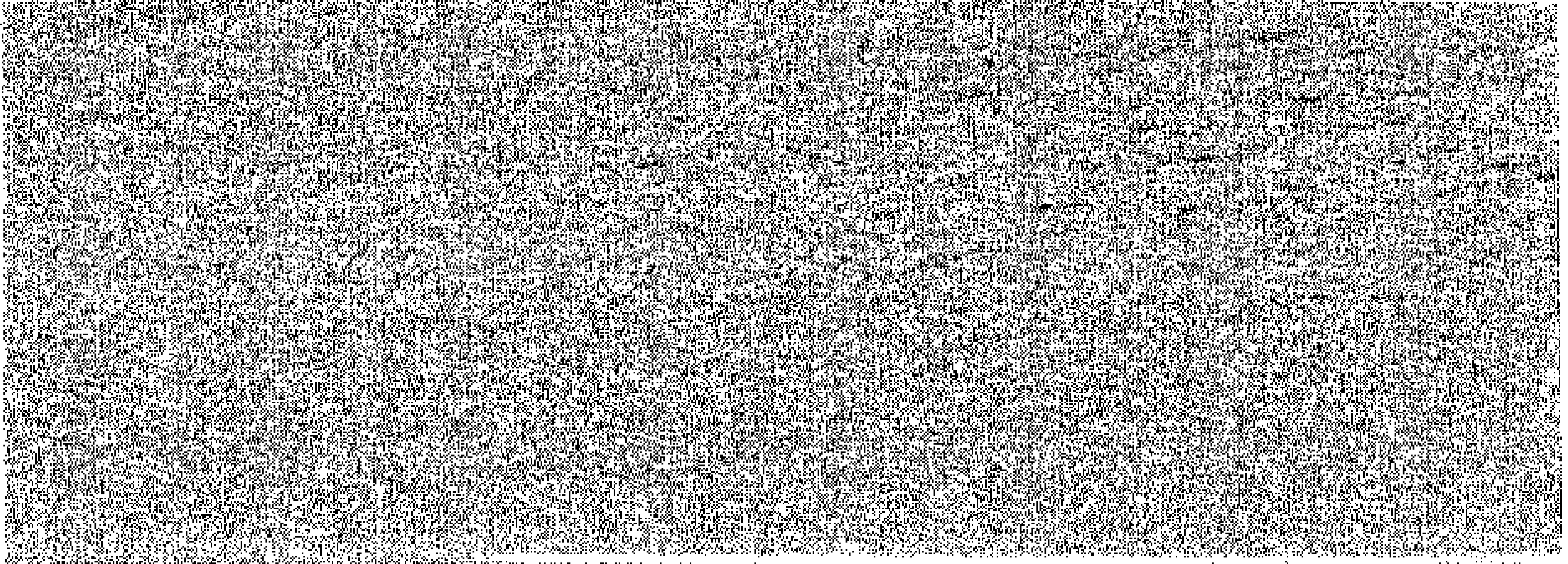
م	طبيعة المشروع	هدف المشروع	التكلفة	المـــدة
١	● محطة طابا لتحلية مياه البحر الأحمر: (أ) يقع المشروع فى مدينة طابا فى محافظة جنوب سيناء. - ويتم إنشاء محطة تقطير لمياه البحر الأحمر بطاقة ٦٠٠٠٠ م٣ يومياً كما يشتمل على ثلاثة مخارج عبر ثلاثة أنابيب ومصحة تقوية على كل أنبوبة متجهة للدول الثلاث المشتركة: مصر والأردن وإسرائيل. (ب) ويستفيد من المشروع سكان ميناء العقبة بالأردن، ومحافظة جنوب سيناء فى مصر، وميناء إيلات فى إسرائيل.	(أ) تزويد كل من مصر وإسرائيل والأردن بمياه عذبة نقية صالحة للشرب لمواجهة حاجة ٥٠٠٠٠ نسمة نسمة من السكان فى كل المناطق الثلاث.	٢٠٠ مليون دولار أمريكى	٥ سنوات
٢	● محطة غزة لتقطير وتحلية مياه المتوسط: (أ) يقع المشروع فى مدينة غزة على ساحل المتوسط ويتضمن إقامة محطة تقطير وتحلية البحر المتوسط بطاقة ٦٠٠٠٠م٣ يوميا (ب) ويكون للمحطة ثلاث أنابيب مخارج. كل مخرج عليه طلمبة تقوية متجهة إلى كل دولة مشاركة فى المنطقة وهى: مصر وإسرائيل والسلطة الفلسطينية.	(أ) إمداد مصر وإسرائيل وغزة بمياه الشرب لمواجهة حاجات ٥٠٠٠ نسمة لكل مشترك أى فى غزة ومحافظة شمال سيناء (مصر) ويافا فى إسرائيل.	٢٠٠ مليون دولار أمريكى	٥ سنوات
٣	● مركز الشرق الأوسط الإقليمى لبحوث موارد المياه. (أ) أقيم المركز المصرى لبحوث المياه التابع لوزارة الأشغال والموارد المائية المصرية عام ١٩٧٥ وبهذا قدمت مصر المثل بالاهتمام بالبحوث لمعالجة مشكلات المياه.	(أ) أن يصبح المركز المصرى انطلاقا لهذا المشروع بكوادره ودارسيه وعلمائه وبياناته وخبرته. (ب) القيام ببحوث مشتركة مع الدول الأخرى وتقديم التدريب والاستشارة وتسهيلات المركز المصرى.	٣٠ مليون دولار أمريكى	٣ سنوات
٤	● انشاء المركز الإقليمى للتدريب وبحوث المياه: (أ) أقامت وزارة الأشغال وموارد المياه المصرية مركزاً للتدريب لإدارة موارد المياه فى المجالات التالية: - تصميم وإنشاء طرق الرى. - إدارة وصيانة نظم الرى والصرف. - دراسات فى الإدارة والمالية عن نظم الرى والصرف. - دراسات تدريبية على الأعمال الميكانيكية والكهربائية فى محطات الضخ	(أ) تطوير قدرات مركز تدريب بحوث المياه الحالية فى مصر ليخدم كمركز إقليمى يقدم التدريب والمشورة لدول المنطقة. (ب) وسيدعم المشروع على الموجود من البنية الأساسية والإمكانات والخبرات المتاحة بالمركز ومقره السادس من أكتوبر.	٥ مليون دولار أمريكى سنويا للنشاط الإقليمى	



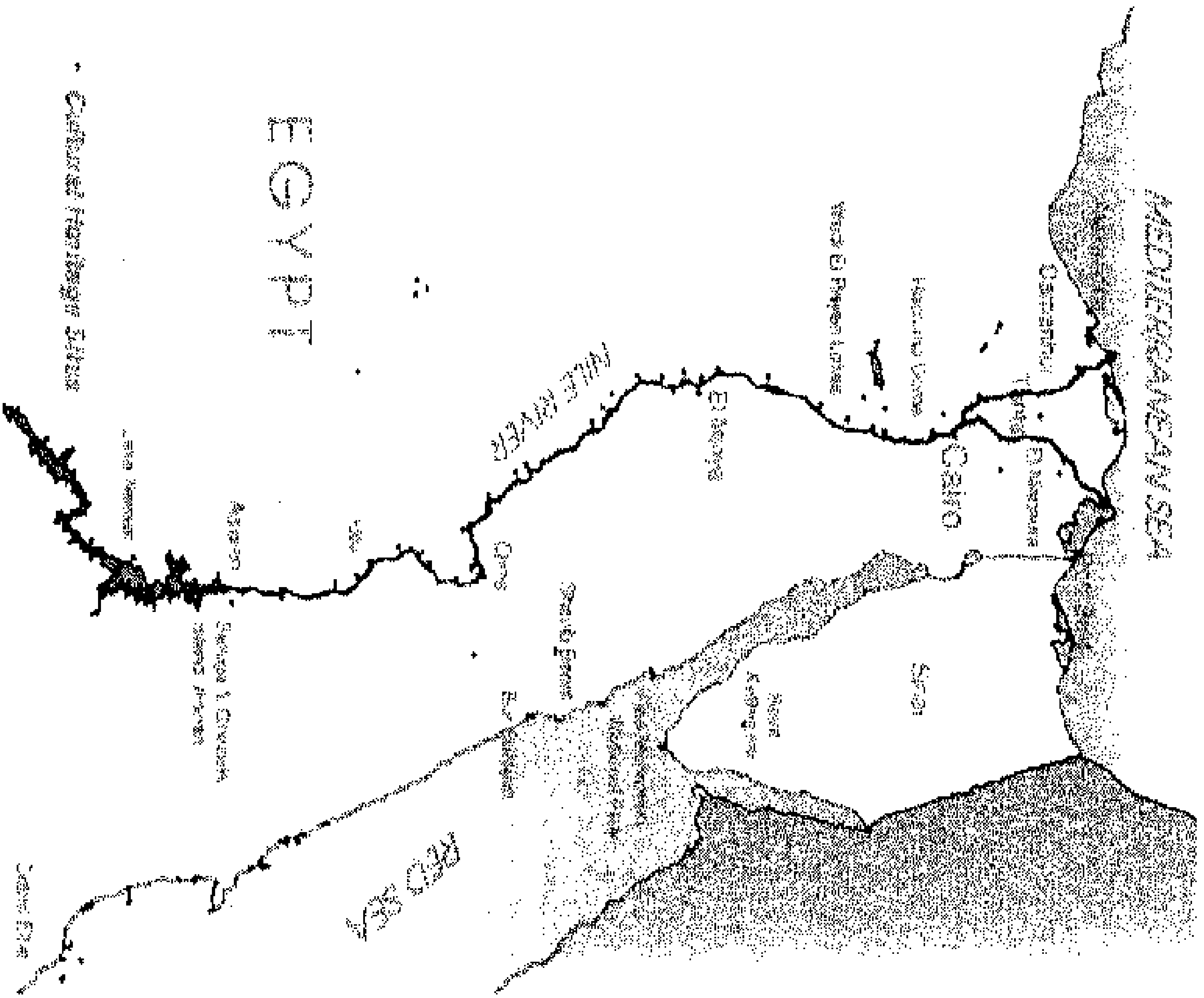
الرئيس مبارك .. لدى افتتاحه ترعة السلام

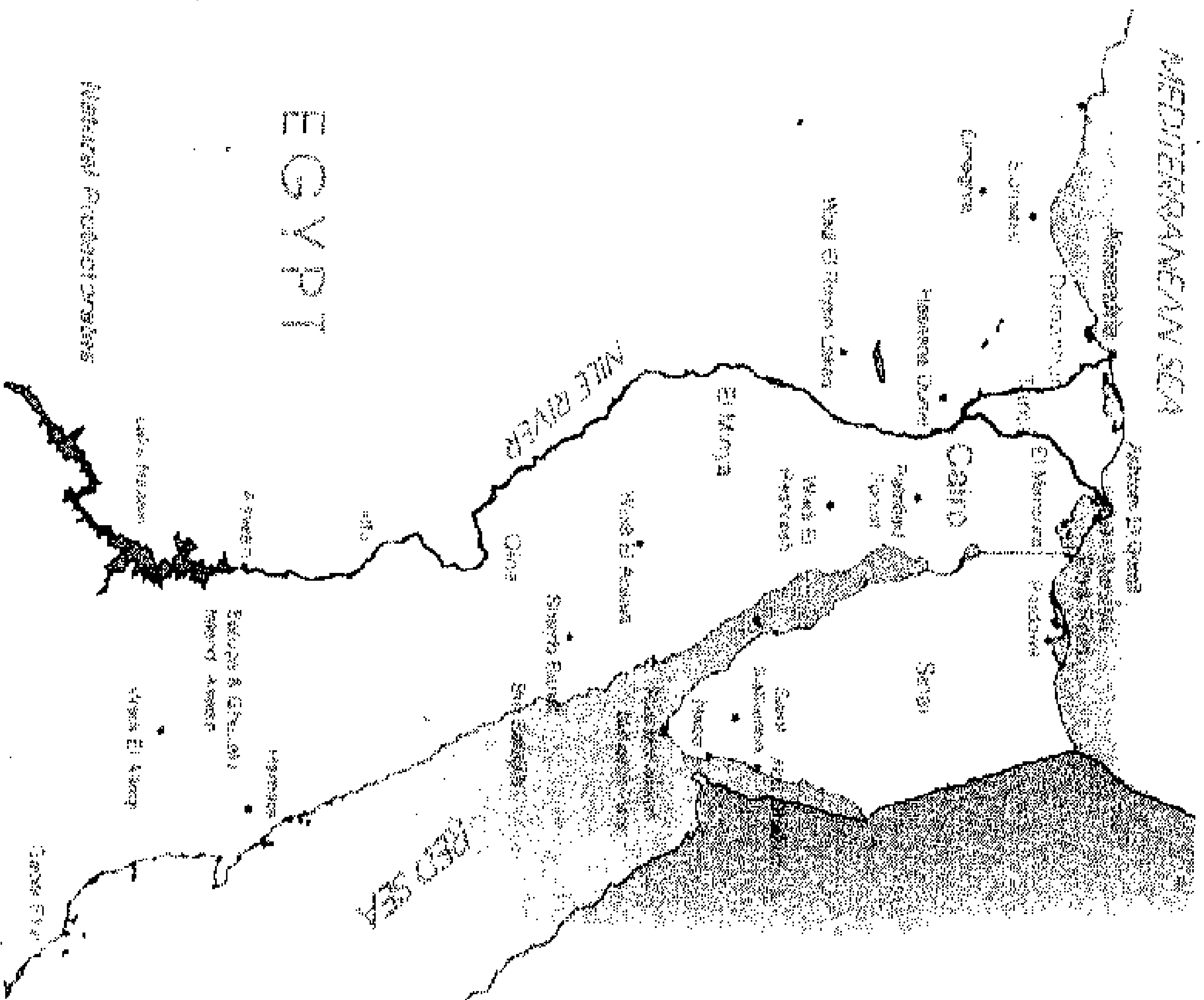


ترعة السلام .. نهر الخير فى سيناء

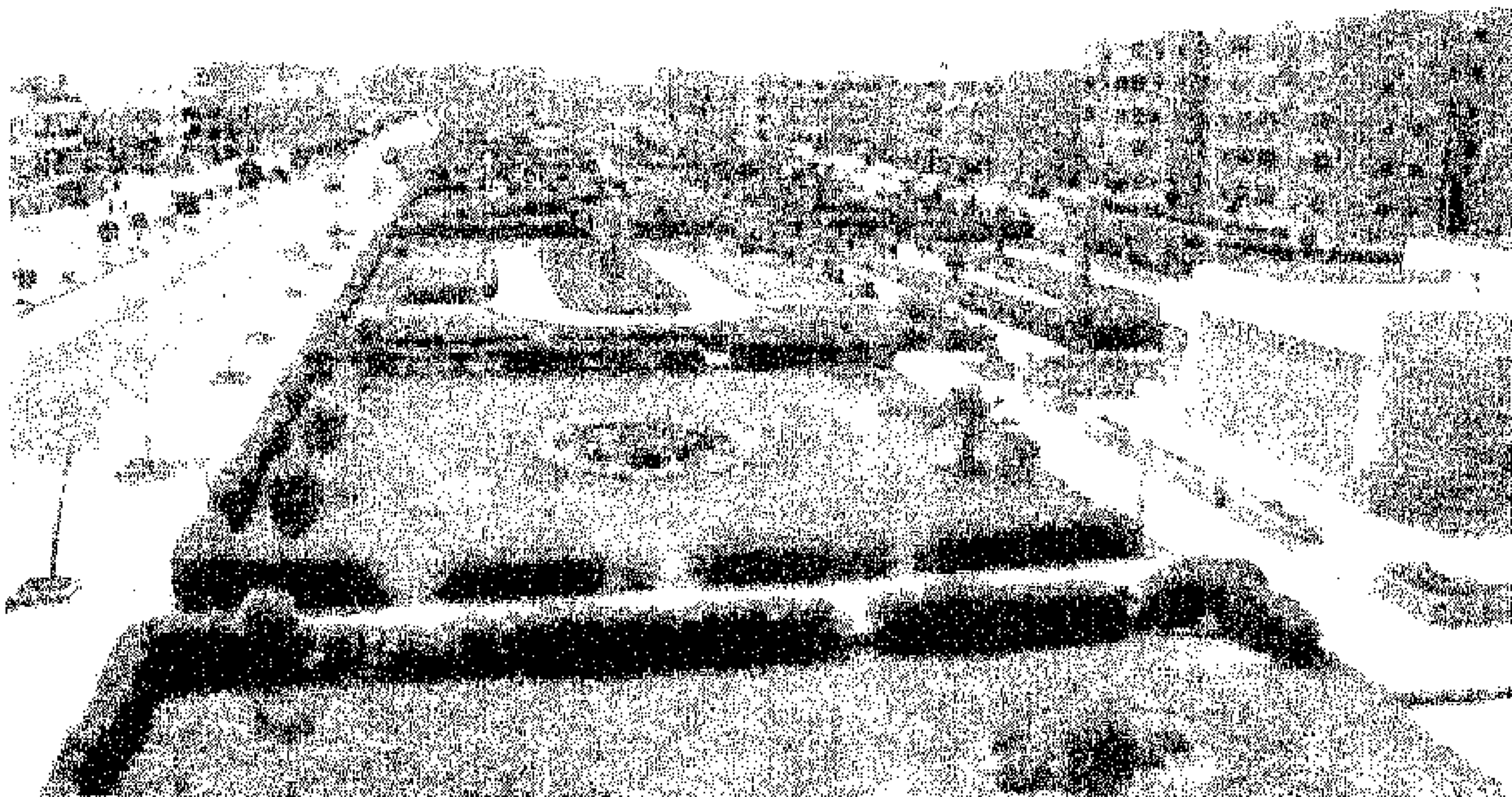





MEDITERRANEAN SEA
Damanhur
Tanta
El Mansura
Cairo
Sinai
Wadi El Rayan Lakes
El Minya
NILE RIVER
Qina
RED SEA
EGYPT
Aswan
Lake Nasser
Cultural Heritage Sites


MEDITERRANEAN SEA
Alexandria
Damanhur
Tanta
El Mansura
Cairo
Sinai
Wadi El Rayan Lakes
El Minya
Wadi El Assiuti
NILE RIVER
Qina
RED SEA
EGYPT
Aswan
Lake Nasser
Wadi El Allaqi
Natural Protectorates

المدن الجديدة .. جمال وخضرة .. وبيئة نظيفة.

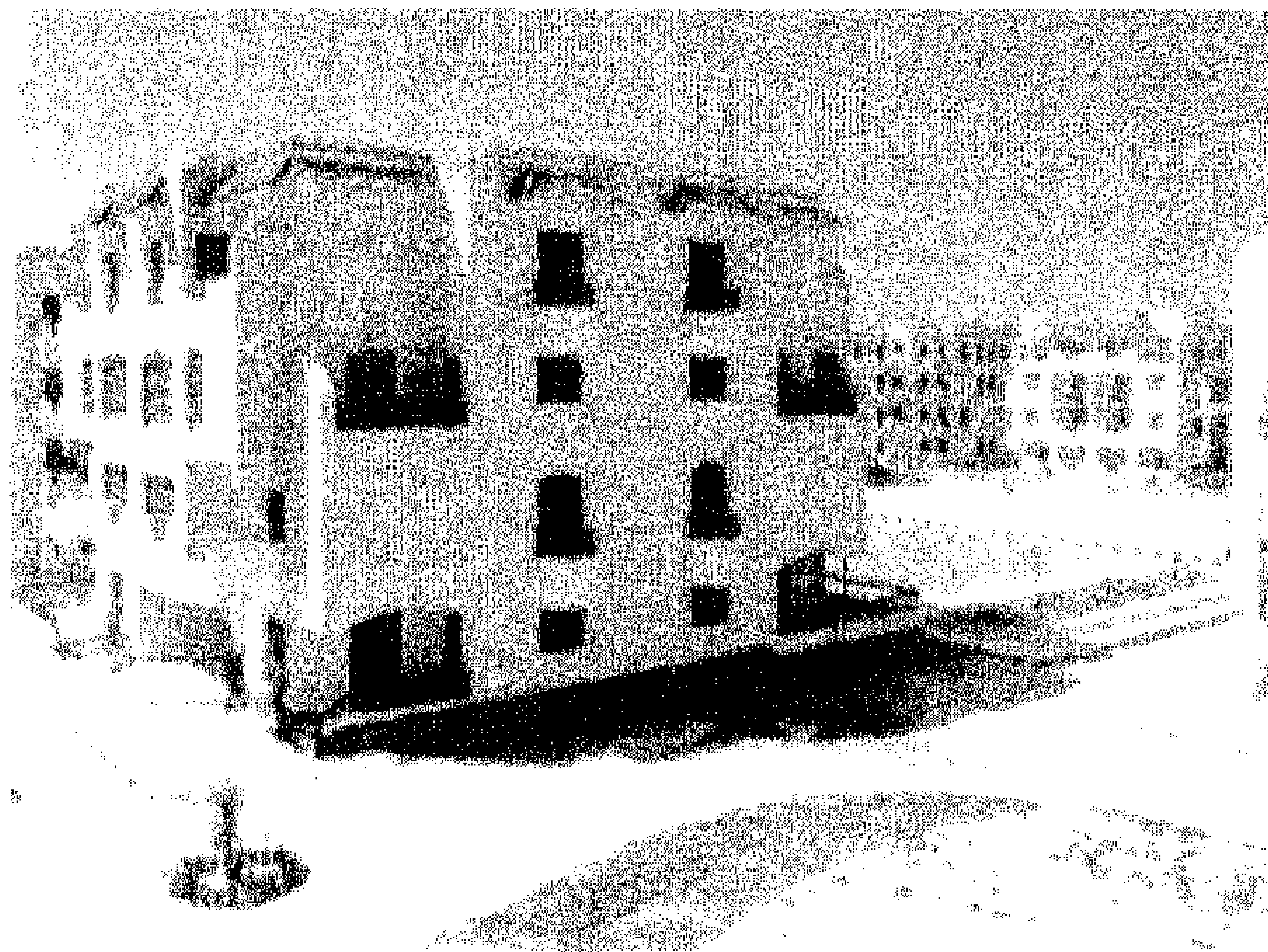


مجمعات سكنية على أحدث طراز معمارى



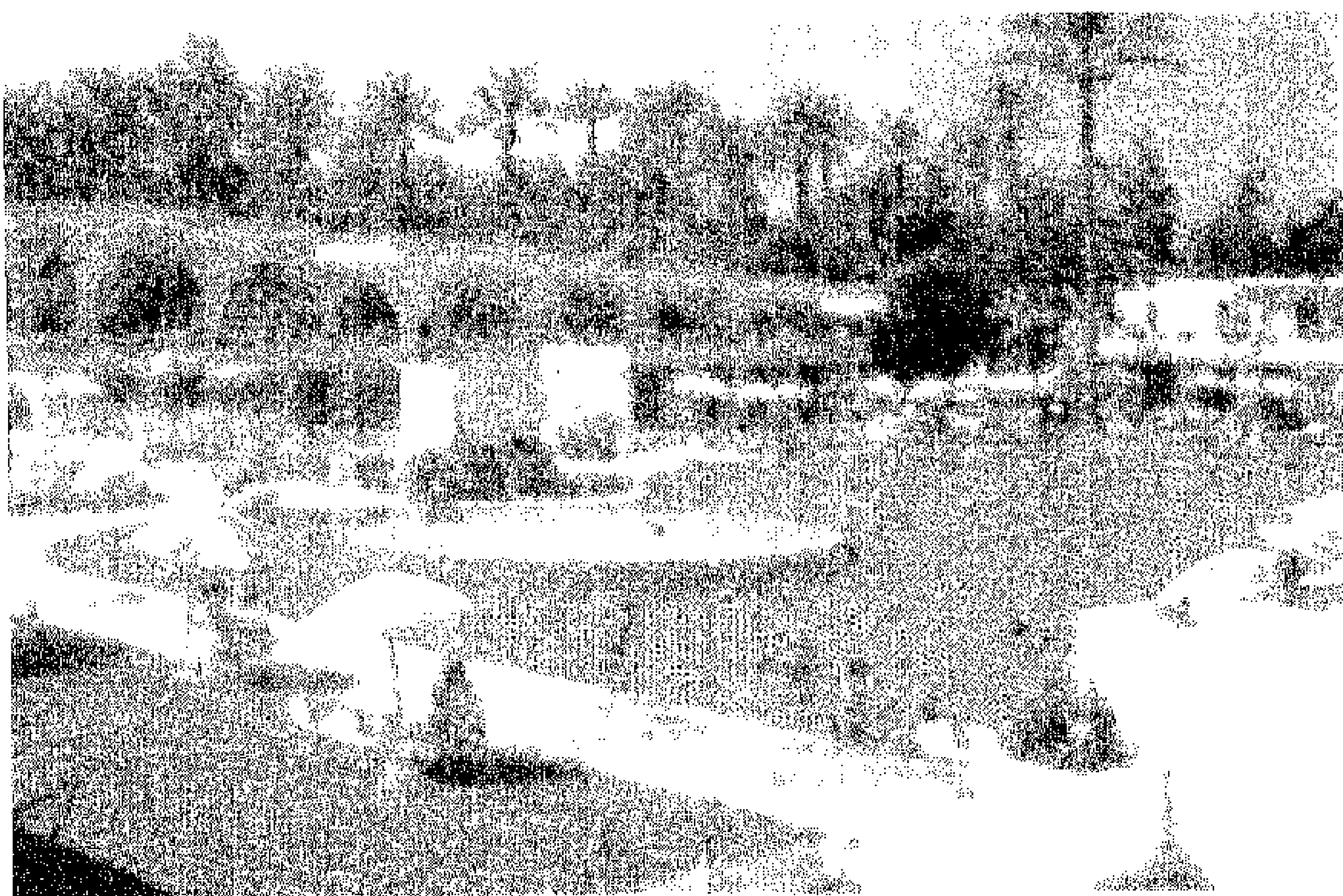


مجمعات سكنية على أحدث طراز معماري



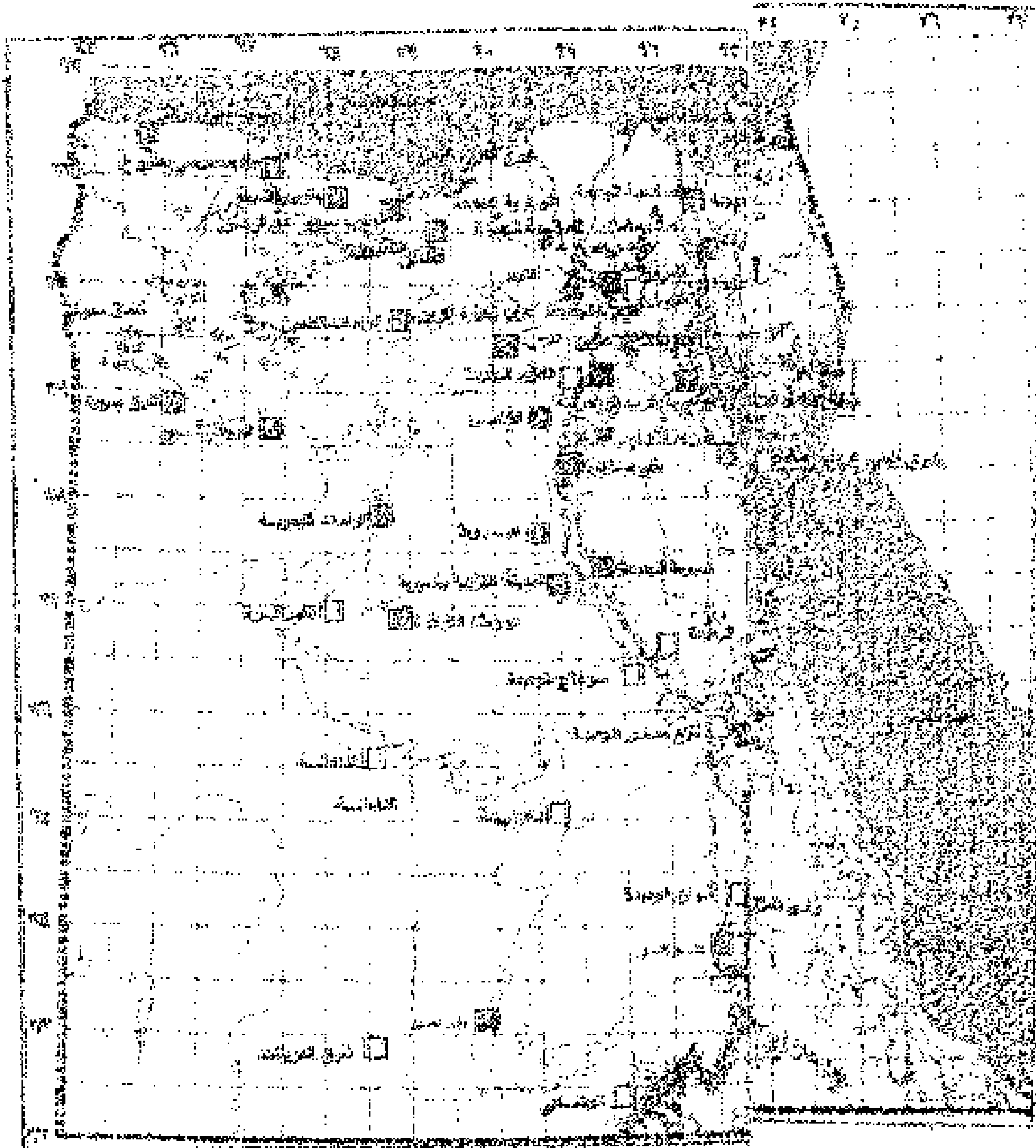


شاليهات حديثة من وحى البيئة المصرية



مزارع النخيل .. تحيط بقرية سياحية

مواقع المحميات الطبيعية المصرية



المشروعات القومية الكبرى فى عهد مبارك

أولاً : المشروع القومى لتنمية جنوب مصر

تهدف: استراتيجية التنمية لجنوب مصر، إلى تحويل تيار الهجرة من جنوب ووسط الصعيد إلى الشرق نحو محافظة البحر الأحمر، وإلى الغرب نحو محافظة الوادى الجديد وإلى الجنوب نحو محافظة أسوان.

المساحة: تبلغ المساحة الكلية لإقليم جنوب مصر نحو ٥٨٥,٨ ألف كم٢ تمثل نحو ٥٨,٧ ٪ من المساحة للجمهورية.

السكان: يمثل عدد سكان جنوب مصر ١٦,٩ ٪ من عدد سكان الجمهورية.

الاستثمارات الإجمالية للمشروع: تقدر الاستثمارات الإجمالية لتنفيذ مشروع تنمية جنوب مصر حتى عام ٢٠١٧ بنحو ٣٤٠,٩ مليار جنيه.. تساهم الحكومة بنحو من ٢٠ ٪ إلى ٢٥ ٪ من إجمالى الاستثمارات.. ويساهم القطاع الخاص بالباقى..

مجالات التنمية فى جنوب مصر

١ ـ قطاع الزراعة:

يعتبر النشاط الزراعى النشاط الرئيسى فى منطقة جنوب مصر، حيث تبلغ نسبة العاملين به ٥٩٪ من إجمالى قوة العمل.. وتتميز الأراضى الزراعية بارتفاع إنتاجيتها وجودتها.

ومن أهم المشروعات المنفذة والجارى تنفيذها حتى ٩٩/٦/٣٠ ما يلى:

ـ تم إنشاء البنية الأساسية لمساحة ٣٤ ألف فدان بمناطق المراشدة، وادى النقرة، شرق العوينات، درب الأربعين ووادى قنا، واستصلاح مساحة ١٢ ألف فدان لتوزيعها على شباب الخريجين من جملة مساحة الاستصلاح التى تقدر بنحو ١٤,٨ ألف فدان، ويقوم القطاع الخاص بأعمال البنية الأساسية فى مساحة ١٢٠ ألف فدان بمنطقتى شرق العوينات ودرب الأربعين وترعة الوادى الجديد، كما يقوم باستصلاح مساحة تقدر بنحو ١٣٠,٢ ألف فدان: بمناطق المراشدة ووادى النقرة وشرق العوينات ودرب الأربعين والفرافرة وترعة الوادى الجديد.

ـ تم البدء فى إنشاء قناطر نجع حمادى ومحطتها الكهربائية، لتوفير نحو ١,٥ مليار م٣/ يوم من المياه اللازمة لبرنامج استصلاح الأراضى، وتطوير طرق الرى وترشيد استخدام المياه والاستفادة من مياه السيول وتطوير مفيض توشكى، ومعالجة الإطماء ببحيرة ناصر، وتجديد شبكات [illegible] ٢٢ ألف فدان [illegible] شبكات الصرف [illegible] [illegible] ألف فدان

٢ ـ قطاع الصناعة:

تم إنشاء ١٤ محطة صناعية جديدة فى جنوب مصر وهى موزعة بين منطقة بزمام البلايزة مركز أبى تيج بمحافظة أسيوط على مساحة ١٥ ألف م٢ . ومنطقة بناحية العوامر مركز أبنوب بمحافظة أسيوط على مساحة ٨١٩٠ ألف م٢ ، ومنطقة بقرية بنى غالب (طريق أسيوط / الوادى الجديد) بمدينة الصفا على مساحة ٧٠٠ فدان، ومنطقة الغريب ساحل سليم على مساحة ٤٨,٢٥ فدان، ومنطقة بمركز ديروط على مساحة ١٠٩ فدان، ومنطقتين بالخارجة والداخلة بمحافظة الوادى الجديد على مساحة ٣٠٠٧٦٠ ألف م٢ ، ومنطقة بحى الكوثر على بداية طريق سوهاج/ البحر الأحمر على مساحة ٦٠٠ فدان، ومنطقة بامتداد حى الكوثر على مساحة ٢٥٠ فدان بمحافظة سوهاج، ومنطقة بغرب طهطا مساحتها ١٠٢٦ فدان، ومنطقة بغرب جرجا بالكلاحين مساحتها ٢٠٠٠ فدان، ومنطقة الهو مركز نجع حمادى مساحتها ٤٥٩ فدان بمحافظة قنا، ومنطقة على طريق أسوان/ العلاقى بمحافظة أسوان مساحتها ٢٢٠ فدان.

إنشاء ٧ مصانع للصناعات الغذائية منها مصنعان بسوهاج (حى الكوثر) ومصنع بقنا (قفط) و٤ مصانع بأسيوط، واستكمال ٤ مصانع بكل من البحر الأحمر وسوهاج والوادى الجديد وأسيوط وإنشاء ٦ مصانع للصناعات الكيماوية منها ٣ مصانع بأسيوط و٣ مصانع بسوهاج، واستكمال ٤ مصانع منها مصنعان بقنا ومصنع بكل من سوهاج والوادى الجديد، واستكمال مصنعين للصناعات المعدنية بكل من أسوان وقنا.

واستكمال مصنعين للصناعات الهندسية بكل من البحر الأحمر وقنا. وإنشاء مصنعين للصناعات التعدينية بأسوان.

٣ ـ قطاع البترول:

رفع كفاءة خطوط نقل الخام والمنتجات، وإنشاء خط غاز شقير/ أسيوط، وإنشاء مستودعات تخزينية بالوادى الجديد، وشرق العوينات، وإنشاء مظلات تعبئة البوتاجاز بسوهاج وقنا وأسوان وزيادة طاقة تعبئة مصانع التعبئة بأسيوط.

استكمال وحدة التقطير واسترجاع الغازات بشركة أسيوط لتكرير البترول لزيادة الطاقة إلى ٣ ملايين طن سنوياً بدلاً من ٢,٥ مليون طن سنوياً، واستكمال مشروع معالجة النافتا وتحسين المنتجات البترولية بهذه الشركة لتلبية احتياجات المنطقة المتزايدة لإقامة المشروعات القومية.

٤ ـ قطاع الكهرباء:

إحلال وتجديد بعض مكونات محطة وتوليد كهرباء السد العالى، وكذلك الشبكة جهد ١٣٢ ك.ف.

البدء فى إنشاء محطة كهرباء البحر الأحمر بطاقة الرياح قدرة ٨٠م والانتهاء من محطات محولات توشكى ووادى النقرة جهد ٢٢٠ ك.ف. والبدء فى إنشاء محطات محولات الإصلاح وربط أسوان جهد ٢٢٠ ك.ف. وتنفيذ محطات محولات جهد ٦٦ ك.ف. بكل من الخارجة وساحل سليم وبنى رافع ومغاغة وكلابشة وشمال قنا والإصلاح.

ـ مد الشبكات الكهربائية للمناطق المحرومة، مع استكمال إنارة التجمعات السكانية الصغيرة، بعد الانتهاء من إنارة جميع القرى والتوابع، مع إحلال وتدعيم الشبكات القائمة لمواجهة التوسعات العمرانية وزيادة الأحمال.

٥ ـ قطاع النقل والمواصلات:

إنشاء طريق سوهاج/ البحر الأحمر/ الغردقة ووصلة أسيوط بطول ٣٧٠كم، وطريق شرق العوينات بطول ٣٥٠كم، وطريق قنا/ المحروسة بطول ١٧كم، وطريق أسوان، برنيس بطول ٢٩٠كم، وطريق بغداد/ الخارجة/ الرزيقات/ الأقصر بطول ٢٤٥كم، وطريق الداخلة/ شرق العوينات بطول ٣٥٠كم، وتوسيع طريق الخارجة، الداخلة/ الفرافرة بطول ٢٠٠كم.

استكمال سكة حديد الوادى الجديد/ البحر الأحمر، وإنشاء كبارى علوية جديدة (كوبرى قنا العلوى)، وإنشاء كبارى أسيوط، سوهاج وأسوان على النيل، ورفع كفاءة خط سكة حديد الأقصر/ أسوان.

استكمال بعض السنترالات بسعة ألفين خط، وزيادة طاقة بعض السنترالات بنحو ٦٦,٣ ألف خط.

تطوير ورفع كفاءة مطارات أبى سمبل، أسوان، الأقصر، الغردقة، واستكمال مبنى الركاب بمطار أسوان، واستكمال مطارات مرسى علم والداخلة والوادى الجديد.

استكمال رصيف الشحن بميناء سفاجا، وزيادة كفاءة ميناء الغردقة وتجهيزاته، وتطوير ورفع كفاءة وتأمين الخط الملاحى ببحيرة ناصر.

استكمال كوبرى أطلس بأسوان.

٦ - قطاع السياحة:

استكمال تطوير المرافق والخدمات بالمناطق السياحية بالأقصر وأسوان، والبدء فى إنشاء مبنى الزوار، الدولى، للتعرف على البيئة الطبيعية والحضارية بمحافظة البحر الأحمر.

إنشاء قرى ومنتجعات سياحية بالبحر الأحمر والأقصر.

٧ - الإسكان والتنمية العمرانية والمرافق:

استكمال شبكة مياه الغردقة ورأس غارب وسفاجا، والبدء فى تنفيذ خط مياه ادفو/ مرسى علم البالغ طوله ٣٥٠كم، وتركيب محطتى تحلية مياه بمرسى علم والقصير بطاقة ٥٠٠كم٣/ يوم للمحطة، واستكمال مد شبكات المياه بالخارجة والفرافرة، وتركيب ٤ محطات تنقية بالفرافرة والواحات وحفر ١٠ آبار مياه للشرب.

- استكمال مشروع الصرف الصحى المتكامل بالداخلة. رصف ٢٤كم طرق داخلية بمدن الغردقة وسفاجا ومرسى علم، ٢٥كم بالخارجة والواحات البحرية، والانتهاء من شبكات ومجمع كهرباء الفرافرة.

- استكمال مشروعات البنية الأساسية والخدمات بمدينتى أسيوط وطيبة، والبدء فى تنفيذ أسوان الجديدة.

ـ الانتهاء من تنفيذ محطتى مياه سوهاج والأقصر بطاقة إجمالية ٦٨ ألف م٣/ يوم واستكمال تنفيذ ١٩ محطة مياه بطاقة إجمالية ٦٠٠ ألف م٣/ يوم منها ٥ مجطات بكل من أسيوط وسوهاج، ٨ محطات بقنا ومحطة بأسوان ومد شبكات مياه الشرب بطول ٢٥٠ كم.

ـ الانتهاء من تنفيذ ٣ محطات صرف صحى بمحافظة قنا بطاقة استيعابية ٨٦ ألف م٣/ يوم، وإنهاء المرحلة الأولى لمحطة صرف صحى الغردقة استيعابية ٢٥ ألف م٣/ يوم.

ـ استكمال ٢٨ محطة صرف صحى بطاقة استيعابية١,٣م٣/ يوم منها ٧ محطات بأسيوط، ٦ محطات بكل من سوهاج وقنا، ٣٤ محطات بكل من أسوان والبحر الأحمر، ومد شبكات الصرف الصحى بطول ١٦٥كم.

٨ ـ التنمية البشرية والاجتماعية:

استكمال الكليات القائمة بجامعة جنوب الوادى، ومبانى كلية الهندسة والطب البشرى والطب البيطرى بجامعة أسيوط.

ـ إنشاء وتجهيز ٥٦٦ فصل ابتدائى، ٢٥٤ فصل إعدادى، ٩٥ فصل ثانوى بالتعليم العام، وإحلال وتجديد وإنشاء ٦٤٥ فصل بمختلف مراحل التعليم الأزهرى.

ـ إنشاء (نُزُل شباب) بالوادى الجديد.

ـ البدء فى إنشاء مستشفى تعليمى جديد، بكلية الطب مع استكمال منشآت ومبانى فرع جامعة الأزهر، ومبانى أربع كليات بأسيوط.

ـ إقامة محطة إذاعة ذات موجة متوسطة، متنقلة فى حلايب، بغرض تقوية الإرسال الإذاعى بجنوب الوادى وخاصة مع الحدود السودانية، محطة استقبال إذاعى عن طريق القمر الصناعى (نايل سات) بغرض البث الإذاعى فى منطقة جنوب الوادى (توشكى)، ومحطات تشغيل ترددى فى سفاجا وأبى سمبل. ـ استكمال ٣ بيوت ثقافة طفل، بالمحافظات، ٦ قصور ثقافة، واستكمال ٤ متاحف بأسوان والنوبة.

جدول استثمارات تنمية جنوب مصر لعام ٩٩/ ٢٠٠٠*

المحافظات / القطاعات	إقليم وسط الصعيد			إقليم جنوب الصعيد						إجمالي
	أسيوط	الوادي الجديد	جملة الإقليم	سوهاج	قنا	الأقصر	أسوان	البحر الأحمر	جملة الإقليم	جنوب مصر
الزراعة واستصلاح الأراضي	٢٦,٠٥	١٩٥,١	٤٥٥,٦	١٨٥,٢	٢٣٦,٠	٧٨,٤	٢٢٩,٦	٥٨٠,٦	٧٧٩,٨	١٢٣٥,٤
الري والصرف	١٤,٧	١٠٠,٧	١١٥,٤	٢٥,٩	٣٥,٦	٠,٤	١٠٩١,٢	٠,٧	١١٥٣,٨	١٢٦٩,٢
الصناعة والتعدين	٥٩٩,٣	٥٣٣,٧	١١٥٣,٠	٤٧١,٦	٨٩٩,٧	١٩٥,٠	٩٠٠,٨	٨٣٦,١	٣٣٠٣,٢	٤٤٥٦,٢
الكهرباء	٢٤,٣	٨٧,١	١١١,٤	٤٠,١	٢١,٣	٦٦,٦	٧٣,٩	٢٨٧,٨	٤٥٨٩,٧	٦٠١,١
البترول	١٣,٠٠	—	١٣٠,٠	—	—	—	—	١١٣,٣	١١٣,٣	٢٤٣,٣
المقاولات	٤٢,٤	١٦٨,٢	٢١٠,٦	٦٠٣	٥٥,٥	٧١,٥	٤٧,٢	١٦٦,٩	٤٠١,٤	٦١٢,٠
النقل والمواصلات والتخزين	٥٤٣,٥	٤٣٢,١	٩٧٥,٦	٣١١,٤	٣٦١,٨	١٩٦,٥	١٥٠,٨	٢٣٨,٥	١٢٥٩,٠	٢٢٣٤,٦
التجارة	٨٥,٩	٦٠,٠	١٤٥,٩	٦٠,٤	١٠,٣	٥٣,٦	٥٦,٦	٤٨,٣	٢٢٩,٢	٣٧٥,١
المال والتأمين	١٠,٠	٥,٠٠	١٥,٠	٥,٤	٥,٤	٥,٠	٧,٠	١٠,٠	٣٢,٨	٤٧,٨
السياحة	٥,٣	٣٥,٢	٤٠,٥	٠,٢	٣٥٠,٠	٣٣٠,٧	٢٠٠,٥	١٥٣٦,٨	٢٤١٨,٢	٢٤٥٨,٧
الإسكان	٣٢٢,٦	١٢٠,٤	٤٣٣,٠	٢١٤,٥	٤١٣,٠	٢١٣,٩	١٤٨,٨	٣٣٠,٠	١٣٢٠,٢	١٧٦٣,٢
المرافق	٨٢,٣	٢٦,٦	١٠٨,٩	٩١,٢	٩٠,٥	٣٠,٨	٩٠,٢	٥٤,٠	٣٥٦,٧	٤٦٥,٦
الخدمات التعليمية	٦٤,٨	٥,١	٦٩,٩	٣٤,١	٣٧,٣	٦,٨	١٩,٣	١٥٦,٧	٢٥٤,٢	٣٢٤,١
الخدمات الصحية	٢٩,١	٢,٤	٣١,٥	٢٩,٦	١٨,٦	٧,٤	٢٣,٧	١٠,٨	٩٠,١	١٢١,٦
الخدمات الأخرى	١٥,٧	١٩,٦	٣٥,٣	١٢,٤	١٤,٥	١٧,٣	١٣,٧	١٢,٥	٧٠,٤	١٠٥,٧
الإجمالي العام	٢٢٣٠,٤	١٨١١,٢	٤٠٤١,٦	١٥٤٢,٣	٢٥٤٩,٥	١٢٧٣,٩	٣٠٥٣,٣	٣٨٥٣,٠	١٢٢٧٢	١٦٣١٣,٦

(*) خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لعام ٩٩/ ٢٠٠٠

ثانيا: مشروع وادى التكنولوچيا

مشروع «وادى التكنولوچيا» هو أحد مشروعات مصر العملاقة، التى بدأت الدولة تنفيذها، إيماناً منها بحتمية مواكبة التقدم العلمى والقفزات الهائلة للصناعات التكنولوچية. وقد تقرر إقامة «وادى التكنولوچيا» كمنطقة للصناعات التكنولوچية عالية التقنية، مثل الإلكترونيات، والتكنولوچيا الحيوية، والتحكم الصناعى لشبكات الاتصال، ونقل الوثائق الإلكترونية، وغيرها، ومايتبعها من صناعات مغذية ومكملة ومعامل الأبحاث، ومراكز للتدريب والمستودعات والخدمات الادارية، ويعتبر هذا المشروع هو الأول من نوعه فى منطقة الشرق الأوسط، هو واحد من بين ٦٠٠ واد مماثل فى العالم.

أهداف المشروع:

يحقق مشروع وادى التكنولوچيا العديد من الأهداف التنموية والاستثمارية والقومية والإقليمية، وتتلخص هذه الأهداف فيما يلى:

- زيادة الدخل القومى.

- زيادة فرص الاستثمار لمناطق التنمية ومحاورها خاصة لإقليم القناة وسيناء .

- توفير فرص عمل جديدة، خاصة لمواطنى القناة ومدينة الإسماعيلية .

- جذب رؤوس الأموال والاستثمارات الأجنبية، وزيادة القوة التنافسية والاقتصادية للدولة .

- تحقيق الاستغلال الأمثل للمنطقة، والاستفادة من الإمكانات والموارد الطبيعية داخل إقليم القناة .

- الزيادة فى الحركة الملاحية لقناة السويس، وإنشاء محطات بحرية للشحن .

إدخال صناعات ذات تكنولوچيا متقدمة تساهم فى التطوير والاستثمار الصناعى .

- تنمية وتطوير برامج التعليم والتدريب الفنى بالمنطقة، لمواكبة التطور السريع فى المجالات التكنولوچية، وتوفير وحدات ومراكز بحثية وجامعات تكنولوچية .

- خلق مجتمع نموذجى متميز علمياً وثقافياً وصناعياً .

الموقع :

يقع مشروع وادى التكنولوچيا عند المدخل الشمالى الغربى لشبه جزيرة سيناء، على الضفة الشرقية لقناة السويس، فى إطار محافظة الإسماعيلية، على مساحة ١٦ ألف فدان .

ويتميز هذا الموقع بإشرافه على ممر ملاحى عالمى، بالإضافة إلى قربه من موانئ ومطارات القاهرة وبورسعيد والسويس، وقربه من خط السكك الحديد بين رفح/الإسماعيلية وكوبرى جنوب القنطرة الجديد. وتتوفر بمنطقة المشروع الكثير من المواد الخام، التى يمكن أن تساهم فى التنمية الصناعية.

ويرتبط موقع المشروع، بمجموعة المشروعات القومية العملاقة ذات الاستثمارات الكبرى، والمناطق الصناعية الحرة، مثل مشروع شرق بورسعيد، ومشروع شمال خليج السويس، مما يساهم فى جذب الشركات التى تعمل فى هذه المناطق الحرة.

مشروعات البنية الأساسية:

تقوم الدولة بتوفير البنية الأساسية لكل مجموعة استثمارية تعمل فى وادى التكنولوجيا، بالإضافة إلى مناطق الخدمة العامة، وقد بدأت مشروعات البنية الأساسية للمرحلة الأولى للمشروع، على مساحة ٢١٥ فداناً وبلغت تكلفتها حتى ١٩٩٩/٨/٣٠ نحو ٣١ مليون جنيه.

ويشارك فى تنفيذ مشروع وادى التكنولوجيا وزارات الإسكان والمجتمعات العمرانية الجديدة، والتنمية الإدارية، والإدارة المحلية، ومحافظة الإسماعيلية، وتقدر الاستثمارات الكلية للمشروع بنحو ١٢ مليار دولار، تنفذ خلال عشر سنوات، وتقدر استثمارات المرحلة الأولى للمشروع بنحو ٤٠٠ مليون دولار.

الدخل القومى:

يساهم مشروع وادى التكنولوچيا فى تحقيق التنمية الاقتصادية والعمرانية لمحافظة الإسماعيلية وإقليم القناة وسيناء، وحتى زيادة الدخل القومى المصرى، ومن المتوقع أن تحقق المرحلة الأولى للمشروع عائداً سنوياً، يقدر بنحو ٢,٥ مليار جنيه، منها نحو ١,٥ مليار جنيه نتيجة النمو المتوقع للصادرات.

وتعمل الدولة على جذب الاستثمارات الخاصة، للمشاركة فى هذا المشروع العملاق، من خلال توفير الضمانات القانونية للاستثمار، والحوافز والمزايا الجاذبة للاستثمار، لهذا النوع المتميز من الصناعة.

فرص العمل:

يهدف المشروع إلى توفير نحو ٢٥٠ ألف فرصة عمل جديدة خلال مراحله المختلفة، منها ١٢٠ ألف فرصة عمل جديدة فى المرحلة الأولى للمشروع.

ويساهم مشروع وادى التكنولوچيا فى خلق طبقة عاملة، على قدر عال من المهارة والتدريب، بعد اكتساب الخبرات التكنولوچية المتقدمة، من الخبراء والمتخصصين الأجانب، والتدريب فى المعاهد المتخصصة التى يتم إقامتها بالوادى.

وصف المشروع:

تم تصميم المشروع على شكل ملتقى دولى، يجمع الصناعات المتطورة من مختلف دول العالم، حيث تم تخصيص مساحات، تتراوح مابين ٣٠٠

إلى ٥٠٠ فدان لكل دولة، يتم تسليمها لممثلى قطاعات الأعمال الصناعية بها، لإجراء التجارب والأبحاث، وتقوم الدولة بتنفيذ المرافق الرئيسيةً لتلك المواقع، ويقوم قطاع الأعمال المصرى بإدارة الخدمات العامة والمشتركة.

وقد روعى ألا تقل المساحات الخضراء فى الوادى، فى أى من مراحل إنشائه، عن ٢٥ ٪ على الأقل.

ويشمل المشروع مناطق صناعية، وأخرى لنشاط الأعمال والقطاع الخاص، ومناطق خدمات مشتركة، ومناطق سكنية، ومراكز للتدريب والتطوير.

وقد تم تصميم مناطق، لإقامة معهد لبحوث الإلكترونات، تابع لوزارة البحث العلمى، لتحقيق التكامل بين الخدمات الواجب توافرها فى المشروع. من بحث علمى وصناعى وتعليمى، وذلك على مساحة ٢٠٠ فدان.

ويضم التصميم أيضاً تخصيص مساحة لجامعة التكنولوچيا الألمانية، الجارى دراسة إنشائها بالتعاون بين مصر وألمانيا.

ويشمل تصميم وادى التكنولوچيا منطقة حرفية وصناعية متكاملة متخصصة فى الصناعات المكملة للصناعات عالية التكنولوچيا، وفقاً لضوابط خاصة تتوافق مع الطبيعة المميزة للوادى.

وقد تم تصميم المبنى الإدارى الرئيسى للوادى، على شكل هرمى ليكون معبراً عن مصر وحضارتها في الماضي والحاضر.

[illegible] الأولى:

تبلغ مساحة المرحلة الأولى [illegible] فدان، وقد تم التخطيط لإنشاء عدد من الصناعات المتقدمة في هذه المرحلة، تشمل الصناعات الإلكترونية

والهندسية ونظم الزراعة ومحطات البحوث الزراعية، ومحطات التقنية والتغليف، وصناعة معدات السياحة والفندقة، ومركزاً يقيمه المستثمرين لتدريب الخريجين على الأنشطة الزراعية المختلفة.

وقد تم بالفعل تخصيص مساحات من الأراضى لثمانى شركات عالمية لتصنيع الإلكترونات عالية الجودة، ومكونات الكمبيوتر والوسائط الرقمية، والخلايا الكهروضوئية، بالإضافة إلى ٨ مساحات أخرى لشركات وهيئات مصرية من القطاعين الخاص والاستثمارى، لإقامة مناطق خدمات المرحلة العاجلة من فنادق ومناطق ترفيه ومراكز تجارية وفروع للبنوك.

وقد بدأت حركة العمل الجاد، وتبدأ مصانع هذه المرحلة وخدماتها فى العمل، مع نهاية عام ٢٠٠١ .

ثالثا: المشروع القومى لتنمية سيناء

المشروع القومى لتنمية سيناء، هو أحد مشروعات مصر العملاقة، التى بدأ تنفيذها مع الخطة الخمسية الثالثة (٩٢-٢٩٩٧) .. وتمتد خطة تنفيذ هذا المشروع حتى عام ٢٠١٧ .. وتبلغ الاستثمارات اللازمة لتنفيذه نحو ٧٥ مليار جنيه .

الأهداف :

يهدف المشروع القومى لتنمية سيناء إلى خلق مجتمع عمرانى متكامل جاذب للسكان يربط سيناء بمنطقة شرق الدلتا .. وتمثل ترعة السلام محور هذا المشروع، فهى تمتد من غرب الدلتا إلى داخل سيناء، وتربط سيناء بالوادى، وتساهم هذه الترعة الجديدة فى تحقيق تغيرات جذرية فى سيناء، وإقامة مشروعات زراعية وصناعية تعدينية ومشروعات سياحية تقوم على ثروات هذه المنطقة .

ويساهم هذا المشروع فى خلق مجتمع عمرانى يستوعب نحو ٣,٢ مليون نسمة ويوفر نحو مليون فرصة عمل جديدة .

مشروعات البنية الأساسية:

شهدت سيناء تنفيذ العديد من مشروعات البنية الأساسية، خاصة بعد البدء فى تنفيذ المشروع القومى لتنمية سيناء.

ومن أهم المشروعات المنفذة والجارى تنفيذها مايلى:

- فى مجال الكهرباء والطاقة:

تمت إقامة محطة محولات طابا، وخط الربط السويس/ عيون موسى/ طابا جهد ٥٠٠ ك.ف بطول ٢٨٠ كم، ومد خطوط كابلات النقب/ نويبع/ شرم الشيخ بطول ٢٥٨ كم، وإقامة محطة توليد العريش الحرارية ٢×٣٠؟؟ والتى تم ربطها عن طريق خط العريش/ بير العبد/ القنطرة شرق جهد ٢٢٠ك.ف بطول ١٣٥كم. ويجرى تنفيذ محطة توليد كهرباء عيون موسى بسيناء قدرة ٢×٣٢٥ م.و.و ومن المقرر تشغيلها عام ٢٠٠٠/٢٠٠١.

- فى مجال النقل والمواصلات:

تم البدء فى تنفيذ طريق بئر العبد/ البرقة/ المغارة المزدوج بطول ٦٠كم، وتوسيع طريق سدر الحيطان/ بئر العبد بطول ١٤٥كم. وازدواج طريق القنطرة شرق/ رفح/ وصلة رمانة/ سهل الطينة بطول ٢٦٠كم.

وفى مجال السكك الحديدية تم البدء فى تنفيذ مشروع الخط الحديدى الإسماعيلية/ رفح، وربطه بميناء شرق التفريعة بتكلفة كلية ١,٥ مليار جنيه، ويهدف إلى ربط سيناء بالوادى، ويجرى تنفيذ مشروع كوبرى فوق قناة السويس عند الكيلو ٤٨,٥ القنطرة شرق، بتكلفة كلية ٧٦٩ مليون جنيه

ويهدف إلى ربط سيناء بشبكة الطرق البرية بالدلتا، ويبلغ طول الكوبرى ٤٠ كم وعرضه ٢٠م.

وقد تم تطوير ميناء نويبع، ويبلغ عدد المطارات بسيناء ٥ مطارات هى شرم الشيخ وطابا الدولى وسانت كاترين والعريش والطور.

فى مجال مرافق المياه والصرف الصحى والإسكان:

تم مد شبكات خطوط مياه رئيسية بنحو ١,٣ ألف كم، وحفره ٢٢٥ بئر، وتركب ١٢ محطة ووحدة تحلية مياه، و١٤ وحدة تنقية مياه. كما تم الانتهاء من شبكات الصرف الصحى بالعريش والطور والانتهاء مرحلياً من شبكات صرف صحى رأس سدر وأبو رديس وأبوزنيمة وسانت كاترين وشرم الشيخ بإجمالى أطوال نحو ٢١٤كم، وإنشاء ١٨,٥ ألف وحدة سكنية للإسكان البدوى والشعبى.

المشروعات الاقتصادية:

تم تنفيذ العديد من المشروعات الاقتصادية المختلفة فى مجالات الصناعة والبترول والسياحة فى سيناء.. ومن أهم المشروعات المنفذة حتى عام ١٩٩٩ ما يلى:

فى مجال الصناعة:

- تم إعادة تشغيل مصنع الفبرومنجنيز، واستغلال جبس رأس ملعب.

- تم إعادة تشغيل منجم فحم المغارة، للوصول عند التشغيل الكامل إلى ٦٠٠ ألف طن سنوياً من الفحم، لاستخدامه فى انتاج فحم الكوك كوقود للمحطات الكهربائية الحرارية لتوليد الكهرباء.

- إقامة مصانع لحفظ اللحوم والخضرات وتصنيع منتجات الزيوت.

- إقامة مشروعات منتجات الألبان والصناعات الغذائية وإنتاج الثلج وصناعة الجوارب والمفروشات.

فى مجال البترول:

- إقامة وحدة استخلاص البوتاجاز من غازات بلاعيم، ومشروع حفر استكشافي وإنتاجي في سيناء، ومشروع محطات تموين ومستودعات تخزين سيناء.

- إنشاء خط لإمداد محطة كهرباء عيون موسى باحتياجاتها من الغاز الطبيعي، وخط لإمدادها باحتياجاتها من المازوت، وخط لنقل خامات سيناء إلى منطقة العين السخنة ومنها إلى معمل التكرير.

- تطوير معمل تكرير وادى فيران وزيادة طاقته التكريرية بمنطقة جنوب سيناء.

فى مجال السياحة:

تم إنشاء عدد من القرى السياحية والفنادق بمحافظة جنوب سيناء، أضافت نحو ٨,٧ ألف غرفة بلغت تكاليفها الكلية ٢,٥ مليار جنيه.

مشروع ترعة السلام:

يهدف مشروع ترعة السلام إلى إضافة نحو ٦٢٠ ألف فدان إلى مساحة الرقعة الزراعية، منها ٢٢٠ ألف فدان غرب القناة، ونحو ٤٠٠ ألف فدان في سيناء، وتبلغ حصة الترعة من المياه سنوياً حوالى ٤,٤٥٠ مليار م٣.

نصفها من مياه النيل والنصف الآخر من مياه الصرف الزراعى بعد معالجتها.

المرحلة الأولى للمشروع:

يبلغ طول المرحلة الأولى من ترعة السلام حوالى ٨٧ كم، وتبدأ من مأخذ الترعة عند الكيلو ٢١٩ أمام سد دمياط وتنتهى عند الكيلو ٢٧,٨٠٠ ترقيم قناة السويس، وتقطع فى طريقها خمس محافظات.

وقد بدأت دراسات المشروع فى عام ١٩٧٩، وانتهت الأعمال الفنية الأساسية لها فى ١٩٩٥/١٢/٣١، حيث تم إنشاء سد دمياط وإنشاء مأخذ الترعة ومجراها بطول ٨٧ كم، وماعليها من أعمال صناعية، وإقامة ثلاث محطات للرفع والخلط.

وتبلغ التكلفة الكلية لهذه المرحلة ٤٨٥ مليون جنيه، ويساهم هذا الجزء من ترعة السلام فى زراعة ٢٢٠ ألف فدان غرب القناة موزعة على النحو التالى:

- نحو ٣ آلاف فدان فى زمام محافظة دمياط.
- نحو ١٠ آلاف فدان فى زمام محافظة الدقهلية.
- نحو ٨٢ ألف فدان فى زمام محافظة الشرقية.
- نحو ٣٣ ألف فدان فى زمام محافظة الإسماعيلية.
- نحو ٩٢ ألف فدان فى زمام محافظة بورسعيد.

المرحلة الثانية (بدأ التنفيذ بها عام ١٩٩١):

وتشمل هذه المرحلة إنشاء سحارة ترعة السلام أسفل قناة السويس وشق الترعة الرئيسية على أرض سيناء بطول ١٧٥ كم والتى تعرف باسم ترعة الشيخ جابر. وإنشاء كافة الأعمال الصناعية عليها ومحطات الرفع والصرف وقرى التوطين. وتبلغ التكاليف الكلية لهذه المرحلة ٥٧٤٢ مليون جنيه، بلغ حجم المنفذ منها ١,٥ مليار جنيه.

ومن أهم الأعمال المنفذة حتى ١٩٩٩/٦/٣٠ مايلى:

الأعمال المدنية والكهروميكانيكية وتشمل:

- الانتهاء من إقامة محطات الرفع ٣,٢,١ على ترعة السلام غرب قناة السويس.

- الانتهاء من إنشاء محطة السلام ٤ك ٣,١٠٠ على ترعة الشيخ جابر شرق القناة.

- استكمال إنشاء محطات السلام ٦,٥ شرق القناة عند ك٢٤,٧٥٠ك. ٤٦,٧٥٠ وذلك بخلاف محطتين رئيسيتين على ترعة جنود القنطرة شرق عند ك ١٢,٥٠٠ك، ١٦ .

أعمال حماية جوانب قطاع ترعة الشيخ.

- حيث تم الانتهاء من أعمال الحماية بالجوبيونات لقطاع ترعة الشيخ جابر بطول ٢٤,٧٣ كم من خلف السحارة إلى ٢٤,٧٣ على الترعة بتكلفة إجمالى تبلغ ١٠٦ مليون جنيه.

- تم الانتهاء من الأعمال الخاصة بإنشاء وتكوين وتبطين الترعة والأعمال الصناعية عليها من ك ٢٤,٥٠٠ حتى ك ٤٦,٧٥ على ترعة الشيخ جابر بتكلفة بلغت ١٣٣ مليون جنيه حيث تم تبطين ٢٢,٢٥ كم وإنشاء ١٠ كبارى و٩ مآخذ ومخر سيل وقنطرة حجز.

- حفر مصرفى بالوظة والفرما مصباتها على قناة السويس، وتركيب ٥ محطات صرف مؤقتة عليها والترع الفرعية والأعمال الصناعية عليها والبنية الداخلة بمنطقة سهل الطينة.

- تنفيذ قنطرة فم ترعة جنوب (القنطرة شرق) وتجهز الورشة المركزية لخدمة محطة الطلمبات بالمشروع ومحطات محولات (القنطرة شرق) ورمانة وبالوظة.

وتساهم المرحلة الثانية من ترعة السلام فى استصلاح ٤٠٠ ألف فدان بسيناء موزعة على النحو التالى:

- نحو ٥٠ ألف فدان فى منطقة سهل الطينة.

- نحو ٧٥ ألف فدان جنوب القنطرة شرق.

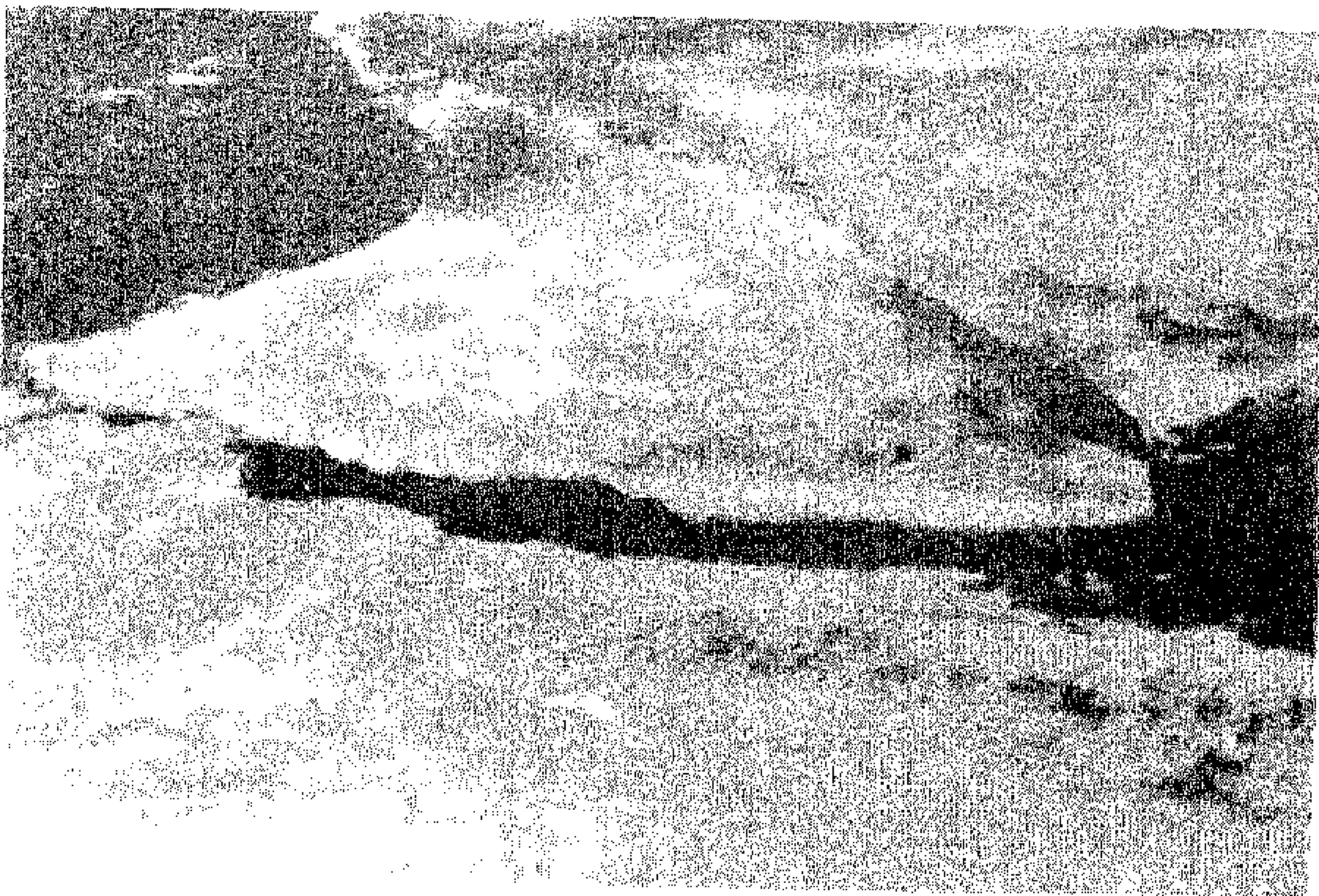
- نحو ٧٠ ألف فدان بمنطقة رابع.

- نحو ٧٠ ألف فدان بمنطقة بئر العبد.

- نحو ١٣٥ ألف فدان بمنطقة السرو والقوارير.

مشروعات التنمية الزراعية فى سيناء:

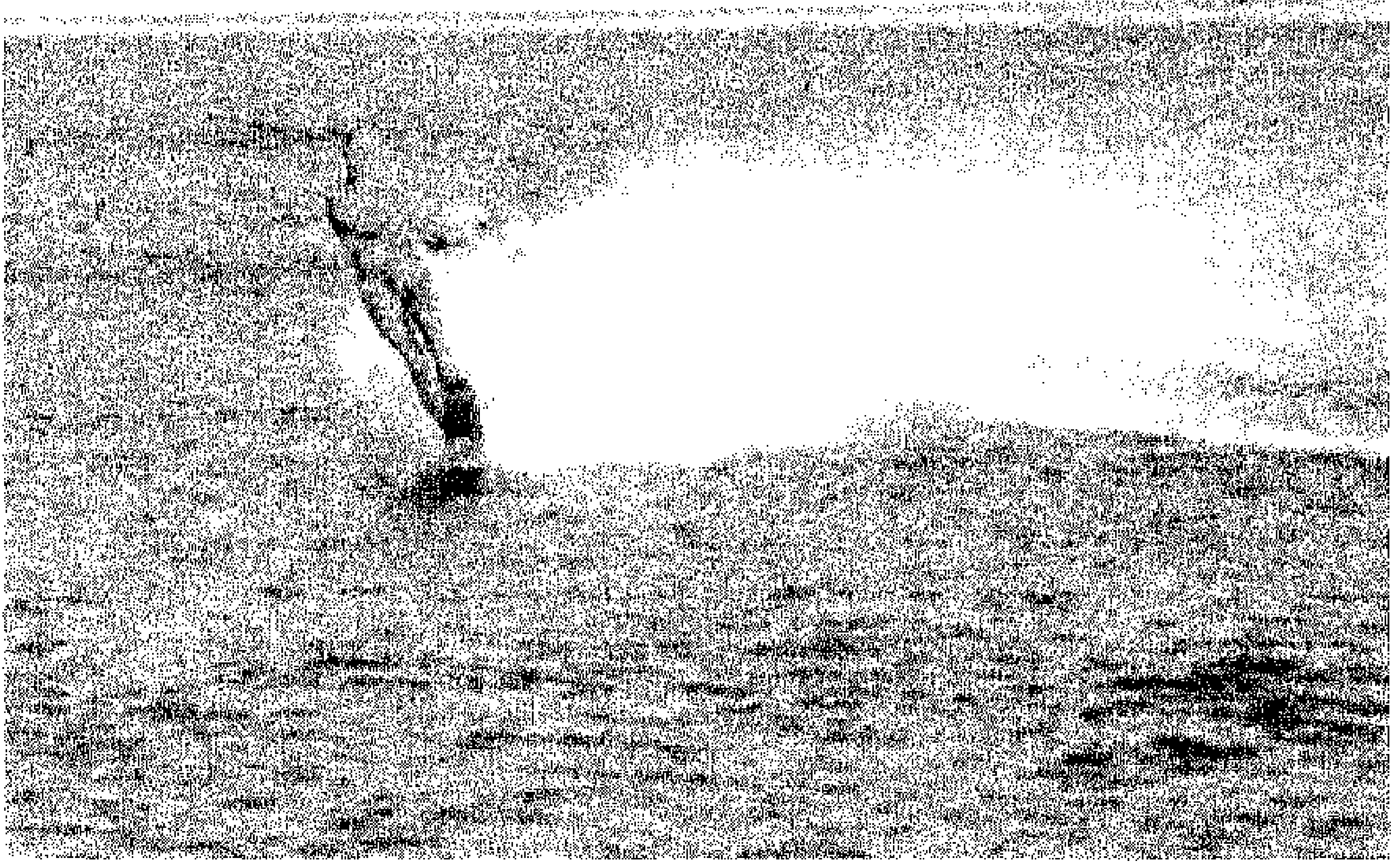
بدأت مشروعات التنمية الزراعية بسيناء تساهم فى الإنتاج الزراعى المصرى، بعد أن تم السماح بتمليك الأراضى الزراعية فى سيناء. وقد حتى منصف عام ١٩٩٩ توزيع ١٨ ألف فدان لكبار المستثمرين ولعدد ١٦ شركة استثمارية كبرى، ومساحة ٥٠٣٥ فدان لعدد ٥٠ شركة ومستثمر من الفئة المتوسطة، وتخصيص مساحة ١٠ آلاف و٨٥٠ فداناً لصغار المنتفعين وشباب الخريجين.



شبه جزيرة سيناء .. بوابة مصر الشرقية



أمواج وشطآن .. وسماء زرقاء

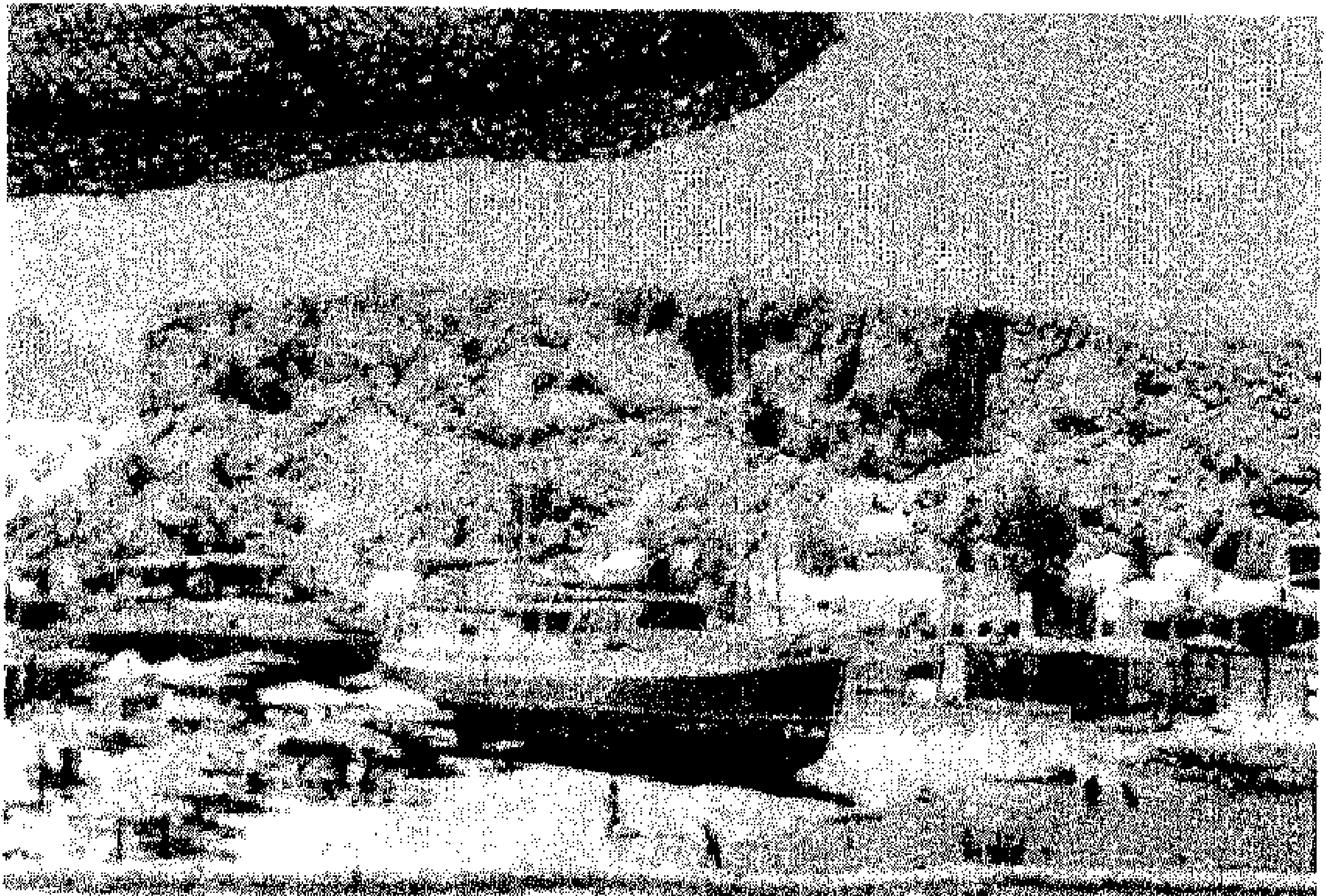


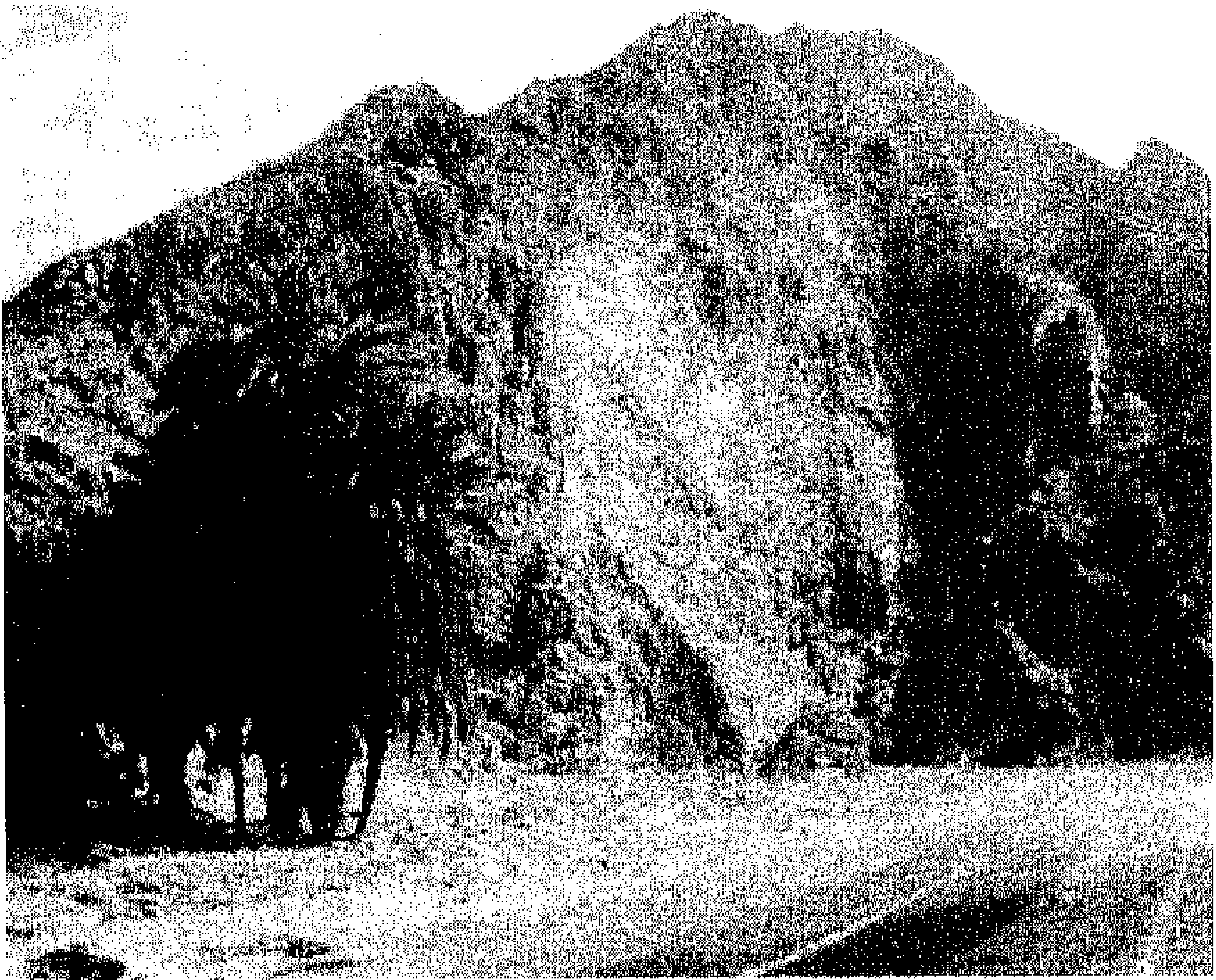
التزحلق والغوص .. متعة على مياه البحر الأحمر





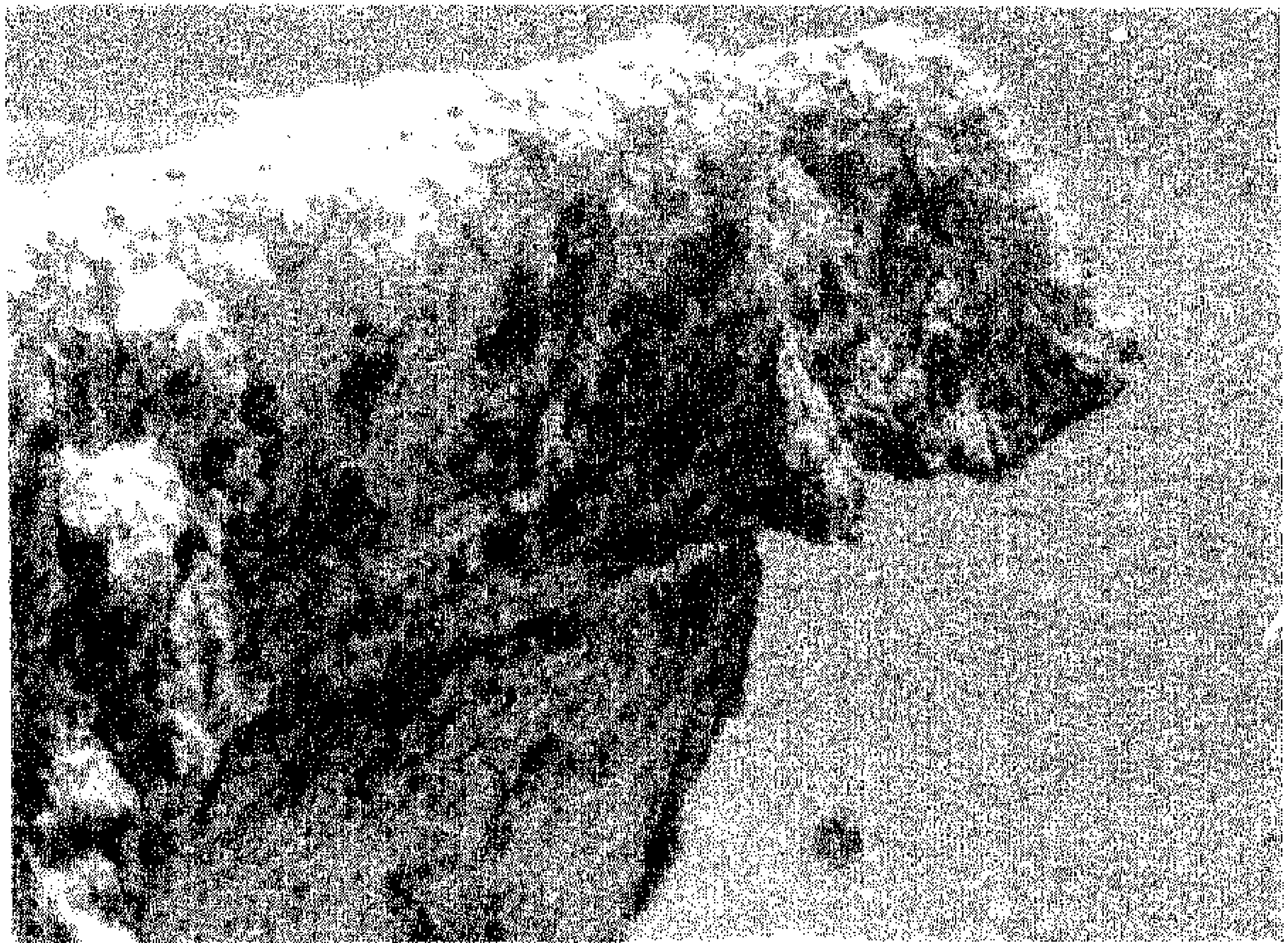
شرم الشيخ .. جذب سياحى عالمى



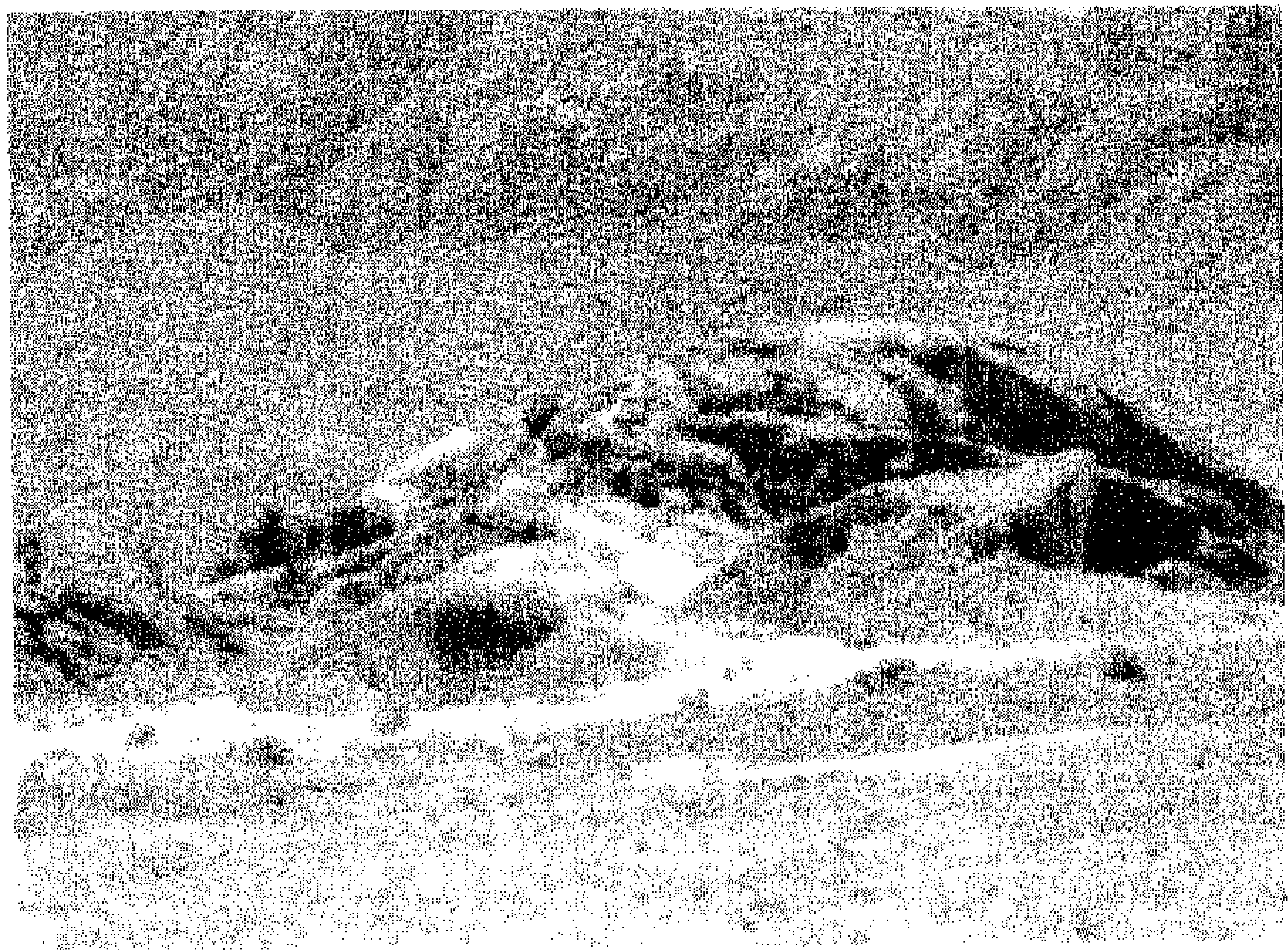


طبيعة ساحرة تستمتع بها فى مصر





تكوينات طبيعية ساحرة من إبداع الخالق



رابعا: مشروع شرق بورسعيد

يمثل: مشروع شرق بورسعيد حلقة رئيسية فى سلسلة مشروعات مصر العملاقة، وهو يضم مجموعة من المشروعات المتكاملة، تشمل إنشاء ميناء محورى، ومنطقة صناعية، ومنطقة سياحية، وتساهم هذه المشروعات فى خلق تجمع عمرانى جديد شرق إقليم القناة، فى موقع يتميز بالاستراتيجية وتعدد الموارد.

الموقع والمساحة:

يقع المشروع على مساحة ٢٢٠كم٢ - (بما يعادل ٥٢٤٠٠ فدان) - يحدها من الشمال البحر المتوسط بواجهة طولها ٢٢ كم، وبعمق شرقاً و١٧كم غرباً، ويحدها جنوباً طريق بورفؤاد/ بالوظة، ويحدها شرقاً محافظة شمال سيناء، وغرباً تفريعة قناة السويس.

وتتميز المنطقة بموقعها الجغرافى الفريد على المستويين الدولى والإقليمى، وتمثل نقطة ربط دولية بين قارات أوروبا وآسيا وأفريقيا، وهى تعد من أقرب المواقع التى تخدم التجارة العالمية وموانئ البحر المتوسط وجنوب شرق آسيا.

ومساحة المشروع موزعة على الأنشطة التالية:

١ - إنشاء ميناء محورى مركزى على مساحة ٢٢,٥ مليون م٢.

٢ - إنشاء منطقة صناعية على مساحة ٨٧,٦ مليون م٢.

٣ - إنشاء منطقة إدارية على مساحة ٥,٧ مليون م٢.

٤ - إنشاء منطقة سياحية على مساحة ٤,٧ مليون م٢.

٥ - إنشاء منطقة سكنية على مساحة ١٠ ك م٢.

٦ - تخصيص المساحة المتبقية لمشروعات الثروة السمكية وتبلغ مساحتها ٩٩,٥ كم٢.

الميناء المحورى:

تشهد منطقة شرق بورسعيد إقامة أكبر ميناء محورى على قناة السويس، ومن المتوقع أن يكون في مقدمة ١٥ ميناء عالمياً تتحكم فى توزيع ونقل التجارة العالمية، حيث يسمح بمرور جيل جديد من الحاويات يطلق عليه «السفن الأم» التى تحمل من ٦-٧ آلاف حاوية، ويستوعب الميناء أكثر من ثلاثة ملايين ونصف مليون حاوية سنوياً وسوف يتم إدارته بوسائل متقدمة ذات طبيعة تكنولوجية عالية. ومن المتوقع أن يستقبل هذا الميناء أول سفينة بضائع في نوفمبر ٢٠٠٠، وأول سفينة حاويات فى منتصف عام ٢٠٠١,

وقد تم البدء فى تنفيذ المرحلة الأولى للمشروع والتى تبلغ تكلفتها الاستثمارية نحو ملياراً ونصف مليار جنيه وتستغرق ٢٤ شهراً، وتشمل هذه المرحلة:- شق المجرى الملاحى للميناء بطول ٢٢ كم من البحر المتوسط إلى داخل الميناء.

ـ إنشـاء الرصـيف الأول للمـيناء بطول ١٢٠٠م وهو مكون من ألواح بعضـها جانب بعض وتنزل إلى عمق ٦٠ متـراً تحت سطح البحـر ويتم تغطيتها بخرسانة، ويبلغ عرض الرصيف ٥٠٠ متر، ويتم تنفيذه خلال ١٥ شهراً ليبدأ العمل فى سبتمبر ٢٠٠٠، ويبلغ إجمالى تكاليف إنشائه ٢٠٠ مليون جنيه.

ـ حفر قناة الربط بين التفريعة والحوض الأول للميناء بعمق يتراوح بين ٤٨ ـ ٥٠ قدم، وعرض القاع ٢٥٠م، بمسطح مائى ٤٥٠م، متخذ شكل شبه منحرف ليسمح بمرور جميع أنوع الحاويات المتطورة.

ـ إنشاء حاجز للأمواج وبرج للإرشاد، وعدد من الأحواض الداخلية لخدمة القاطرات، وأرصفة لإصلاح السفن، وتصنيع وإصلاح الحاويات.

ـ إنشاء مرسى للمعديات حمولة ٢١٠ طن لربط الميناء بالضفة الغربية للقناة.

وقد بدأت هيئـة قناة السويس أعـمـال حـفـر المدخل الجنوبى للمـيناء المحورى وشق المجرى للدخول إلى القناة، وقد تمت إقامة التفريعة الجديدة لخدمة المشروع العملاق، بحيث تكون قابلة للتوسع والتعميق فى المستقبل، وهى مرتبطة بقناة السويس والميناء الجديد، والتفريعة تعطى الفرصة للناقلات الكبيرة للمرور بحرية، وتستوعب حاملات وسفناً مختلفة الأوزان تصل حمولتها إلى١٨٠ ألف طن، وقد تقرر أن تتولى الدولة إنشاء الميناء المحورى وإقامة البنية الأساسية التى تقدر بنحو ٣٠٠ مليون دولار.

وقد تم توقيع عقد إنشاء وإدارة محطة حاويات بميناء شرق بورسعيد بنظام B.O.T فى ٩٩/٨/١٠. بين قطاع النقل البحرى وشركة قناة السويس

لتداول الحاويات وشركتين إحداهما هولندية والثانية دانمركية، بتكلفة ٤٨٠ مليون دولار، تشارك فيها الشركتان الهولندية والدانمركية بنسبة ٦٠٪، والنسبة الباقية للقطاع الخاص المصرى، وبتوقيع هذا العقد يتم الانتهاء من خطوات تنفيذ المرحلة الأولى من الميناء التى تضم محطة حاويات، طول رصيفها ٢٤٠٠م، بطاقة ٣,٥ مليون حاوية سنويا، ويصل طول المرور الملاحى ١٣ كم بعمق ١٨,٥م وحاجز أمواج بطول ٢٣٠٠م، وتصل مدة امتياز المشروع إلى ٣٠ عاما.

المنطقة الصناعية الحرة:

تقع المنطقة الصناعية جنوب الميناء المحورى المركزى وتطل على طريق بورفؤاد/ بالوظة، وتبلغ مساحتها ٨٧,٦ مليون م٢، وهى أكبر منطقة صناعية حرة فى الشرق الأوسط، وهى مقسمة إلى ٩ شرائح وكل شريحة مقسمة إلى ٥ وحدات، وتتراوح مساحة كل شريحة ما بين ٥ – ١٢ مليون م٢.

ويتم تخصيص الأراضى فى المنطقة الصناعية، إما لشركات التنمية الاقتصادية لها، ثم تعيد طرحها على المستثمرين. لإقامة المشروعات الصناعية. أو يتم التخصيص إلى مشروعات صناعية قائمة بذاتها، وقد تقرر حساب سعر المتر ٥ جنيهات، ويتم السداد على خمس سنوات.

وقد تم تخطيط المنطقة الصناعية، بحيث تضم مختلف أنواع الصناعات الثقيلة والمغذية والتجميعية والصناعات البحرية، وقد تم حتى ٩٩/٦/٣٠ تنفيذ ٧ مصانع، تتراوح مساحتها بين ١٥٠٠-٢٥٠٠م٢، وتنفيذ ٥ مخازن

(ترانزيت) سيتم طرحها على المستثمرين، ومن المشروعات الصناعية التى بدأ تنفيذها مصنع للحديد •وتخريد) السفن، ومصنع للحديد والصلب، ومصنع للأدوية، ومصنع لإنتاج الأسمدة كما تمت إقامة شركة تنمية الاستثمارة ٥ ملايين م٢،

بالإضافة إلى شركتين لتنمية مساحة ٢٤ مليون م٢.

المنطقة الإدارية:

تقع شرق المنطقة الصناعية على مساحة ٤,٧ كم٢، وهى تضم توكيلات وشركات الملاحة البحرية العالمية والمصرية، وفروعاً لشركات الطيران والبنوك وشركات التأمين، ومناطق ترفيهية وفنادق.

المنطقة السياحية:

تقع على ساحل البحر شرق محافظة بورسعيد بواجهة مائية ٨كم، وقد تم التخطيط لإقامة ١١ قرية سياحية، ومطار دولى لخدمة حركة السياحة والمستثمرين الخاص بالمنطقة الصناعية.

فرص جديدة للعمل:

من المتوقع أن يوفر مشروع شرق التفريعة فرصاً جديدة للعمل تصل إلى ٢٨٠ ألف فرصة عمل، موزعة على النحو التالى:

– ٢٨ ألف فرصة عمل بالميناء المحورى.

– ٤٥ ألف فرصة عمل بالصناعات الثقيلة.

– ٣٧ ألف فرصة عمل بالصناعات المتوسطة.

- ١١ ألف فرصة عمل بإصلاح السفن.
- ٤٧ ألف فرصة عمل بالصناعات الصغيرة.
- ٦٢ ألف فرصة عمل بمراكز الخدمات.
- ٥٠ ألف فرصة عمل عمالة غير مباشرة.

مشروعات البنية الأساسية :

تتولى الدولة تنفيذ مشروعات البنية الأساسية حتى تصل إلى منطقة مشروع شرق التفريعة، ويتولى القطاع الخاص تنفيذ مشروعات البنية الأساسية فى المساحات المخصصة لهم.

ومن أهم المشروعات التى بدأ تنفيذها، مشروع الطريق الدائرى شمال المنطقة الصناعية، وتبلغ استثمارات ٧٠ مليون جنيه، والطرق الإقليمية القادمة من القنطرة فى اتجاه المشروع، والطرق الخارجة من المشروع فى اتجاه شمال سيناء. كما يتم مد خط سكة حديد من القنطرة إلى العريش ماراً بجنوب المنطقة الصناعية بالإضافة إلى عمل نفق جديد، وإنشاء مطار جديد شرق بورسعيد.

وفى مجال الكهرباء والطاقة انتهت أعمال مد خطوط الكهرباء، وسوف تقام محطة كهرباء بالغاز، قدرتها ٤٥٠ ميجاوات فى المرحلة الأولى، ترتفع لتصل إلى ٦٥٠ ميجاوات فى المرحلة الثانية، بالإضافة إلى محولين شمال وجنوب المنطقة الصناعية طاقة كل منهما ٢٥٠ ميجاوات.

وقد تم مد خط مياه من محطة القنطرة شرق، إلى شرق التفريعة بطول ٢٣,٥كم لتوفير المياه لمناطق المشروع، كما تم التخطيط لإقامة مدينة سكنية بالمنطقة الصناعية، تستوعب نصف مليون مواطن على مساحة ٤,٥ كم.

خامسا: مشروع تنمية شمال غرب خليج السويس

يعتبر مشروع تنمية شمال غرب خليج السويس، أحد مشاريع التنمية المتكاملة العملاقة، التى تنفذها مصر شمال خليج السويس، حيث تتمتع هذه المنطقة بمناخ معتدل، وموارد أرضية، وثروات معدنية، ومقومات الجذب السياحى، فضلا عن موقعها المتميز الفريد، على ممر ملاحى دولى، مما يتيح للمنطقة أن تكون مركزاً لخدمة التجارة الدولية، ولأنشطة صناعية وتجارية وخدمية.

الموقع:

تقع منطقة المشروع شمال غرب خليج السويس عند تقاطع طريق السويس/ الزعفرانة مع طريق العين السخنة/ القطامية، وتبعد عن مدينة السويس بمسافة ٤٤كم، وعن القاهرة بمسافة ١٠٠كم، وتضم مساحة حوالى مليون فدان، تمثل المسطحات المائية نحو نصفها.

الأهداف:

يهدف المشروع إلى خلق مجتمعات جديدة جاذبة للسكان، واستغلال الموارد الطبيعية بالمنطقة، وإقامة منطقة صناعية حرة، وميناء عالمى.

ويساهم هذا المشروع فى تحقيق الأهداف التالية:

- الاستفادة من القرب من موانئ السويس والأدبية، والمينائين الصناعى والتجارى، الجارى إقامتها بالعين السخنة.

- استغلال الخامات التعدينية وأهمها البترول، مما يوفر إمكانية إقامة صناعات تعدينية وبترولية.

- إقامة مجتمع عمرانى متكامل، يستوعب نحو ٢,٥ مليون نسمة، ويضم مناطق الأنشطة الصناعية والاقتصادية، إضافة إلى مناطق إقامة العاملين بهذه المشروعات وأسرهم، وتوفير الخدمات الاجتماعية اللازمة لهم.

- تخصيص مواقع للصناعات الثقيلة بحيث تكون منفصلة عن المناطق السكنية، وتخصيص مناطق الخدمات السياحية بموازاة الاستخدامات السياحية المطلة على خليج السويس.

ويبلغ حجم الاستثمار المتوقع فى شروع شمال غرب خليج السويس نحو ١٥٠ مليار جنيه، ويهدف المشروع إلى إقامة نحو ٢٠٠ مصنع عملاق، وتوفير فرص جديدة لنحو ٦٠٠ ألف عامل، وتوطين نحو ٢,٥ مليون فرد.

المنطقة الاقتصادية الحرة:

تقع المنطقة الاقتصادية غرب خليج السويس، على مساحة ٢٣٣ كم٢ وتنقسم إلى جزءين: الجزء الأول شمال طريق القطامية، وتبلغ مساحته ١٤٤ كم٢ والجزء الثانى جنوب طريق القطامية ومساحته حوالى ٨٩ كم٢.

وقد تم البدء فى تنفيذ الجزء الجنوبى للمشروع، فى عام ١٩٩٨ لإقامة منطقة صناعية كبرى حرة تضم مشروعات صناعية وتجارية، وقد تم تقسيم هذا الجزء إلى أربع قطاعات، مساحة كل قطاع حوالى ٢٢ كم٢.

وقد تم توزيع هذه القطاعات، على أربع شركات خاصة هى:

(أ) الشركة المصرية الصينية:

يبلغ رأسمالها ٧٠ مليون دولار بنسبة مساهمة ١٠٪ للجانب الصينى و٩٠٪ للجانب المصرى، والمشروعات المخطط لإقامتها بمنطقة الشركة، تشمل مجمعاً للبتروكيماويات، بطاقة ٤٥٠ ألف طن، وسوف تقيمه مجموعة شركات أمريكية باستثمارات قدرها ٩٠٠ مليون دولار، وكذلك معمل لتكرير البترول تقيمه شركة أمريكية، ومشروع لإنتاج سماد الأمونيا، ومشروع لصهر وتشكيل المعدات، ومشروع لمواسير الصلب، بالإضافة إلى ٣ مشروعات فى مجال الصناعات الخفيفة تتم دراستها.

(ب) شركة تنمية خليج السويس:

وحددت دراسات الجدوى أربع قطاعات صناعية، هى صناعة الحديد والصلب، والبتروكيماويات، وصناعة السيارات، وصناعة الإلكترنات والأجهزة المعمرة، وتبلغ قيمة الإنتاج السنوى المتوقع ٣,٩ مليار دولار منها ١,٣ مليار دولار صادرات، ومن المتوقع أن يبدأ الإنتاج فى الربع الأخير من عام ٢٠٠٠ .

(جـ) شركة الدورادو:

النشاط المستهدف للشركة سيشمل مجالات صناعات الإلكترونات والسيراميك والاتصالات والتراكتورات، إلى جانب إنشاء منطقة إدارية وخدمية كبرى، تضم فنادقاً وبنوكاً ومراكزاً تجارية، وتشمل المرحلة الأولى

للشركة إنشاء مصنع لإنتاج البورسلين. وإقامة مصنع للأسمنت عام ٢٠٠٠ وآخر للصناعات التكنولوجية المتطورة.

(د) شركة السويس للتنمية:

وقد بدأت الشركة في تنفيذ أربع مشروعات، هي مصانع السماد، والسيارات، والاتوبيسات، والخرسانة الجاهزة، وتقوم الشركة بمد المرافق الأساسية لمساحة ٥ ملايين م٢ كمرحلة أولى خلال ستة أشهر.

ميناء العين السخنة:

يقع في مواجهة الجزء الجنوبي لطريق القطامية/ العين السخنة يواجهه على خليج السويس بطول ٥كم، وعمق برى ٦كم، ويتكون الميناء من أربع أحواض عمق الحوض ١٧م وتبلغ الطاقة الإجمالية للميناء، بعد تنفيذ الأحواض الأربعة سعة ٣٦ سفينة، حمولتها تصل إلى ١٣٠ ألف طن.

ويجرى حالياً تنفيذ الحوض الأول، والممر المائي المؤدى إلى هذا الحوض، بتكاليف ٦٥٠ مليون جنيه، ويستوعب سفن الحاويات حتى الجيل الرابع. تبلغ تكلفة أعمال البنية الأساسية للميناء نحو ٤٠ مليون جنيه، وتقوم شركات أمريكية وهولندية وبلجيكية، بأعمال الحفر والممر الملاحى (التكريك) وحواجز الأمواج والمساعدات الملاحية ومن المقرر أن تنتهى هذه الأعمال في نهاية مايو ٢٠٠٠.

وقد اعتمدت الدولة ٩٦٠ مليون جنيه لمشروع تنمية شمال غرب خليج السويس، منها ٣٠٣ ملايين جنيه للبنية الأساسية، ٦٤٧ مليون جنيه للمرحلة الأولى لميناء العين السخنة و١٠ ملايين جنيه للدراسات الفنية.

مشروعات البنية الأساسية:

يجرى العمل فى ازدواج طريق السويس/العين السخنة، حيث تم الانتهاء من مساحة ٢٤ كم من إجمالى الطريق، بطول ٤٤كم، وطريق المعادى/القطامية / العين السخنة، ويتم حالياً تحديد مسار خط السكة الحديد الممتد من القاهرة/السويس، إلى المشروع.

كما تم إنشاء سنترال سعة ٩٠٠ خط بقرية مجاورة للميناء الجديد، وتم الانتهاء من إنشاء محطة كهرباء بطاقة ٤٠ ميجاوات، ويتم الإعداد لإنشاء محطة محولات دائمة بجهد ٢٢٠ ميجاوات بتكلفة استثمارية ٦٥ مليون جنيه، بنظام التأجير التحويلى ويجرى إنشاء محطة تجارية أخرى ٦٥٠ ميجاوات، بتكلفة استثمارية ٥٠٠ مليون دولار، ينتهى العمل فيها عام ٢٠٠٢، وقد أدخلت الحكومة بالفعل خط مياه بطول ٥٠ كم بطاقة ١٥٠ ألف م٣ يومياً، ومتاح حالياً ٣٠٠٠ م٣ يومياً لأغراض الإنشاءات.

سادسا: توشكي ،، ترعة الشيخ زايد

بدأ العمل فى مشروع ترعة الشيخ زايد فى التاسع من يناير عام ١٩٩٧ وتشمل المرحلة الأولى للمشروع - التى يستغرق تنفيذها أربع سنوات - شق الترعة الرئيسية بطول ٥٠ وإقامة محطة الرفع العملاقة.

ويحظى هذا المشروع باهتمام خاص من الرئيس مبارك، الذى يحرص على متابعة سير العمل به، حيث قام الرئيس بزيارة مواقع العمل، ومنطقة جنوب الوادى، تسع مرات منذ بدء هذا المشروع العملاق.

الأهـداف :

يهدف مشروع ترعة الشيخ زايد إلى بناء دلتا جديدة جنوب الوادى، وخلق مجتمع عمرانى متكامل الجوانب، يستوعب نحو ٦ ملايين نسمة، تسبقهم المشروعات القادرة على إعاشتهم وتوفير فرص العمل فى مجالات الزراعة والصناعة والتعدين والسياحة.

وتمثل ترعة الشيخ زايد اللبنة الأولى للمشروع، فهى الشريان الذى سيحمل حوالى ٥ مليار م٣ من مياه النيل سنوياً لزراعة حوالى ٥٤٠ ألف فدان بمنطقة توشكى والوادى الجديد فى المرحلة الأولى للمشروع.

الترعة الرئيسية:

تتولى الدولة تنفيذ الترعة الرئيسية بطول ٥٠كم، مع دليل فرعى ١ و ٢ بطول ٢٢ كم.. ودليل فرعى ٤,٣ بطول ١٩,٥ كم و٤ فروع تبلغ أطوالها ١٥٤ كم ويتم العمل فيها على مراحل. ويبلغ قاع الترعة ٣٠ متراً وعمقها ٦ أمتار، وهى مبطنة بطبقة من المواد العزلة لمنع تسرب المياه، ويحيطها رصيفان عرضهما ٨ أمتار، وضفتان يبلغ عرضهما ٢٠ متراً، ويتفرع من هذه الترعة أربع قنوات فرعية رئيسية.

- وكانت الأعمال المنفذة خلال الفترة من ٩٧/١/٩ حتى ٩٩/٦/٣١ على النحو التالى:

١ - المرحلة الأولى (من الفم حتى الكيلو ٣٠).

- تم الانتهاء من أعمال الحفر ٢٣,٥ كم فى المساحة من حوالى الكيلو ٣ إلى الكيلو ٣٠ وبلغت مكعبات الحفر ١٧ مليون م٣، من الأتربة والصخور والردم ٧٦٢ ألف م٣.

- تم الوصول إلى المناسيب التصميمية بطول ١٨,٥ كم ويجرى أعمال الأرنكة والتجهيز فى مسافة ٥ كم.

تم أعمال التبطين بالرمل المثيت بطول ١٨,٥ كم من البر الأيمن والأيسر للترعة ومسافة ١٤,٥ كم من القاع.

- تمت أعمال التبطين بالخرسانة بواسطة ماكينتى التبطين لمسافة ١٧ كم بالبر الأيمن والبر الأيسر للترعة الرئيسية و٢ ، ٧ كم من القاع.

- الانتهاء من إنشاء طريق يربط موقع محطة الرفع الرئيسية بطريق أسوان / أبى سمبل بطول ٤٥ كم.

- تم تنفيذ ١٧ بئراً انتاجياً و١١ بئراً اختبارياً بالإضافة إلى بئر مبارك وإنشاء شبكة الرى المطور عليه.. وقد بلغت قيمة جملة الأعمال المنفذة فى هذه المرحلة الأولى حتى سبتمبر ٩٩ مبلغ ٩١٦٦٦,٨ مليون جنيه مصرى.

٢ - المرحلة الثانية من الكيلو ٣١ حتى ٥٠,٨ :

وقد بلغت جملة مكعبات الحفر من الترعة العادية ٨,٦ مليون م٣ ومن حفر الصخور ٩,٦ وجملة التكوين والردم ١١٠ ألف م٣.. وبلغت قيمة جملة الأعمال المنفذة فى هذه المرحلة حتى ٩٩,٩ مبلغ ١٣٨ مليون جنيه.

محطة الرفع العملاقة:

محطة رفع ترعة الشيخ زايد هى أضخم لرفع المياه فى العالم. وهى تقع على الضفة اليسرى من بحيرة ناصر على بعد كم شمال خور توشكى، وتبلغ مساحة حوضها (٣٥٠م×٣٥٠م) بعمق ٦٠م، وطولها ١٤٠م والعرض ٤٠م، وارتفاع المحطة ٦٠م منها ٥٠م تحت سطح الماء.

ويتراوح مستوى رفع المياه بواسطة هذه المحطة من ٥٣٠م-٢٢م)، وهى مصممة بطريقة تضمن السحب الآمن عند مختلف مستويات تخزين المياه ببحيرة ناصر. ويبلغ أقصى تصرف للمياه بالمحطة ٣٠٠م٣/ث، بمعدل ٢٥ مليون م٣ من المياه فى اليوم، وتبلغ الطاقة اللازمة لتشغيل المحطة عند أقصى سعة للرفع حوالى ٣٧٥ ميجاوات/ساعة.

وقد بدأ الحفر في موقع المحطة في ١٩٩٨/٦/١، بواسطة حفار عملاق، وبلغت معدلات الحفر ٥ آلاف متر مكعب أسبوعياً، حيث يعمل الحفار تحت الماء بعمق يصل إلى ٥٠ متراً، وتبلغ كميات الحفر المتوقع إزالتها من قناة المأخذ بطول ٤,٥ كم (منها ٣كم تحت الماء) نحو ٤ ملايين م٣، ومن المقرر الانتهاء من إنشاءات المحطة وتشغيلها منتصف ٢٠٠٢.

حجم الاستثمارات المنفذة:

تبلغ التكاليف الكلية لمشروع ترعة الشيخ زايد حوالى ٥,٨ مليار جنيه، منها ٤ مليارات جنيه للترعة الرئيسية، وحوالى ١,٨ مليار جنيه لمحطة الرفع الرئيسية.

ويبلغ حجم الاستثمارات المنفذة بالترعة الرئيسية، ومحطة الرفع الرئيسية، ومحطة المحولات وخطوط التغذية بالكهرباء.

مشروعات البنية الأساسية:

ساهم مشروع ترعة الشيخ زايد والدلتا الجديدة بتوشكى، فى تنفيذ عدد من مشروعات البنية الأساسية، التى ستؤهل منطقة الوادى الجديد لاستقبال مشروعات التنمية الزراعية والصناعية والسياحية والتعدينية.

ومن أهم المشروعات المنفذة والجارى تنفيذها مايلى:

- **فى مجال الكهرباء والطاقة**: يجرى تنفيذ محولات توشكى العملاقة (جنوب أسوان) بجهد ٦٦/٢٢٠ ألف كيلو ڤولت وطاقة قدرها ٢٥٠ ألف كيلو ڤولت، ومشروع محطة ربط أسوان جهد ١٣٢/٢٢٠ كيلو

ڤولت، وخط أسوان/ الإصلاح/ توشكى مزدوج الدائرة جهد ٢٢٠ ك.ف بطول ٢٧٠كم ويشمل ٨٠٠ برج برج ضغط عال، ومحطة محولات أبو سمبل جهد ٦٦/٢٢ك.ف.

- **في مجال النقل والمواصلات**: تم إنشاء طريق توشكى/ العوينات بطول ٢٢٠ كم وتكلفة ٦٧ مليون جنيه، ورصف الطرق المؤدية لمناطق العمل بالمشروع بطول ٥٣ كم والطريق إلى درب الأربعين بطول ٢٢٦ كم وإلى مزرعة العوينات بطول ١٤٤ كم.

كما تم افتتاح خط السكك الحديدية الخارجة/ قنا بطول ٤٥٠كم. وخط قنا/ سفاجا بطول ٢٣٠كم، وخط الخارجة / باريس بطول٤٥ كم وتم إنشاء مطار العوينات ومطار الداخلة وتطوير مطار أبو سمبل، وإنشاء ٢٤ ألف خط تليفوني موزعة بمنطقة المشروع.

الاستثمار الخاص والدلتا الجديد:

تحرص الدولة على جذب الاستثمار الخاص إلى منطقة جنوب الوادى، للمساهمة في مشروعات التنمية في مشروعات التنمية الزراعية والصناعية والسياحية والتعدين، وتعمير هذه المنطقة الواعدة.

ونذ البدء في مشروع ترعة الشيخ زايد وحتى الآن تم تخصيص مساحة قدرها ٣٤٠ ألف فدان لشركات استثمارية، بمنطقة توشكى، وذلك على النحو التالي:

- تم تخصيص مساحة ١٢٠ ألف فدان، على الفرع الزول من ترعة الشيخ زايد، لشركة استثمارية سعودية.

ظ تم الفرع الثانى من الترعة، لشركات استصلاح الأراضى المصرية.

- تم تخصيص مساحة ١٠٠ ألف فدان على الفرع الثالث للترعة للتنمية الداخلية.

توشكى .. المشروع القومى يقدم نمـوذجاً متكاملا

لحياة جديدة على أرض مصر

سيظل يوم التاسع من يناير دائماً وأبداً علامة تاريخية وشاهداً على الأمجاد التى حققها شعب مصر العظيم فى القرن العشرين.. فهو اليوم الذى شهد إعطاء الرئيس جمال عبدالناصر إشارة البدء فى تنفيذ مشروع السد العالى عام ١٩٦٠, . وهو نفس اليوم الذى شهد إعطاء الرئيس محمد حسنى مبارك إشارة البدء لتنفيذ وادى النيل الجديد عام ١٩٩٧, .

وكما قال الرئيس محمد حسنى مبارك فى الاحتفال التاريخى والذى أقيم فى توشكى: «إن هذا يوم من أيام التاريخى تدخل فيه مصر عصراً جديداً، عصر الخروج من الوادى الضيق إلى رحاب مصر كلها سعياً إلى أفضل يشرق ضياؤه على كل المصريين.من هذه البقعة الطاهرة على أرض الوطن تبدأ الآن ملحمة جديدة من ملاحم العمل الوطنى تفتح للمستقبل آفاقاً مشرقة، وتواصل مع تاريخ شعب عظيم صناعة الحضارة والبناء».

إن مصر تعيش أزهى عصورها القويم والاهتمام بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتكامل بنيتها الأساسية. واليوم ونحن على مشارف

القرن الجديد يتطلب ذلك ذلك من كل مصرى بصفة بصفة والشباب بصفة خاصة.. أن ينهلوا من المعارف لأننا نعيش عصر المعارف بمفهومها الواسع وعلينا جميعاً وفى إطار جهود الدولة المتواصلة ومجهودات السيدة الفاضلة/ **سوزان مبارك** التى تولى رعاية خاصة للأطفال والشباب وتساعدهم على تنمية عقولهم حتى تصل إلى المستوى المتكامل فى الفكر والمعلومات والطموح والمستقبل...

فإذا كان الطعام هو غذاء الإنسان حتى يعيش ويؤدى عمله بانتظام... فإن الكتاب هو غذاء العقل الذى يعمل على تغذية شرايين العقل بالمعلومات الثقافية المتكاملة ظ ومن خلال مهرجان القرادة للجميع ومكتبة الأسرة وفى عامها الخامس فالدعوة عامة لجميع الأسر المصرية بما فيها الأب.. والأم.. والأبناء لنعيش جميعاً عصر سماته ثورة المعلومات وثورة المشروعات القومية العملاقة وثورة الانفجار المعرفى الذى تحتوى عليه مكتبات الأسرة المنتشرة فى جميع أنحاء مصر.

وفى دراسته القيمة بعنوان :

«توشكى.. أرض الآباء.. مستقبل الأبناء»

يقول : د. محمد ندا :

إن الأيام تمضى وصفحات التاريخ تسجل والعالم من حولنا يساير التغيرات السريعة وهدف كل المصريين واحد وهو تحقيق نهضة شاملة فى جميع المجالات .. الزراعية - والاجتماعية - الصناعية - الاقتصادية - والسياحية حتى نستطيع أن نتحول إلى دولة متقدمة قوامها إقامة البنية الأساسية التى تصلح لمشروعات إنتاجية كبرى تستطيع جذب الاستثمارات إليها وأن تكون قادرة على المنافسة فى ظل مايسمى بالعولمة Globalizetion والتى تعنى القضاء على جميع الحواجز التجارية بين الدول وأن يكون العالم كله سوق متكامل يشمل على منتجات ذات مقاييس ومواصفات عالمية يتم إنتاجها طبقاً لرغبات المستهلكين والعمل على الوصول إلى أقصى إشباع لهم.

أولا: الجوانب الاجتماعية لمشروع تنمية جنوب الوادى:

إننا نهدف إلى كشف بعض القضايا الاجتماعية المرتبطة بمشروع تنمية جنوب الوادى ويمكن تركيز هذه القضايا على ثلاث نقاط أساسية:

١ - نمط الاستيطان:

وهذا النمط يعنى أننا يجب أن نعد برامج التوعية اللازمة لدعم العنصر البشرى والذى هو أساس عملية التنمية لأن عملية زراعة المواطن داخل الأرض الجديدة هى الأساس قبل محاولة نفسها لأن العنصر البشرى أو ما يطلق عليه رأس المال البشرى والذى يعنى الاهتمام بالتنمية الاجتماعية لصالح الأبناء ومستقبل الأجيال فيجب أن تقوم بعمل قوافل مستمرة ومعسكرات عمل على مستوى شباب مصر وجميع محافظاتها، تعيش وتعمل فى منطقة توشكي وأن يخصص قطع أرض توزع على طلاب الكليات حتى نستطيع الاستفادة من الاستيطان الحقيقى لهذه الرقعة الغالية من أرض مصر.

٢ - البنية الاجتماعية الأساسية:

حتى يكون هناك استيطان يجب أن يكون هناك مجتمع متكامل من حيث البنية الأساسية وكافة المرافق الاجتماعية والعمل على بناء المستشفيات والمدارس والأسواق والمجتمعات المتكاملة وصولاً إلى التنمية الاجتماعية الشاملة من خلال تكامل جهود كافة الجهات والوزارات المعنية وعن طريق تعاون جميع الأطراف للنهوض بالنواحى الاجتماعية اللازمة لعملية الاستيطان فنحن نريد استصلاح الأراضى ثم بعد ذلك يكون استزراعها وكذلك حتى تنشأ المجتمعات العمرانية المتكاملة.

٣ - مشكلات المجتمع المتوقع إقامته :

من أهم ملامح التخطيط الاستراتيجى والذى تنتجه مصرنا الحبيبة أن يكون هناك دراسة لجميع المشكلات المتوقع حدوثها ثم إيجاد الأساليب العلمية لحل مثل هذه المشكلات وخاصة القضاء على المشكلات التى تؤدى إلى الاستقرار الاجتماعى داخل المجتمع.

والاهتمام بهذه النقاط الثلاثة السابقة هى المحاور الأساسية التى من خلالها سيتم الاستفادة من الدعم الاجتماعى للمشروع حتى نصل إلى:

(أ) إقامة مجتمعات عمرانية مستقرة على الزراعة والصناعة والتعدين بالإضافة إلى الأنشطة الأخرى لتكون قاعدة جذب الأيدى العاملة والاستقرار البشرى الذى يعمل على تخفيف عبء التكدس بالوادى والدلتا وكذلك مجابهة متطلبات الأجيال القادمة.

(ب) جذب رؤوس الأموال والمستمرين لإقامة المشروعات المختلفة.

(جـ) توفير فرص عمل جديدة للشباب مما يقلل من نسبة البطالة وذلك لأن مشكلة البطالة تعد من المشاكل الهامة والملحة فى الآونة الأخيرة ولها انعكاسات على المجتمع المصرى.

ثانياً: الجوانب الاقتصادية لتنمية جنوب الوادى:

يمكن إيجاز أهم الجوانب الاقتصادية فى النقاط الآتية:

١ - إن منطقة توشكى بها وفرة فى المواد الخام وغنية بالخيرات التى أنعم الله بها على تلك المنطقة من أرض مصر.

٢ ـ إن مشكلة البطالة لها انعكاسات تعرقل سير حركة التنمية والحكومة تحاول جاهدة إلى حل هذه المشكلة والتقليل منها وذلك عن طريق جذب الشباب للعمل فى المشاريع العملاقة التى سوف تقام على هذه الرقعة من ربع مصر.

٣ ـ إن ا لعمل على إنشاء بنية أساسية خاصة بالنقل والانتقال والمواصلات والاتصالات والطاقة له آثاره الإيجابية والاقتصادية للنهوض بالمنطقة ودعم مسيرة العمل الاقتصادى القومى.

٤ ـ إنشاء حزمة من الأشجار الضخمة تساعد على تلطيف الجو وسد الرياح والاستفادة بالأخشاب اقتصاديا.

ومما سبق يتضح أن مشروع توشكى من الجانب الاقتصادى يساعد على زيادة الصادرات من الحاصلات الزراعية وكذلك التقليل من الواردات بكافة صورها وبشكل مباشر أو غير مباشر نظراً لأن مصر تعتمد بدرجة كبيرة على الواردات لسد احتياجاتها من الغذاء والمواد الأولية على دعم الأمن الغذائى.

ونظراً لأن المساحة الزراعية فى مصر بعد هذا المشروع العملاق تصل إلى ٢٥ ٪ من مساحة مصر وهذا له دور اقتصادى هام ويتطلب معه إنشاء مطارات جديدة بوادى توشكى لتصدير المحاصيل الزراعية والصناعية الزراعية مما يساعد على فتح مجال للتجارة الدولية بين مصر والعالم الخارجى.

ونظراً لأن مشروع جنوب الوادى سوف يستغل مساحات كبيرة من الأراضى فإننا سوف نستفيد من هذه الأراضى باستزراعها والحصول على

محاصيل نظيفة خالية من المؤثرات البيئية ويتوافر فيها المواصفات التصديرية الجيدة.

تكلفة الفدان:

ينبغي لنا أن نؤكد على اتباع سياسة زراعية محددة للتنمية في ضوء الموارد المحددة للتنمية وخصائص معينة للتربة ودرجة الحرارة المناسبة للمحاصيل وقد وضعت تقديرات لتكلفة الفدان تصل من ٢٠ : ٢٥ ألف جنيه للفدان وحوالى ٢٥٠٠ جنيه تكلفة الفدان فى رفع المياه من الترعة.

العمالة اللازمة ومدى توفير مواقع الاستقرار المتاحة:

(أ) انتهت اللجنة الاستشارية للمشروع القومى لتنمية أراضى ترعة الوادى الجديد والتى تضم وزارات الدفاع والكهرباء والأشغال والصناعة والحكم المحلى والزراعة واستصلاح الأراضى من إمكانية إنشاء ١٠٠ قرية لتسكين المواطنين الذين سيقومون بأعمال الاستصلاح للمساحة المقررة على الترعة فى المرحلة الأولى وسيتم تحديد أمام القرىَ بعد الانتهاء من تصنيف التربة الذى تقوم به وزارة الزراعة وكذلك تحديد أماكن المساحات المقررة للاستصلاح والزراعة.

(ب) وتعد هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة حالياً لبدء الخطوات التمهيدية لإنشاء ١٨ مدينة جديدة فوق مساحة ٨٠٠ ألف فدان بمنطقة توشكى وتبلغ مساحة المدينة الواحدة نحو ٣٥ ألف فدان تتفاوت طبقاً لموقعها ونوعية نشاطها من المواقع المختارة فى الخريطة الاستثمارية لإقامة محطات المرافق المختلفة .

(جـ) يضم تخطيط كل مدينة جديدة كافة مواقع الخدمات المتنوعة اللازمة بها.

(د) من المتوقع أن يكتمل بناء هذه المدن عام ٢٠١٧ ومن المتوقع أن تضم حوالى ١٥٠ إلى ٢٠٠ ألف وحدة إسكان اقتصادى تقيمها هيئة المجتمعات الجديدة. وقد تستوعب المدينة حوالى ٣,٥ مليون نسمة، وتتاح فيها ما لا يقل عن ٧٠٠ ألف فرصة عمل جديدة.

المدن الجديدة المقرر إنشاؤها:

١ - **توشكى:** تقع المدينة على مساحة ٣٥ ألف فدان وتشغل الكتلة العمرانية ٢٥٠٠ فدان تستوعب ما بين ٥٠-١١٠ ألف نسمة.

٢ - **بئر مر:** تقام المدينة على مساحة ٣٥ ألف فدان وتشغل الكتلة العمرانية ٢٥٠٠ فدان وتستوعب ما بين ٦٠-١٠٠ ألف نسمة.

٣ - **شرق العوينات:** تقام المدينة على مسطح ٣٥ ألف فدان وتشغل الكتلة العمرانية ٢٥٠٠ فدان وتستوعب ما بين ٢٠٠-٣٠٠ ألف نسمة.

٤ - الداخلة: تشغل المدينة مسطح ٤٠ ألف فدان وكتلتها العمرانية تبلغ ٣٥٠٠ فدان تستوعب ما بين ١٠٠-١٤٠ ألف نسمة.

٥ - ديروط/الفرافرة: تقام المدينة على مساحة ٢٥ ألف فدان وتشغل الكتلة العمرانية مسافة ١٥٠٠ فدان وتستوعب من ٣٠ إلى ٦٠ ألف نسمة.

٦- **الفرافرة الجديدة:** تقام المدينة الجديدة بها على مساحة ٤٠ ألف فدان وتبلغ مساحة الكتلة العمرانية ٣٥٠٠ فدان وتستوعب ما بين ١٠٠ إلى ١٤٠ ألف نسمة.

ومما لا شك فيه أن معظم العمالة الفعالة للمشروع سوف يتم توفيرها من سكان محافظات الجنوب أولاً (أسوان - وقنا - وسوهاج - والواحات الخارجة) ولذلك يجب إعداد مراكز لتدريب الخريجين من ذوى المؤهلات المتوسطة للتدريب على تشغيل المعدات التى تنطوى على تكنولوچيا متقدمة وكذلك إمداد الصيانة اللازمة لضمان استخدام هذه التكنولوچيا بأعلى كفاءة ممكنة.

وختاماً فإن الدراسات الخاصة بالجدوى الاقتصادية للمشروع أكدت على أن العائد الاقتصادى يصل إلى ١٣ ٪ وهذه النسبة تعتبر أكثر من جيدة حيث أن البنك الدولى قد حدد النسبة فوق ١٠ ٪ عائداً اقتصادياً جيداً وأن أقل من ١٠ ٪ يكون المشروع غير جدوى وهذه شهادة دولية للمشروع.

وكذلك فإن إمكان استغلال المشروع القومى للتنمية جنوب الوادى فى سحب تراكمات الطمى من الجزء الجنوبى لبحيرة ناصر نحو أراضى الوادى الجديد.

ولدعم التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمشروع يجب العمل على تحفيز العاملين فى المشروع من حيث الرواتب وفرص التدرج الوظيفى والسكن وتمليكهم لقطع مناسبة من الأراضى الزراعية بالقرب من مقار سكنهم بالإضافة إلى توفير سبل العلاج لهم بصفة مستمرة.

إن وزارة الكهرباء تقوم بإنشاء الشبكة الكهربائية المغذية للمشروع بإقامة محطة محولات توشكى العملاقة جهد ٦٦/٢٢٠ كيلو فولت وبطاقة ٢٥٠ ألف كيلوفولت قابلة للتوسع بمحول ثالث طاقته ١٢٥ ألف كيلوفولت.

ولتسهيل اتصال العاملين فى نوقع توشكى تم تركيب محطة للاتصالات محلية وخارجية.

المجال الصناعى:

١ ـ يمكن إقامة المشاريع الصناعية التى تعتمد على الإنتاج الزراعى حيث يتم تجهيز المنتج الزراعى للتصدير.

٢ ـ نظراً لأن المنطقة غنية بالناحية التعدينية، يمكن إقامة المصانع التى تقوم على استغلال المواد التعدينية فى الإنتاج.

المجال السياحى:

سوف يتم إنشاء بحيرات صناعية تصلح بأن يقام حولها نشاط سياحى وترفيهى مما يزيد من المناطق السياحية بمصر.

وقد أكد السيد الدكتور رئيس الوزراء على أنه يوجد فى مصر ٩٣٠ منطقة أثرية فرعونية ـ و٢١ منطقة أثرية يونانية ورومانية ـ و٨٤٠ منطقة قبطية وإسلامية.. وعندما نخرج إلى الوادى الجديد سوف نتوقع الجديد من السائحين.

المجال التعليمى:

إن هذا المشروع سوف يتيح لمصر إنشاء الكثير من الجامعات والمعاهد تضم إلى الجامعات المصرية تشمل جميع التخصصات، الهندسة ـ الطب والتجارة والزراعة والعلوم... إلخ لسد الكثير من احتياجات السكان والقضاء على الأمية لتستقبل مصر آفاق القرن الحادى والعشرين بثورة فى التعليم تتفق مع متغيرات وتكنولوچيا العصر.

مجال التسويق والنقل:

اهتمت الدولة فى الآونة الأخيرة بالتسويق فى الدول الأوروبية الافريقية ومن منطلق إزالة الحدود التجارية بين الدول بعضها البعض ومن أجل أن يواكب هذا المشروع العملاق التغيرات العالمية.

١ ـ تركيز الاهتمام لدعم الصادرات المصرية للدول الإفريقية والأوروبية.

٢ ـ الاهتمام بإنتاج ما يتم تسويقه وليس تسويق ما يتم إنتاج بمعنى طبقاً لرغبات المستهلكين فى الداخل أو فى الخارج.

٣ ـ العمل على إنشاء مطارات تساعد على حركة التجارة العالمية بين مصر وباقى دول العالم لتدخل مصر منظومة السوق العالمى.

والخلاصة: فإن جميع النقاط السابق الإشارة إليها فى هذا الفصل تساعد على دعم التنمية الاجتماعية والاقتصادية والستفادة من أهم مشاريع مصر وهى فى استقبال قرن جديد باستراتيجية جديدة وخطة متكاملة.

ملحمة بناء جديدة:

وفى حقيقة الأمر فإن إعطاء الرئيس محمد حسنى مبارك إشارة البدء فى نشروع تنمية جنوب الوادى فى يوم التاسع من يناير الحالى يعنى أيضاً وكما أكد الرئيس مبارك فى خطابه أنه اليوم الذى يخوض فيه الشعب المصرى ملحمة بناء جديدة تمثل مدخله الصحيح إلى القرن الحادى والعشرين وسنده القوى لمواجهة تحديات عصر قادم والجسر الذى يمكن أن تعبره مصر إلى مستقبل زاهر تنتشر فيه الحياة والعمران خارج حدود وادى

النيل وتستثمر إمكانات مصر كلها وتخلق فوق هذه الفيافى المقفرة مجتمعاً جديداً أكثر تقدماً، يوفر لملايين المصريين حياة أفضل..

لقد تواصلت على مر الزمان روح مصر الوثابة تدفع أجيالها جيلاً وراء جيل للاحتشاد وراء جهد إنسانى خلاق ليسفر ذلك عن إنجاز عبقرى لهذا الشعب العظيم يقترب من المعجزات ويذهل العالم كله ويحفظ لمصر ريادتها ومكانتها وطناً للحضارة ومنارة للتقدم وحصناً للسلام.. ويستكمل الرئيس مبارك حديثه تظهر من جديد، تدعو المصريين إلى الاحتشاد وراء مشروع قومى عملاق وتنادى كل مصرى كى يشارك فى ملحمة بناء مجيدة تتواصل مع تاريخ أمة أنجزت الكثير من المعجزات»..

الكلمة الأخيرة.. للعلم والحقيقة:

إن تنفيذ مشروع وادى النيل الجديد هو أمر حتمى تمليه ضرورات المستقبل حتى يمكن للشعب المصرى الانطلاق خارج حدود الوادى الضيق الذى عاش فيه قروناً طويلة حتى ضاق بكثافته السكانية المرتفعة ولم يعد فى إمكانه أن يستوعب طموحات مصر فى غد أفضل..

وكا أشار الرئيس مبارك إلى أنه بعد الانتهاء من مراحل عديدة لتنمية الوادى القديم أصبح من الضرورى إعطاء إشارة البدء فى حفر هذا الشريان المائى الذى يحمل مياه النيل إلى أرض الوادى الجديد وذلك للاستجابة لمتطلبات مرحلة جديدة من مراحل العمل الوطنى..

وقال الرئيس مبارك: «إننا إزاء مشروع قومى عملاق ولم نكن فى عجلة من أمرنا بل كانت الكلمة الأخيرة للعلم والحقيقة وكان التقييم الاقتصادى

الدقيق هو العامل الحاسم فى حساب جدوى المشروع وفائدته.. كى نضمن أن يكون القرار فى مشروع ضخم على هذا النحو.. قراراً موضوعياً صائباً مبنياً على الحقائق العلمية الدقيقة والمعلومات الموثقة والرؤية المتكاملة التى تغطى كل جوانب المشروع وتحيط بكل أبعاده..

وأكد الرئيس مبارك أنه قد ولى ومضى زمن عهد اختيار المشروعات وإنجازها لأسباب سياسية لا تضع فى حسابها رؤية الخبراء المختصين أوتهدر الحساب الاقتصادى للمشروع أو تتجاهل التقييم العلمى لجدواه..

وقال الرئيس مبارك:

«ولقد دقت ساعة العمل الوطنى من جديد وآن الأوان لعطاء أمة ناهضة كى ننطلق بالوطن إلى مشارف مرحلة جديدة فى قرن جديد يحمل لكافة الأمم والشعوب من التحديات بقدر ما تملك من قدرات.. ونحن أمة قادرة لا تبخل بجهد ولا تضن بعطاء تستمد العزم من الإيمان بالله وتعمرها ثقة كاملة بقدرتها على صنع مستقبل آمن ينشر الخير على كل بقعة من أرض الوطن».

الوثيقة التاريخية لبدء المشروع:

وفى الاحتفال التاريخى بإعطاء الرئيس مبارك إشارة البدء لمشروع تنمية جنوب الوادى قام الرئيس مبارك بإزاحة الستار عن اللوحة التذكارية للمشروع والتى تنص على أن الرئيس مبارك يعلن البدء فى المشروع وتتضمن النص التالى:

«إننا نطمح فى إنشاء دلتا جديدة فى الصحراء العربية تتيح لنا أن نزرع مساحة تقدر بنصف مليون فدان فى المرحلة الأولى ترويها مياه النيل

ولكى نضع المشروع القويم ترويها مياه النيل.. ولكى نضع هذا المشروع القومي العملاق موضع التنفيذ.. فإننى أدعو الحكومة إلى البدء فوراً وبكل العزم والجد فى إنشاء قناة شمال مفيض توشكى باعتبارها مدخلاً لإنجاز هذا المشروع العملاق..

إن هذا المشروع الذى يعد مشروع القرن سوف يخلق تجمعات زراعية وصناعية جديدة ويحتاج إلى روح للريادة والعمل الجاد لتغيير الحياة على أرض مصر ويحتاج كذلك إلى الحفاظ على المياه كمورد استراتيجى يرتبط أشد الارتباط بالمصلحة العليا للوطن».

حضارة مصر المعاصرة:

وفى بداية الاحتفال التاريخى بإعطاء الرئيس مبارك إشارة البدء لمشروع تنمية جنوب الوادى ألقى الدكتور كمال الجنزورى رئيس الوزراء كلمة شرح فيها أبعاد المشروع مؤكداً أنه بفضل التخطيط والالتزام به فى عهد الرئيس مبارك فإن التحرك الفعلى للبدء فى تنفيذ المشروع بدأ بعد تولى الرئيس مبارك مسئولية الحكم فى مصر..

وقال الدكتور الجنزورى: «إن هذا المشروع لم يبدأ من فراغ بل كان نتاج جهود متتالية عبر السنوات الماضية لتوفير كافة البيانات والمعلومات حتى يبدأ العمل»..

ووجه الدكتور الجنزورى الشكر لهيئة المساحة العسكرية التى بذلت جهداً كبيراً فى إخراج الخرائط وكذلك تم توجيه الشكر لهيئة المساحة الجيولوجية ووزارات الصناعة والبترول والنقل والمواصلات والكهرباء والتعمير

والإعلام وكل القطاعات الخدمية التى وفرت البيانات اللازمة للوصول إلى هذا الأمر..

وشرح الدكتور الجنزورى على الخرائط الأراضى والثروات المعدنية والكهربائية المتواجدة فى الجنوب.. وأشار إلى أنه من خلال الدراسات المتاحة هناك إمكانية الآن لزراعة نصف مليون فدان.. وأكد رئيس الوزراء على أن مصر تحترم كافة الاتفاقيات الدولية ولن تتجاوز حصتها من مياه النيل والتى تقدر بـ ٥٥,٥ مليار متر مكعب.. وأن المشروع بحاجة إلى ترشيد استخدام المياه وتنظيم الرى فى الوادى الجديد وإعادة استخدام مياه الصرف الزراعى ومياه الصرف الصحى وإعادة التوسع فى استخدام المياه الجوفية.

وقال الدكتور الجنزورى:

«إننى كمواطن مصرى أود أن أقول أننا لا نتكلم الآن عن قضية إضافة رقعة زراعية وعمرانية جديدة لمصر وإنما نحن نتحدث الآن عن إقامة حضارة مصر المعاصرة».

وشرح الدكتور الجنزورى أبعاد المشروعات المختلفة التى تقدمت بها تسع وزارات لتحقيق التنمية التى تقدمت بها تسع وزارات لتحقيق التنمية الشاملة بالجنوب من مشروعات كهربائية وسكك حديدية وبترول وتعدين وسياحة وغيرها.

وقام الدكتور بيومى عطية وكيل وزارة الأشغال العامة بشرح عدد من صور الأقمار الصناعية التى توضح مسار ترعة الشيخ زايد والمناطق

الصالحة للزراعة وقد أكدت الأقمار الصناعية وجود ٣,٤ مليون صالحة للزراعة بالمنطقة وقد حضر هذا الاحتفال التاريخي كبار رجال الدولة وكان في مقدمة الحاضرين الدكتور فتحي سرور رئيس مجلس الشعب والدكتور مصطفى كمال حلمي رئيس مجلس الشورى ود. عاطف صدقي المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة وعدد من الوزراء والمحافظين ورؤساء الأحزاب ورؤساء مجالس إدارات الصحف القومية وأعضاء مجلسي الشعب والشورى ورجال الأعمال بالإضافة إلى ممثلي الفكر والصحافة ولاإعام والفن والشباب والسلك الدبوماسي المعتمد في مصر.

وبعد.. فمن بداية عام ١٩٩٧ قام الرئيس مبارك بإعطاء إشارة البدء لتنفيذ مشروع وادي النيل الجديد ذلك المشروع القومي العملاق الذي قال عنه الرئيس مبارك:

«وإنه سيفتح آفاقاً جديدة في تاريخ العمل الوطني ويغير الكثير من المسلمات التي حصرت جهود التنمية في حدود الوادي القديم ويتيح الفرصة لخلق مجتمع عمراني جديد يزخر بعمل تنموي شامل ويقدم نموذجاً متكاملاً لحياة جديدة على أرض مصر في مطلع القرن الحادي والعشرين»..

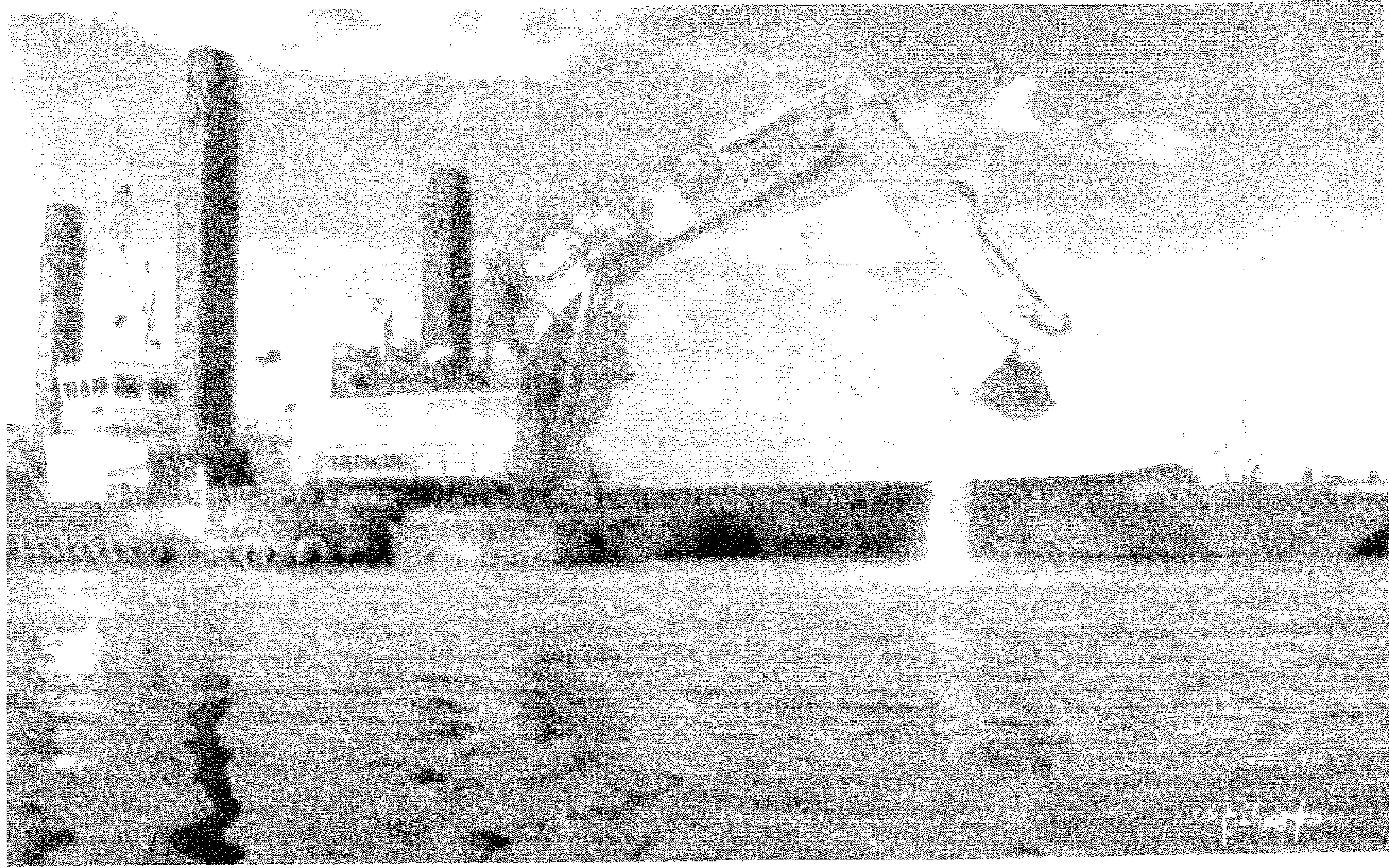


مفيض توشكى



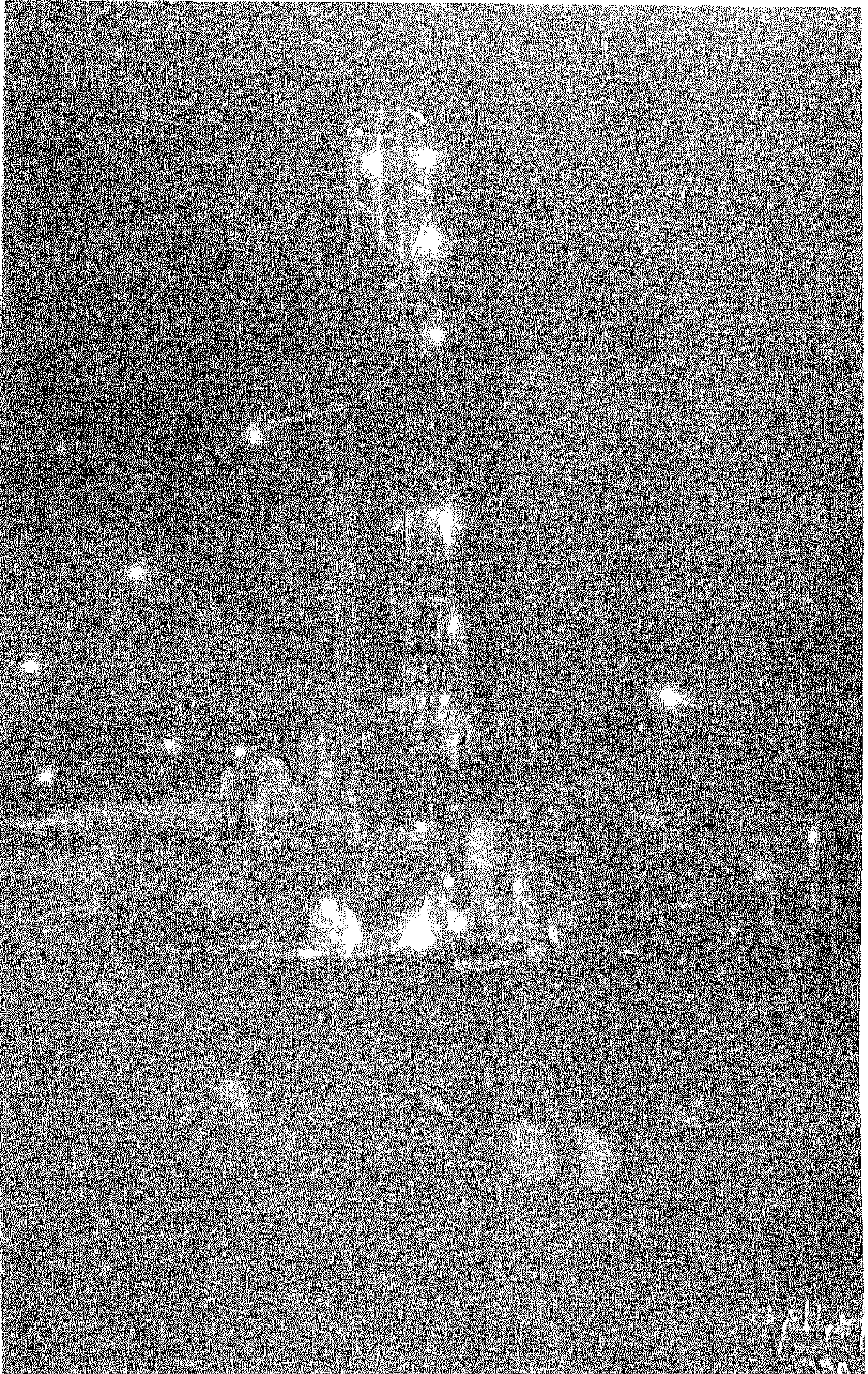


بشائر الخير .. فى توشكى



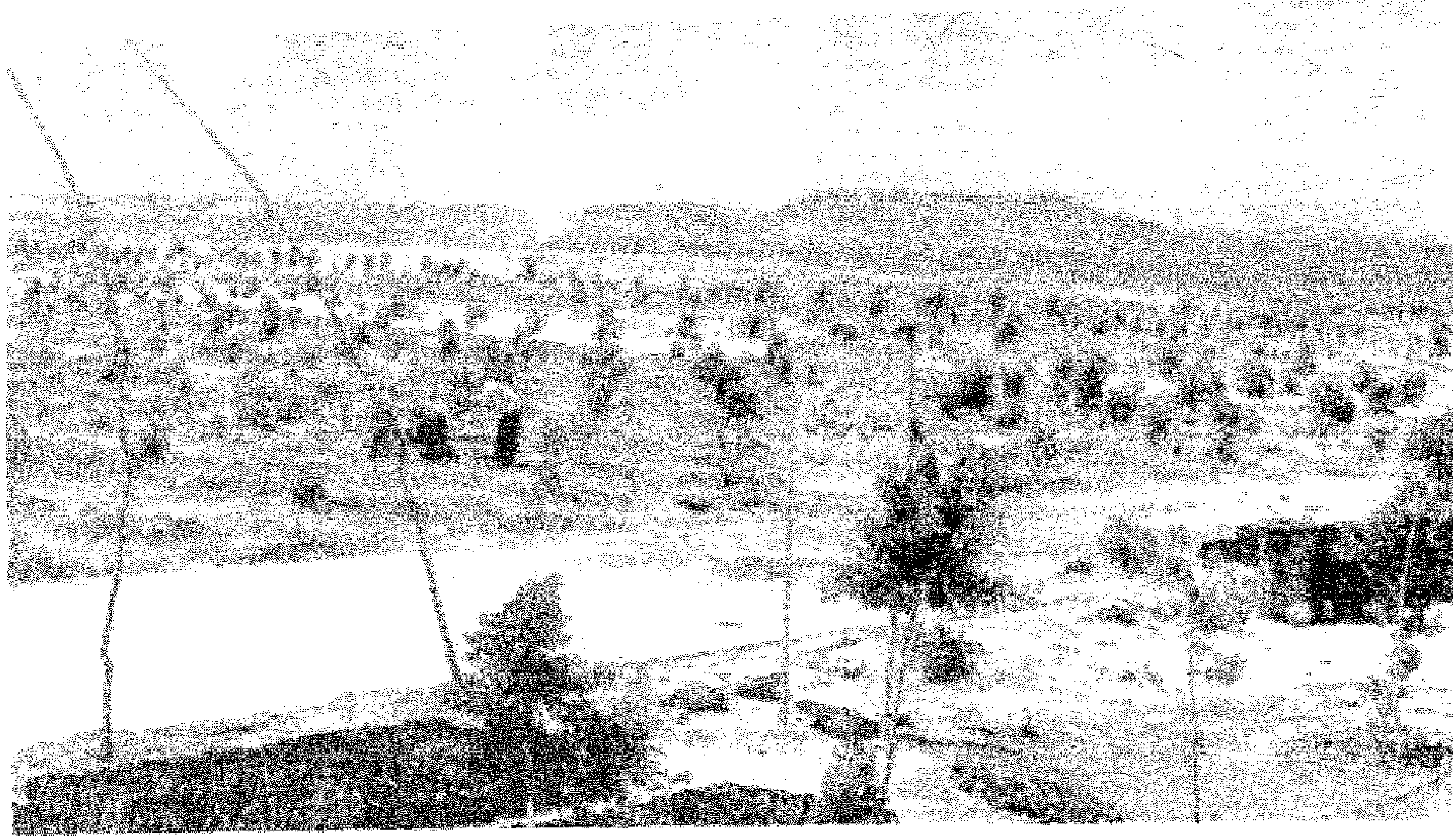
حفار عملاق يعمل بمحطة الرفع بتوشكى

أحد الآبار الجديدة فى توشكى

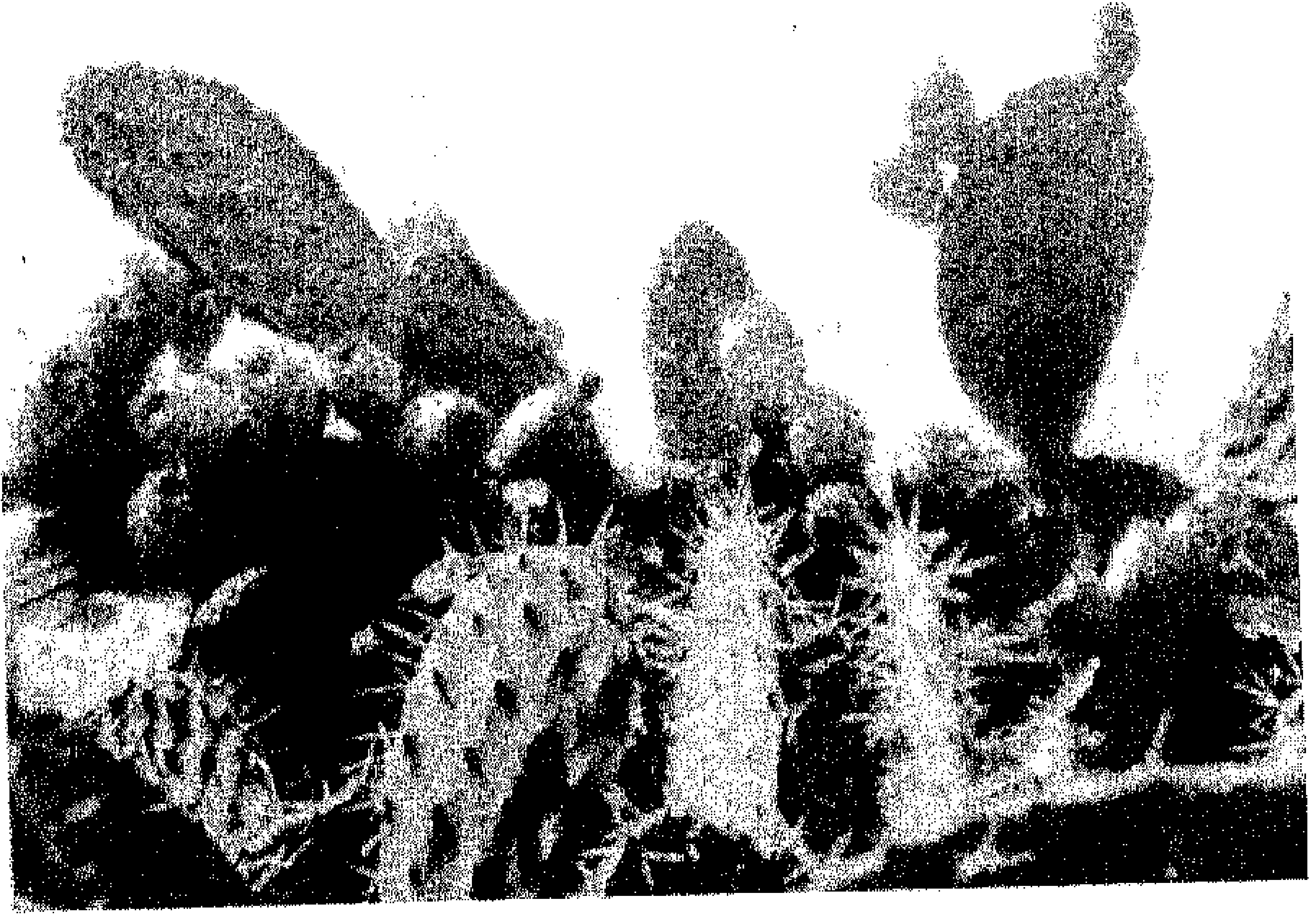


العمل يتواصل ليل نهار فى توشكى

١٥٩٠

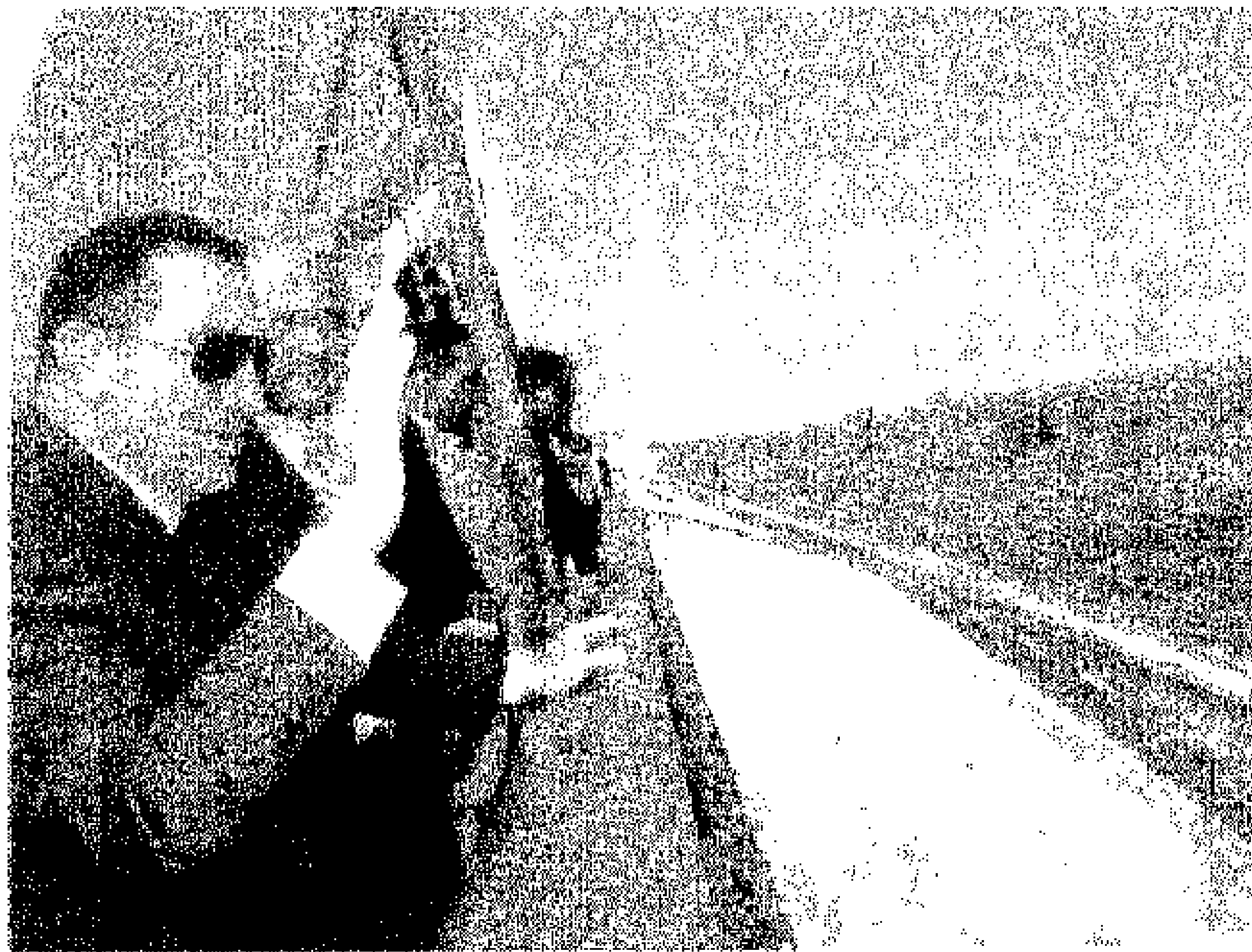


توشكى أحدث المناطق الزراعية



التين الشوكى فاكهة مصرية شعبية





مبارك .. ونظرة إلى المستقبل فى توشكى

العقل المصرى الخلاق .. وتوشكى .. أثناء تركيب [illegible] محطة الرفع العملاقة

خاتمة

ارتبط العصر الحديث منذ بداياته الأولى فى القرن السادس عشر وما تلاه، بحروب تجارية دولية كان محورها السيطرة على المستعمرات سبيلا إلى الاستئثار بالمواد الأولية والأسواق.. وهكذا تمكنت دول استعمارية مثل البرتغال وانجلترا وإيطاليا من بناء مجتمعاتها وتحقيق رخائها على حساب شعوب المستعمرات..

وكان القانون الدولى - الذ ى وضعت قواعده الدول الكبرى - يقنن ويجيز أعمال الدول الاستعمارية تحت ستار نشر الحضارة ومحاربة الوثنية!!

وقد قامت الحرب العالمية الأولى بسبب الصراع والتنافس على توزيع المغانم والأسلاب، وانتهت بهزيمة عدد من الدول.

ثم قامت الحرب العالمية الثانية وحاول قادة النظام الدولى وقتئذ - الحلفاء - وضع أسس تكفل إنقاذ الشعوب من ويلات الحروب التى جلبت على البشرية، خلال قرن واحد، أحزاناً يعجز الإنسان عن وصفها، وأن

يؤكدوا - وفقا لما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة بعدئذ - إيمانهم بحقوق الإنسان وتحقيق العدالة واحترام مبادئ القانون الدولى والعمل على تحقيق ظروف اجتماعية واقتصادية أفضل لشعوب الكرة الأرضية. ولم ينتظر قادة الحلفاء انتهاء الحرب كلية، بل اجتمعوا أثناءها فى مؤتمرات لتحديد شكل العالم الجديد بعد أن تضع الحرب أوزارها..

ولم يغب عن ذهن المؤتمرين الغربيين آنذاك أهمية البعد الاقتصادى، فتم عقد مؤتمر اقتصادى فى (برايتون وودز) عام ١٩٤٤. والذى قرر إنشاء هيئتين دوليتين لتنظيم النقد والمعاملات المالية وعلى المستوى الدولى أولهما البنك الدولى للإنشاء والتعمير، والثانية صندوق النقد الدولى.

وفى المقابل قامت البلدان الاشتركية فيما بعد انتهاء الحرب بإقامة تجمع إقتصادى خاص بها عرف باسم «الكوميكون».

ثم ظهرت منظمة الجات كتنظيم عالمى وبدأت جولاتها التفاوضية تباعا. منذ عام ١٩٤٧ تحت شعار تحرير التجارة الدولية.. وأتمت ثمانى جولان كان آخرها جولة «أورجواى» التى بدأت عام ١٩٨٦، وانتهت فى جنيف عام ١٩٩٣ حيث انتهى نهائياً دور منظمة «الجات».

أدوات الصراع حتى نهاية القرن العشرين.

كانت الحرب الباردة بكافة أشكالها هى السمة الرئيسية للصراع بين النظامين العالميين الرأسمالية والاشتراكية، كما كان الخط النابع من التيار الأساسى للصراع السياسى هو خط الصراع الاقتصادى، والذى اتخذ اتجاهات متعددة حتى داخل المعسكر الواحد.. مثلما حدث فى الاتجاه إلى

أوروبا الموحدة، وأيضا في الاتجاه الخاص باليابان في بناء قوتها الاقتصادية وإقامة تكتل في جنوب شرق آسيا.

وكان المعسكر الاشتراكي، على الجانب الآخر قد أنشأ جهازه الخاص سنة ١٩٤٩ تحت اسم «كوميكون» أي مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة، بهدف تنسيق معاملات التجارة الخارجية والتنمية المشتركة للموارد وتبادل الخبرات الاقتصادية بين الدول الأعضاء، كما جاء «إنشاء الكوميكون» أيضاً كرد فعل للسيطرة الاقتصادية والمالية للدول الغربية على المؤسسات المالية الدولية، ولموازنة مشروع مارشال للإنعاش الأوربي...

وبالنسبة للاتفاقية العامة لتعريفة التجارة الدولية » التي كان يرمز لها» بالجات وهي من أدوات السيطرة الاقتصادية الأمريكية. وكان من أبرز أهدافها تحرير التجارة الدولية بإزالة الحواجز الجمركية وغيرها، من خلال تطبيق مبادئ الليبرالية الاقتصادية، وانتهت جولاتها التفاوضية بإقامة منظمة التجارة العالمية WTO التي انضمت إليها أغلب دول العالم شرقه وغربه.. وفي ظل التطور الجديد ، امتد تطبيق قواعد التجارة الدولية الحرة إلى كثير من السلع والخدمات، التي كانت خارج إطار الجات قبل التسعينيات - ومن أمثلة ذلك حقوق الملكية الفكرية وحقوق الطبع والنشر- التي شهدت انهيار الاتحاد السوفيتي والتحولات إلى اقتصاد السوق الحر.. والاتفاقية الجديدة المنشئة لمنظمة التجارة العالمية لا تعني الالتزام الكامل بما جاء بها من جانب أطرافها، وأبرز مثال لذلك إصرار فرنسا على إخراج المصنفات الصوتية والمرئية من الاتفاقية، قبل التوقيع عليها،و

أنحيازاً لهويتها الذاتية والثقافية ما أطلقت عليه فى مواجهة الغزو الثقافى الأمريكى..!!

ويرجع صلابة الموقف الفرنسى فى التمسك بهويتها لما تظهره الإحصاءات من أن نحو ٧٠ ٪ من المواد الثقافية المطروحة فى أوروبا، أمريكية الصنع. والتى تشمل إلى جانب الأفلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية وشرائط الفيديو والتسجيلات الموسيقية والكتب والمجلات مما يشكل فى واقعه غزوا ثقافيا أمريكيا تنعكس خطورته على العادات والتقاليد والقيم وحتى الممارسات الحياتية اليومية!!

ويمكن القول أن أبرز سمات عصر المعلوماتية وثورة الاتصالات المستمرة هى قضية الملكية الفكرية والتى تشمل براءات الاختراع انطلاقاً من أهميتها للدول الصناعية الكبرى خاصة، كاستثمار اقتصادى يحقق عوائد ضخمة..

وأيضا وهى مشارف القرن الحادى والعشرين تتابعت التطورات لتظهر فى الوقت نفسه التكتلات الاقتصادية، خاصة بعد انتهاء الحرب الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتى، وانتشار المفاهيم الليبرالية الديمقراطية وآليات السوق الحرة على المستوى العالمى سواء بين الدول التى كانت فى المعسكر الاشتراكى أو بين دول العالم الثالث بصفة عامة... ومن أبرز هذه التكتلات « أوربا الموحدة» التى خرجت من رحم السوق الأوربية المشتركة، ومنظمة «النافتا» والتى تضم أمريكا وكندا والمكسيك.

وقد شهد عام ١٩٩٩ إصدار العملة الأوربية الموحدة وإنشاء بنك مركزى أوربى موحد، كما بدأت فعاليات قوة عسكرية أوربية مشتركة!!

ويمكن القول: إن أوربا الموحدة تمثل أكبر قوة اقتصادية تجارية فى عالم اليوم.. كما تمثل اليابان ودول جنوب شرق آسيا وخاصة الصين قوة اقتصادية منافسة، تتصاعد تأثيراتها يوما بعد يوم، وبما يوحى بأن القرن الواحد والعشرين قد يشهد صورا جديدة للصراع أو المنافسة الاقتصادية بين تلك التكتلات..

إن العالم يدخل القرن الحادى والعشرين بزيادة كبيرة فى السكان وزيادة فى الدخل مرتبطة نسبيا بالاستقرار فى البلدان الليبرالية الديمقراطية، ولكن عولمة الاقتصاد الدولى خلقت أيضا عدم استقرار وعدم أمان وعدم عدالة فى ظل عدم وجود ضوابط للعولمة... مما أدى إلى عدم العدالة الاقتصادية حتى فى مجتمعات رأسمالية، الأمر الذى أدى إلى إعادة التفكير وعلى نطاق عالمى حول العولمة، كما ظهر ما أطلق عليه الطريق الثالث The Third Way وهو التيار الذى قادته بريطانيا وألمانيا وبعض الدول الاوربية الأخرى.. إلى جانب التوجهات المعارضة والتى ظهرت بجلاء فى مؤتمر سياتل الذى عقد فى الولايات المتحدة مؤخرا والتى تؤكد فى مجموعها أهمية وضرورة ارتباط الليبرالية واقتصاديات السوق الحر بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية.

الواقع المعاصر: أى الوضع فى بداية القرن الحادى والعشرين

أحدث المقولات فى واقعنا المعاصر، أن العلم لم يعد ينقسم إلى أغنياء يملكون وفقراء لا يملكون، بقدر ما أصبح ينقسم إلى أغنياء يعرفون وفقراء لا يعرفون!! فالمعرفة والنظم الاجتماعية المواتية هى أهم ما يميز الدول

المتقدمة، ولم يعد الاستيلاء على مصادر الموارد الطبيعية نفس الأهمية التى كانت له فى الماضى.. فالسيطرة الاقتصادية لا تتحقق فقط بالاستيلاء المادى على مصادر هذه الموارد. بل إن هناك أساليب عديدة غير منظورة لتحقيق السيطرة الاقتصادية.. وليس معنى هذا أن الإنسانية سوف تتجاوز حاجتها إلى الأراضى الصالحة للزراعة أو الموارد المائية أو مصادر الطاقة. فكل هذه العناصر ستظل مهمة وضرورية لا يمكن الاستغناء عنها..

ولكن الجديد فى عالم اليوم، وربما الغد، هو أن هذه الموارد سوف تتضاءل فى تحديد قيمة الإنتاج بالمقارنة بالجهود الإنسانية، وخاصة فى ميادين التكنولوچيا والبحث العلمى والابتكار والتسويق والخدمات المختلفة كما ورد فى أبحاثه التى تضمنها الكتاب.

وقد جاءت الترتيبات الجديدة لنظام التجارة العالمى مؤكدة لهذا التطور فالمنظمة العالمية للتجارة تخصص حماية كبيرة لحقوق الملكية الفكرية التى تمثل المصدر الجديد للثورة الاقتصادية فى العالم المعاصر..

بل ان هناك أساليب عديدة غير منظورة لتحقيق السيطرة الاقتصادية مثل التأثير فى الأسواق المالية والبورصات العالمية وتحركات رؤوس الأموال والاستثمارات عبر الحدود من خلال الشركات متعددة الجنسيات...إلخ والتى تحتل أخبارها اليوم أماكن بارزة فى كافة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.. وهو ما أصبح يعرف بظاهرة العولمة التى تمثل محورا أساسيا فى الثقافة السياسية لعالم القرن الحادى والعشرين.

وواقعا يزحف على امتداد الكرة الأرضية ليحول العالم، بعد ثورة الاتصالات إلى قرية اقتصادية واحدة!

وإزاء عشرات المؤلفات والدراسات والمؤتمرات حول العولمة، فإنها تكاد تتفق على أن قطار العالمية الذى تقوده القوى الاقتصادية الكبرى يتحرك بسرعة متزايدة، وأن معظم دول العالم – خاصة الثالث – تسعى جاهدة لحاق به.. وأنه إلى جانب هذا القطار الأقتصادى هناك قطار التيارات والتوجهات الوطنية التى تبحث عن جذور هويات قديمة أو عن هوية جديدة!! وقد تأثر شكل الاقتصاد الدولى باتجاه الدول الكبرى نحو التكتل فى تجمعات اقتصادية لتحقيق أهداف مشتركة، كالاتحاد الأوربى برغم وجود منظمات عالمية مثل صندوق النقد والبنك الدولى ومنظمة التجارة الحرة، ثم أصبحت السيطرة لقوى اقتصادية متعددة الجنسيات تلعب فيها الولايات المتحدة – بعد تفكيك الاتحاد السوفيتى – دور القطب الواحد..

وفى هذا الإطار، أثار بعض المفكرين – الذين تضمن الكتاب أبحاثهم – قضية العولمة فى مجال الثقافة وما إذا كان هناك عولمة ثقافية!! وهناك شبه إجماع على أن عولمة الثقافة – إذا جاز التعبير – هى فى حقيقة الأمر هيمنة ثقافة معينة على ثقافات أخرى، وتستند فيها إلى قوة من خارج مجال الثقافة، سواء مستمدة من مجال التكنولوچيا أو الاقتصاد أو السياسة.. ويرى آخرون جمع لهم ابحاث فى نفس الكتاب أن العولمة حتى اذا انتشرت فى مجالات أخرى، فإنها لن تعم مجال الثقافة، وأن للثقافة وسائلها كى تستعيد تنوعها مادامت هناك فروق بين البشر مع اختلاف التجارب والتاريخ.. وأن التعدد الثقافى وتعدد الثقافات سيظل قائما بين الشعوب،

طالما أن الانسان تختلف ظروفه وتجاربه وطموحاته بتعاقب مراحل حياته التاريخية، وحتى بالرغم من الانفتاح على ثقافة الآخرين، فإن ذلك لايلغى ثقافته الخاصة ولا هويته الذاتية التى ترتبط عضويا بعبقرية المكان.

وهكذا يمكن القول أنه يمكن الحفاظ على هويتنا وذاتيتنا الثقافية فى إطار التعامل مع ظاهرة العولمة، ولاشك أن تغذية الشعور بالاختلاف عن الآخر والتمايز عنه توفر شحنات دائمة لتضامن وتماسك عناصر الأمة وتوحدها فى نسيج متناسق – فالثقافات بالمعنى الواسع سوف تستمر تعددية ومتباينة ولكل منها الاستقلالية النسبية والحق فى حماية ذاتيتها وهويتها فى مواجه محاولة فرض ثقافة واحدة على العالم كله..!

الأمر الذى يبدو مستحيلا وغير مقبول فى نفس الوقت وهو ما يتوافر عليه الاجماع العالمى خاصة فى تقرير منظمة اليونسكو سنة ١٩٩٨ الذى صدر بعنوان «تنوعنا المبدع» وكذا مؤتمر استكهلم الخاص بالسياسات الثقافية.

الأمر الذى يفرض علينا، بمعنى على المستويين الوطنى والقومى، الاستجابة والديناميكية فى مقابلة ومواجهة تحديات العولمة مستلهمين فى ذلك مقوماتنا الحضارية والثقافية ومسلحين في الوقت نفسه بالمنجزات والاساليب العلمية العصرية.

العالم الثالث وموقعه فى القرن الحادى والعشرين

كما تشير أبحاث هذا الكتاب، يرى الكثير من المحللين أن العالم الثالث - على أعتاب القرن الجديد أصبح كيانا أشبه بغابة تحكمها ديناصورات

تتمثل فى التكتلات الاقتصادية الكبرى إلى جانب المنظمات الدولية المالية وهى البنك الدولى للإنشاء والتعمير وصندوق النقد الدولى وأخيراً منظمة التجارة العالمية.. وأن دول العالم الثالث تعيش فى هذه الغابة مثل كائنات ضعيفة مستأنسة لا تملك من أمرها شيئاً، وبدلاً من إمكانات مواصلة جهودها لتنمية مجتمعاتها ورفع مستوى شعوبها، انهمكت فى نزاعات حدودية استهلكت قدراتها بالإضافة إلى أزمات المجاعات والتصحر والفقر التى تبلغ أقصى بشاعتها فى إفريقيا بصفة خاصة، وبعد أن تقلصت المساعدات الاقتصادية وضعفت أسعار المواد الخام والأولية لسيطرة الاحتكارات الدولية، وزادت تكلفة استيراد التكنولوچيا وأدوات التقدم مما أصاب الصناعات الوطنية فى البلدان النامية بالتدهور والعجز عن مواجهة المنافسة غير المتكافئة للمنتجات الواردة من الدول الصناعية الكبرى..

وأخذ مصير دول العالم الثالث يتأرجح بين أيدى القوى المهيمنة وما تفرضه من شروط للسير فى ركابها..

وبالنسبة لمصر فإننا نعرف جذور المشكلات التى واجهتنا والعقبات التى أثرت على خطانا على طريق البناء والتقدم.. على الرغم من ادراكنا لحقيقة ما تعرضنا له على مدى نصف قرن أو يزيد، خلاف نضالنا الوطنى والقومى من أجل التحرر والاستقلال، فإننا لا نسعى إلى الصراع مع قوى بعينها وإنما نسعى إلى حقنا فى ألا تقتلع جذورنا من أصولها وألا نتخلى عن ذاتيتنا، والا نفقد مصالحنا التى تأثرت بسبب بعض المتغيرات الخارجة عن إرادتنا....

لقد كان - ولا يزال - خيارنا الاستراتيجى هو السلام، وكان هدفنا من هذا الخيار هو تكريس جهودنا على إقامة دعائم مجتمعنا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا على نحو يتواكب مع حركة التطور والتقدم التى يعيشها عالمنا المعاصر.. كما هو موضع فى بحوث الكتاب

لقد تنبهت مصر مبكراً إلى أهمية الاستعداد لعبور بوابة القرن الحادى والعشرين بخطى واعية تعرف موقع أقدامها بعد أن حددت أهدافها - بدءاً بمراحل الإصلاح الاقتصادى والتحول إلى اقتصاديات السوق الحرة والإعداد لخطط ومشروعات التنمية لتغطى خريطة مصر كلها.. وفى هذا الاتجاه شاركت مصر دول العالم فى التوقيع على اتفاقية منظمة التجارة الحرة، كما دخلت فى برامج المشاركة الاقتصادية بما يساعد على دفع عجلة التنمية فى مختلف المجالات من خلال دعم القدرات العلمية والبحثية لتطوير وتحديث صناعاتنا ومنتجاتنا السلعية والخدمية.. فليس بوسع مصر أن تعيش بمعزل عن تيار التطورات العالمية وأن تعد نفسها لخوض غمار المنافسة على الساحة العالمية.. وهو ما يتطلب رؤية قومية متكاملة نستشرف بها آفاق المستقبل، ونحقق بها المكانة التى يؤهلنا لها تراثنا الحضارى والإنسانى..

وعلى طريق المستقبل فإذا كانت مصر قد بدأت صياغة رؤية مستقبلية راعت فيها المدخل المناسب لظروف ومراحل تطور المجتمع إلى القرن الواحد والعشرين برغم صعوبة التنبؤ بمتغيراته المتسارعة ونمط تفاعلاته واسعة المدى إلا أن هذا لم يحل دون وضع خطط تنموية لتوجيه وتسيير

العمل الاقتصادى والاجتماعى والثقافى فى مختلف مجالاته بما يتفق مع احتياجات ومتطلبات المجتمع من ناحية ويتسق مع حركة العالم السريعة والنشطة من ناحية أخرى، وفى هذا الإطار كان التحرك على طريق المستقبل قد بدأ مع تولى الرئيس حسنى مبارك السلطة ، منذ عقدين من الزمن.

فهرس الجزء الثانى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٨٥٥ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7097 - 6



السفير الدكتور / حسين شريف

- حاصل على ليسانس فى القانون - ودكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية من جامعة السربون بباريس.
- التحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٤٢م وعمل بالاتحاد السوفيتي وفرنسا وإيطاليا والحبشة والعراق وسوريا ولبنان والبرازيل ورمانيا، ثم مديراً لإدارة أمريكا الشمالية وكندا بوزارة الخارجية، ثم سفيراً لمصر فى البرازيل وهو عضو الآن فى المجالس القومية المتخصصة، وعضو جمعية العلوم السياسية.
- مثل مصر فى العديد من المؤتمرات الدولية بالخارج.
- حاصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من مصر.
- ووسام أوفسيه من الدرجة الأولى من فرنسا.
- ووسام الرافدين من العراق.
- ووسام كروزيرو دى سول من البرازيل.

له مؤلفات منها:

- وحدة وادى النيل باللغة الفرنسية.
- مفهوم السياسة الأمريكية من خلال مؤلفات هنرى كيسنجر.
- النواحي الاقتصادية والسياسية الأمريكية تجاه العالم.
- التحدى اليابانى فى التسعينيات.
- السياسة الخارجية الأمريكية - اتجاهاتها وتطبيقاتها من الحرب العالمية الثانية إلى عام ١٩٩٤م «جزءان».
- المفهوم السياسى والاجتماعى لليهود عبر التاريخ - من العهد القديم إلى مفاوضات السلام الشرق أوسطية ١٩٠٠ ق م - ١٩٩٥
- له مقالات عديدة فى
- الإرهاب الدولى وانعكا الأوسط خلال أربعين
- تاريخ الحضارات.
- أوضاع العالم على الحادى والعشرين «جز
- أزمة ورجال فى إسرائيل

الثمن ٣٢ جنيها

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب